

الفتوحات الربانية

في

المواعظ والخطب المنبرية

تأليف الشيخ العلامة

محمد بن سالم البيحاني رحمه الله المتوفى سنة (١٣٩١) هـ

تحقيق وتخريج وتعليق

أبي عبدالرحمن ردمان بن أحمد بن علي الإبي الحبوشي

تقديم فضيلة الشيخ العلامة

يحيى بن علي بن أحمد الحجوري حفظه الله

صورة المقدمة المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل في كتابه الكريم من احسن قورا من دعا الى الهدى اهلها
وقال انني من المسلمين

و قال انثري من المسلمين

١٩٠٤

لقد نفع الله بكتاب الفتوحات الربانية في المواعظ والمحظرات المنيرة

للعلامة محمد بن سالم البنجاني رحمه الله تعالى

خطباء القري في بين عوام الناس نفعاً عظيماً حتى انهم قل ان نجم

وذلك في ليلة غرة اسفلو با و ...

لکثیر من اوصیاءہم الدینہ و لما کان الیامان حیدرہم

لیکن من شانعلم الحدیث کثرت سے دلالت دہی کہ

الفتوحان وغيرهما من كتب الأمازيغ الضعيفة التي

عنوان حوام النسيء وخواصهم

على عبادة الناس لذاتهم ان تصف كس المواعظ وغيرها

من شواهد الأحاديث المطروحة أن عمر من هذا الباب عام اخواناً إليها حيث المقصود

ردمان بن احمد الجبیشی حفظه الله رحمه الله

الملاحظات

[illegible]

حقيقا كما في الاحتياج الى مزيد حتى صار الكتاب
بعد ما اضافه عليه احوال دمام من الاثر النافع

بجانبه اهل بيته و اولادهم من الكواشي السابعة
صا، صرحاً يستعمل في الخطاء وغيره

علي من لا قدرة له على الرجال الخاطئين ان ياتوه

حائنا سبب الحال من الاحل الشائبة من ماعده

من الالوب الحن والمعا في الحذ

ثم يحطّب النّاس متحمّسين الأحاديث الضعيفة والزّيفات

و بالسر التوفيق
كتبت احسن من عالم الحرف

في ٩ محماد الثاني ١٤٤٩ هـ

[illegible][illegible]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة فضيلة شيخنا العلامة الفقيه

المحدث الناصح الأمين

أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله

الحمد لله القائل في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد نفع الله بكتاب: « الفتوحات الربانية في المواعظ والخطب المنبرية »، للعلامة محمد بن سالم البيحاني رحمه الله نفع الله به في أوساط خطباء القرى، وبين عوام الناس نفعاً عظيماً، حتى أنه قل أن تجد مسجداً من مساجدهم الجامعة يخلو من هذه الخطبة.

وذلك لبلاغة أسلوبها وسهولة مواضيعها ومعانيها ومعالجتها لكثير من أوضاعهم الدينية، ولما كان البيحاني رحمه الله ليس من شأنه علم الحديث كثر استدلاله في هذه الفتوحات وغيرها من كتبه، بالأحاديث الضعيفة التي رسوبها في أذهان عوام الناس أو خواصهم، له عواقب غير حميدة على عبادة الناس.

لذا فإن تصفية كتب المواعظ وغيرها من شوائب الأحاديث المطرحة أمر مهم، ومن هذا الباب قام أخونا الباحث المفيد والداعي إلى السنة والتوحيد / ردمان بن أحمد الحبشي

حفظه الله بتحقيق هذه الفتوحات تحقيقاً كافياً، لا يحتاج إلى مزيد حتى صار الكتاب بعد ما أضافه عليه أخونا/ ردمان من الحواشي النافعة؛ صار مرجعاً يستفيد منه الخطباء وغيرهم، ويسهل على من لا قدرة له على ارتجال الخطب أن يلخص منه ما يناسب الحال من الأدلة الثابتة، مع ما على ذلك من الأسلوب الحسن، والمعاني الجذابة، في ورقة ثم يخطب الناس، مجتنباً الأحاديث الضعيفة والزلاقات الطارئة، وبالله التوفيق.

كتبه

يحيى بن علي الحجوري

في ٩ / جماد ثاني / ١٤٢٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحكم كتابه وجلى بالحق خطابه، سبحانه فتق السنة أهل الإسلام بالبيان والخطابة، فكان منهم نماذج ممن فرى الخير وأصابه فبلغ من الخير أوجه^(١) ونصابه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل من سعد المنابر وأبلغ من صدع بالخطب الزواجر، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا قمماً في الدعوة والخطابة بالأصائل والهواجر^(٢)، ومن سار على نهجهم وسلك سبيلهم وترسم خطاهم، ماذكر الله ذاكر، وما تاجر مع الله متاجر، وزجر عن الردى زاجر^(٣)، وسلم تسليماً كثيراً^(٤).

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

(١) الأوج العلو ضد الهبوط كما في القاموس .

(٢) الأصائل: جمع أصيل وهو وقت العشي والهواجر جمع هاجرة وهي وقت نصف النهار عند اشتداد الحر كما في اللسان (هجر) .

(٣) مقتبسة من «كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة» (ص ٥) ت/د/ عبدالرحمن بن عبد العزيز السديس إمام وخطيب المسجد الحرام، وفقه الله .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدي هدي رسول الله ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

معاصر المؤمنين: فإن نعم الله عز وجل علينا كثيرة لا تعد ولا تُحصى قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]

وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]
ومن تلك النعم، عبادة الله عز وجل والانقياد لشرعه قال الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]

ومنها اختصاص هذه الأمة بيوم الجمعة الذي تعددت فضائله وكثرت محاسنه.

فمن فضائله:

١ - أنه خير يوم طلعت عليه الشمس لقول النبي ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس

يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها» ^(١) .

(١) أخرجه مسلم (٨٥٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٢- ومن فضائله: أنه سبب لمغفرة الذنوب وتكفير السيئات، لقول النبي ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن، إذا اجتنب الكبائر»^(١).

٣- ومن فضائله: أن فيه ساعة يستجاب فيها الدعاء لقول النبي ﷺ: «لما ذكر يوم الجمعة قال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم، وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه وأشار بيده يقللها»^(٢).

٤- ومن فضائله: أن فيه خطبة الجمعة التي هي مقام النبي ﷺ وخلفائه الراشدين وقد سماها الله ذكراً وأمر بالسعي إليها، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

٥- ومن فضائله: قعود الملائكة على أبواب المساجد لكتابة الأول فالأول، ففي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول»^(٣).

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٣٣) (١٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٩٣٥) ومسلم (٨٥٢) (١٤).

(٣) أخرجه مسلم (٨٥٠) (٢٥).

٦- ومن فضائله: سماع الملائكة لما يقول الخطيب ففي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»^(١).

وفي رواية: «إذا جلس الإمام طويت الصحف وحضروا الذكر»^(٢).

٧- ومن فضائله: أن من أتاه متوضئاً ثم صلى ما كتب له، ثم استمع وأنصت، ثم صلى مع الإمام غفر الله له ما بين الجمعة والجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام، لقول النبي ﷺ: «من اغتسل ثم أتى الجمعة فصلى ما قدر له، ثم أنصت حتى يفرغ الإمام من خطبته، ثم يصلي معه غُفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى، وزيادة ثلاثة أيام، ومن مس الحصى فقد لغا»^(٣).

فلهذه الفضائل وغيرها حظي هذا اليوم العظيم بأعمال جليلة ينبغي للعبد أن يتقرب إلى الله عز وجل بها فمن ذلك:

١- أن يغتسل إذا جاء لسماع خطبته لما في «الصحيحين» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من جاء منكم يوم الجمعة فليغتسل»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠).

(٢) أخرجه مسلم (٨٥٠)(٢٥).

(٣) أخرجه مسلم (٨٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٨٧٧) ومسلم (٨٤٤)(٢).

٢- أن يلتمس ما تيسر له من الطيب والسواك لما في «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم وأن يستن وأن يمس طيباً إن وجد»^(١).

وفي البخاري عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته ثم يخرج لا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»^(٢).

٣- أن يلبس أحسن ما يجد من الثياب من بياض ونحوه ما لم يكن محرماً لقول النبي ﷺ: «البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم»^(٣).

٤- أن يبكر فيه إلى المسجد، لما في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب

(١) أخرجه البخاري (٨٨٠) والسياق له ومسلم (٨٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٨٨٣).

(٣) حديث حسن سياقي تخريجه إن شاء الله تحت الخطبة (٤٦).

كباشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»^(١).

٥- أن ينصت يوم الجمعة في الخطبة حتى ينال هذا الثواب العظيم والأجر الجزيل لما في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قلت لصاحبك: أنصت يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغوت»^(٢).

٦- أن يكثر فيه من الصلاة على النبي ﷺ لقوله: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة.. فأكثرُوا عليَّ من الصلاة فيه»^(٣).

فإذا كان هذا ما شرعه الله عز وجل لعباده في هذا اليوم، فينبغي للمسلم أن يسابق فيه، وأن يسارع ويشمر حتى يحصل على الأجر العظيم، والثواب الجزيل.

أهمية خطبة الجمعة

من خصائص هذا اليوم العظيم أن فيه خطبة الجمعة التي يُقصد بها الثناء على الله وتمجيده والشهادة له بالوحدانية، ولرسوله ﷺ بالرسالة، وتذكير العباد بأيامه وتحذيرهم

(١) أخرجه البخاري (٨٨١) ومسلم (٨٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٩٣٤) ومسلم (٨٥١).

(٣) حديث صحيح بمجموع طرقه سيأتي تخريجه إن شاء الله تحت الخطبة (٤٦).

من بأسه ونقمته، ووصيتهم بما يقربهم إليه وإلى جنانه ونهيهما عما يقربهم من سخطه وناره فهذا هو مقصود الخطبة والاجتماع لها ^(١).

فالخطبة يوم الجمعة شعيرة من شعائر الدين العظيمة التي لها أهميتها ومكانتها وتظهر أوجه أهميتها بما يأتي:

- ١- فقد سماها الله ذكراً في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩]
- ٢- أن الله أمر بالسعي لها حين يسمع النداء، ويحرم على المسلم البيع والشراء عندها، أو الانشغال عنها بأي شيء.
- ٣- شهود الملائكة لها.
- ٤- شهود جميع المسلمين لها على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم التعليمية، فيحضرها العالم والجاهل والغني والفقير والأخيار ومن كان دونهم من أهل المعاصي، وكل ذلك لما لها عند الجميع، من المكانة في قلوبهم.
- ٥- إلزام المصلون بالإنصات لها، ومن لم ينصت فلا جمعة له.
- ٦- تكررها كل أسبوع ففي العام الواحد يسمع المصلي (٤٨) خطبة.
- ٧- أنها ثابتة في كافة الأحوال فهي مستمرة في السلم والحرب وفي القحط والجذب وفي سائر الأحوال والظروف فإذا كانت هذه خطبة الجمعة فينبغي للمسلم أن يعتني بها وأن

(١) «زاد المعاد» (١/ ٣٩٨) ط: الرسالة .

يكون حضوره لها بنية العبادة لا العادة، وإذا كان هذا في حق الآتي لها والمستمع فالخطيب من باب أولى أن يهتم بها، وأن يتصف بصفات حميدة من ذلك:

ما ينبغي للخطيب الواعظ

١- أن يكون عالماً بالعقيدة الصحيحة الصافية المنبثة من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، على فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم حتى لا يُزيغ ويُضلل الناس بسوء عقيدته .

٢- عالماً بما تصح به الصلاة، مُلماً بشيء من الأحكام الفقهية ليتمكن من إجابة من يسأله عن بينة ويرشده بنور الشريعة إلى الصراط المستقيم، ولا يخطئ خبط عشواء، في أمور الدين كما يفعل كثير من خطباء هذا الزمن.

٣- مُلماً بشيء من اللغة العربية^(١) .

٤- الاعتناء بموضوع خطبتي الجمعة بحيث تكون علاجاً لمشاكل المجتمع التي يعاني منها ليل نهار، فالخطيب كالطبيب يشخص أدواء المجتمع وعِلِّله، ويصف لهم الدواء النافع من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ بحكمة واقتدار .

فيجب على الخطيب أن يركز على التأصيل العقدي والزاد الإيماني من الدعوة إلى توحيد الله عز وجل والتحذير من الشرك به سبحانه وتعالى، وحث الناس على التمسك بكتاب الله

(١) «القول المبين في أخطاء المصلين» (٣٦٦-٣٦٧).

وسنة رسوله ﷺ ووصيتهم بتقوى الله، وتحذيرهم من الأمراض المتفشية في أوساط الأمة ولننظر كيف كان هدي النبي ﷺ في خطبه .

قال ابن القيم رحمه الله: « وكذلك كانت خطبه ﷺ إنما هي تقرير لأصول الإيمان من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه وذكر الجنة والنار، وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته، وما أعد لأعدائه وأهل معصيته فيملأ القلوب من خطبته إيماناً وتوحيداً، ومعرفة بالله وأيامه، لا كخطب غيره التي إنما تفيد أموراً مشتركة بين الخلائق، وهي النوح على الحياة والتخويف بالموت ... ومن تأمل خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه، وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد، وذكر صفات الرب جل جلاله وأصول الإيمان والدعوة إلى الله وذكر الآئه التي تحببه إلى خلقه وأيامه التي تخوفهم من بأسه والأمر بذكره وشكره ... فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببهم، إليه فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم اهـ ^(١) .

هكذا كانت خطبه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

٥- ومما يجب على الخطيب أن يكون متسماً بصلاح النية وحسن الأسوة وأن يكون صالحاً ورعاً قنوعاً مهيباً غير مجاهر بمعصية عاملاً بما يقول، ولا يكن من الذين قال الله فيهم: ﴿اتَّأَمَّرُوا النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنَسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

(١) «زاد المعاد» (١/ ٤٠٩-٤١٠) بتصرف .

[البقرة: ٤٤] وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢].

وقال شعيب عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].
وقال الشاعر:

وغير تقى يأمر الناس بالتقى طيب يداوي الناس وهو سقيم
وقال أبو الأسود الدؤلي:

لاتنه عن خلقٍ وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

٦- ومما ينبغي له أن يحرص على النفع والتأثير بأوجز الكلمات دون إملال ولا إثقال لما رواه مسلم في «صحيحه» عن النبي ﷺ قال: «إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه فأطلوا الصلاة وأقصروا الخطبة وإن من البيان لسحراً»^(١).

وهذا أمر نسبي وضابطه نهج السنة مع تحقيق المصلحة الشرعية .
وقد قال بعضهم:

إن طال لم يملل وإن أوجزته ود المحدث أنه لم يوجز

وخير الهدي هدي رسول الله ﷺ وقد كان نهجه في خطبه أكمل نهج وأتمه وأوفاه كما تقدم من كلام ابن القيم رحمه الله .

(١) أخرجه مسلم (٨٦٩) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه .

٧- ومما يجب على الخطيب أن يكون زاده في خطبه الاستدلال بآيات القرآن الكريمة، والسنة النبوية الصحيحة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فبها حياة القلوب ونور البصائر، قال الله عز وجل: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية/٦]. وقال الله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

ويقول الله عز وجل: ﴿فَمَآذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

تحذير الخطيب

يجب على الخطيب الذي يريد أن ينفع الله به الإسلام والمسلمين أن يحذر في حال خطابه من:

- ١- إيراد الأحاديث الضعيفة والموضوعة فهي سبب وقوع الناس في الشراكيات والبدع والخرافات .
- ٢- وليحذر كل الحذر أن يتخذ المنبر لغرض شخصي أو لمصلحة دنيوية، أو لطلب السمعة أو الشهرة، أو التفاف الجماهير حوله .
- ٣- وليحذر من أن يدعو إلى الشراكيات أو البدع أو الخرافات أو التعصبات أو الحزبيات الميقتة أو الديمقراطية والانتخابات .
- ٤- وليحذر أن يتخذهُ سُلماً لأخذ أموال الناس بالتسول أو الشحاذة، وغير ذلك.

٥- وليحذر أن يخطب للناس من الجرائد والمجلات وغير ذلك مما ينافي ما شرعه الله لعباده فيها فإن الله قد سمى الخطبة ذكراً فقال: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].

وفي «صحيح مسلم» من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقرأ القرآن يذكر الناس، يعني في خطبة الجمعة^(١).

وفيه أيضاً: عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان رضي الله عنها قالت: ما أخذت ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ إلا من في رسول الله ﷺ، يخطب بها كل جمعة^(٢)، هكذا كانت خطبه صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي، وكلها مشتملة على ذكر الله سبحانه.

وشتان بين الذكر، وما ينافية من اللغو والزور والباطل، وغير ذلك من الأمور التي ينبغي للخطيب أن يتعد عنها.

هذا وما ذكرته هنا في حق هذا اليوم هو قليل من كثير وغيض من فيض، وخير لي وللقرءاء الكرام أن لا أطيل فقد اعتنى أهل العلم ببيان هذا الموضوع أحسن البيان وأتمه فألفوا فيه المؤلفات، وكتبوا فيه الرسائل^(٣) فما على المسلم إلا أن يقبل ويسارع ويشمر لطاعة الله عز وجل فنسأل الله أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه.

(١) أخرجه مسلم رقم (٨٦٢).

(٢) أخرجه مسلم رقم (٧٨٣).

(٣) للمزيد عن أحكام هذا اليوم وخصائصه وفضائله راجع:

أ- «زاد المعاد» لابن القيم (١/ ٤٦٢-٤٢١)

نبذة مختصرة عن الفتوحات الربانية

من المعلوم أن هذا الكتاب من الكتب المشهورة المنتشرة بين عوام الناس وعلمائهم، لما احتوى عليه من أسلوب سهل وجذاب وبليغ، ولما اشتمل عليه من الخطب الثمينة والتوجيهات السديدة في معالجة أمراض المجتمع العقيدية والقبولية والفعلية .

ومن خلال قراءتي لهذا الكتاب مع تحقيقه، تبين لي أن الشيخ البيحاني رحمه الله كان يفقه تماماً المرحلة التي مر فيها، وأنه أدرك الواقع عند الخطاب بما أتاه الله عز وجل من ملكة، ومعرفة وبلاغة وإقناع للسامعين وإقامة للحجج والبراهين، وقد ساعده في ذلك كله بعد الله جلا وعلا، حفظه للقرآن فلذلك حشد في أكثر خطبه كثيراً من أدلة القرآن والسنة، مما أدى بكثير من الناس آنذاك أنهم يفترشون الشوارع لحضور خطبته وسماع وعظه، ففي كتابه هذا تكلم على مواضيع عديدة وعالج أمراضاً كثيرة، انتشرت آنذاك في أوساط المجتمع ومازالت إلى الآن منتشرة وبكثرة في مجال العقيدة والأخلاق والمعاملات وغير ذلك فقد تكلم في باب العقيدة في كتابه هذا على أمور هامة منها:

=

ب- «اللمعة في خصائص الجمعة» للسيوطي رحمه الله

ج- «أحكام الجمعة وبدعها» لشيخنا الفاضل العلامة المحدث أبي عبدالرحمن يحيى بن علي الحجوري وهو من أحسن هذه الكتب وأجودها .

د- «الشامل في فقه الخطيب والخطبة» تأليف / د/ سعود الشريم / إمام وخطيب المسجد الحرام وفقه الله.

ذ- «خطبة الجمعة وأحكامها الفقهية» تأليف / د/ عبدالعزيز الحجيلان وفقه الله.

- ١- الدعوة إلى توحيد الله جلّ وعلا والإخلاص في ذلك، والرد على الطبيعيين من الملاحدة والزنادقة وغير ذلك .
 - ٢- في زيارة القبور وتطهير ساحاتها من الآثام .
 - ٣- في التحذير من التشاؤم والطيرة من صفر وغيره .
 - ٤- في الزار وهو مرض كان قد انتشر في المناطق الساحلية ولا يذهب هذا المرض في حد زعمهم حتى يندروا بكبشين أسودين أو نحوهما لغير الله جل وعلا .
 - ٥- الإسراء والمعراج وقد خبط فيه المؤلف عفا الله عنه خبط عشواء حيث أشاد بالاحتفال به، ودعا المسلمين لذلك وذلك القول منه باطل وقد بينت ذلك في موضعه كما ستراه إن شاء الله عز وجل
- وفي باب العبادات تكلم عن:
- ١- الحث على الصلاة .
 - ٢- الحث على صيام رمضان وقيامه والاستعداد له وفضل العشر الأخيرة منه .
 - ٣- الحث على الزكاة وإخراجها .
 - ٤- الكلام على عيد الفطر .
 - ٥- بيان فضل عشر ذي الحجة .
 - ٦- الحث على الحج والترغيب فيه .
 - ٧- الكلام على عيد الأضحى .
 - ٨- الكلام على كسوف الشمس وخسوف القمر .
 - ٩- الكلام على الاستسقاء .

وفي باب المعاملات تكلم عن:

- ١ - الحث على العمل والاكْتساب .
 - ٢ - الاقتصاد وِذم البخل والإسراف .
 - ٣ - الصدقة والإنفاق في سبيل الله .
- ومما تكلم عنه في الأمراض المنتشرة بين أوساط الأمة:

- ١ - التحذير من الحسد .
- ٢ - التحذير من الكبر .
- ٣ - ذم الكذب .
- ٤ - ذم الخيانة .
- ٥ - التحذير من الزنا .
- ٦ - التحذير من اللواط .
- ٧ - التحذير من الخمر .
- ٨ - التحذير من ظلم العباد و شهادة الزور .
- ٩ - التحذير من السفور والاختلاط .

وفي باب تهذيب النفوس تكلم عن:

- ١ - الصحة والنظافة .
- ٢ - الزهد والورع .
- ٣ - التربية والتعليم .
- ٤ - التواضع .
- ٥ - الصبر والشجاعة .

٦- حسن الجوار وحقوق الجار .

٧- طاعة الوالدين وبرهما .

٨- مدح الأمانة .

وهناك مواضيع كثيرة خاصة وعامة، عالج المؤلف رحمه الله بها كثيراً مما هو واقع بين الناس فجاءت في ذلك خطبه (٥٩) خطبة و (٧) دوائر متناسقة قوية المبنى والمعنى دعا فيها إلى كثير من الأخلاق الحسنة، وحذر فيها من الأخلاق السيئة، ودعا فيها إلى الألفة والاتحاد بين المؤمنين؛ لأنه لا تقوم قائمة للمسلمين إلا إذا تمسكوا بكتاب ربهم وسنة نبيهم محمد ﷺ .

فلأجل هذا انتشر كتابه في بلادنا اليمنية شمالها وجنوبها وشرقها وغربها وخارج اليمن كنجدة والحجاز ومصر والسودان والصومال والحبشة وغير ذلك من البلدان فالكتاب من حيث الجملة طيب ومفيد ومؤثر وقد حصل لمؤلفه رحمه الله فيه هفوات وأخطاء فيجب أن تجتنب كما سيأتي بيان ذلك .

من أخطاء المؤلف رحمه الله في هذا الكتاب

سبق لك ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الخطب النافعة، والمواظظ الناجعة والأساليب الرائعة، ولكن الله سبحانه وتعالى أبى أن يجعل التمام لغير كتابه، والعصمة لغير أنبيائه، فبالرغم من النفع العام في الكتاب إلا أنه قد وقع لمؤلفه فيه بعض الأخطاء فليكن القارئ فيه على حذر وانتباه فمن ذلك:

١- إيراده لكثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، سواء كان تصريحاً أو تلميحاً، وقد بينت الحكم على ذلك كله في تحريجي لهذا الكتاب كما ستراه في مواضعه إن شاء الله .

٢- ثناؤه وتبجيله لكثير ممن دخل في الفلسفة كابن راشد وابن سينا وابن الهيثم والغزالي والرازي والفارابي وغيرهم .

وجعلهم من أئمة الإسلام ودعائه كما سيأتي تحت الخطبة (٣) فهذا القول منه لا يعرج عليه ولا يلتفت إليه كما سيأتي بيانه تحت الخطبة الثالثة .

٣- ثناؤه على مؤلفاتهم والإشادة بها مع أنه: من ابتغى الهدى منها حار وضل كما قال شيخ الإسلام رحمه الله وهذا القول بيانه تحت الخطبة (٣) .

٤- إشادته بالأنظمة والقوانين والدساتير والأندية والحث عليها كما سيأتي بيان ذلك كله في موضعه .

٥- قوله: بأن الإسراء والمعراج في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب مع أن هذا القول لم يثبت على تعيينه دليل صحيح عن النبي ﷺ كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تحت الخطبة (٤٧) .

٦- إشادته بالاحتفال بليلة الإسراء والمعراج مع أن الاحتفال به بدعة محدثة ما أنزل الله بها من سلطان ولم يفعلها النبي ﷺ، ولا صحابته الكرام رضوان الله عليهم كما سيأتي بيانه تحت الخطبة (٤٧) وله غير ذلك من المخالفات انظرها تحت الخطبة (٤) و(٨) و(٩) و(١٥) و(٢١) و(٢٥) و(٣١) و(٤٦) و(٤٧) و(٥٠) و(٥١) و(٥٢) و(٥٣) و(٥٤) و(٥٥) و(٥٨) و(٥٩) كما سيأتي بيان ذلك كله في موضعه إن شاء الله عز وجل .

وبناءً على هذا فالكتاب يستفاد من خطبه ومواعظه وتوجيهاته مع اجتناب الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والأقوال الباطلة والمخالفة، أثناء الاستفادة.

هذا وإني أنصح جميع خطباء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يستفيدوا من كتاب الله عز وجل، ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أثناء خطبهم ووعظهم، ومما قد كُتب في هذا الشأن، أو ما يقرهم إلى النفع في باب الخطابة فيستفيدوا من:

١- رياض الصالحين، للإمام النووي رحمه الله.

٢- صحيح الترغيب والترهيب، للعلامة الألباني رحمه الله.

٣- موسوعة نضرة النعيم في مكارم وأخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وهي في ١٢ مجلداً، إعداد مجموعة من المتخصصين، بإشراف فضيلة الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد حفظه الله، إمام وخطيب الحرم المكي.

٤- الخطب المنبرية في المناسبات العصرية، تأليف الشيخ العلامة عضو هيئة كبار العلماء/ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله، فيختار الخطيب منها ما يناسب الحال والمقال.

٥- الضياء اللامع في الخطب الجوامع/ تأليف الشيخ العلامة الفقيه محمد بن صالح

العثيمين رحمه الله.

٦- الفواكه الجنية في الخطب والمحاضرات السنية، تأليف شيخنا العلامة مجدد الدعوة

السلفية في اليمن مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله، وأسكنه فسيح جناته.

وغير ذلك من الكتب النافعة في باب الخطابة التي عُرف أصحابها بسلامة العقيدة،

وصفاء المنهج.

وينبغي أن تجتنب كتب الخطابة التي عُرف أصحابها بفساد المعتقد أو بالدعوة إلى

الشركيات، والبدع والمخالفات والتحزبات.

وكذلك أنصح جميع المسلمين بالتفقه في دين الله سبحانه وتعالى، وتعلم العلم الشرعي

النافع بقدر المستطاع، فهو سبب الرفعة والعزة والتمكين في الدنيا والآخرة، قال الله عز

وجل: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين».^(١)

قال ابن القيم رحمه الله: وهذا يدل على أن من لم يفقهه في دينه؛ لم يرد به خيراً، كما أن من

أراد به خيراً ففقهه في دينه، ومن فقهه في دينه فقد أراد به خيراً.^(٢)

وقال الحافظ: مفهوم الحديث، أن من لم يفقهه في الدين، أي: لم يتعلم قواعد الإسلام،

وما يتصل بها من الفروع، فقد حرم الخير؛ لأن من لم يعرف أمور دينه؛ لا يكون فقيهاً ولا

طالب فقه...^(١)

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧)، من حديث معاوية رضي الله عنه.

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/٢٤٦).

هذا وأسأل الله عز وجل أن يلهم المسلمين رشدهم، وأن يوفقنا وإياهم لما يحبه ويرضاه، والحمد لله رب العالمين.

=

نبذة من ترجمة المصنف رحمه الله

اسمه ولقبه:

هو الشيخ العلامة الشاعر الأديب البليغ محمد بن سالم البيحاني^(١) الكدادي.

مولده:

ولد رحمه الله في مدينة القصاب من أعمال بيحان، سنة (١٣٢٦ هـ) الموافق (١٩٠٨ م).

وهو القائل:

مولدي في القصاب وبيتي	من أجل البيوت في حصن هادي
وأبي كان عابداً وفقياً	ولي الفخر أن أصلي كدادي
لا أبالي بمدح هذا ولا	بالذم من ذاك كلهم أولادي
وليقولوا كما يشاءون ما دامت	لهم حاجة بمر انتقادي ^(٢)

(١) نسبة إلى بيحان وهي بلدة واسعة في الشرق الجنوبي من صنعاء، على مسافة نحو ست مراحل للراجل، وهي ناحية واسعة تشتمل على قرى وأودية ومزارع، يتصل بها من من جهة الجنوب ناحية البيضاء، ومن جهة الشرق الجنوبي حضرموت، ومن جهة الغرب ناحية حريب... اهـ بتصرف من «مجموع بلدان اليمن وقبائلها» للعلامة القاضي المؤرخ محمد بن أحمد الحجري رحمه الله (١/١٣٢).

(٢) «رباعيات البيحاني».

نشأته:

نشأ الشيخ البيحاني رحمه الله على فراش العلم في بلده مع والدين كريمين على قدم صدق في عبادة الله جل وعلا وكان والده الشيخ سالم بن حسين الكدادي هو الذي أشرف على تعليمه وتربيته بنفسه، فتعلم عنده مبادئ العلوم الشرعية من فقه وتجويد وغير ذلك.

رحلته في طلب العلم:

رحل إلى حضرموت مع أخويه الكبيرين، ودخل رباط تريم، وكان ذلك في ٢٥/ ذي القعدة / ١٣٣٩ هـ، ثم بعد أربع سنوات وسبعة أشهر عاد إلى بلده بيحان، وكان والده حين ذاك يصدره المجالس ويسمع تدريسه لكي يشجعه على العلم. فمكث في بلده سنتين ثم نصحه أبوه بالتوجه إلى عدن، وكان ذلك في عام (١٣٤٦ هـ)، فأخذ بنصيحة والده، ونزل إلى عدن، وبالتحديد إلى مدينة الشيخ عثمان ليتلقى العلم على يد الشيخ أحمد بن محمد العبادي رحمه الله.

ثم دخل بعد ذلك في عضوية نادي الإصلاح العربي الإسلامي، ومن خلال جلوسه في النادي تحصل على بعثة للدراسة الأكاديمية في مصر، وإلى الأزهر بالتحديد، وهناك تلقى علومه الشرعية، وبقي هناك ما يقارب (٣) سنين، نال فيها الشهاداتين الأهلية والعالمية.

وهناك تعرف على محمد بن محمود الزبيري^(١) وأحمد بن محمد بن نعمان^(٢)، وتوثقت العلاقة بينهما، ثم في سنة (١٣٦٢هـ) عاد الشيخ البيحاني إلى مدينة عدن، وعند عودته إلى عدن طالب الصالحون من ساكني مدينة (كريتر) من الشيخ أحمد بن محمد العبادي أن يجعل لهم الشيخ البيحاني ليكون لهم إمامًا وخطيبًا ومعلمًا، فاستجاب الشيخ العبادي طلبهم، وانتقل البيحاني إلى (كريتر) عدن، وأقام في مدينة (كريتر) بالخطابة والتدريس في

(١) ستأتي ترجمته إن شاء الله في أول الكتاب.

(٢) ستأتي ترجمته إن شاء الله في أول الكتاب.

(١) مسجد العسقلاني.

حالته الاجتماعية: تزوج الشيخ البيحاني رحمه الله زوجته الأولى في عدن، من الشيخ عثمان، أما زوجته الثانية فكانت من بلده بيحان، وكذا أثر عنه أنه أثناء إقامته بمصر تزوج هناك ولم يرزق الشيخ منهن الولد، مع أنه كان يتمنى ذلك، وانظر ما سطره في رباعيته، تحت عنوان طلب الولد

حفظه للقرآن:

لقد حفظ الشيخ البيحاني القرآن صغيراً، وقد ساعده على الحفظ فقد بصره صغيراً، وهو في الخامسة من عمره، وهو القائل عن نفسه:

يقولون لي أعمى وما أنا أعمى	ولكنما الأعمى الذي فقد العلم
وقلبي مضى - والقلوب هي التي	ترى كل شيء كيفما كانت الظلما
ومن فضل ربي أن قلبي إذا رأى	رمية شيء سد السهم في المرمى
ولا تحسبني قد فقدت بصيرتي	ففي القلب نور يثقب الصخرة الصما
ولا خير في عين ترى الحق باطلاً	وإن عظمت حسنا وكبرت حجماً ^(٢)

(١) نسبة إلى الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني الذي أقام في عدن لمدة ستة أشهر من سنة (٨٠٦هـ)، فيما أفاده مؤلف كتاب «قبسات من حياة البيحاني»، وراجع «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله» لتلميذه السخاوي (١/ ١٤٧ - ١٥٢).

(٢) «العطر اليماني من أشعار البيحاني» (١٧٢).

وفي رثائه لبصره يقول:

ولا شيء يزعجني مثل أن فقدت صغيراً جمال البصر —
وإني أريد القراءاة لي ولا أجد القارئ المعتبر (١)

مشايخه:

شيوخه كثير، منهم:

- ١ - والده الشيخ سالم بن حسين الكدادي.
- ٢ - عبدالله بن علي العبادي.
- ٣ - سالم بن أحمد حشوان.
- ٤ - عوض بن عبدالله.
- ٥ - سعيد بن عمر با غريب.
- ٦ - سلمان بلغيث .
- ٧ - زين العابدين بن الجنيد درس على يديه ألفتة ابن مالك.
- ٨ - عمر بن علوي الكاف، درس على يديه الفرائض.
- ٩ - صالح بن عوض الحداد، درس على يديه النحو.

(١) «رباعيات البيهاني» (٣٧).

١٠ - عبدالله بن عمر بن أحمد الشاطري با علوي، وهو من أجل مشايخه كما ذكر هو عن نفسه، حتى إنه من شدة حبه له أهدي له ثواب كتابه القيم «إصلاح المجتمع»^(١).

١١ - السيد عبدالرحمن بن عبدالله.

١٢ - محمد بن علي الجفري، قرأ عليه «صحيح البخاري».

١٣ - الشيخ أحمد بن محمد العبادي، وهو من أبرز مشايخه في عدن، وكان معروفاً في صرامته ومحاربه للبدع والانحرافات والمنكرات، فجالسه البيحاني وأخذ عنه كثيراً، ولعله تأثر به رحمه الله وله غير هؤلاء المشايخ، وهو القائل: ولي شيوخ غير هؤلاء في التفسير والحديث والفقه والنحو والصرف، ولا يتسع المقام لذكرهم.
وقال رحمه الله عن نفسه: إنه قضى في طلب العلم مدة تناهز (٥٥) عاماً.

تلامذته:

الذين أخذوا العلم عن البيحاني تلامذة كثر، وبعضهم الآن قد انخرط في تيار الحزبية، والانهاك في الدنيا، فلا داعي لذكرهم.

(١) قال شيخنا العلامة المحدث يحيى بن علي الحنجوري حفظه الله معلقاً على ذلك: الإهداء لا دليل يصح على وصول ثوابه وقد أنكره بعض السلف رضوان الله عليهم فهو غير مشروع. اهـ «من اللمع على إصلاح المجتمع» (ص ٥).

مذهبه:

درس الشيخ البيحاني في سنواته الأولى المذهب الشافعي، ولكن من الملاحظ من خلال قراءة ما كتبه في مجال الفقه أن البيحاني رحمه الله لم يتقيد في كل صغيرة وكبيرة بالمذهب، بل كان يرجح ما يراه مناسباً بحسب اجتهاده، والسبب في ذلك كثرة مشايخه الذين تتلمذ عليهم، وهو القائل:

يا سائي عن مذهبي وعقيدتي وطريقتي قل لي لماذا تسأل
أتريد مني أن أكون مقلداً في الاعتقاد وما أقول وأفعل
أنا مسلم ومسلم لمحمد ولما به جاء الكتاب المنزل
مالي وللقوم الذين تفرقوا فمشبه ومعتل ومؤول (١)

شيء من صفاته:

كان رحمه الله تعالى متواضعاً مع كل الناس الصغير منهم والكبير، الغني والفقير، وكان رحمه الله لا يتضجر أبداً من كثرة السؤال لذوي الفهم المحدود، وكان رفيقاً لاسيما بالمعلم، وكان يواسي المحتاجين، ولا سيما طلبة العلم.

والحاصل أنه رحمه الله هبى نفسه لنفع المسلمين، وكان كثيراً يردد: (يا بني أنت لنفسك ما لم تعرف، فإذا عرفت فأنت لغيرك).

وهو القائل:

(١) «رباعيات البيحاني» (٧٦).

أضاعوني وكنت أعد نفسي — لنفع الناس حسب المستطاع
 وكانوا يجمعون لهم متاعاً — وكان العلم في الدنيا متاع
 وقلت أعيش بينهم سعيداً — وأمري كل يوم في اتساع
 ولكن كلما فصحت لساني — تولوا معرضين عن استماعي (١)

جهاده:

كرس الشيخ البيحاني حياته كلها في خدمة العلم والتعليم، فألف الكتب النافعة ونظم الشعر وحرر المقالات، وألقى المحاضرات، وعمل في الإفتاء، فوصلت فتواه إلى أنحاء الجزيرة العربية، وسافر إلى كثير من البلدان العربية والإسلامية، كالحبشة ومصر وقطر والكويت والإمارات والسعودية وغيرها، ممارساً للدعوة إلى الله في الإرشاد والتوجيه والتذكير وممثلاً لبلاده في المؤتمرات الإسلامية، وكل ذلك ابتغاء وجه الله عز وجل .

مؤلفاته:

١ - «الفتوحات الربانية» (٢).

٢ - «نحو المسجد».

٣ - «إصلاح المجتمع» (١).

(١) «رباعيات البيحاني» (٥٩).

(٢) هو كتابنا هذا الذي بين يديك، هو عبارة عن مجموعة خطب ألقاها من على منبره.

- ٤ - «الفقه البسيط».
- ٥ - «بلدة طيبة ورب غفور».
- ٦ - «التعليقات على نظم بلوغ المرام».
- ٧ - «تعليقات على هداية المريد».
- ٨ - «رسالة في تعدد الزوجات والطلاق في الإسلام».
- ٩ - «أشعة الأخبار على مرويات الأخبار».
- ١٠ - «معاملة ودين أو عبادة ودين».
- ١١ - «أستاذ المرأة».
- ١٢ - «كيف تعبد الله».
- ١٣ - «تحفة رمضان».
- ١٤ - «أطيب الكلام عن سيد الأنام».
- ١٥ - «رسالة في نصيحة أهل يافع».
- ١٦ - «رباعيات البيحاني».
- ١٧ - «زوبعة في قارورة».
- ١٨ - «تعليقات على سفينة النجاة».

=

(١) بتحقيق شيخنا العلامة الفقيه أبي عبدالرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله، ساه: «اللمع على إصلاح المجتمع».

- ١٩- «سبيل الرشاد لسلوك الأولاد».
- ٢٠- «نصيحة المسلمين عن بدع المبتدعين وعوائد الضالين».
- ٢١- «حل مشكلات دين الله».^(١)
- ٢٢- «العطر اليماني في أشعار البيهاني»^(٢).

ومن مؤلفاته المخطوطة:

- ١- «الصارم القرآني».
- ٢- «شفاء المصاب من لسعات العود والرباب».
- ٣- «تاريخ المعهد الإسلامي».
- ٤- «أشعة المريخ في مصادر التاريخ».
- ٥- «كفاية العجلان من زبد ابن رسلان» شرح المنظومة.
- ٦- «تربية البنين» أرجوزة.

(١) هذا الكتاب مما فات ذكره مؤلف كتاب «قبسات من حياة الشيخ البيهاني». وهو مطبوع/ طبع دار الآثار صنعاء.

(٢) الاسم الحقيقي للكتاب: «بغية القاصد من أحسن القصائد»، والاسم الأول للناسر، وعلى المؤلف فيه مؤاخذات من حيث مدح الملوك والأمراء والسلاطين، فنسأل الله أن يعفو عنا وعنه، إنه جواد كريم.

معاناة البيحاني:

لقد أودى الشيخ البيحاني كثيرًا.

أولاً: من قبل الصوفية، مما أدى ببعضهم إلى إنكار نسبه رحمه الله.

ثانياً: من قبل الحزب الإشتراكي الماركسي اللعين، وكانت مؤذاتهم له بشتى الوسائل

من ذلك:

١ - إغلاق معهده الذي تعب من أجله، وتم تحويله إلى وزارة الداخلية تابعة للحزب

الإشتراكي اللعين.

٢ - إبعاده عن معهده.

٣ - إحراق مكتبته الثمينة.

٤ - تخويفهم له بالقتل .

فصبر الشيخ البيحاني رحمه الله واحتسب على ما نزل به من المصائب، ولم يخف عليه

فضيلة ذلك فقد سطر تحت عنوان:

حسبي الله ونعم الوكيل

يخوفني بالقتل من لا أخافه ويحسب أني خامل وجبان

إذا شاء ربي فالمخاوف جمّة وإذا شاء ربي فالحياة أمان

سيحفظني الله العزيز جنابه وللظالم الباغي علي هوان

وفي الناس مجني عليه وجاني وربك في القيامة ديان (١)
وهذه المؤذاة التي حصلت له رحمه الله هي سنة الله في خلقه، ولكن لماذا البيحاني
بالتحديد آنذاك مع وجود كثير من الدعاة في ذلك العصر؛ لأنه رحمه الله كان يسعى لتمكين
شرع الله جل وعلا في الأرض، حتى يصبح الإسلام هو القائد السائد والموجه.

ولأن البيحاني رحمه الله كان يتميز بشجاعة نادرة وإيمان قوي، ولا يخشى في الله لومة
لائم؛ ولأنه كان يعتقد اعتقادًا جازمًا أن الأرزاق مقدره والآجال مكتوبة، وما شاء الله
كان، وما لم يشأ لم يكن، لذا لم يتردد في الدفاع عن الحق لإعلاء كلمة الله مهما كلف الأمر،
وما سطره في «رباعيته» أكبر برهان على ذلك، تحت عنوان:

صاحب الحق لا يخاف

فقال رحمه الله:

كن مع الحق كيف شئت واعمل	عملاً صالحاً مع الإخلاص
فقل الحق والبس الحق تاجاً	يتحلى به كرام النواحي
لا تخف ظالماً وإن جل قدراً	فهو شخص من جملة الأشخاص
ضربة فوق رأسه من تقى	سوف تنهاه عن جميع المعاصي (٢)

وقال:

(١) «رباعيات البيحاني» (١٥).

(٢) «العطر اليماني» (١٩٨).

ولقد رضيت بأن أعيش مجاهدًا حتى أموت بساحة الميدان

عقيدته:

من حيث الجملة عقيدته كانت جيدة .

قال في معرض رده على الصوفية: ولا شك أنكم تنعمون عليّ إيماني بالله العزيز الحميد، الذي له ملك السموات والأرض، والله على كل شيء شهيد، وأنني أدعو الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأنه الذي لا يعبد إلا إياه، ولا يستغاث ولا يستعان بأحد سواه، ولا أرجو ولا أخاف إلا الله، ولا أرغب ولا أرهب إلا في رحمته ومن عذابه.

وأنكر الأعمال الجاهلية وبقايا الشرك من التمسح بالقبور والسجود على أعتابها، والتوسل والنداء والاستغاثة بأصحابها، لا أو من بقبة، ولا أعتقد في تابوت، ولا تمسح بالخرق ولا أكل التراب، ولا أصلي إلى جهة القبر، لما ورد في ذلك النهي الشديد الذي تعرفونه من كتب الحديث ...^(١)

وقال عن نفسه: والبيحاني كذلك عبد يدعو إلى الله ويحذر من معصيته ومخالفة أمره، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقول كما قال شعيب عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨] .

ويجوز عليه كغيره من المخلوقين الخطأ والصواب، والغفلة والذهول والنسيان^(٢) .

(١) «زوبعة في قارورة» ص (٦).

(٢) «زوبعة في قارورة» (ص ٢٥).

وله غير هذه الكلمات من الدعوة إلى توحيد الله جل وعلا إلى ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ومن خلال قراءتي لكتابه هذا «الفتوحات الربانية» لم أعثر على خطأ واحد في باب التوحيد.

وقد قال شيخنا محيى حفظه الله: جهدت على أن أجدل له خطأ في العقيدة فلم أجد^(١).
وقد ذكر الشيخ مفتي الديار السعودية سابقاً محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله في فتوى له عن التبرك بآثار الصالحين قال: والمقصود أن بعض المؤلفين قال: إنه لا بأس بالتبرك بآثار الصالحين، وهو محمد بن سالم البيحاني، ونفهم أولاً أنه غلط...^(٢)
هكذا ذكر الشيخ محمد بن إبراهيم عن الشيخ البيحاني، والله أعلم بذلك، فإن كان ثبت عنه هذا القول فيجتنب.

فكره ومنهجه:

من المعلوم لدى القارئ والناظر في كتب الشيخ البيحاني رحمه الله يجد أنه قد حصلت عنده بعض المفوات والزلات، ولعل سبب ذلك هو:

١- كثرة مشائخه الذين تتلمذ عليهم ولا يعرف ما عقيدتهم، وبعضهم كان من الصوفية، كما حكى ذلك عن نفسه بقوله: ولي شيوخ في التفسير والحديث والفقه

(١) استفتت هذا الكلام من بعض دروسه النافعة .

(٢) «فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم» (١/ ١٠٤).

والتصوف^(١)، فانظر كيف أخذ عن الصوفية مع معرفته بما كانوا عليه من الضلال والزيف والانحراف، فأهل البدع لا يؤخذ عنهم العلم ولا كرامة، وإنما يؤخذ عن أهل السنة الصادقين الناصحين.

قال الإمام محمد بن سيرين: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذوا دينكم. وقال أبو قلابة رحمه الله: لا تجالسوا أهل الأهواء، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالاتهم، وصدقاً رحمهما الله تعالى.

٢- تأثره بمن حوله من جلساء السوء ممن له أفكار رديئة وأفعال مخالفة للكتاب والسنة كالزبيري وأحمد بن محمد بن نعمان وغيرهم مما أدى به إلى طعنه في أهل السنة في بعض كتبه ووصفهم بالوهابية والجهل فقد قال في رباعيته:

أي شيء نراه داء عضالاً مثل ما في البلاد من أحزاب
نحن مابين شافعي دعي وجاهل معاند وهابي
يزعم الكل أنه في طريق سار فيها الرسول بالأصحابي
فرقوا الدين وجاءوا بشيء ليس في سنة ولا في كتاب
فانظر يارعاك الله كيف وصف أهل السنة بالوهابية والجهل والعناد، وأنهم فرقوا الدين وجاءوا بشيء ليس في سنة ولا في كتاب، وهذا عين المحادة فأهل السنة هم دعاة السنة

(١) زوبعة في قارورة (ص ٥).

والتوحيد والتحذير من الشرك والبدع والخرافات وغير ذلك، وكل ذلك مما أمر به الكتاب والسنة .

مع أنه في موضع آخر يمدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويقول:

داعية الخير والتوحيد ^(١) فانظر كيف اضطرب في ذلك ومن ذلك ثناؤه على محمد عبده ومحمد رشيد رضا وجعلهما من المصلحين وقادة الفكر الإسلامي ^(٢) .
فالأول قال عنه شيخنا الوادعي رحمه الله: الضليل الأكبر ناصر المذهب المعتزلي، وللمذاهب الرديئة.

وقال فيه أيضاً: ماسوني وهو إلى الكفر أقرب، وقد اشتهر بقطع الصلاة كما ذكر ذلك النبhani في أبيات له ^(١) .

وأما الآخر وهو محمد رشيد رضا: فقال عنه شيخنا الوادعي رحمه الله رجل ماسوني ورث الاعتزال من محمد عبده المصري وسطر في كتابه المنار ماتشمئز منه القلوب، وربما يصل إلى الكفر، ومن أقواله: إن الدجال رمز خرافة، وينكر طلوع الشمس من مغربها ^(٢) .
فانظر كيف أثنى عليهما البيحاني مع ما عندهما من الطوام والهوام والله المستعان .

(١) زوبعة في قارورة (٨).

(٢) زوبعة في قارورة (٦).

(١) «قمع المعاند» (٣٣٢).

(٢) «المجرحون عند الإمام الوادعي» (٦٩)، جمع أبي أسامة السياغي وفقه الله .

وإليك مقاله أئمة الشان والدين في الشيخ البيحاني رحمه الله:

١- قال شيخنا الإمام المصلح الكبير مجدد الدعوة السلفية في اليمن مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله: البيحاني نحن لا نعرف ما عقيدته؛ لأننا ما نعرف دروسه التي في معهده، الذي أسسه في عدن، ولكن كان يصبغ لحيته ويقصرها^(١)، وقد رأيته في الحرم، وقيل: إنه كان يدخل على الأمراء، وهو لابس البنطلون والكففة.

وبلغني عن الشيخ ربيع أنه قال عنه: إنه إخواني، وكان يلتقي بحسن البنا وغيره، ولكنه قد صارع الصوفية مصارعة كبيرة، وقال: رجل موحد لكن لا يصلح أن يقال له: إمام.

١- وقال تلميذه البار أسد السنة شيخنا العلامة الفقيه المحدث خليفته على مركزه في حياته وبعد مماته/ يحيى بن علي الحجوري حفظه الله: إنه إخواني قح، وليس بفقيه ولا صاحب حديث، وإنما هو واعظ.^(٢)

وبعد هذا البيان فكن على حذر من فكر المؤلف ومنهجه مع أنه لو بين له الصواب آنذاك لرجع وأتاب،- فيما نحسبه والله حسيبه- فهو القائل عن نفسه: ولا أدعي العصمة،

(١) مصداق ما قاله شيخنا الوادعي رحمه الله ماجاء على طرة كتاب «قبسات من حياة البيحاني» وعليه صورته رحمه الله وهو مقصر للحيته .

(٢) استفدت هذا الكلام منه في بعض دروسه النافعة ، والأمر كما قال شيخنا يحيى حفظه الله ، وما جاء في مقدمة تحقيقه «لإصلاح المجتمع» (١٠) . بأن المؤلف من أهل السنة فقد تراجع عنه حفظه الله .

ولا أسيء الظن بكل من رد عليّ فقد أكون مخطئاً، وأحب الرجوع إلى الحق، كما أكون مصيباً ولا أحب أن أترك الصواب لقول إنسان مهما كان ذلك الإنسان ^(١).

خروجه من عدن:

لما اشتدت عليه الأذية في عدن، ولاسيما بعد إغلاق معهده غادر إلى مدينة تعز، وهناك استقبله الحاج هائل بن سعيد بن أنعم، وهياً له مسكنه، وواصل سيره في الدعوة إلى الله جل وعلا.

وفاته:

بعد أدائه رحمه الله لفريضة الحج سنة (١٣٩١هـ) وبعد وصوله من مكة إلى تعز بيوم واحد توفي رحمه الله في ليلة الجمعة بتاريخ (٢٤ / ذي الحجة / ١٣٩١هـ)، وكان الحاج هائل وصيه هو الذي تولى تجهيزه وتكفينه ودفنه في المجنة تحت مسجد المظفر بمحافظة تعز. فنسأل الله أن يرحمنا وإياه، وأن يعفو عنا وعنه، إن ربي لسميع الدعاء، وما يسعني في هذا المقام إلا أن أتذكر قول الشاعر:

وما نحن إلا ركب موت إلى البلى تسير بنا أيأمننا كرواحل
قطعنا إلى نحو القبور مراحلاً وما بقيت إلا أقل المراحل
وهذا سبيل العالمين جميعهم فما الناس إلا راحلٌ بعد راحل (٢)

(١) مقدمة «زوبعة في قارورة».

(٢) مصادر ترجمة الشيخ البيحاني:

عملي في الكتاب

من المعلوم لدى أكثر اليمنيين أن هذا الكتاب منتشر في الساحة وبعضهم مازال يخطب منه في المدن والقرى في الشمال والجنوب ولشدة ملازمة أكثر الخطباء له كاد بعضهم أن يحفظه أو يحفظ أكثره .

والذي دعاني إلى خدمته وتحقيقه والتعليق عليه - بعد إرادة الله وتوفيقه - أمور منها:

١ - أن الكتاب لا أعلمه محققاً إلى الآن مع شهرته وانتشاره .

=

أكثر هذه النقولات التي ذكرتها مستفادة من كتبه، وبعض تلامذته، وقد استفدت بعضها من كتاب «قبسات من حياة البيهاني» إعداد خليل سلام، وصلني بواسطة الأخ الفاضل أبي الدحداح محمد بن محمد الزعكري الحجوري وفقه الله، وهذا الكتاب عليه مؤاخذات منها:

١ - أنه يحمل في طياته صور ذوات الأرواح، ومن ذلك صورة المؤلف وبعض تلامذته، وهذا الفعل مخالف لقول النبي ق: «ولا تدع صورة إلا طمستها» أخرجه مسلم رقم (٩٦٩) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولقوله ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة» أخرجه البخاري (٣٢٢٥) ومسلم (٢١٠٦) عن أبي طلحة رضي الله عنه .

٢ - ثناؤه على بعض المفسدين كما في ص (١٠٦).

٣ - نقله لبعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة من ذلك حديث ذكره (ص ١٢٤) ولفظه: «ذو الوجهين في الدنيا يأتي يوم القيامة وله وجهان من نار»، أخرجه الطبراني عن سعد ، قال الشيخ الألباني رحمه الله: موضوع، «ضعيف الجامع» (٣٠٥٦).

ومن ذلك حديث: «إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له يا ظالم فقد تودع منهم » جاء عن جابر وعبدالله بن عمرو وهو في «الضعيفة» للشيخ الألباني رحمه الله (١٢٦٤).

٢- إزالة ماعلق في أذهان المسلمين من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والأقوال المخالفة الباطلة.

٣- مشاركة مني في الذب عن سنة رسول الله ﷺ وتمييز صحيحها من سقيمها.

٤- نقل بعض الأفاضل منه ^(١).

فلما كان الأمر كذلك وأن هذا الكتاب يحتاج إلى خدمة وعناية حتى يسد فيه هذا النقص، استعنت بالله جل وعلا وحده لا شريك له وهو حسبي الله ونعم الوكيل، وبدأت به وقد أخذ مني وقتاً كبيراً وليس باليسير ولكن أحسبته عند الله في ميزان حسناتي يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وكان عملي في الكتاب كالاتي:

١- قمت بتخريج الأحاديث النبوية وأرجعتها إلى أصولها مع مراجعة ألفاظها؛ لأن من

المعلوم أن الشيخ رحمه الله كان ضرير البصر فربما حصلت له أوهام ولكنها قليلة.

٢- إذا كان الحديث في «الصحيحين» أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما ولا أزيد على ذلك إلا إن دعت الحاجة بإشارة من المؤلف رحمه الله.

٣- إذا كان الحديث خارج «الصحيحين» خرجته تخريجاً متوسطاً يفني بالمقصود إن شاء الله وأحياناً قد أطيل في ذلك ثم بينت درجة الحديث من حيث الصحة أو الحسن أو

(١) هو الشيخ الدكتور عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس وفقه الله في كتابه «كوكبة الخطب المنفية من منبر الكعبة الشريفة» حيث جعل الكتاب من المصادر المستفاد منها، وهكذا رأيت اقتباسات في «الخطب المنبرية» لفضيلة الشيخ العلامة عضو هيئة كبار العلماء صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله.

الضعف حسب ما تقتضيه قواعد مصطلح الحديث وصدرت ذلك في أول التعليقات غالباً.

- ٤- إذا كان كلام المصنف مبني على حديث أخرجه وحكمت عليه بما يستحقه.
 - ٥- خرجت الآثار التي وقفت عليها وحكمت عليها بما تستحقه .
 - ٦- حرصت على أن أنقل حكم العلامتين الجليلين الشيخ الألباني رحمه الله وشيخنا مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله على ما حكمت عليه من الأحاديث التي خارج «الصحيحين» لتطمئن نفس القارئ .
 - ٧- فسرت بعض غريب الكلمات ولا سيما الدارجة في اللغة اليمنية .
 - ٨- ترجمت لبعض الأعلام الواردين في الكتاب عدا الصحابة الكرام رضوان الله عليهم لشهرتهم ومعرفة أكثر الناس بهم .
 - ٩- بينت القول الصواب الذي رأيته وتوصلت إليه في المسائل الفقهية .
 - ١٠- نبهت على ما حصل عند المؤلف رحمه الله من أخطاء .
 - ١١- علقت على ما يحتاج إلى تعليق .
 - ١٢- ترجمت للمؤلف رحمه الله ترجمة متوسطة .
- ثم اعلم رحمني الله وإياك أني لا أدعي في عملي هذا الكمال، بل هو جهد المقل وبضاعة مزجاة، بل أجزم أنه لا يخلو من النقص والتقصير، وهذه طبيعة البشر، وأبى الله أن تكون العصمة إلا لكتابه ولسنة رسوله ﷺ ولكن كما قيل:

إن تجد عيباً فسد الخلا جَلَّ من لا عيب له وعلا(١)
وحسبي أني بذلت فيه قصارى جهدي في تخريج أحاديثه وآثاره وبيان أخطائه، ولم أكن
في ذلك متكاسلاً ولا متساهلاً، مع سؤالي الله أن يرزقني في تحقيقي هذا وسائر أعمالي
الإخلاص والتوفيق والسداد .

ومن بديع كلام ابن القيم رحمه الله قوله:

((فيا أيها الناظر فيه لك غنمه وعلى مؤلفه غُرمه، ولك صفوه وعليه كدره، وهذه
بضاعته المزجاة تعرض عليك، وبنات أفكاره تزف إليك فإن صادفت كُفئاً كريماً لم تعد
منه إمساكاً بمعروف أو تسريحاً بإحسان، وإن كان غيره فالله المستعان وعليه التكلان ...
والمنصف يهب خطأ المخطئ لإصاباته وسيئاته لحسناته، فهذه سنة الله في عباده جزاء
وثواباً، ومن ذا الذي يكون قوله كله سديداً وعمله كله صواباً؟ وهل ذلك إلا المعصوم
الذي لا ينطق عن الهوى ونطقه وحي يوحى))^(٢) .

(١) البيت لأبي القاسم الحريري صاحب المقامات في آخر منظومته «ملحة الإعراب».

(٢) من مقدمة «حادي الأرواح» (١٦) و«روضة المحبين» (٢٨) بتصرف .

كلمة شكر وثناء

قال عز وجل: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] .
ويقول النبي ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس».^(١)

فانطلاقاً من هذه الآية وهذا الحديث، فإني ألهج^(٢) بالشكر والثناء على الله جل وعلا أولاً وآخرأً وظاهراً وباطناً، فلو لا توفيقه لما تحقق هذا العمل .
ثم أتقدم بالشكر والثناء لمشايخي الكرام الأئمة الأعلام منهم: شيخنا ووالدنا محدث الديار اليمنية ومجدد الدعوة السلفية في اليمن أبي عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه فسيح جناته .

ثم أتقدم بالشكر والثناء الجميل لخليفة شيخنا الوادعي رحمه الله الناصح الأمين العلامة المحدث الفقيه حامل لواء الجرح والتعديل في اليمن بحق أبي عبدالرحمن يحيى بن علي بن أحمد الحجوري حفظه الله ورعاه على نصحه لنا سرأً وعلناً بالثبات على الكتاب والسنة، وعلى طلب العلم النافع والبعد عن فتنة الدنيا والحزبية المساخة، وعلى تفرغه من وقته الثمين في مراجعة هذه التعليقات التي على هذا الكتاب، والتقريط له، فأسأل الله عز وجل

(١) أخرجه أبو داود (٤٨١١) والترمذي (١٩٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وصححه شيخنا

مقبل رحمه الله في «الصحيح المسند» (٣٣٨ / ٢)

(٢) اللهج: بالشيء الولوع به كما في «لسان العرب» مادة: لهج.

بأسمائته الحسنى وصفاته العلى أن يبارك فيه وفي أهله وماله ووقته وعمره وأن يدفع عنه كيد الكائدين، وحسد الحاسدين إن ربي لسميع قريب مجيب .

ثم أتقدم بالشكر والثناء للإخوة الذين قاموا معي بمراجعة بعض هذه التعليقات ومنهم ١ - الشيخ جميل بن عبده بن قائد الصلوي وغيره من الإخوة الأفاضل .

ثم أتقدم بالشكر لوالدي فأسأل الله أن يحفظهما، وأن يرحمهما كما ربياني صغيراً وأن يختتم لهما بالحسنى .

ثم أتقدم بالشكر والثناء لأخي الفاضل الشقيق أبي إبراهيم عقلان بن أحمد بن علي الحبيشي حفظه الله، على تعاونه المادي والمعنوي معي في مواصلة السير في طلب العلم النافع، فأسأل الله أن يجزيه على ذلك خير الجزاء، وأن يثبتنا وإياه بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة، وأن يدفع عنا وعن كل سوء ومكروه، وأن يبارك في عمره على طاعته سبحانه، وأن يبارك في رزقه وولده وأهله، إن ربي لسميع الدعاء .

وقبل أن أضع القلم فإني أتقدم بالشكر والثناء لمن كان سبباً بعد الله جل وعلا في كتابة أصل هذه المادة ابتداءً، وهو الأخ الفاضل علي الطالبي البيضاني حفظه الله .

كما أتقدم بالشكر والثناء لزوجتي الفاضلة أم عبد الرحمن العدينية على تعاونها معي في تصحيح تجارب الكتاب، وعلى صبرها معي في تحصيل طلب العلم النافع، هذا وأسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل وسائر أعمالي خالصة لوجهه الكريم، وألا يجعل فيها خطأً لأحدٍ من المخلوقين، إن ربي لسميع قريب مجيب، وبهذا القدر أكتفي وأقول:

كتبت وقد أيقنت يوم كتابتي بأن يدي تفنى ويبقى كتابها
فإن عملت خيراً ستجزي بمثله وإن عملت سوءاً عليها حسابها
وسبحانك وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

قال كاتبه عفا الله عنه: كان الفراغ منه في / ٥ / جماد ثاني / ١٤٢٩ هـ - الأحد قبيل

المغرب، في مكتبة دار الحديث بدماج حرسها الله والقائمين عليها .

اليمن - صعدة - دار الحديث بدماج، ص . ب (٩٠٠٧٠) ت (٧٧١٨٤٦٩٠٩)

وكتبه

أبو عبدالرحمن ردمان بن أحمد بن علي الإبي الحبشي

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

(مقدمة لشاعر اليمن وأديبها محمد محمود

(الزبيري)^(١)

عرفت صاحب الفضيلة الأستاذ/ محمد سالم البيحاني^(١) في مصر، وسمعت به في اليمن، وصحبته في عدن، عهده في مصر رائداً من رواد العلم البارزين، وسمعت هنالك

(١) محمد بن محمود الزبيري ترجمه الزركلي في «الأعلام» (٧/ ٩١)، وقال: شاعر يمني من دعاة الثورة على الأئمة من أهل صنعاء، نشأ يتيمًا وتعلم في دار العلوم بالقاهرة قبل الحرب العالمية الثانية، وعاد إلى بلاده سنة (١٩٤١)، وتألفت منه ومن بعض رفاقه جماعة أرادت إصلاح الأوضاع في عهد الإمام يحيى، فسجن الجميع في جبل الأهنوم، ونظم الزبيري قصائد في مدح الإمام فعفا عنه وعنهم ... إلى قوله: وتصدى له من قتله غيلة في الشمال الشرقي من اليمن ولم يعرف من قاتله. اهد بتصرف. وأما عن فكره ومنهجه: فقال عنه علامة اليمن ومحدثها الإمام شيخنا مقبل الوادعي رحمه الله: إنه رجل ثوري. اهـ

قلت: وهو كما قال كما رأيت في ترجمته.

وقال عنه رحمه الله: رأس من رؤوس الإخوان المفلسين. راجع «المجروحون عند الإمام الوادعي» (٧٥-٧٦) لأخينا أبي أسامة عادل السياغي وفقه الله.

وقال رحمه الله: محمد بن محمود الزبيري الثائر، له كتاب اسمه «واق الواق»، وفي هذا الكتاب خرافات وضلالات، منها أنه قال: رأى الحسن والحسين عليهما السلام فقالا: ما يصلح للناس إلا الديمقراطية، فهو زائغ، وكذلك قبل أرض اليمن لما رجع من مصر في أرض المطار. اهد نقلاً من كتاب «رحلات دعوية للشيخ مقبل» للأخ أبي رمزي الوادعي حفظه الله ص(١١٤).

(١) الصواب إثبات لفظة (ابن) بين العلمين وحذفها يعتبر خطأ ولحنًا.

قال الشيخ الفضال بكر بن عبدالله أبو زيد حفظه الله تعالى عن إسقاط لفظة (ابن) من بين العلمين: هذا أسلوب دخيل لا تعرفه العرب ولا يقره لسانها، فلا محل له من الإعراب عندها، وهل سمعت الدنيا فيمن يذكر نسب النبي ﷺ فيقول: (محمد عبدالله).

ولو قال قائل: لسجن وأدب، فلماذا نعدل عن الاقتداء وهو أهدى طريقًا وأعدل سبيلًا وأقوم قيلًا، وانظر إلى هذا الإسقاط كيف كان داعية الاشتباه عند اشتراك الاسم بين الذكور والإناث، مثل: أسماء وخارجة، فلا يتبين على الورق إلا بذكر وصلة النسب (ابن) فلان، أو (بنت) فلان. اهـ من كتابه النافع «تسمية المولود» ص (١٤-١٥).

وقال حفظه الله تعالى: محمد أحمد ونحو ذلك مما يُراد بالأول اسم الشخص (الابن) وبالثاني اسم أبيه، أي: إسقاط لفظة (ابن) بين أعلام الذوات من الآدميين الجاري في لسان العرب وتأيد بلسان الشريعة المشرفة إثبات لفظة (ابن) في جر النسب لفظًا ورقمًا، ولا يعرف في صدر الإسلام وكتب التراجم وسير الأعلام حذفها البتة، وإنما هذا من موالدت الأعاجم ومن روائهم الغرب الأثيم... إلى قوله: هذا من حيث الجانب الشرعي، وأما من حيث قوام الإعراب فإنك إذا قلت في شخص اسمه أحمد، واسم أبيه محمد، واسم جده حسن، فقلت: (أحمد محمد حسن) وأدخلت شيئًا من العوامل فلا يستقيم نطقه ولا إعرابه، لعجمة الصيغة...

إلى قوله: قال عبدالرحمن تاج رحمه الله: هذه صياغة غير عربية، فلا يتأتى إعرابها إذ الإعراب للتراكيب سليمة البنية، فليقل: (أحمد بن محمد بن حسن) فلندع تسويغ العجمة، ولنبتعد عن التشبه بالأعاجم، فذلك مما نهينا عنه.

والمشابهة في الظاهر تدل على ميل في الباطن، ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: من الآية ١١٨]. اهـ بتصريف من «معجم المناهي اللفظية» (٤٩٥-٤٩٦) ط/ دار العاصمة.

في الأندية^(١) والمحافل متكلمًا لبقًا^(٢)، وخطيبًا لسناً، ومحاضرًا بارعًا، لا أقول إنه كان في صف المثقفين من شباب العرب، بل أعتقد أنه كان من أرفعهم رأسًا وأبعدهم صوتًا، ثم دارت الأيام دورتها وإذا أنا باليمن وهو في عدن، وإذا به يكتب إلى زميله الأستاذ الخطيب الشيخ أحمد محمد نعمان^(٣) يشكو إليه حياته في عدن، ويتبرم بالدنيا وما فيها.

(١) قال شيخنا العلامة المحدث أبو عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله: الأندية هي عندنا من أوكار الحزبية. اهـ «اللمع على إصلاح المجتمع» ص (٤٥٨).

(٢) اللبق: هو الفهم قاله سيبويه، وقال الفراء: اللبق هو الخاذق الرفيق بكل عمل. اهـ من «لسان العرب» مادة: «اللبق».

(٣) هو أحمد بن محمد بن نعمان ولد في قرية الجبانة إحدى قرى مديرية التربة في محافظة تعز، ترجمه المؤرخ القاضي إسماعيل الأكوع حفظه الله في هجر العلم ومعاقله في اليمن (٢/ ٦٩٥-٧٠٩): وقال: أحد القمم الشاخنة في تاريخ اليمن الحديث علماً وجهاداً ودهاءً وسياسية وهو مع ذلك أديب كاتب مترسل خطيب بارع متكلم لسان... ودرس في زبيد حتى صار من المبرزين في علوم العربية والفقه والحديث والأصول والتفسير ثم قصد مصر والتحق بالأزهر، وعاش مع زميله المصلح الكبير الشيخ الضرير، محمد سالم البيحاني في حجرة واحدة، حتى نالا الشهادة العالمية وكان معهما من اليمن في الأزهر الشيخ محمد صالح المسمري ومحمد الجفري، فكانوا يجتمعون لبحث أحوال اليمن ووضع خطة لإزالة ظلم وطغيان الإمام يحيى ثم لحق بهم في بداية سنة (١٣٥٩هـ) محمد محمود الزبيري ثم عاد النعمان من مصر سنة (١٣٦٠هـ) ولقب بخطيب اليمن ثم هاجر إلى بيروت مع القاضي عبد الرحمن الإرياني وبعد أيام من وصوله قتل في بيروت سنة (١٩٧٤هـ) كان مولده في ٦/ ربيع آخر سنة (١٣٢٧هـ) في قرية الجبانة ١. اهـ بتصرف.

فعجبت لهذه الظاهرة أشد العجب شاب عالم مستنير، عب من معين الثقافة، وعرف القديم والحديث، واستفاد من ألوان التيارات الفكرية المختلفة^(١)، ثم لا يستطيع أن يكون سعيداً في البيئة العدنية، بل ولا يجد لثقافته ومواهبه متسعاً للنشاط والإنتاج، في حين أن الجمهور العدني في أشد الحاجة إلى أمثاله، لأنهم هناك أعز من الكبريت الأحمر^(٢)، ثم عصفت بي الأقدار^(٣) وساقطني إلى عدن حيث استطعت أن أفهم السبب لشكواه.

(١) هذا اللفظ فيه إجمال، فإن كان يقصد بذلك أن الدين الإسلامي عبارة عن أفكار وتيارات فهذا خطأ محض، فدين الإسلام دين واحد وصراط واحد وليس عبارة عن تيارات وأفكار وأحزاب. قال الشيخ الفضال بكر أبو زيد حفظه الله: الإسلام ليس مجموعة أفكار، لكنه وحي منزل من رب العالمين في القرآن العظيم، وفي سنة النبي الكريم ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

أما الفكر فهو قابل للطرح والمناقشة، قد يصح وقد لا يصح، لهذا فلا يجوز أن يطلق عليه (فكر)؛ لأن التفكير من خصائص المخلوقين، والفكر يقبل الصواب والخطأ، والشرعية معصومة من الخطأ. اهـ من «معجم المناهي اللفظية» ص (٤٣٠-٤٣١)، وإن كان يقصد أنه عرف التيارات الفكرية والأحزاب والفرق ومخالفاتها وأخطائها حتى يحذر منها ويتعد عنها فهو تعبير سليم، والله الموفق.

(٢) قال الميداني في «مجمع الأمثال» (٢/٥١): الكبريت الأحمر، هو الذهب الأحمر، ويقال: بل هو لا يوجد إلا أن يذكر، وقال:

عزَّ الوفاء فلا وفاء وإنه لأعزُّ وجُداناً من الكبريت

وانظر «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/٢٤٧).

(٣) هذا اللفظ ينبغي اجتنابه، والأولى أن يقال: اقتضت حكمة الله عز وجل أن انتقل، أو ... أو قدر الله عليّ.

وقد تبين لي أن الثقافة الإسلامية الصحيحة^(١) في عدن تكاد تكون مفقودةً لقلّة العلماء، والثقافة الحديثة لم تأخذ بعد زمام السيطرة على الحياة الاجتماعية، فكان من الطبيعي أن يصبح النفوذ الأدبي والروحي في يد الجماهير، وأن تكون النظريات الدينية متأثرة إلى حد كبير بعقلية الطبقة العامة، فما من مثقف يحاول الإصلاح في هذه البيئة إلا وتعرض سبيله صعوبة معضلة من الأوهام التي ما زالت هي معتقد الأغلبية الساحقة.

وأعتقد أن هذا هو السبب لشكوى الأستاذ البيحاني إلى صديقه، لأنه ولا ريب قدم من مصر وعنده أمل واسع وعريض يطمح به إلى أن يوجد في البيئة العدنية ثقافة إسلامية

=

قال العلامة الفقيه محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى لما سُئل عن حكم قول: «و شاءت قدرة الله» و شاء القدر؟

فأجاب بقوله: لا يصح أن تقول: شاءت قدرة الله؛ لأن المشيئة إرادة، والقدرة معنى، والمعنى لا إرادة له، وإنما الإرادة للمريد والمشيئة لشيء، ولكننا نقول: اقتضت حكمة الله كذا وكذا، أو نقول عن الشيء إذا وقع: هذه قدرة الله، أي: مقدوره، كما نقول: هذا خلق الله، أي: مخلوقه.

وأما أن نضيف أمراً يقتضي الفعل الاختياري إلى القدرة فإن هذا لا يجوز، ومثل هذا قولهم: شاء القدر كذا وكذا، وهذا لا يجوز؛ لأن القدر والقدرة أمران معنويان ولا مشيئة لهما، وإنما المشيئة لمن هو قادر ولمن هو مقدر، والله أعلم. اهـ من «المجموع الثمين» (١/١٢٨).

وانظر «معجم المناهي اللفظية» (٣١٣).

(١) الإسلام ليس عبارة عن ثقافات، بل هو وحي منزل من رب العالمين، وانظر ما سيأتي من التعليق على قول المؤلف عفا الله عنا وعنه (التقاليد الإسلامية الحققة) تحت الخطبة السابعة.

جديدة^(١)، ولكنه وجد نفسه في البلاد وحيداً محرّجاً بين جيلين: الجيل القديم المحافظ المتصلب، والجيل الجديد المنطلق المتسرع ولن يرضى عنه هؤلاء ولا أولئك حتى يتبع خطتهم، لهذا فقد اتخذ لنفسه في الخطابة منهجاً معتدلاً مترفعاً يرمى عواطف الجمهور بالمحافظة على الظاهرة الشكلية لما اعتاده الخطباء، على أنه قد تحمل في أسلوبه من عناء الاتقان والنظام والتدبير ما لا يفتن له القراء ولا يشعرون به؛ لأنهم لا يجدون في فهمه مشقة ولا عُسراً، ولا يستطيعون أن يقفوا على ما أودع فيه من لطائف البيان والبدیع^(٢)، وطرائف التجنيس والتسجيع^(٣).

(١) تقدم التعليق عليها.

(٢) البيان: هو التوضيح.

والبدیع: هو الشيء المحدث العجيب. «لسان العرب» (١/٣٤٢) مادة: «بدع».

(٣) التجنيس: قال ابن منظور في «لسان العرب» مادة: جنس: الجنس الضرب من كل شيء، وهو أعم من النوع، ومنه المجانسة والتجنيس. اهـ

والتسجيع: قال ابن منظور في «لسان العرب» مادة: سجع: والسجع الكلام المقفى ... وسجع تسجيلاً تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزون، وصاحبه سجاعة، وهو من الاستواء والاستقامة والاشتباه، كأن كل كلمة تشبه صاحبها.

قال ابن جني: سمي سجعاً لاشتباه أواخره وتناسب فواصله ... وسجع بالشيء نطق به على هذه الهيئة.

وما رصع^(١) فيه من الآيات الروائع^(٢) والمخبآت البدائع، وكيف نثر دُرَرَ القرآن في ثنايا كلامه نثرًا وحشر حكمه في تضاعيفه حشرًا، وهذا كله يقتضي مجهودًا عسيرًا لا شك أنه قد رصد له الأيام الطوال.

وفي نفسي كلمة لا بد أن أكتبها لأنها متصلة بفن الخطابة من حيث هي. وذلك أن الأساليب الخطابية لها طبيعة خاصة تخالف سائر فنون الكلام، وتنفرد باعتبارات ومميزات آتية من شتى الملابس التي تكتنف الخطيب والجمهور، ولا شك أن المقالة لا تكون خطبة، وأن الخطبة لا تكون مقالة، وأن الذي يقرأ الخطبة في كتاب يفقد ثلاثة عناصر من عوامل التأثير فيها وهي: الإلقاء وشخصية الخطيب^(٣).

ولا يبقى له منها إلا شيء واحد وهو الأسلوب، على أن الأسلوب نفسه قد يفقد روعته بخفوت النغم الصوتية، ولذلك فلا يكون القارئ ناقدًا دقيقًا إذا أهمل هذه الاعتبار الواقعية عند تقدير قيمة الخطب المنبرية.

ويجب أن نشير إلى أن البيئة التي يخلق فيها الأدب إنما يُبتكر الأدب لأجلها وعلى غرارها، ولا سيما إذا كان الأدب من النوع الذي يُقصد به التأثير على كل فرد من أفراد

(١) الترصيع: هو التركيب كما في «لسان العرب» مادة: رصع.

(٢) أي الجميلات، كما في «لسان العرب» مادة: روع.

(٣) لا يشترط لإلقاء الخطبة شخصية الخطيب، كأن يكون جميلًا أو طويلًا، أو سمينًا، أو أبيضًا، أو غير ذلك من الصفات الخلقية، وإن عني بالشخصية ثبوت الخطيب عند إلقاء الخطبة وعدم خوفه وتلكعه فهذا لا بأس به.

السامعين، وذلك كالخطابة الدينية، فإنها إنما تُقالُ لجمهورٍ متألٍّ^(١) يهتاج ويقشعر عند كل كلمة يذكر فيها اسم الله، ولا يكاد يُطيقُ عبارةً واحدةً لا تقدح عاطفةً من عواطفه المتعطّشة المُلتاعة، فالخطيب الديني مُرغمٌ أن يفكر مع الجمهور ويتكلم مع الجمهور ويعالج خواطرهم برفق وحنان.

وهذه هي الحقيقة الكبرى للبلاغة، وأعني بها مطابقة مقتضى الحال، فمن الخطأ إذاً أن يقرر الإنسان رأيه في خطبة منبرية لمجرد قراءتها، فإن حالة القارئ تُخالف حالة السامع في وسط الجمهور، لا سيما إذا كان القارئ من طبقة أخرى لم تألف تلك الموضوعات فإن حُكمه عليها ظلم يَبِّ.

ومع كل ما تقدم فهل معنى هذا أن الخطيب يجب عليه أن يكون في محبس من عقلية الجماهير، وأن يظلّ دائراً حلو نفسه في هذا المحيط الضيق؟

كلا، فإن في الموضوعات الدينية المقدسة نفسها ما يفتح للخطيب آفاقاً واسعة لتوجيه المجتمع الإسلامي إلى كل سبب من أسباب القوة، وذلك كأن يثير في المسلمين غريزة الלהفة على المجد والذهب، أو يُريقُ منهم دمة الحسرة على التاريخ الضائع، أو يقص عليهم عبرة الدهر في آبائهم وعظة الأيام في أنفسهم.

(١) أي متعبد.

وأن يربط الأسباب بالمسببات ويأسو الضعف بالقوة ويعالج الخور^(١) بالشجاعة والذلة بالصرامة^(٢).

وأن لا يبعث لهم شجى^(٣) إلا وأردفه بالسلوى^(٤)، ولا خطأ إلا وكشف معه وجه الصواب، ولا ألماً ماضياً إلا وذكر له علاجاً حاضراً، وإذا أثار عواطفهم أو أهرق دموعهم أو أشعل حماسهم.

فليضع بين أيديهم المشاريع العلمية التي يستطيع بها أن يطفئوا ما تأجج من حماسهم واهتاج من عواطفهم، حتى لا يخرجوا عن موضوع الخطابة وفيهم شيء من الحيرة والارتباك، أو الألم العاثر الخاوي الذي يقذف بالروح الإسلامية إلى وهذه اليأس والركود^(٥).

وهناك سر من أسرار الإسلام أغفله المسلمون في عصور الانحطاط، ذلك هو الدعوة إلى القوة والاستعداد، ولن تجد عملاً من أعمال النبوة ولا نزعة من نزعاتها، ولا أثراً من

(١) هو الضعف، كما في «لسان العرب» مادة: خور.

(٢) أي بالقوة، كما في «لسان العرب» مادة: صرم.

(٣) هو الهم والحزن، كما في «لسان العرب» مادة: شجا.

(٤) قال ابن منظور في «لسان العرب» مادة: سلا: قال الجوهري: وسلاني من همي تسلية، وأسلاني أي كشفه عني، وانسل عني الهم وتسل بمعني انكشف. اهـ

(٥) اليأس هو القنوط، كما في «لسان العرب» مادة: يأس، والركود هو الهدوء والسكون، كما في «لسان العرب» مادة: ركد.

أثارها المادية والروحية إلا وفيها معنى من معاني القوة أو سبب من أسبابها، ولكن جُهِلَ العلماء في عصور الغفلة استطاعوا أن يضعوا لبعض أغراض الشريعة الإسلامية صوراً مقلوبة معكوسة تُناقض الأصل السماوي تمام المناقضة.

وسأذكر على جهة المثال ناحية من نواحي الدعوة المحمدية كانت سبباً من أسباب القوة، فأصبحت وسيلة من وسائل الضعف والخور وهي التزهيد من حُب الدنيا والدعوة إلى الاستهانة بشأنها، فقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يُربي أتباعه على كرهها، ولكن لا ليبرد مضاجعهم بالنوم العاقل البليد، بل ليسقط قيمة الحياة في نظرهم واعتقادهم ويمنحهم من المثل الأخلاقية العليا ما هو أسمى من الحياة وأفخم شأنًا من مظاهرها وقشورها، حتى يسهل عليهم أن يفضلوا الكفاح مع الرسول ﷺ في شظف^(١) العيش على الأبناء والأبناء والنعيم والرخاء، والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة.

وهذه هي الطريقة الوحيدة التي كان يمكن أن يستعد بها الرسول الأعظم صلوات الله عليه وآله وسلم ضد أعدائه الأشداء الذين يعيشون على رمال الصحراء، ويشنون^(٢) على صخورها وكتبانها^(١) صفر الأيدي خفاف الظهور كبار القلوب والعقول.

(١) قال ابن منظور في «لسان العرب» مادة: شظف: الشظف يُبس العيش وشدته، قال عدي بن الرقاع: ولقد أصبْتُ من المعيشة لذة وأصبْتُ من شظف الأمور شدادها

والشظف الشدة والضيق. اهـ

(٢) أي يقعدون، كما في «لسان العرب» مادة: وثب.

وبمثل تلك التربية النبوية العالية تنبع القوة الهائلة في أعماق النفسية الإنسانية التي لا تغلبها أية قوة في الدنيا.

أما جهلة العلماء فقد جعلوا منها أفتك سلاح يقتل الروح الإسلامية الأولى، فبثوا في جموع المسلمين التهاون بشئون الدنيا والانصراف عنها^(٢)، لا إلى الكفاح والنضال والتضحية، بل إلى الذلة والضراعة والمسكنة، حتى كأن الدين الإسلامي كما يزعمون ما جاء إلا ليهيأ شطر أهل الأرض للإذلال والاستعباد، وكأنها هو دين الأحزان والآلام والضياع والحرمان، تعالى الله وتقدس دينه عما يصفون ويتوهمون.

=

(١) الكتيب من معانيه الرمل المستطيل المحدودب، كما في «لسان العرب» مادة: كتب.

(٢) هذا الكلام من الزبيري رحمه الله فيه رد على غلاة الصوفية، والذي يكفي المسلم المستقيم من الحياة الدنيا ما كفى رسول الله ق وصحابته الكرام رضوان الله عليهم، ولكن الناس توسعوا في باب التعلق بالدنيا حتى شغلتهم عن الآخرة، وعن الاستعداد للقاء الله جل وعلا.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَهُمْ وَزِينَتُهُ﴾ [الحديد: ٢٠] الآيات، وقال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧].

هل كان يمكن أن يزهد الرسول ﷺ أصحابه في حمل السيوف واقتناء القسي^(١) والنبال^(٢)، وتربية الجياد^(٣) الصوافن^(٤) وهي عدتهم في الحرب وسلاحهم ضد المغيرين؟ أم كان يرضى أن يرى فُرسانه وأبطاله ضعاف الأجسام صفر الوجوه من الأمراض والأسقام، وقد أمرهم بالهرولة في السعي ليعلنوا قوتهم لأعدائهم؟^(٥)

فإذا كان من البديهي أن الرسول ﷺ لا يجب ذلك ولا يرضاه فإنما ذلك لأنه يضعف قوة المسلمين، ولو كان للقوة أسباب غير تلك التي كانت معروفة إذ ذاك لدعا إليها واستخدمها كما فعل في واقعتي ثقيف والأحزاب، ونحن في هذا العصر يتحتم علينا، أن نأخذ بجميع أسباب القوة ندعو الناس إليها على أنها أصل من أصول الدين الأساسية الداخلة تحت قاعدة (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)^(٦).

(١) من أسماء السيوف، كما في «لسان العرب» مادة: قسس.

(٢) هي السهام، «لسان العرب» مادة: نبل.

(٣) المراد بها السراع.

(٤) جمع صافن، وهي من الخيل. «تفسير ابن جرير» (٢٠ / ٨١ - ٨٢).

(٥) يشير الزبيري رحمه الله إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البخاري (١٦٤٩) ومسلم (١٢٦٦) (٢٤١).

(٦) معنى القاعدة: أن الله إذا أمر بشيء كان أمراً به، وبما لا يتم إلا به من مقدماته وشروطه وأركانه وأوصافه اللازمة.

فلأمر بالصلاة أمر بها وبما لا تتم إلا به من الطهارة ورفع الحدث وإزالة النجاسات واستقبال القبلة =

وإذا أخذنا بهذا الأصل أو هذه القاعدة فلن تفوتنا شاردة ولا واردة^(١) من خيرات الحياة الحسية والمعنوية، لأن الحياة الإنسانية أصبحت وحدة واحدة لا تتلون ولا تقبل التجزئة وهي في جميع الأقطار وعند جميع الشعوب كل شكل واحد لا يختلف، فمن أخذها أخذها جملة واحدة ومن تركها تركها جملة واحدة.

وأنا أعنى بكلمة (الحياة) صميمها ولبابها، لا قشورها الزائفة المفتعلة التي تختلف عليها طبائع الشعوب والأقطار.

فإذا أخذ خطباء المنابر بهذا الرأي واقتنعوا به فلا بد أن يتطور المجتمع الإسلامي ويرتفع مستوى المسلمين إلى المكانة التي تقر بها عين كل مسلم غيور.

ونحن نرى أن خطيبنا الأستاذ البيحاني يُشير في كثير من خطبه إلى ما لا تتم القوة الإسلامية إلا به، وهو تماسك الأخلاق، ومحاربة الرذائل النفسية والحسية، والدعوة إلى العلم والصناعة، والتفريق بين خير المدنية وشرها، وذم البطالة، وغير ذلك من الموضوعات المفيدة النافعة.

=

والمشي إلى الصلاة والركوع والسجود، وهكذا فيكون واجبا مثلها.
والأمر بأداء الأمانة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، أمر بأدائها وأمر بها لا يتم أدؤها إلا به من حفظها وعدم التفريط والتعدي فيها؛ لأن ذلك من لوازم الأداء. اهـ من «شرح منظومة القواعد الفقهية» للعويد ص (١٧٠).

(١) معنى شاردة أي بقية من الشيء، كما في «لسان العرب» مادة: شرد.

ومعنى واردة: أي مارة، كما في «لسان العرب» مادة: ورد.

وخير لي وللقراء وللخطيب أن لا أطيل في هذه المقدمة العاجلة، وأن أحيلهم إلى نفس الخطب البيحانية فإنها أحرى أن تُوفِّي صاحبها ما يستحقه من الثناء والتقدير.

نسأل الله أن ينفع به الإسلام والمسلمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب الفتوحات الربانية، بالخطب والمواعظ القرآنية التي كان يلقيها الفقير إلى ربه تعالى محمد بن سالم بن حسين الكدادي البيحاني في جامع العسقلاني^(١) بعدن، وهو الموجة الأولى من هذا البحر، وبعون الله وحسن توفيقه ستتابع أجزاء هذا الكتاب تتابع الموج في العباب^(٢)، وهو سبحانه وتعالى الهادي إلى سبيل الصواب، وصلى الله على سيدنا محمد خير

(١) مسجد العسقلاني: هو ذلك المسجد الذي تشرف الشيخ البيحاني بالإمامة فيه والخطابة والتدريس، وقال رحمه الله بعد أن جدد بنائه:

يا جامع العسقلاني الذي حفظت	به الشريعة والإسلام حين بني
إننا نؤمل أن تبقى مشيدة	للعلم أركانك السماء بلا وهن
فافتح لنا باباً مغلقاً وعلى	هداية الناس بالرحمن فاستعن
أد الرسالة واجمعنا مع العظماء	بالعلم والفضل والآداب في قرن
وهاهنا المعهد العلمي نفتحه	كأنه الأزهر الباقي على الزمن
ومنه يخرج أبطال عباقرة	من قادة الفكر في الأمصار والمدن
من كل علامة فهامة لبق	يملي الأحاديث وإملاء الفتى اللسان
هم الملوك وهم سادات أمتهم	فما العزيز وما سيف بن ذي يزن

«العطر اليماني من أشعار البيحاني» (١٩٧).

(٢) العُباب: هو كثرة الماء، والعُباب: المطر الكثير، وعُباب السيل معظمه وارتفاعه وكثرته، وفي «التهذيب»: العُباب معظم السيل. اهـ من «اللسان» مادة: عبب.

الأنام، ومسك الختام، وعلى آله الكرام، وصحابته الأعلام، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى
يوم الدين، وعلينا ومعهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

الخطبة الأولى

توحيد الله عز وجل

الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز الحكيم، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الحليم، رب السماوات السبع والأرض ومن فيهن ورب العرش العظيم، عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا الله، نحمده على آلائه، ونشكره تبارك وتعالى على نعمائه.

ونشهد أن لا إله إلا الله ^(١) وحده لا شريك له، له الحكم في أرضه وسماؤه.

ونشهد أن سيدنا ^(٢) محمداً عبده ورسوله العظيم وخاتم أنبيائه، أرسله على فترة من الرسل فأظهر به الحق، وأرشد به الخلق، وكذلك فضل الله لا إله إلا الله، اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد العارف بجلال ربه، والمغفور له ما تقدم وما تأخر من ذنبه.

(١) فائدة: عامة هديه ق الأفراد في الشهادتين، بلفظ: «أشهد»؛ لأنه ق لا يشهد عن غيره، إنما يشهد ويخبر عن نفسه. اهـ من «معجم المناهي اللفظية» ص (٥٤٠) للشيخ الفضال بكر أبو زيد حفظه الله.

(٢) من استقرأ صيغ الصلاة على النبي ق الواردة لم يجد فيها لفظ «السيادة» لا داخل الصلاة ولا خارجها. ومن استقرأ أحاديث الأذان لم يجدها في ذكر الشهادة بأن محمداً رسول الله، والمحدثون كافة في كتب السنة لا يذكرون لفظ السيادة عند ذكر النبي ق.

وقد استقرأ جماعة من المحققين ومنهم الحافظ ابن حجر كما نقله عنه السخاوي في «القول البديع»، والقاسمي في «الفضل المبين في شرح الأربعين» للعجلوني.

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وعترته ^(١) وحزبه، وعلى التابعين لهم بإحسان في توحيد ربنا وطاعته بفرضه وندبه، والاعتماد عليه تعالى والثقة به، ومن وثق بالله فبحسبه، ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨] لا إله إلا الله.

أيها الناس: من الذي تنزه عن الأضداد والأنداد والنظراء والأشباه ^(٢)، ومن الذي خضعت له الرقاب وتطأطأت ^(١) له الرؤوس وسجدت لهيبته الجباه، واطمأنت بذكره القلوب وسبحت بحمده الأفواه.

=

إذ قرر رحمه الله تعالى أن لفظ السيادة لم يثبت في الصلاة على النبي ق ولا في الشهادة له بالرسالة ق، وأنها داخل الصلاة لا تشرع لعدم التوقيف بالنص، وأما خارجها فلا بأس. وهذا نص ما في «الفضل المبين» ص (٧٠-٧١) للقاسمي. اهـ ملخصاً من «معجم المناهي اللفظية» للشيخ بكر أبو زيد (٣٠٤-٣٠٥)، وراجع «صفة صلاة النبي ق» للشيخ الألباني رحمه الله ص (١٧٢).

(١) عترة الرجل أقرباؤه من ولد وغيره ... وقيل: هم رهطه وعشيرته الأدنون من مضى منهم ومن غير. قال ابن الأعرابي: العترة ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه، قال: فعترة النبي ق ولد فاطمة البتول عليها السلام. قال: وعترة النبي ق عبدالمطلب وولده، وقيل: عترة أهل بيته الأقربون وهم أولاده وعلي وأولاده. اهـ

والمشهور المعروف أن عترة أهل بيته، وهم الذين حرمت عليهم الزكاة والصدقة المفروضة، وهم ذوو القربى الذين لهم خمس الخمس المذكور في سورة الأنفال. اهـ من «لسان العرب» مادة: عتر.

(٢) الأضداد: جمع ضد، قال ابن الأعرابي كما في «لسان العرب» مادة: ضد: ند الشيء مثله وضده =

ألا إنما هو الله الذي رفع السماء وبسط الأرض ونصب الجبال وأجرى المياه، فالحق الحب والنوى ومخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ومحبي الأرض بعد موتها فتبارك الله، ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠]، لا إله إلا الله.

إن ربكم الله الذي لا تنفعه عبادة الطائعين، ولا تضره معصية الكفار والفساقين فاستغفروا ربكم إنه كان غفاراً، ويده مبسوطتان للسائلين والتائبين ليلاً ونهاراً^(٢)، وهو الخلاق العظيم الذي لا يبارى^(٣)، والمتفضل الكريم الذي لا يجارى^(٤)، رازق الخلق أجمعين مسلمين وكفاراً، وطائعين وفجاراً، ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ

=

خلافه، ويقال: لا ضد له ولا ضديد له، أي: لا نظير له ولا كفاء له. اهـ

والأنداد: جمع ند، وهو الشبيه والمثيل والنظير، والله لا شبيه له ولا مثيل ولا نظير.

قال ابن القيم: الند الذي لا يشاركه في فعله سبحانه، انظر «معجم ألفاظ العقيدة» ص (٤٠٥).

والأشباه: جمع شبه، والمراد به المثل، كما في «لسان العرب» مادة: شبه.

(١) طأطأ بمعنى خفض رأسه، كما في «لسان العرب» مادة: طأطأ.

(٢) يشير إلى ما أخرجه مسلم رقم (٢٧٥٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ق: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل».

(٣) أي لا يعارض، كما في «لسان العرب» مادة: برى.

(٤) قال ابن منظور في «لسان العرب» مادة: جرى: وجراه مجارة وجرأ، أي: جرى معه وجراه في الحديث وتجاروا فيه. اهـ

أَطْوَارًا ﴿[نوح: ١٣، ١٤]﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْهَ مَعَ اللَّهُ ﴿[النمل: ٦١]﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك، وكنت لا شيء في العدم فأوجدك وأحياك، وبفضله غذاك، وبإحسانه ربأك.

يحيطك بلطفه وبعين عنايته يركاك، فأنت تعصيه فيمهلك.

وتتوب إليه فيقبلك، وإذا دعوته استجاب لك ولباك. وإذا استعنت به في الشدة أعانك ونجاك، وإن سألته أعطاك، ومن تقرب إليه شبرًا تقرب منه ذراعًا^(١)، ومن تقرب منه ذراعًا تقرب منه باعًا، وإذا وقفت ببابه واستغنيت عن غيره كفأك، تقول: يا رب يا رب، فيقول: لبيك لبيك^(٢).

(١) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري رقم (٧٤٠٥) ومسلم رقم (٦٨٠٥)، وجاء من حديث أبي ذر رضي الله عنه أخرجه مسلم رقم (٢٦٨٧).

(٢) هذا الكلام مبناه على حديث ضعيف، ذكره الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٢٧٣) عن أنس به مرفوعًا، وفي سنده يزيد الرقاشي ضعيف.

وذكر العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٢٦٩٣) حديثًا عن عائشة رضي الله عنها ولفظه: «إذا قال العبد: يا رب، أربعًا قال الله تبارك وتعالى: لبيك عبدي، سل تعط».

قال الشيخ الألباني رحمه الله: ضعيف جدًا، أخرجه البزار وفي سنده الحكم بن سعيد قال البخاري: منكر الحديث، وفيه يعقوب بن محمد الزهري ضعيف. اهد بتصرف

وَإِذَا مَا ذَكَرْتَهُ فَهُوَ لَا يَنسَاكَ ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢] لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

فكيف تعصيه يا عبد الله وهو الكبير المتعال، وكيف تعرض عن بابه وتسال غيره وهو الذي أمرك بالسؤال، ووعدك بالإجابة على كل حال، ما لم تبطل الدعاء بالاعتداء فيه ^(١) أو الاستعجال ^(٢)، وكل شيء دونه فقير إليه، وهو القائم بنفسه الغني بما لديه، فإذا سألت فسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله ^(٣)، فإنه واسع الجود شديد المحال ^(٤).

(١) لقول الله جل وعلا: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

والاعتداء في الدعاء فيه ثلاثة أقوال:

١- أن يدعو على المؤمنين بالشر، كالخزي واللعنة.

٢- أن يسأل ما لا يستحقه من منازل الأنبياء.

٣- أنه الجهر في الدعاء. انظر «زاد المسير» لابن الجوزي (٣/ ١٦٤-١٦٥).

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري (٥٩٨١)، وانظر «الدعاء

والدواء» لابن القيم (١٣-١٤)، و«جامع العلوم والحكم» (٧٣٢) شرح الحديث العاشر.

(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو حديث صحيح سيأتي تخريجه قريباً إن شاء الله.

(٤) أي: شديد العقوبة، وقيل: القوة، وقيل: الكيد. انظر «تفسير ابن كثير» آية (١٣) من سورة الرعد،

و«هدي الساري» (٢٩٤)، و«مفردات الراغب الأصبهاني» (٧٦٢) مادة: محل.

واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف^(١) بما كان أو سيكون في الماضي والحال والاستقبال، ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٤] لا إله إلا الله.

لا تركع ولا تسجد ولا تخلق ولا تذبح ولا تنذر إلا الله، ولا ترج ولا تطمع ولا ترغب إلا فيما عند الله، ولا ترهب ولا تخف ولا تفزع من أي مخلوق ما دام حسبك الله، ولا تخشع ولا تخضع ولا تذلل إلا للذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له وليٌّ من الذل فلا تتوكل إلا عليه ولا تستعن بسواه، الزم بابه واترك غيره، وأسأل فضله واطلب خيره، وفوض أمرك كله إلى الله.

﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٨] ﴿سَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [المؤمنون: ٨٥] لا إله إلا الله.

يقول الله جل ذكره: «يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن

(١) هذا الكلام مبناه على حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو حديث صحيح أخرجه أحمد (٢٩٣/١، ٣٠٣)، والترمذي (٢٥١٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في «ظلال الجنة» ص (١٣٨)، وشيخنا الإمام مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٤٧٤/١)، وانظر تحقيقي لرسالة «الواسطة بين الحق والخلق» لشيخ الإسلام رحمه الله (٧٠-٧١) ط/ دار الآثار/ صنعاء.

آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»^(١).

وقال تعالى: «يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم»^(٢).

وقال سبحانه وتعالى: «إني أنا والجن والإنس في نيا عظيم، أخلق فيعبد غيري، وأرزق ويشكر غيري»^(٣).

(١) (ضعيف) وقوله: «لو أتيتني بقراب الأرض خطايا» صحيحة لشاهدها.

والحديث أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، وفي سنده كثير بن فائد البصري مجهول حال، كما في ترجمته من التهذيب.

وقوله: (لو أتيتني بقراب الأرض خطايا) لها شاهد من حديث أبي ذر رضي الله عنه أخرجه مسلم (٢٦٨٧)، وانظر «الصحيحة» للإمام الألباني رحمه الله رقم (١٢٧)، وتحقيقي لـ «كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله تعالى عنه.

(٣) (هذا حديث ضعيف)

أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» رقم (٩٧٤ و ٩٧٥)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخه» (٧٧/١٧)، وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» ٦/ (٤٢٤٣) ط/ مكتبة الرشد، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وفي سنده الوليد بن مسلم مدلس تدليس التسوية ولم يصرح في جميع =

وقال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى»^(١)، لا إله إلا الله.

جعلني الله وإياكم من أهل توحيده وتعظيمه وتمجيده ووفقنا جميعاً إلى ما يجب له تعالى على عبده. آمين^(٢).

ألا وإن أصدق الكلام وأنفعه، وأبلغه وأرفعه، كلام الذي بيده المصرة والمنفعة، وإنه تعالى يقول وقوله عظيم: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ * وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿[يونس: ١٠٦-١٠٧]

=

طبقات السند، وعبدالرحمن بن جبير وشريح بن عبيد ثقتان كما في ترجمتهما من «التقريب»، ولكنهما لم يدركا أبا الدرداء رضي الله عنه.

فهو منقطع، والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦٢٥/٧) تحت تفسير آية (٥٦) من «سورة الذاريات»، وزاد نسبه للحاكم في «تاريخه».

وقد ضعف الحديث الشيخ الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (٥/٢٣٧١)، والحمد لله.

(١) رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وهو حديث متواتر.

(٢) لا أعلم دليلاً صحيحاً على شرعية تأمين الداعي على دعائه، إلا ما كان عقب سورة الفاتحة.

الخطبة الثانية

في التوحيد والإخلاص

الحمد لله الذي أراد فقدر، وملك فقهر، وخلق فأمر، وعبد فأثاب وشكر، وعصى فعذب وغفر، وجعل مصير الذين كفروا إلى سقر، والذين اتقوا ربهم إلى جنات ونهر ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْلُ آبَرٍ عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠].

نحمده تعالى وحده فرض لازم، ونشكره عز وجل على فضله المستمر وإحسانه الدائم، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو الحي القيوم القادر المريد^(١) السميع البصير المتكلم^(٢) العالم.

(١) المريد ليس من أسماء الله عز وجل، بل هو من صفاته، قال شيخ الإسلام رحمه الله في «شرح العقيدة الأصفهانية» ص (٣١): وأما تسميته سبحانه بأنه مريد وأنه متكلم، فإن هذين الاسمين لم يردا في القرآن ولا في الأسماء الحسنى المعروفة، ومعناها حق، ولكن الأسماء الحسنى المعروفة التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها، والعلم والقدرة والرحمة ونحو ذلك، هي في نفسها صفات مدح، والأسماء الدالة عليها أسماء مدح. اهـ وانظر «شرح القواعد المثل» للشيخ ابن عثيمين رحمه الله (١٢٢-١٢٣).

(٢) المتكلم ليس من أسماء الله عز وجل، بل هو من صفاته سبحانه وتعالى، كما تقدم تقرير ذلك عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المبعوث بالتوحيد والمكارم، والمنقذ الأعظم من الكفر والمآثم، وعبادة الأوثان وانتهاك المحارم.

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد خير بني هاشم^(١)، وعلى آله وصحبه الأكارم، والموصوفين بصدق العزائم، وعلى التابعين لهم بإحسان من الأعراب والأعاجم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧٠].

عباد الله، إن الذي رفع السماء وبنائها، فأغطش ليلها وأخرج ضحاها، وبسط الأرض ودحاها، وأخرج منها ماءها ومرعاها، والجبال أرساها، قد ألهم كل نفس فجورها وتقواها، وضلالها وهداها، وحذرنا أن تتبع هواها، فأفلح من زكاها، وخاب من دساها، والجنة بعد ذلك مثواها، أو الجحيم مأواه، والله يقول: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفتح: ١٤].

من عرف الله تصور ابتعاده من الله وقربه، فجعل الطاعة شغله وراقب في السر والجهر إلهه وربّه، ومن استشعر الجبروت^(٢) والرحموت^(١) خاف وطمع واجتمعت في قلبه الرغبة

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، أخرجه في مسلم برقم (٢٢٧٦)، ولحديث العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه، أخرجه أحمد (٢١٠ / ١)، والترمذي (٣٦٠٧)، وهو حديث حسن لغيره.

(٢) الجبروت صفة ذاتية لله عز وجل من اسمه الجبار، وهي ثابتة بالسنة، فعن عوف بن مالك رضي الله عنه أنه سمع النبي ق يقول في ركوعه: «سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة».

والرهبة، وما اجتمع الخوف والرجاء في قلب عبد إلا وأمنه الله مما يخاف^(٢) وأعطاه من الخير ما أحبه والله تعالى يقول: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء»^(٣)

=

وهو حديث حسن، رواه أحمد (٢٤/٦)، والنسائي (٢/٢٩١، ٢٢٣)، وأبوداود (٨٧٣)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صفة صلاة النبي ﷺ» (١٣٣)، وشيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٢/١٠٥).

(١) الرحموت من صفات الله عز وجل الذاتية، وهي مشقة من اسم الله الرحمن.
(٢) هذا الكلام مبناه على حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ق دخل على شاب وهو في الموت، فقال: كيف تجددك؟ قال والله يا رسول الله، إني أرجو الله، وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ق، «لا يجتمعان في قلب عبد، في مثل هذا الموطن، إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمنه مما يخاف» أخرجه الترمذي (٩٨٣) وابن ماجه (٢٤٦١) وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في «أحكام الجنائز» ص (١١) وفي الباب عن سعيد بن المسيب: ما اجتمع الرجاء والخوف في قلب مؤمن إلا أعطاه الله عز وجل الرجاء وأمنه من الخوف.

أخرجه الطبراني مرسلًا أفاد ذلك العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الجامع» رقم (٤٩٧٩).
(٣) (صحيح).

والحديث بهذا السياق أخرجه أحمد (٤٩١/٣) مطولاً، والدارمي في «سننه» (٢/٣٩٥) مختصراً، والحاكم (٢٤٠/٤) مختصراً من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» تحت رقم (١٦٦٣)، وشيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٢/٢٤٤).

وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه، رواه البخاري (٧٤٠٥ و ٧٥٠٥ و ٧٥٣٧) ومسلم (٢٦٧٥)، بدون زيادة: «فليظن بي ما شاء».

فطوبى لمن كان ظنه في الله حسناً، ولا يأمن مكر الله إلا من استصغر ذنبه، وغشى الران قلبه، والله لا يظلم مثقال حبة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

والله لا ينبغي لعبد أسبغ ربه عليه النعمة أن يعصيه طرفة عين، وهو الذي أوجده من العدم، وعلمه ما لم يعلم، وزينة بالعقل والتدبير والمنطق والتفكير.

وكم لله على عبده من دين، فطعم وشم ولمس وسمع وبصر، ودين وصحة ومال وزوجة وأولاد وبلاد ومعشر، وأكرمه بالعنين واللسان والشفيتين ثم هداه النجدين وبعث الرسول وأنزل الكتاب وأحل لكم الطيبات وحرم عليكم الخبائث وأمركم بكل زين^(١)

ونهاكم عن كل شين^(٢)، وإن تعبدوه فلن تنفعوه وإن تعصوه فلن تضره.

﴿وَأِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] فمن أين جئتم وإلى أين أنتم سائرون إلى أين؟ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٥].

(١) أي: حسن.

(٢) أي: قبيح.

يا ابن آدم، فضلك الله على سائر مخلوقاته وأوجدك في أحسن تقويم وعرفت من آلائه وعجائب أرضه وسماؤه ما يدل على أنه الصانع^(١) الحكيم، والسيد الملك العظيم وأخبرك أنه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الرحمن الرحيم، فما لك لا

(١) الصانع ليس من أسماء الله عز وجل، وقد عدّه بعض أهل العلم من أسماء الله كابن منده والبيهقي وأبي القاسم الأصفهاني، وما ذهبوا إليه غير صحيح لأمرين:
الأول: أن أسماء الله عز وجل توقيفية فلا بد فيها من دليل.

قال شيخنا مقبل الوادعي رحمه الله: أسماء الله وصفاته توقيفية ولم يرد دليل في وصف الله بأنه صانع، فالأولى أن يقال: بأنه خالق، قال الله سبحانه: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: من الآية ٣]، وصف الله بأنه صانع ولكنه شاذ. اهـ من تحقيقه لـ«الرسالة الوازعة» لابن حمزة الحسيني ص (٢٢٥)، وله بحث مفيد حول حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً: «إن الله صانع كل صانع وصنعتة»، بما حاصله أن لفظة «صانع» تصحيف في الحديث أو وهم من بعض الرواة، راجع ما دونه في كتابه المانع «الجامع الصحيح في القدر» (١٢٤-١٢٧).
الأمر الثاني: أن اسم الصانع ينقسم مساه إلى مدح وذم كما سيأتي بيان ذلك، بينما أسماء الله حسنى من جميع الوجوه.

قال ابن القيم رحمه الله: الصانع هو من صنع شيئاً عدلاً كان أو ظلمًا، سفهاً أو حكمة، جائزاً أو غير جائز. اهـ «شفاء العليل» (٢٢٥-٢٢٦) ط/ دار الكتب، و«بدائع الفوائد» (١/ ١٦١-١٦٢)، وانظر لما تقدم «التوحيد» لابن منده (٢/ ١٤٣)، و«الأسماء والصفات» للبيهقي (١/ ٧٤).
تنبيه: إطلاق لفظ «الصانع» وصفاً على الله سبحانه جائز إذا كان من باب الإخبار، وباب الإخبار أوسع من باب الأسماء والصفات، راجع «الفتاوى» (٦/ ١٤٢)، و«القواعد الكلية للأسماء والصفات» عند السلف (١٣٨) للبريكاني.

تؤدي فرائضه ولا تكفَّ عن محارمه، ولا ترغب في ما عنده ولا ترهب مما لديه، فعرشه مجيد وفضله عظيم، وبطشه شديد وعذابه أليم.

والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، ولا يسلب نعمته عنهم حتى يجاهروه بالمعاصي ويكثر فيهم الخبث ويضلهم الشيطان الرجيم، ومن تاب تاب الله عليه^(١) ومن عاد فينتقم الله منه وهو التواب الرحيم.

قال الله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾

[النساء: ١٤٧].

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦].

فكن كيف شئت واعمل بما شئت فإن الله يعلم منك ما تبديه وما تخفيه، وسوف يجازيك على ما كان منك جزاءً موفوراً يوم تأتيه، فسيئة بمثلها وحسنة بعشر أمثالها^(٢) إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة فيا سعادة من يطيعه، ويا شقاوة من يعصيه.

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما رواه البخاري (٦٤٣٦ و٦٤٣٧) ومسلم (١٠٤٩)، وجاء عن أنس رواه البخاري (١٤٣٩) ومسلم (١٠٤٨)، وعن سهل بن سعد رضي الله عنه رواه البخاري (٦٤٣٨).

(٢) لقول الله عز وجل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وكل ميسر لما خُلق له ^(١) ومن يهد الله فلا مضل له ومن يضلل الله فغيره لا يهديه، ومن اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى فهو العاجز البعيد عنه ما يسره ويرضيه، والقريب و منه ما يسوؤه ويخزيه، ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَرَأَوْهُ قَرِيبًا * يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ * وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠، ٦].

عجباً لك يا ابن آدم، تعبد رباً لا يملك لك ضرراً ولا رشداً، وتعرض عن الله وتدعو سواه وهو الذي يقول تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]. فتخالف القرآن، وتبارز الرحمن بالعصيان، وتنقاد للشيطان في السر والإعلان. وأنت تعلم أن الله قد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً.

ما أصعب قيادك وما أشد عنادك، يا معرضاً عن الله ومقبلاً على غيره ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧].

كيف تخضع للأوهام، وتنقاد لضعفاء الأحلام وتستقسم بالأزلام ^(٢)، وتسأل حاجتك من الأنام ^(١)، وقد جاء في أصدق الكلام، خطاباً لمحمد عليه الصلاة والسلام، ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢٢].

(١) هذا الكلام مبناه على حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه رواه البخاري (٤٩٤٥ و ٦٢١٧) ومسلم (٢٦٤٧)، وجاء عن عمران بن حصين رضي الله عنه رواه البخاري (٦٥٩٦) ومسلم (٢٦٤٩)، وعن جابر رواه مسلم (٢٦٤٨).

(٢) الأزلام: جمع زلم، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسُقُ﴾ [المائدة: ٣]. =

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

الإخلاص في التوحيد والعبادة يدخل صاحبه الجنة ويباعده عن النار، والاعتماد على الله وحده لا شريك له يجير صاحبه من المهانة والاحتقار، ومراقبة الله عز وجل تمنع العبد الصالح من التدنس بالأفذار، ومن اعتز بغيره تعالى أذاقه الله لباس الخوف والجوع والفضيحة والعار، ومن تعلق شيئاً دون الله وكله الله إليه^(٢) في الآخرة وفي هذه الدار.

=

قال الأزهري: الاستسقام المذكور في موضعه والأزلام كانت لقريش مكتوب عليها أمر ونهي، وافعل ولا تفعل، وقد زُملت وسويت ووضعت في الكعبة، يقوم بها سدة البيت، فإذا أراد الرجل سفراً أو نكاحاً أتى السادن فقال: اخرج لي زماً، فيخرجه وينظر إليه، فإذا أَراده، وربما كان مع الرجل زلمان وضعها في قرابه، فإذا أراد الاستقسام أخرج أحدهما.

قال الخطيئة يمدح أبا موسى الأشعري:

لم يزجر الطير إن مرت به سُئِنًا ولا يفيض على قسم بأزلام

من «لسان العرب» مادة: زلم، وانظر «تفسير ابن جرير» (٩/ ٥١٠-٥١٢)، و«هدي الساري» (١٩١).

(١) الأنام: قيل الناس، وقيل: كل ذي روح، وقيل: الثقلان، وظاهر قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ وَصْعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن: ١٠]، يشهد للأول أكثر من الباقي، والله أعلم، انظر «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العزص (١١١).

(٢) هذا الكلام صحيح، ومبناه على حديث ضعيف، أخرجه أحمد (٤/ ٣١٠-٣١١) والترمذي (٢٠٧٢) عن عبدالله بن عكيم رضي الله عنه، وفي سنده محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى ضعيف لسوء حفظه، وأخوه عيسى بن عبدالرحمن لم يلق عبدالله بن عكيم، وعبدالله بن عكيم تابعي لم يسمع من النبي ق، وراجع تحقيقي لـ«كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه =

ومن عبد سواه أو استعان بغيره أو طلب حاجته من دون الله فقد باء بالخيبة والخسار
فاحفظ الله يا عبد الله تجده أمامك، وتعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن
النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب^(١)، والإعسار يعقبه اليسار.

=

الله، يسر الله إتمامه بفضلله وكرمه.

(١) هذا الكلام صحيح، ومبناه على حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه عبد بن حميد في
«المنتخب» (٦٣٥)، وفي سنده ثلاث علل:

إسماعيل بن أبي أويس ضعيف، ومحمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر الجدعاني متروك كما في «التقريب»،
والثنى بن الصباح اليماني ضعيف اختلط بأخرة وكان عابداً، قاله الحافظ في «التقريب»، وقد ضعف
الحديث ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٤٦٠ / ١).

وأخرجه أحمد (٣٠٧ / ١) بنحو مما ذكر بثلاثة أسانيد:

الأول: إسناده ضعيف الحجاج بن فرافصة لم يدرك ابن عباس.

والثاني: فيه همام بن يحيى البصري لم يدرك ابن عباس كذلك فهو منقطع من جهة هذين السندين.

والثالث: إسناده قوي بالمتابعات، وبعض فقرات الحديث لها شواهد تصح بها.

فقوله في الحديث: «واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك» لها شاهد من
حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «لا يجد عبد حلاوة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن
ليخطئه، وما أخطاه لم يكن ليصيبه» أخرجه ابن أبي عاصم في «السنن» (٢٥٤)، وحسنه شيخنا مقبل
الوادعي رحمه الله في «الجامع الصحيح في القدر» ص (١٠٨).

وقوله: «النصر مع الصبر» لها شاهد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، صححه به الإمام الألباني
رحمه الله في «الصحيحة» (٥ / رقم ٢٣٨٢).

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ * يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ
وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿[الإنسان: ٣٠-٣١].

لقد أمر الله بالدعاء ووعد السائلين بالإجابة وهو أكرم الأكرمين، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي
أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].
وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ * وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿[الأعراف: ٥٥-٥٦].
فيا أرحم الراحمين، ومجيب السائلين، وفق عبادك المؤمنين، للتوحيد وصدق اليقين،
 وإقامة شعائر الدين، واجعلنا من الذين تقول فيهم وقولك الحق المبين، ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ
السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤].

الخطبة الثالثة

في توحيد الله عز وجل والرد على الطبيعيين^(١)

(١) الطبيعيون هم الملاحدة الذين يزعمون أن الطبيعة هي وحدها الوجود، وهي وحدها المؤثر فيه، وليس لها خالق مدبر متصرف، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا. وقد خابوا وخسروا، والطبيعة خلقها الله تعالى من العدم، وما زال هو الذي يسيرها من خلال ما أودعه فيها، وأن ما يحدثه فيها من أحداث تخضع لمشيئته المطلقة، فلو أراد تعالى خرقها أو تعطيل مفعوها لفعل إذا شاء تعالى.

ولذلك عاب الله تعالى على من نسب إلى الطبيعة قدرة مطلقة في تسيير أمور الكون بل ووصفه بالشرك أيضًا، قال تعالى في الحديث القدسي: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما المؤمن من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»، رواه البخاري (٨٤٦ و ١٠٢٨)، ومسلم (٧١) عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.

والطبيعة كدأب أي مخلوق من مخلوقات الله تعالى، لها أجل مسمى، يقول الله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

وقد أرشدنا الشرع الحنيف والدين القويم في التعامل مع الطبيعة إلى التأمل والتدبر في عجب صنع الله تعالى، والذي يقود إلى زيادة الإيمان وقوة اليقين، كما يرشدنا إلى السعي في استئثار ما يخرج منها من الخيرات، علما بأن الحياة بما فيها الطبيعة ما هي إلا مزرعة للأخرة. اهد بتصرف من «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة» (٢/ ١٠٩٨)، وانظر «الفوائد» لابن القيم (٨١).

ومن قال بفكر الطبيعيين: السببية، وفي زماننا الحاضر الشيوعية التي من أفكارها ومعتقداتها الكفرية «لا إله والحياة مادة».

الحمد لله فاطر السماوات والأرض وبارئ النسم، يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها ويوجد الأشياء من العدم، خلق الإنسان فعلمه ما لم يعلم، وتبارك الله فيما أخرى وقدم، ونقض وأبرم^(١)، وأبدع ونظم^(٢)، نحمده تعالى وهو صاحب الفضل والكرم، ونشكره عز وجل على سوابغ النعم، ونسأله العفو والعافية والمعافة الدائمة وحسن الختام.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الكريم والقائل ﷺ «اللهم إنك لست بآله استحدثناه، ولا برب ابتدعناه، ولا كان لنا قبلك من إله نلجأ إليه ونذرك، ولا أعانك على خلقنا أحد فشركه فيك تباركت وتعاليت»^(٣).

وتبعمهم على ذلك الإشتراكية وقد أزالهم الله عز وجل من يمننا الميمون وبقيت حثالة، أسأل الله عز وجل أن يعجل بزوالهم وإخراجهم وتطهير جميع بلاد المسلمين منهم، والله المستعان، وانظر «معجم المناهي اللفظية» (٣٥٧-٣٥٩).

(١) أي: أحكم، تقول: أبرم الأمر وبرمه: أحكمه كما في «لسان العرب» مادة: برم.

(٢) النظم: التأليف والتنسيق، كما في «لسان العرب» مادة: نظم.

(٣) (موضوع).

والموحى إليه بقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾

[الرحمن: ٢٦، ٢٧].

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد الذي عرف الله حق معرفته وعنده حق عبادته ودعا إليه بحسن موعظته، وبليغ حكمته وبالع حجتة، ونصب الأدلة العقلية على وحدانيته وأنه سبحانه المتفرد بالوهيته وربوبيته، وكل شيء في قبضته وبين إرادته وقدرته صلى الله على

=

أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٤/٨) رقم (٧٣٠٠)، وأبونعيم في «الحلية» (١/١٥٥، ٣٧٣) و(٤٧/٦)، والحاكم (٣/٤٠١)، وفي سنده عمرو بن الحصين العقيلي متروك كما في «التهذيب»، وبه أعل الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٧٩).

وفيه فضيل بن سليمان النميري ضعيف وأبو مروان والد عطاء ليس بالمعروف، كما قال النسائي، وعبدالرحمن بن مغيث مجهول كما في «التقريب».

وفي الباب عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أخرجه الحاكم (٢/٦١٩-٦٢٠)، وفي سنده يحيى ابن عبدالله المصري، قال الذهبي في «تخليصه لمستدرك الحاكم»: هو الذي اختلقه، وقال في ترجمته من «الميزان»: ... روى عن ... عبدالرزاق حديثاً باطلاً بيقين، فلعله افتراه وأقره على ذلك الحافظ في «اللسان» (٦/٣٤٦) وقال: وهذا موضوع على هذا الإسناد المذكور. اهـ

وقد حكم بوضع الحديث المحدث الألباني رحمه الله في «السلسلة الضعيفة» (٣/١١٥٣)، ولما لم يكن الحديث من صنعة المؤلف كان هذا أول حديث موضوع يورده في كتابه هذا، فلا يجوز لمسلم يؤمن بالله واليوم والآخر أن ينسب إلى رسول الله ق ما ليس من قوله، فهو القائل: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

وبناء على هذا فلا يجوز لخطيب أن يخطب بأمثال هذه الأحاديث الموضوعة وغيرها عن رسول الله ق.

فيا علماء الدين أين عقولكم وأين الحديث المسند المتخير

سيد الخلق وأعرفهم بالله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وعلى التابعين بإحسان أفضل صلاة وسلام.

عباد الله، من خلق السماء وجعل فيها بروجًا وزينها للناظرين وأرسل الرياح لواقع فأنشأ منها السحب وأنزل منها الماء وما أنتم له بخازنين، ومن الذي جعل لكم الأرض قرارًا، وفجرها عيونًا وأنهارًا، وجعل لكم فيها معاش ومن لستم له برازقين، أليس خالق هذا ومدبره هو الله رب العالمين، ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فسبحانه من إله يخلق فيعبد غيره، ويرزق خلقه فيشكرون غيره^(١)، وما يذكر إلا أولو الألباب والأحلام.

أوجدك الله يا ابن آدم من عدم محض وخلقك من نطفة فإذا أنت فيه تحاصم، وزينك بالعقل والتفكير وميزك عن سائر الحيوانات بحسن التدبير، وخلقك في أحسن تقويم فجئت تجادل وتقاوم، وأعطاك حظًا وافرًا من هباته، ومنحك^(٢) شيئًا كثيرًا من صفاته

(١) هذا الكلام صحيح، ومبناه على حديث أبي الدرداء رضي الله عنه وهو حديث ضعيف تقدم تخريجه.

(٢) أي: أعطاك، كما في «لسان العرب» مادة: منح.

فأنت قادر ومريد وسميع وبصير ومتكلم وعالم فأُنكرت الجميل، وحاولت إبطال الدليل، وأظهرت من نفسك ما يدل على أنك حقير وذليل، أَمرك هين وكيدك ضعيف ونظرك كليل، وأنت جهول وظالم، وتوَلَّه الطبيعة وتنسب إليها النظم البديعة، وترغم أن الوجود خالق نفسه ومكون أجزائه الوضيعة والرفيعة.

فيالك من جحود عنود آثم، فلن تأتي الصُّدف^(١) بهذه المخلوقات في الأرض والسموات، ولا يجوز شرعاً ولا عقلاً ولا عادة ولا عرفاً أن تكون نفسها هذه العوالم، ولكن الأثر يدل على المثير، والبصرة تدل على البعير، وسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، تدل على وجود الصانع^(٢) الحكيم الحاكم^(٣)، ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، كان الفلاسفة القدماء^(٤) يبحثون

(١) المصادفة الموافقة، كما في «لسان العرب» مادة: صدف.

(٢) تقدم التنبيه على اسم الصانع وأنه ليس من أسماء الله عز وجل، لكن يجوز أن يوصف الله به.

(٣) هذا الأثر معناه صحيح، ولم أقف على من ذكره مسنداً.

وقد ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله تحت تفسير آية (٢٢) من «سورة البقرة» جواباً لبعض الأعراب لما سُئل عن الدليل على وجود الرب تبارك وتعالى،

(٤) الفلاسفة: كلمة يونانية مركبة من كلمتين (فيل) بمعنى الإيثار وجعلها فيثاغور بمعنى محبة (وسوفيا) ومعناها الحكمة.

والفلاسفة قسماً:

الأول: فلاسفة إلهيون، وهم الذين يبحثون في الشؤون الإلهية.

الثاني: فلاسفة طبيعيين، وهم الذين يبحثون في عالم الطبيعة، وهذا القسم كفر.

عن صانع هذا الكون فيرون أنه إله الآلهة أو قوة القوى^(١)، فأمنوا بوجوده وجعلوا حقيقته وقالوا محال أن يكون الخالق والمخلوق في هذا الوجود سواء.

وجاءت الأديان موجهة لبني الإنسان إلى الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وكان بين ديانة الرومان وفلسفة اليونان^(٢) وفاق من جهة^(٣) وشقاق من جهة أخرى،

=

وقد لخص الإمام ابن أبي العز رحمه الله في شرحه لـ«العقيدة الطحاوية» مذهب الفلاسفة في خمسة أصول للدين عندهم، وهي:

أن الله سبحانه وتعالى موجود لا حقيقة له ولا ماهية، ولا يعلم الجزئيات أعيانها ولكنه يعلمها إجمالاً، وبالتالي أنكروا خلق أفعال عباده، كما لا يؤمنون بكتبه حيث إن الله عندهم لا يتكلم ولا يكلم، وأن القرآن فيض فاض من العقل الفعال على قلب بشر زكي النفس طاهر، تعالى الله عن وصفهم علواً كبيراً، وأن الملائكة ليست ذوات منفصلة تصعد وتنزل وتذهب وتجيء إنما هي عندهم أمور ذهنية لا وجود لها في الأعيان والفلاسفة أشد إنكاراً لليوم الآخر وأحداثه وما الجنة والنار عندهم إلا أمثال مضروبة لتفهيم الناس العوام ولا حقيقة لها في الخارج.

والخلاصة: أن الفلاسفة الملحدون لا يؤمنون بالبعث ولا بالنشور على ما جاء في الكتاب والسنة، كما أنهم لا يثبتون للرب أسماء وصفاته، راجع «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة» (٢/ ١١١٨-١١٢١)، و«معجم ألفاظ العقيدة» (٣٠٧)، و«التحفة المهدية» (٤٦).

(١) هي مبدأ الفعل الإمكان المحرك، والأفكار الفاعلة القوية، والقوى العظمى في الطبيعة، راجع «معجم مصطلحات الفلاسفة» / د: خليل بن أحمد / (١٤٨).

(٢) الفلسفة عند اليونانيين هي الحكمة، والفيلسوف هو صاحب الحكمة، انظر «معجم ألفاظ العقيدة» (٣٠٧).

(٣) وفاق بمعنى الموافقة والتوافق والاتفاق والتظاهر، كما في «لسان العرب» مادة: وفق.

فطائفة تشك في الهيولى^(١) والفيزيقا وطائفة تؤله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، والذي أخرج المرعى، فجعله غثاءً أحوى.

واستمر الخلاف يشتد تارة ويخف تارة حتى جاء الإسلام الذي حرر العقل من أسرهِ، وأطلقه من غله وإصره وظهرت أدلته على لسان نبيه محمد ﷺ الذي ما ضل وما غوى، وما ينطق عن الهوى، فعرف الخلق بالله وصرّ فهم إليه وعمّا سواه.

وأبطل الأضداد والأنداد ونزه الرب عن الأبناء والأحفاد^(٢)، والآباء والأجداد، وأخبر أنه خالق الأرض والسموات العلا، وأنه الرحمن على العرش استوى، وقال ﷺ «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون قدره»^(٣).

(١) الهيولى: لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة، وفي الاصطلاح: هي جوهر في الجسم قابل لما يتعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين الجسمية والنوعية. اهـ من «التعريفات» للجرجاني (١٩٨).

والصورة الجسمية: جوهر متصل بسيط لا وجود لمحلّه دونه، قابل للأبعاد الثلاثة المدركة من الجسم في بادئ النظر. اهـ من «التعريفات» للجرجاني (١١٣).

والصورة النوعية: جوهر بسيط لا يتم وجوده بالفعل دون وجود ما حل فيه. اهـ «التعريفات» (١١٣).

(٢) الأحفاد: جمع حفيد، وهم أولاد الأولاد، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه، وقيل: الحفدة البنات، وقيل: الأصهار، والراجع أنهم أولاد الأولاد، انظر «لسان العرب» مادة: حفيد.

(٣) (حسن لغيره).

أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقد اختلف فيه على الأعمش فرواه سعد بن الصلت، عند أبي الشيخ في العظمة المصدر السابق، عنه عن عمرو بن مرة =

عمن حدثه عن ابن عباس به، وفيه رجل مبهم، وسعد بن الصلت قال الذهبي: صالح الحديث ما علمت فيه جرحاً، «السير» (٣١٨/٩)، وخالف سعداً عبد الحميد الحَمَّاني، فرواه عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن ابن عباس به، أخرجه «الأصبهاني في الترغيب» (٢٨٨/١) وفي سنده انقطاع، عمرو بن مرة، قال أبو حاتم: لم يسمع من أحد من الصحابة، كما في «جامع التحصيل»، وعبد الحميد الحَمَّاني صدوق يخطئ كما في «التقريب»، وقد خالف عبد الحميد وسعداً حماد بن أسامة عند «الأصبهاني في الترغيب» (٢٨٩/١)، فرواه عن الأعمش عن عمرو بن مرة مرسلًا، وحماد بن أسامة ثقة ثبت، فروايته أرجح، وعليه فيكون الحديث مرسلًا، وقد ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في «ضعيف الجامع» (٢٤٧٠).

وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٨٧)، عن ابن عباس موقوفاً ولفظه: «تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في الله». وفي سنده علي بن عاصم الواسطي ضعيف يعتبر به، زاد الشيخ الألباني في «الصحيحة»: وعطاء كان اختلط.

قلت: وعلي بن عاصم قد توبع، تابعه خالد بن عبد الله الطحان عند محمد بن عثمان بن أبي شيبة في «كتاب العرش» رقم (١٦)، فانحصرت العلة في عطاء بن السائب. وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٣ و ٢٢)، والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٢٨٧/١) - (٢٨٨)، إلا أنه ذكر مرفوعاً، والصواب فيه الوقف، ولعل التخليط فيه من قبل علي بن عاصم أو ابنه.

قال الحافظ في «الفتح» (٤٦٨/١٣) ط: السلام: موقوف وسنده جيد. اهـ وكلامه فيه نظر، فإن عطاءً مختلط، وكل من روى عنه هذا الأثر ممن سمع منه بعد الاختلاط. وفي الباب عن جماعة من الصحابة منهم:

١- عن ابن عمر رضي الله عنه أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧/ رقم ٦٣١٥)، والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٢٨٨/١) والبيهقي في «الشعب» (١١٩/١)، واللالكائي في «شرح =

=

أصول اعتقاد أهل السنة» رقم (٩٢٧)، ولفظه: «تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله». وسنده ضعيف جداً فيه الوازع بن نافع العقيلي الجزري ترجمه الذهبي في «الميزان» وقال: قال ابن معين: ليس بثقة، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي وأحمد: متروك، وأورد الحديث الذهبي في «الميزان» من مناكيره، وقال البيهقي بعد إيراده: هذا إسناد فيه نظر.

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه أفاد العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٣٩٥-٣٩٦/٤) أنه أخرج ابن عساکر في «المجلس» (١٣٩) من «الأمالی» (١/٥٠) ثم قال رحمه الله: وبشر بن الوليد ضعيف، والبلخي لم أعرفه.

ثم قال: وشاهد ثانٍ من حديث أبي هريرة مرفوعاً أخرج ابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد» (١٠/١٩٢) بإسناد ضعيف جداً فيه جماعة لم أعرفهم، وأبو عبد الرحمن السلمي الصوفي متهم بالوضع. اهـ

٣- عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أخرج أبو نعیم في «الحلیة» (٦٦-٦٧)، وأبو القاسم الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» رقم (١٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٢١)، ولفظه عند أبي نعیم: «لا تفكروا في الله، وتفكروا في خلق الله، فإن ربنا خلق ملكاً قدماء في الأرض السابعة السفلى».

وفي سنده شهر بن حوشب الأشعري ضعيف يصلح في الشواهد، قال الشيخ الألباني رحمه الله بعد إيراده في «الصحيحة» المصدر السابق: وهذا إسناد حسن في الشواهد. اهـ قلت: ومع ضعف شهر فإنه لم يلق عبد الله بن سلام رضي الله عنه، قاله أبو حاتم كما «جامع التحصيل»، فهو منقطع.

٤- عن أبي ذر رضي الله عنه أخرج أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٤)، ولفظه: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا»، وفي سنده سيف بن محمد ابن أخت سفيان الثوري كذبوه كما في «التقريب»، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٦/١٣٠) وعزاه لأبي الشيخ فقط، ورمز له في الأخير بالضعف.

٥- مرسل يونس بن ميسرة أخرج أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٢٠)، ومع إرساله في سنده معاوية بن يحيى الصدفي ضعيف جداً كما في ترجمته من «التهذيب».

=

وقال رجل: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً، لا أسأل عنه أحداً غيرك، فقال له:

«قل آمنت بالله ثم استقم»^(١) فطوبى لمن آمن بالله واستقام.

يتوهم الذين لا يعرفون من الأشياء إلا ظواهرها، ولا يدركون من الوجود إلا المحسوس، أنه لا رب ولا موجود ولا مبدع لما في الكون من المعنويات والطقوس^(٢)، ويظن الذين لم يعرفوا الدين أو خرجوا عن تعاليمه أنه لا خالق لراء ولا مرئي، ولا سامع ولا مسموع، ولا لامس ولا ملموس، وقد أنكروا قدم الله^(٣) وبقائه، وأنه تعالى الخالق

=

فالخلاصة في هذا الحديث: عندي أنه يصلح للاحتجاج به، لا سيما بمجموع طرقه التي لم يشتد ضعفها وقد حسنه المحدث الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (١٧٨٨)، وسبقه قبل ذلك السخاوي في «المقاصد الحسنة» ص (٢٥٩)، والعجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٣٧١)، والزرقاني في «مختصر المقاصد» (٨٧)، وصرح الأخير بأنه حسن لغيره، والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم رقم (٣٨) عن أبي سفيان، أو أبي عمرة سفيان بن عبدالله رضي الله عنه.

(٢) الطقس: هو النظام والترتيب، «المعجم الوسيط» (٥٨٧).

(٣) القديم عند أهل الكلام عبارة عما لم يزل أو عما يسبقه وجود غيره، وأهل الاصطلاح تجوز مخاطبتهم باصطلاحاتهم، وعلى هذا فيصح الإخبار عن الله تعالى بأنه قديم؛ لأن باب الإخبار والصفات أوسع من باب الإنشاء والأسماء، وكلام المؤلف رحمه الله من هذا الباب.

والإخبار: أن يخبر عن الله تعالى بالفاظ وإن لم تكن واردة إن دلت على معنى صحيح ولا يتعبد باللفظ، وأما الأسماء الحسنی فهي كمال مطلق يتعبد بألفاظها ومعانيها، فباب الإخبار أوسع من باب الأسماء.

وأما أن من أسماء الله عز وجل القديم فليس كذلك لأمرين:

١ - أنه لا دليل عليه، وأسماء الله توقيفية لا مجال للعقل فيها.

=

البارئ المصور الملك القدوس، وقال قائلهم: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾، وآمن بعضهم بتناسخ الأرواح^(١) وما يقع من الائتلاف والاختلاف بين الأجسام والنفوس، وصاروا إباحية شهوانيين وفلاسفة سُفْسَطَائِيَّين^(٢)، يعيشون كما يشاءون.

=

٢- أن لفظ القديم يحمل معنيين:

الأول: المسبوق ببعض المخلوقات، وهذا ليس كمالاً. الثاني: الذي لم يسبق بعدم، وهذا كمال مطلق. ومعلوم أن أسماء الله حسنى لا تحتل النقص بوجه من الوجوه، فعلم من هذا أن القديم ليس من أسماء الله، وقد أدخله كثير من أهل الكلام في أسماء الله، وأنكر عليهم ذلك كثير من السلف والخلف. انظر «الفتاوى» (١/ ٢٤٥) و(٩/ ٣٠٠-٣٠١)، و«بدائع الفوائد» (١/ ١٦١-١٦٢)، و«التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية» (٥١)، و«معجم المناهي اللفظية» (٤٣٧)، و«التوضيحات على الرسالة التدمرية» ص(٥٢-٥٣).

(١) التناسخ: أحد العقائد الفاسدة التي يقصد بها انتقال الروح من بدن قد مات صاحبه إلى بدن آخر لمخلوق حي إنساناً كان أم حيوان، وذلك لمنح الروح الفرصة بعد الفرصة لكي تتطهر من أدرانها على أساس أن الحياة قصيرة، ولا بد من إعطاء الروح وقتاً كافياً لكي تتحرر من أخطائها، وللمزيد عن ذلك راجع «موسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة» (٢/ ١٠٣٢-١٠٣٣)، و«الفصل في الملل والنحل» (١/ ٣٧).

(٢) السوفسطائية: أصل هذا اللفظ في اليونانية (سوفسيا) وهو مشتق من لفظ (سوفوس)، ومعناه: الحكيم الحاذق، وقيل: إن السفسطة قياس ظاهره الحق وباطنه الباطل، ويقصد به خداع الآخرين أو خداع النفس، و«السوفسطائي» هو المنسوب إلى السفسطة، وتطلق هذه الكلمة على كل فلسفة ضعيفة الأساس متهافئة المبادئ.

=

وأعجبهم ما يقرءون أو يسمعون من الكفريات في الكتب والدروس، تذكرهم بالله فلا يذكرون، وتخوفهم بالموت وما بعده فيهزءون بك ويسخرون ويحتقرون قول الله في جانب قول أرسططاليس^(١) وفيثاغور^(٢)، وأفلاطون^(٣)، وصاحب القرآن في نظر القوم بليد

=

وينقسم السوفسطائيون إلى ثلاث فرق:

اللاأدرية: وهم القائلون بالتوقف في وجود كل شيء وعلمه.

وثانيها: العنادية، وهم الذين يعنادون ويدعون أنهم جازمون بأنه لا موجود أصلاً.

وثالثها: العندية، وهم القائلون إن حقائق الأشياء تابعة للاعتقادات دون العكس. انظر «كشف اصطلاحات الفنون» للتهانوي، و«نقض التأسيس» (١/ ٣٢٤)، و«التعريفات» للجرجاني (١٠١)، و«معجم ألفاظ العقيدة» (٢١٧-٢١٨)، و«التحفة المهدية» (٥٨-٥٩) وحاشية «الفصل في الملل والنحل» (٢/ ٢٧٩)، و«الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة» (٢/ ١٠٨٠-١٠٨١)، و«الرسالة الوازنة» (٢٢٧).

(١) هو أرسطاطاليس بن نيقوماخس الطبيب المشهور يعرف بالمعلم الأول؛ لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية، ولد في «شتاجيرا» وهي مستعمرة يونانية، أخذ الفلسفة عن أفلاطون اليوناني، وكان أفلاطون يحبه كثيرًا، وكان يقول إذا طلب أحد منه الكلام: اصبر حتى يحضر العقل، فإذا حضر أرسطاطاليس قال: تكلموا، وله تأليف منها: علم الفصاحة، وعلم المنطق والشعر والأدب، وقال بعضهم: إنه مات بشدة غيظه إذ لم يعرف سبب المد والجزر في بحر أوريث، وقيل: إنه مات متحرًا، فقد ألقى نفسه في البحر. اهد بواسطة حاشية «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٢/ ٢٣٧).

(٢) فيثاغور: فيلسوف رياضي شهير، عرف حوالي منتصف القرن السادس قبل الميلاد، وقال: إن العالم أشبه بعالم الأعداد ما منه بعالم الماء أو النار أو التراب.

وقال: إن الموجودات أعداد، وأن العالم عدد ونغم، وقال: بالتناسخ، انظر عنه «الملل والنحل» (٢/ ٧٨-

٧٩)، «تاريخ الحكماء» (٢٥٨-٢٥٩)، «طبقات الأطباء» (١/ ٦٠-٦٨)، «تاريخ ابن العربي» =

وجامد ومنحوس، وكذلك تذهب الأديان^(٢) في آخر الزمان ويقبض العلم والإيمان ويظهر الجهل^(٣) والخرافات والأوهام، وتمسك آباؤنا بالدين وأدركوا ما جاء به من الخير العظيم وعرفوا سره المكنون، فأخذوه غصًا طريًا وصافيًا نقيًا عن صاحبه سيدنا محمد

=

(٥٠)، «تاريخ الفلسفة اليونانية» لكرم (٢٠-٢٦). اهـ بتصرف من حاشية «درء تعارض العقل والنقل» (١٦٢/٢) ت/د/ محمد بن رشاد بن سالم.

(١) هو أفلاطون بن أرسطن بن أرسطو قليس، ولد في أثينا سنة (٤٢٧) ق.م، وهو من أشهر الفلاسفة الأقدمين من اليونان، عرف سقراط فمال إلى الفلسفة ووقف حياته عليهما فاتخذ سقراط تلميذه الأول، فلبث مع أستاذه ثمان سنوات، ولما قتل سقراط قام مقامه وجلس على كرسيه يعلم الناس ويعظهم، وله مؤلفات كثيرة.

انظر «الملل والنحل» للشهرستاني (٤٠٥)، و«حاشية درء تعارض العقل والنقل» (١٦٢/٢).

(٢) الصواب أن يقول المؤلف: وكذلك يذهب الدين؛ لأن ديننا الإسلامي الحنيف الذي جاء به نبينا محمد ق قد نسخ جميع الأديان، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ويشير المؤلف رحمه الله بعباراته هذه إلى عدة أحاديث في الباب، منها حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعاً: «يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، وليسرى على كتاب الله عز وجل فلا يبقى في الأرض منه آية» الحديث رواه ابن ماجه (٤٠٤٩) وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في «الصحيحة» رقم (٨٧)، وشيخنا الإمام مقبل الوادعي رحمه الله تعالى في «الصحيح المسند» (٢٤١/١)، وغير ذلك من الأحاديث.

(٣) يشير رحمه الله بهذه الفقرات إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أخرجه البخاري (٨٠) ومسلم (٢٦٧١)، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري (٨٥) ومسلم (١٥٧).

الأمين المأمون، سمعوه يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَنَضْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

فآمنوا بالله واستبان لهم سبيل النجاة، وجعلوا كل يوم يتقدمون ومن العلوم يزدادون، فصحيحها يقبلون، وباطلها يردون وينقدون، وفي كل شيء رأوا آية تدل على وجود الذي إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون، وحاول أعدائهم اليهود والنصارى والمشركون، والفلاسفة الأغريقيون والفرس والهنود الباحثون، أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون.

ودرس المسلمون أقوال غيرهم وصاروا أساتذة يباحثون ويناقشون بل ويعلمون ويدرسون، حتى ظهر فضلهم واعترفت لهم الدنيا بأنهم في كل شيء مبرزون، وخلف من بعدهم خلف كسالى مقصرون ومنكرون لا يعرفون لهم سلفاً، ولا يرون لأنفسهم شرفاً، ولا يفقهون قول الله جل ذكره: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

أَيُّــنَ ابْنِ رَشْدٍ (١) وابن سينا (١)،

(١) ابن رشد: هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي أبو الوليد الفيلسوف المتوفى سنة (٥٩٥ هـ) عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية وزاد عليه زيادات كثيرة، وصنف نحو (٥٠) كتاباً، =

=

فمن كتبه: «الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة» في العقيدة، انتقد فيه مدارس علم الكلام. ومنها: «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» في الفقه المقارن، وغير ذلك، ويلقب بابن رشد الحفيد تمييزاً له عن جده أبي الوليد محمد بن أحمد المتوفى سنة (٥٢٠هـ).

راجع ترجمة ابن رشد الحفيد في «سير أعلام النبلاء» (٣٠٧/٢١)، و«الأعلام» للزركلي (٣١٨/٥)، و«شذرات الذهب» (٣٢٠/٤).

(١) ابن سينا: هو الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا أبو علي البلخي ثم البخاري، ولد في إحدى قرى بخارى سنة (٣٧٠هـ) ترجمه الذهبي في «السير» (٥٣١/١٧) فما بعدها وقال: الفيلسوف صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق... وهو رأس الفلسفة لم يأت بعد الفارابي مثله، فالحمد لله على الإسلام والسنة.

وقال رحمه الله: ما أعلمه روى شيئاً من العلم، ولو روى لا حلت الرواية عنه؛ لأنه فلسفي النحلة ضال وكان باطنياً. اهـ

وقال ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» (٢٣٧/٣): قال ابن الأهدل اليافعي: طالعت كتابه الشفاء، وما أجدره بقلب الفاء قافاً، لاشتغاله على فلسفة لا ينشرح لها قلب متدين، والله أعلم بخاتمته وصحة توبته، وقد كفره الغزالي في كتابه «المنقذ من الضلال».

وقال ابن الصلاح: لم يكن من علماء الإسلام بل كان شيطاناً من شياطين الإنس. اهـ
توفي في رمضان سنة (٤٢٨هـ)، وقد رد عليه شيخ الإسلام في كتابه العظيم «درء تعارض العقل والنقل»، وبين ما عنده من زيف وانحراف، فراجع إن شئت، وانظر للمزيد في ترجمته «الأعلام» (٢٤١/٢)، و«وفيات الأعيان» (١٥٢/١)، و«لسان الميزان» (٢٩١/٢)، و«البداية والنهاية» (٤٣/١٢).

وابن الهيثم^(١) والغزالي^(٢)،

- (١) ابن الهيثم: هو محمد بن الحسن بن الهيثم أبوعلي مهندس من أهل البصرة، يلقب بـ«بطليموس الثاني» له تصانيف في الهندسة، اتصل بالحاكم العبيدي، وتوفي بالقاهرة، وكتبه تزييد على السبعين، انظر «الأعلام» للزركلي (٦/٨٣-٨٤)، وحاشية «درء تعارض العقل والنقل» (٢/٢٨١) و(٦/٢١٢).
- (٢) الغزالي: هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي، ولد بطوس سنة (٤٥٠هـ). وتوفي رحمه الله بطوس يوم الإثنين (١٤) جماد الآخرة سنة (٥٠٥)، وقد ترجمه الذهبي رحمه الله في «السير» (١٩/٣٢٢-٣٤٦) فيراجع، وترجمه غير واحد.
- قال أبوبكر بن العربي: شيخنا أبوحامد دخل في بطون الفلاسفة، ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر. وحكي عن أبي حامد نفسه أنه كان يقول: أنا مزجي البضاعة في الحديث. اهـ من «درء تعارض العقل والنقل» (١/٥) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.
- وقال رحمه الله كما في «الفتاوى» (٦/٥٤-٥٥): والغزالي في كلامه مادة: فلسفية كبيرة بسبب كلام ابن سينا في «الشفاء» وغيره، و«رسائل إخوان الصفا» وكلام أبي حيان التوحيدي.
- وأما المادة: المعتزلية في كلامه فقليلة أو معدومة، كما أن مادة: الفلسفية في كلام ابن عقيل قليلة أو معدومة.
- وكلامه في الإحياء غالبه جيد، لكن فيه مواد فاسدة: مادة: فلسفية، ومادة: كلامية، ومادة: من ترهات الصوفية، ومادة: من الأحاديث الموضوعة. اهـ وانظر «الفتاوى» (٤/٦٥-٦٦، ١٦٤).

والرازي^(١)، والفارابي^(٢)

(١) الرازي: هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الرازي من أئمة الأشاعرة الذين مزجوا المذهب الأشعري بالفلسفة والاعتزال.

ترجمه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢١/٥٠٠-٥٠١) وقال: كان يتوقد ذكاءً، وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر، مات بهرة يوم عيد الفطر سنة (٦٠٦هـ) وله بضع و(٦٠) سنة، وقد اعترف في آخر عمره حيث يقول: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيته تشفي عليلًا ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: من الآية ١٠]، وأقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: من الآية ١١]، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي. اهـ

وللمزيد للنظر في ترجمته راجع «وفيات الأعيان» (٤/٢٤٨-٢٥٢)، «شذرات الذهب» (٥/٢١)، «البداية والنهاية» (١٣/٥٥-٥٦)، «طبقات الشافعية» (٥/٣٣-٤٠)، «الأعلام» (٧/٢٠٣) وغيرها من المراجع.

(٢) هو شيخ الفلسفة أبونصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ التركي الفارابي المنطقي، قد حكم عليه بالزندقة والإلحاد، ترجمه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٥/٤١٦-٤١٨) فقال: أحد الأذكياء له تصانيف مشهورة من ابتغى الهدى منها ضلّ وحار، منها تخرج ابن سينا نسأل الله التوفيق

...

ويقال: إنه أول من اخترع القانون، وكان يتزهد زهد الفلاسفة، ولا يحتفل بملبس ولا منزل. اهـ بتصرف وللمزيد في ترجمته انظر «وفيات الأعيان» (٥/١٥٣-١٥٧)، و«البداية والنهاية» (١١/٢٢٤)، و«شذرات الذهب» (٢/٣٥٠-٣٥٤).

وأمثالهم، أين الذين كانوا يدفعون عن الإسلام بأقلامهم^(١) الفياضة وأذهانهم السيالة وتهز أعطاف الباحثين أقوالهم^(٢).

أين مؤلفاتهم^(٣) التي فاقت العد كثرة، وتجاوزت الحد ذيوغاً وشهرة. ودلت على طول باع وسعة اطلاع، وعندها وقف المعارضون وانقطع جداهم^(٤). لقد أخذ الناس تراثنا ونهبوا ميراثنا، وحاربونا بسلاحنا، وأقوال مؤلفينا وشراحننا، وجهلونا بكل شيء وهزأ بنا علماءهم وجهالهم، وظن شبابنا المتعلم أن الدين يحول بين

(١) من أين لهم الدفاع عن الإسلام وهم قد أدخلوا فيه ما ليس منه، وبعضهم قد بلغ رتبة الكفر بالله عز وجل، ثم رجع، فنسأل الله أن يعفو عنا وعنهم وعن المؤلف الذي بجلهم وأكثر من مدحه لهم.
(٢) لا والله بل تصل أفهام الباحثين أقوالهم، وتخرجهم عن فهم كتاب ربهم وسنة نبيهم ق، وقد رأيت كلام شيخ الإسلام الذهبي رحمه الله في كتب بعضهم من ابتغى الهدى منها ضل وحار، وهو كما قال رحمه الله.

(٣) قد أغنانا الله عز وجل بكتاب ربنا وسنة نبينا محمد ق عن مؤلفات وكتب الفلاسفة والمنطقيين، فهي لا تشفي عيلاً ولا تروي غليلاً كما قد اعترف بذلك كبارهم، وقد أحسن شيخ الإسلام رحمه الله حيث نقل عن أبي عمرو بن الصلاح أنه قال: وهذه الكتب يعني المخالفة للحق فلا يلتفت إليها.
«الفتاوى» (٦٦/٤).

(٤) بل وقف عندها أهل الحق والعرفان وبينوا زيفها وانحرافها وما فيها من الزيغ والضلال والانحراف، ومن بين ما عند هؤلاء في كتبهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وتلميذه ابن القيم رحمه الله، وغيرهما من علماء الإسلام.

العلم والعقل، ويمنع أهله من تحقيق ما جاء به النقل فزلت أقدامهم وطاشت^(١) أحلامهم وضللتهم خيالهم.

أفصبر على جهلنا أم يتعلم أولادنا ثم تسوء بالعلم أحوالهم، فيكفرون ويلحدون، وفي الأرض يفسدون، والله ينكرون، وللطبيعة يؤلهون^(٢)، ويقولون كما قال الأولون، ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾^(٣).

لقد خبثت عقائدهم، وقبحت أفعالهم، وغير حانث^(٤) في اليمين إذا حلفت برب العالمين أنهم داخلون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ [المطففين: ٢٩-٣٢].

فيا أيها الماديون وعباد الطبيعة خبروني كيف كان الوجود قبل الكم والكيف والمكان والزمان، والأعراض والأجرام، ألا إن في اختلاف ألسنتكم وألوانكم بلغاتكم

(١) الطيش: خفة العقل ... وطاش الرجل بعد رزائته قال شمر: طيش العقل ذهابه حتى يُجهل صاحبه ما يحاول، وطييش العلم خفته. اهـ من «لسان العرب» مادة: طيش.

(٢) معنى يؤلهون أي يجعلون الطبيعة آلهة من دون الله جل وعلا.

(٣) أي: بُعد بُعد ذلك، كما في «تفسير ابن كثير» عند تفسير آية (٣٦) من «سورة المؤمنون» ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾.

(٤) حانث بمعنى آثم، والحنث: الخلف في اليمين. اهـ من «لسان العرب» مادة: حنث.

وأصواتكم، ومختلف التراكيب في ذواتكم وصفاتكم، ما يدل على وجود الله وأنه المتصرف بطبائعكم وعاداتكم.

وغرس واحد في مكان واحد، يسقى بهاء واحد ويأتي ثمره مختلف الطعوم والألوان دليل أيها الطبيعيون يبطل نظرياتكم.

وهذه الأشياء تزول وتتغير، وكل متغير حادث وكل حادث لا بد له من صانع^(١)، ونتائجكم باطلة لفساد مقدماتكم، فدعوا العقل ليستريح من التفكير فيما ليس من شأنكم ولا هو من معلوماتكم، وقولوا آمنا بالله وما أوتي النبيون من ربهم ولا تسيروا وراء شهواتكم واشكروا الله على ما آتاكم ولا تكونوا من الذين يقول فيهم: ﴿أَمْ نَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ [الفرقان: ٤٤].

(١) هذه القاعدة صحيحة، ومعنى متغير: أي مخلوق، ومعنى حادث: أي ما يجد ويحدث، وضد القديم. انظر «المعجم الوسيط» (١٨١).

وقيل: الحادث ما يكون مسبوقاً بالعدم ويسمى حدوثاً زمانياً. وقوله: (لا بد له من صانع) سبق التنبيه على كلمة (صانع) وأنها ليست من أسماء الله جل وعلا، ولكن يجوز أن يخبر عن الله بأنه صانع، وكلام المؤلف رحمه الله هنا هو من باب الإخبار.

الخطبة الرابعة

في الدين الصحيح

الحمد لله الذي شرع لعباده من الدين، وسن لهم من الأنظمة والقوانين^(١) ما يعيشون به آمنين مطمئنين، ويحيون به سعداء مشمولين بعدل الحاكمين واستقامة المحكومين لا ظالمين ولا مظلومين، فلا باء بر البنين، وعليهم الرفق واللين، وحسن الرعاية في كل حين. وكذلك الأمر بين جميع الرؤساء والمرؤوسين ﴿فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

نحمده تعالى على نعمة الإسلام، ونشكره عز وجل أن جعلنا من أمة خير الأنام، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فرض الصلاة والزكاة والحج والصيام ونُصرة المظلوم^(٢).

(١) تسمية أوامر الله عز وجل ونواهيه لعباده أنظمة أو قوانين لفظ محدث لا ينبغي استعماله، وقد تكررت هذه الألفاظ من المؤلف رحمه الله، وهذا خطأ محض يجب البعد عنه، وبعض هذه الكلمات من اصطلاحات البشر، وأما كلمة قانون فهي يونانية الأصل، وقيل: فارسية دخلت إلى العربية عن طريق السريانية، وانظر بحثاً ماتعاً مفيداً في الكلام على هذه الألفاظ في «معجم المناهي اللفظية» للشيخ بكر أبو زيد حفظه الله (٤٢١-٤٢٢، ٥٤٠)، وبما أن هذه الكلمة قد تكررت كما سيأتي فيكون التنبيه عليها في هذا الموضع، وما سيأتي فيكون إحالة عليه.

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ق: «انصر أخاك =

والأخذ على يد الظالم^(١)، والنصح لكل مسلم^(٢) واجتناب الآثام، وحذر من نقض العقود ومجاوزة الحدود ثم وعد وتوعد بالخلود إما في الجنة دار السلام أو في النار دار الانتقام.

ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله القائل ﷺ: «إن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام»^(٣).

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد المبعوث بالاعتصام وبخير شريعة وأقوم نظام^(٤)، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الكرام، وعلى التابعين لهم بإحسان ما تعاقبت الليالي والأيام.

=

ظالمًا أو مظلومًا»، فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلومًا رأييت إن كان ظالمًا كيف أنصره؟ قال: «تجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره»، رواه البخاري (٦٩٥٢).

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه مرفوعًا: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه» رواه أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨) و (٣٠٥٧)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح أبي داود» (٣/ ٣٥-٣٦)، وشيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (١/ ٥٧١-٥٧٢).

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي رقية تميم الداري أخرجه مسلم (٥٥)، وحديث جرير في البخاري (٥٧) ومسلم (٥٦).

(٣) رواه البخاري (٥٢ و ٢٠٥١) ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٤) تقدم التنبيه على أن إطلاق لفظ «نظام» على الكتاب والسنة لفظ محدث ينبغي لخطباء المسلمين =

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧].

عباد الله: ليس الدين أن تعبدوا الله وأنتم عن سر العبادة غافلون، وليس من الطاعة أن توحده بالستكم وأنتم بدينه متساهلون، ولأحكامه مهملون وعن الوعد والوعيد ذاهلون^(١).

وتحرمون وتُحلّون ما شاءت لكم المصالح والأهواء لا ما جاءت به الكتب^(٢) أو بينه المرسلون، وليس من الإيمان أن تظهروا بالخير فيما تقولون وتستتروا بالشر فيما تفعلون، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

=

ودعاتهم الابتعاد عنه.

(١) جمع ذاهل: والذهول ترك الشيء تناساه على عمد أو يشغلك عنه شاغل، انظر «لسان العرب» مادة: ذهل.

(٢) نحن مأمورون باتباع ما جاء به النبي ق من عند الله جل وعلا، ومأمورون بالعمل بالقرآن، قال الله عز وجل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وأما العمل بأحكام الكتب المتقدمة كالنوراة والإنجيل فلسنا مأمورين بالعمل بها فيها لأنها قد حُرِفَتْ وبدلت إلا ما وافق منها شرعنا قبل التحريف والتبديل، وعندنا من الشرع ما فيه كفاية لمن أراد الله له الهداية.

وفي الصلاة خاشعون، وعن اللغو معرضون وللزكاة فاعلون، ولفروجهم حافظون، ولعهدهم وأماناتهم راعون، وبشهاداتهم قائمون، أولئك هم الوارثون، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون.

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٥-١٠٦].

رب مصل لا تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر وصائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش^(١)، ورب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه^(٢)، ومتصدق لا يريد بصدقته إلا الخدع والمكر والغش، ورب شخصي تراه وعليه سيما الصلاح وآثار العبادة وتظنه ملكًا كريمًا وحقيقته شيطان رجيم أو حنش^(٣)، وأعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا

(١) هذا الكلام صحيح، ومبناه على حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ق: «رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر»، أخرجه أحمد (٣٧٣/٢) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (١/٦٢٥) وشيخنا مقبل الوداعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٢/٣٧٣-٣٧٤).

(٢) قال شيخنا العلامة يحيى بن علي الحنجوري حفظه الله في «اللمع على إصلاح المجتمع» ص(٦٢١): حديث «رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه» عن أنس موقوفًا، ذكره الغزالي في «الإحياء» (١/٣٥٨) ولم أقف له على أصل. اهـ

(٣) الحنش الحية، وقيل: الأفعى، وبها سمي الرجل حنشًا، كما في «لسان العرب» مادة: حنش.

وقب أو بطش أو نهش، وإنما الدين أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك^(١)،
ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك^(٢)، لا بطأ^(٣) ولا دهش^(٤)، والإيمان أن تُحب لأخيك ما
تحب لنفسك^(٥)، ولا تكره نعمة الله عليه ولو لبس الريش وافترش، وصدق اليقين وعلامة
التقوى أن يترك المؤمن ما حرم الله عليه^(٦)، وإن اشتاق إليه وانتعش^(٧).

-
- (١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخرجه مسلم رقم (٨).
(٢) هذا الكلام صحيح، ومبناه على حديث الحسن بن علي رضي الله عنه أخرجه الترمذي (٢٥١٨)
وغیره، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (٢/٣٢٤)، وشيخنا مقبل الوادعي
رحمه الله في «الصحيح المسند» (١/٢٥١)، والحديث جاء عن غير الحسن كما بينت ذلك في تحقيقي
للمجلد الرابع من «فتح الباري» يسر الله إتمامه، كتاب البيوع، تحت باب رقم (٣).
(٣) أي: تأخر كما في «لسان العرب» مادة: بطأ.
(٤) الدهش المقصود به في كلام المؤلف، وفي لغة بعض أهل اليمن العجلة، وفي «لسان العرب» لابن
منظور: الدهش: ذهاب العقل من الذهل والوَلَه، وقيل: من الفزع ونحوه، ودهش الرجل بالكسر
دهشًا تحير.
(٥) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ق: «لا يؤمن
أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» رواه البخاري (١٣) ومسلم (٤٥).
(٦) هذا كلام صحيح، ومبناه على حديث عطية بن عروة السعدي مرفوعًا: «لا يبلغ العبد أن يكون من
المؤمنين حتى يدع ما لا بأس به حذرًا لما به بأس»، رواه الترمذي (٢٤٥٣) وفي سننه عبدالله بن يزيد
الدمشقي وهو ضعيف.
(٧) هو العائر إذا نهض من عثرته، كما في «لسان العرب» مادة: نعش.

وأفصح من راقب الله في سره وعلا نيته، وأصلح ظاهره وباطنه وعلم قول الله جل ذكره:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٩] و[الإنسان: ٢٩]

المسلم الصادق في إسلامه وقافاً عند حدود الله لا يتبع نفسه هواها، قائم بفرائض الله يحب في الله ويبغض في الله وإذا ارتكب الذنب طهر نفسه بماء التوبة وزكاها، وإذا ذكر الله خالياً فاضت عيناه، وإن سمع داعي الله أجاب الدعوة ولباها، لا يسأل إلا ربه ولا يعتمد بعد الله إلا على نفسه، والمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف^(١) وفي كل خير وحيا الله روح القوة وبيّاه^(٢).

والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت^(٣)، لا ينسى نصيبه من الدنيا ولا يقصر في عمل الآخرة، يتحلى بكل فضيلة، وينفر عن كل رذيلة ويأبأها، له همة عالية وآداب سامية، وآمال وأعمال صالحة متوالية، يحبها الله منه ويرضاها.

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم رقم (٢٦٦٤).

(٢) قال ابن منظور في «لسان العرب» مادة: بى.

قال أبو مالك: بياك قريبك، وقال الأصمعي: بياك أي أضحكك، وقيل: عجل لك ما تحب، وقال الأحرر: بياك الله معناه بواك منزلاً، وقال ابن الأعرابي: بياك قصدك واعتمدك بالملك والتحية. اهـ

(٣) الكيس: هو العاقل كما في «لسان العرب» مادة: كيس، ودان نفسه: أي حاسبها، وقيل: أذها واستعبدتها، قاله الترمذي وغيره من العلماء.

وهذا الكلام من المؤلف رحمه الله صحيح، ومبناه على حديث شداد بن أوس رضي الله عنه أخرجه أحمد =

تمنعه ديانته عن الذنوب وتحجزه مروءته عن العيوب، وتثبت رجولته في الخطوب^(١)،
لا يطلب دنياه بآخريته، ولا يغرب^(٢) الموت وما بعده عن ذاكرته.

ومن خاف مقام ربه ونهى النفس عن هواها فإن الجنة مأواها، ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا
بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١].

القرآن يخبرنا: أن العزة لله ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾
[المنافقون: ٨].

والقرآن يقول لنا: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
[آل عمران: ١٣٩].

ويقول أيضًا: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ
وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

فخبروني بربكم أين ما وعدكم الله به من العزة يا مؤمنون، أتشكون في وعد الله والله لا
يخلف الميعاد، أم في أنفسكم تشكون؟ لو صدق إيمانكم لعظم شأنكم وارتفع بنيانكم

=

(٤/ ١٢٤) والترمذي (٢٤٥٩)، وفي سنده أبوبكر بن عبدالله بن أبي مريم الغساني وهو ضعيف كان
قد سرق بيته فاختلط.

(١) جمع خطب: والخطب الشأن أو الأمر صَغُرَ أو عَظُمَ. اهـ من «لسان العرب» مادة: خطب.

(٢) أي يذهب كما في «لسان العرب» مادة: غرب.

وخافكم البعداء من الأعداء وجيرانكم، ولكنكم نسيتم الله فأنساكم أنفسكم، وكذبتكم على الله في دعاويكم الباطلة.

والذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون، كراهية الموت وحب الحياة مذلة وهون^(١)، وطلب المجد بلا ثمن يُعَدُّ ضرباً من الجنون، ومن آمن بقضاء الله وقدره فيما كان وما يكون، لم يُعطِ الدنية^(٢) في دينه ولم يرض بالعيش إلا كريماً مستخفاً برب المنون^(٣).

ولذلك كان المسلمون الأولون، مهايين في صدور الذين لا يؤمنون، أحياءهم يسودون^(٤)، وفي المعالي يجدون، وأمواتهم عند ربهم يرزقون، ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٧٠].

(١) الهُون: الخزي، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ [فصلت: ١٧]، أي: ذي الخزي. اهـ من «لسان العرب» مادة: هون.

(٢) الدنية: النقيصة كما في «لسان العرب» مادة: دنأ.

(٣) المنون: الموت لأنه يُمْن كل شيء يضعفه وينقصه ويقطعه ويطلق المنون على الدهر، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]، أي حوادث الدهر، ومنه قول أبي ذؤيب: أَمِنَ الْمُنُونُ وَرَبِيهِ تَتَوَجَّعُ وَالدهر ليس بمعتب من يجزع

انظر «لسان العرب» مادة: منن.

(٤) أي: يقودون كما في «لسان العرب» مادة: سود.

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِ بِأَسَ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤].

لو اعتصم المسلمون بحبل الله جميعاً كما أمروا وأصلحوا ذات بينهم، لعادوا إلى ما كانوا عليه من العظمة أيام تمسكهم بتعاليم دينهم، ولو أنهم حفظوا الأموال ولم يصرفوها في الملذات والشهوات وطاعات أنفسهم وشياطينهم، لا ستعانوا بها على مكافحة الأعداء وحفظ البلاد وسد الثغور^(١) وشراء السلاح، وتقوية الجند، وتوسيع ميادينهم. ولو أنهم احتكموا في خصوماتهم إلى كتاب الله وسنة رسوله، وما استنبط العلماء للمسلمين في مهمات الحوادث من قوانينهم^(٢) لما اختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم.

ولما قتل السلاطين أتباعهم، وخرج الاتباع عن طاعة سلاطينهم ولو أنهم نشروا العلم والإصلاح في أوطانهم لشادوا^(٣) بها الممالك وظهروا على أقرانهم، وبان لهم ما وعدهم الله به في الأرض من تمكينهم، ولكنهم حسبوا الدين محض عبادات مجردة عن أسرارها وما

(١) جمع ثغر: والثغرة كل فرجة في جبل أو بطن واد أو طريق مسلوكة، والثغرة: الثلثة، والثغر: الموضع الذي يكون حدًّا فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفار، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد. اهـ من «لسان العرب» مادة: ثغر.

(٢) إطلاق كلمة قوانين على شرع الله عز وجل لفظ محدث يجب البعد عنه، وقد سبق التنبيه على ذلك في أوائل هذه الخطبة.

(٣) أي: أخذوا كما في «لسان العرب» مادة: شدا.

تدعو إليه من إسعادهم وتأمينهم من غير الدهور وأحداث العصور، فتركوا اللب وأخذوا بالقشور^(١) في كل أحيائهم.

(١) لب كل شيء خالصه وخياره، كما في «لسان العرب» مادة: لب.

والقشور: جمع قشر وهي سَحَقُك الشيء عن ذيه، والقِشْر: غشاء الشيء خلقة أو عَرَضًا، انظر «القاموس المحيط» و«لسان العرب» مادة: قشر.

والمؤلف رحمه الله تعالى في كلامه إجمال، فإن قصد بذلك تقسيم الدين أصوله إلى لباب، وفروعه إلى قشور فهو كلام باطل لا وجه له من الصحة، وأكثر ما ينددن به اليوم الإخوان المسلمون، ومن كان على شاكلتهم من أهل البدع.

والقائلون بتقسيم الدين إلى لباب وقشور أرادوا بذلك تزهيد الناس في التمسك بهدي رسول الله ق ذلك الهدي القويم والصراط المستقيم، سموه قشورًا وتطرفًا، والله عز وجل يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فتقسيم الدين إلى قشر ولب تقسيم محدث دخيل على الفهم الصحيح للكتاب والسنة، ولم يعرفه سلفنا الصالح الكرام رضوان الله عليهم، وهذه المقالة حادثة مبتدعة وهي من لحن قول العلمانيين ومن تبعهم من المنافقين الذين يتخذونها قطرنه، يهربون عليها من الالتزام بشرائع الإسلام.

ولا أعني المؤلف بذلك، فقلوله على الفرض إن كان هو صادر عن حسن نية، ولكن هذه المقالة الخبيثة يتبعها المناداة بإهمال كثير من السنن الواردة عن النبي ق، وبل وكثير من الواجبات إعفاء اللحية عند هؤلاء وقصر الثياب والسواك كل ذلك من القشور وإيم الله لقد ضلوا وما كانوا مهتدين.

وتقسيم الدين إلى قشور ولباب تؤثر في قلوب العوام أسوأ تأثير وتورثهم الاستخفاف بشعائر الدين، والله يقول: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، بل يصير عندهم تهاون في جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والله المستعان.

فالحاصل: أن الدين لب كله ليس فيه قشور، إنما القشور ما أحدثه الناس من القيم والأعراف والموازين =

ومعاذ الله أن يكون الدين بحمل السبح^(١) وطرح السلاح ولبس الثياب ونبد الكتاب وذل النفوس وخفض الرؤوس وترك العمل وكذب الأمل.

=

الشكلية الكاذبة التي صارت تتحكم فيهم وتستبعدهم، وصاروا ينقادون لها فننصح جميع المسلمين بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ق، على فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها، كما قال الإمام مالك رحمه الله، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

راجع لبعض ما تقدم: «تنبيه ذوي الألباب في تقسيم الدين إلى قشور ولباب» لمحمد بن أحمد إسماعيل المقدم، و«معجم المناهي اللفظية» (٤٤٢-٤٤٣ و ١٠١)، وانظر «فتاوى سلطان العلماء» (٢٤-٢٥) ت/ مصطفى عاشور، و«العلم الشامخ» (٥٢٩).

(١) السبحة: هي الخرزات المنظومة لعد الأذكار ومن أساءها مُسبحة ومِسبحة وآلة وغيرها. وقد قرر علماء اللسان العربي أن العرب لا تعرف السبحة في لغتها ولا في تعبداتها الجاهلية، وإنما هي دخيلة على العرب، وهي من وسائل التعبد لدى البوذيين، ثم لدى البراهمة في الهند، ومنهم تسربت إلى النصارى لدى القيسيين والرهبان والراهبات، ومن الهند انتقلت إلى غرب آسيا. وانتشرت السبحة إلى بلاد العرب عن طريق الرافضة والصوفية وأصبحت شعارًا للطرقية والروافض، ومع ذلك لم تكن معروفة في زمن النبي ق ولا في زمن صحابته الكرام رضوان الله عليهم. وأما حكمها: فهي بدعة محدثة مخالفة لهدي خير الأنام ق وتشبه بالكفار.

وقد قال عبد الله بن عمرو: رأيت رسول الله ق يعقد التسبيح بيمينه، رواه أبو داود وإسناده صحيح. وقال ق لبعض النسوة: «عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس، ولا تغفلن، واعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات ومستنطقات»، حديث حسن.

ولو لم يكن في السبحة إلا سيئة واحدة وهي أنها قضت على سنة العد بالأصابع. فالخلاصة: أن هدي النبي ق الذي دل أمته عليه عقد التسبيح بالأنامل أنامل اليدين أو اليد اليمنى، وأن =

وركون المسلمين إلى من يرى له الفضل عليهم في إيجادهم، وتكوينهم أفيقوا عباد الله من هذا الرقاد.

واتقوا الله في دينه أيها العباد ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

المسلم يعبد ربه بظاهره وباطنه وقلبه وقالبه ونفسه ونفيسه، يجاهد في سبيل الله بسيفه وقلمه ولسانه لإعلاء كلمة الدين وتقديسه، وينفق في الخير ماله ابتغاء وجه ربه الأعلى غير بخيل بتسويله وتحبيسه.

إن يعمل يعمل لله أو يتكلم يتكلم بالحق وإن أضر بنفسه وقريبه وجليسه، فعال منفاق، قوال مصداق، سباق لحاق، يسرك مخبره^(١) عند ابتسامه أو تعبيسه^(٢)، طلعتة قمرية،

=

التسبيح بالأنامل في كل وقت وحال وبلا عناء، وهو أبعد عن الشهرة والرياء والغلو. وليس هناك حديث واحد يفيد الإقرار على عد التسبيح بغير الأنامل سواء كان بالسبح أو بالخصى أو غيرهما، وبناءً على هذا فلا يجوز تصنيع السبحة ولا بيعها ولا وقفها ولا إهداؤها ولا قبولها. راجع لما تقدم رسالة الشيخ الفضال بكر أبو زيد «السبحة تاريخها وحكمها»، و«السلسلة الضعيفة» (١) تحت حديث رقم ٨٣، و(٣) تحت حديث رقم ١٠٠٢.

(١) المخبر خلاف المنظر، كما في «لسان العرب» مادة: خبر.

(٢) العبس: هو قطب ما بين العينين، وقيل: عبس كلع، كما في «لسان العرب» مادة: عبس.

وهمة عبقرية^(١)، وسماحته ملكوتية، وغيرته جبروتية، لا يستكين ولا يلين، إلا لأوامر الدين، حازم لا يخدعه الشيطان بتليسه أو تدليسه، حرّ الضمير واسع التفكير.

إن ملك عدل، وإن أدان أمهل، أو استدان عجل، إذا سئل مد، وإذا أخذ رد، وإذا عزم جد، وإذا أوتنم أدّى، وإذا علّم راقب الله في كتابته وخطابته وتدريسه، ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

كان المسلمون في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، كلمتهم واحدة، ومهمتهم واحدة وجهادهم لله وقتالهم في سبيل الله، لا كبر ولا فخر ولا أشر ولا بطر، من غنى هنوؤه، ومن افتقر ساعده، ومن حضر عدوه، ومن غاب افتقدوه، ومن مات شيعوه، ومن مرض عادوه، ومن توفّق حموده، ومن زل أرشدوه وردوه.

وكذلك بالدين الصحيح تكون سعادة البشر، وحين تفرقوا شيعا ومللا، واختلفوا مذاهب ونحلا، وتباينوا غاية وسبلا، وملأوا المجالس والمدارس جدلا، وضاعت بهم الأرض جرحى وقتلى، ذهب سلطانهم، وضعف كيانه، وصغر شأنهم، وتداعت عليهم الأمم، ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَٰعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٣٣].

(١) أي: همة عالية، والعبقري له معانٍ كثيرة، منها: أن أصل العبقرى صفة لكل ما بولغ في وصفه كما في «لسان العرب» مادة: عبقر.

فيا علماء الدين ويا زعماء المسلمين أليست لكم أسوة برسول الله وصاحبيه أبي بكر وعمر، ويا معشر العوام من أهل الإسلام، تعلموا الدين الصحيح ولا تكونوا كالأنعام، يقودكم الشيطان إلى الآثام ويسلبكم الأعداء ما آتاكم الله من العز والتمكين والظفر^(١).

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنَّ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿[الإسراء: ٥٣-٥٤].

(١) الظفر: بفتح الظاء الفوز بالمطلوب، والفلج على من خاصمت، كما في «لسان العرب» مادة: ظفر.

الخطبة الخامسة

من وصايا القرآن

الحمد لله الذي أدبنا بالقرآن الكريم، وهذب أخلاقنا بسنة صاحب الخلق العظيم ودعانا إلى مكارم الأخلاق بالموعظة الحسنة والأسلوب الحكيم فقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ* وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

نحمدك اللهم فضلتنا على سائر الأمم، وجعلتنا عليهم شهودًا، ونسألك العفو والعافية وأن تلهمنا رشدنا والداً ومولوداً.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له افترض أشياء وحرم أشياء وحد لنا حدوداً، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المخاطب بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد الذي تمت خلقه وخلقه وقويت إلى الخير طريقه، وفتحت به آذاناً صماء وأعيناً عمياء، وقلوباً مغلقة^(١)، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أخرجه البخاري =

أيها المسلمون، ما فضلتم على سائر الأمم ولا فضل دينكم على سائر الأديان، إلا بمعجزة الدهور، وآية العصور كتاب الله القرآن، فإن جعلتموه بين أيديكم كان لكم قائداً في الدنيا إلى السعادة والحرية، وفي الآخرة إلى مغفرة من الله ورضوان. وإن جعلتموه وراء ظهوركم كان لكم سائقاً في الدنيا إلى الذل والشقاء، وفي الآخرة إلى مهاوي الردى والنيران، كيف لا وإنه لكتاب الهدى وسفر^(١) السعادة وقانون الفضيلة^(٢) ودستور العدالة^(٣) في كل زمان ومكان.

=

(٢١١٥ و ٤٨٣٨).

(١) السُّفْر بالكسر: الكتاب، وقيل: هو الكتاب الكبير، والجمع أسفار، كما في «لسان العرب» مادة: سفر.

(٢) إطلاق كلمة قانون على القرآن لفظ محدث، وقد تكرر من المؤلف رحمه الله، فينبغي اجتنابه، وقد تقدم التعليق على ذلك تحت الخطبة الرابعة.

(٣) إطلاق لفظة «دستور» على القرآن لفظ دخيل ومحدث، وقد تكرر من المؤلف رحمه الله تعالى، وكان الأولى له أن يجتنبه.

قال أبو علي الأعلى المودودي رحمه الله في كتابه «تدوين الدستور الإسلامي»: القرآن ما نزلت فيه سورة سميت بالدستور ولا نزلت فيه آية بمصطلحات القرن العشرين. اهدنقله عنه الشيخ بكر أبو زيد في «معجم المناهي اللفظية» (٢٥٩)، ثم إن معنى كلمة دستور في الاصطلاح المعاصر: مجموعة القواعد الأساسية التي تبين شكل الدولة ونظام الحكم فيها ومدى سلطتها إزاء الأفراد، كما في «المعجم الوسيط» (٣٠٦).

قال أبو عبد الرحمن: والقرآن ليس مجموعة قواعد بل هو كلام الله جل وعلا منه بدأ وإليه يعود.

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

يا مسلماً لو تدبرت سورة من كتاب الله وعملت بما فيها لصيرتك سعيداً في نفسك وأهلك ومالك، ولو وقفت تحت راية القرآن لسموت سماء المجد وتبوأ^(١) مكانة الشرف بذلك.

ولو أنكم يا أمة محمد ﷺ حافظتم على تراثكم الغالي^(٢) وعملتكم بقانونكم السماوي^(٣) لضاعت لكم المسالك، ولما رأتكم الأيام وقد اختلفتم على أنفسكم فأنتم هالك إثر هالك،

(١) أي: اتخذت، ومن معانيها: نزلت، كما في «لسان العرب» مادة: بوأ.

(٢) كلام المؤلف رحمه الله تعالى فيه شيء من الإجمال، فإن كان يقصد بذلك السنة وأنه يطلقها عليها تراث فهذا يجب اجتنابه فهو لفظ دخيل ومحدث.

قال الشيخ بكر أبو زيد: وإذا استعملت كلمة التراث أصبح المسلم يحس بأن القرآن والسنة كأى شيء آخر، وبذلك لم يعد لهما أهمية كبرى، والمسلم لذلك لا يعتز به الاعتزاز الكامل، وقد لا يخطر ببال المسلم القرآن والسنة، بل الكتب الصفراء وحينئذ يرى أن هذا التراث بال، وأن التمسك به رجعية، وما ينسحب على الكتب الصفراء وينسحب مع الزمن إلى القرآن الكريم والسنة النبوية.

ومن الممكن أن نستغني عن التراث أو بعضه ولكن ليس من الممكن أن نستغني عن الإسلام، ولا عن القرآن والسنة. اهـ من «معجم المناهي اللفظية» (٧٥) بتصرف يسير.

(٣) تقدم التنبيه على إطلاق لفظة قانون على القرآن والسنة، وأنه ينبغي اجتنابها.

يستعبدكم مالك بعد مالك، ويذيقكم العذاب فاتك بعد فاتك^(١)، ولكنكم نسيتم كتاب الله.

وشغلكم الترف عن الواجبات، وزين لكم الشهوات، ولا نكير على فاعل ولا تارك
﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾
[الإسراء: ١٦].

هذه الشعوب المتمدنة^(٢) والأمم المتحضرة كما يزعمون قد فسقوا عن أمر ربهم فألبسوا
شيعةً وأذيق بعضهم بأس بعض، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل
عمران: ١١٧].

﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا
لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْن بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾
[يونس: ٢٤].

(١) الفاتك: الجريء الصدر، قال أبو عبيد: الفتك أن يأتي الرجل صاحبه وهو غار غافل حتى يشد عليه فيقتله، وإن لم يكن أعطاه أمناً قبل ذلك، وقال الفراء: الرجل يفتك بالرجل يقتله مجاهرة. اهـ من «لسان العرب» مادة: فتك.

(٢) التمدن: هو العيش بعيشة أهل المدن والأخذ بأسباب الحضارة، والمدنية: الحضارة واتساع العمران، والمصر الجامع. انظر «المعجم الوسيط» (٨٩٦).

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧]، ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٥].

﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: ٥٨].

فيا معجبا بالعادات والتقاليد البشرية، ويا متبعاً للأوضاع والقوانين البشرية، تفكر قليلاً في الحوادث التي أدهشت العقول، واستهلكت الأموال، وزعزعت عروش الاستعمارية، فتنافس وتشاحن وتطاحن وحروب جوية وبرية وبحرية، ودم مسكوب، وقلوب تذوب وأشلاء تمزق، ومدن تهدم وتحرق، فلعنة الله على هذه المدنية وهذه الحرية.

لأي شيء كان هذا سوى الإعراض عن الأديان^(١) والرحمة الإنسانية والتعاليم القرآنية، ولزعمهم أنهم يقدرّون على سعادة البشر بأدلتهم وعلومهم العصرية، ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

(١) الصواب أن يقول المؤلف رحمه الله لأي شيء سوى الإعراض عن الدين؛ لأن الأديان السماوية الأولى من اليهودية والنصرانية وغيرها قد بدلت وحرفت ونسخت أحكامها وتعاليمها بديننا الحنيف، قال الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

القرآن ينهى عن الزنا واللواط والفواحش ما ظهر منها وما بطن وكشف العورات^(١)، وينهى كذلك عن الكذب والغيبة والنميمة وشهادة الزور وتبعية العثرات. ويحذر من تطيف الكيل والميزان، والغصب والسرقة، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم بغير حق، وتعاطي المسكرات، ويتوعد بالعقاب الشديد على نقض العهد، وفك العقود وخلف الوعود، وعقوق الوالد، وإساءته إلى المولود.

فطوبى لمن أدرك ما فيه من لطائف الإشارات، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩].

والقرآن يأمر بالبر والصلة وإيتاء ذي القربى حقه والمسكين وابن السبيل، وينهى عن السؤال، وإضاعة المال، وكثرة القيل والقال، ويدعو إلى الصدق والصواب، والحلم والإنابة والصبر الجميل، ويمدح الجود والجواد، ويذم البخل والبخيل.

وينهى عن الإسراف والتقتير^(٢) في المأكل والمشرب والملبس، وإليكم الدليل: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

(١) العورات: جمع عورة وهي كل ما يستحيا منه إذا ظهر، وقيل: كل مكمن للستر، كما في «لسان العرب» مادة: عور.

(٢) التقتير: هو التضييق على الأهل بالنفقة، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]. اهـ من «لسان العرب» مادة: قتر.

كتاب يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وحسن الجوار، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ومصاحبة الأشرار، يرغب في الفضيلة، وينهى عن الرذيلة، ويأمر ببر الوالدين ولو كانا من الكفار^(١)، ويجمع بين عبادة الله وحده، وبر الوالدين في آية واحدة فاعتبروا يا أولي الأبصار.

ويخاطبك أيها المسلم بهذه التعاليم التي لا تجدّها في غيره من الكتب السماوية ولا صحيح الآثار، ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

خبروني بربكم في أي كتاب من كتب فلاسفة اليونان^(٢) والرومان والفرس والهنود وغيرهم من المسلمين والكفار، تجدون أمثال هذه الوصايا العظيمة التي تقع بها سعادة الشعوب والأقطار قال الله: ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [المائدة: ١٢].

(١) لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

(٢) تقدم الكلام على الفلاسفة فراجع إن شئت تحت الكلام على الخطبة الثالثة.

لا والله لا تكون هذه التعاليم إلا من الله العالم بمصالح عباده العزيز الغفار، ﴿قُلْ لِّئِنْ
اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أهلين من
الناس قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال أهل القرآن هم أهل الله وخاصته». رواه النسائي
وابن ماجه وغيرهما^(١).

جعلني الله وإياكم من أهل القرآن، ووفقنا جميعًا لمتابعة الحق حيث كان، وأجارنا
بفضله وكرمه من متابعة الهوى والشيطان، ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا
مُّتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

ملاحظة

قال الأديب الفاضل القاضي الزيري: إن الذي يسمع الخطبتين الماضية والآتية يتوهم
أن خطيبنا البيحاني رجعي قديم، لا يحب مدنية اليوم مطلقًا ولا يرى فيما أتت به أي خير.

(١) (صحيح).

أخرجه النسائي في «فضائل القرآن» من «الكبرى» (٨٠٣١)، وابن ماجه (٢١٥)، وأحمد (١٢٧/٣) -
١٢٨) وغيرهم من طريق بُدِيل بن ميسرة عن أنس به، وقد صحح الحديث الشيخان الإمامان
الألباني رحمه الله في «صحيح ابن ماجه» (٩٠/١)، وشيخنا المجدد العلامة مقبل بن هادي الوادعي
رحمه الله في «الصحيح المسند» (٧٥/١).

والواقع أن الخطيب أمة وسط بين قوم جرفتهم حضارة العصر إلى البحر أو الهاوية، وآخرين تمسكوا من الدين بقشوره^(١)، وجهلوا شريف مقاصده وسموا غايته، ومن عرف البيحاني معرفتي به علم أنه طبيب آس^(٢) وخير بطائع الناس.

(١) من المعلوم أن الزيري رحمه الله تعالى كان من الإخوان المسلمين وقوله هذا: إن آخرين تمسكوا من الدين بقشوره فيه لمز لأهل الحق، وقد تقدم أن الدين بحمد الله ليس فيه قشور، بل هو لب كله، كما تقدم التنبيه على ذلك تحت الخطبة الرابعة، وتقسيم الدين إلى لباب وقشور، ومن شعارات الصوفية والإخوان المسلمين ومن جرى مجراهم.

وقد أفتى العز بن عبدالسلام رحمه الله تعالى أن من قال ذلك فإنه يستحق التعزير والتأديب، فما أحوج القائلين لهذه العبارة الأثيمة إلى هذا الأدب، فمتى كان عند الصحابة الكرام سادة الأمة وقادتها إعفاء اللحية ولبس الثياب إلى الساقين، واستعمال السواك ولبس العمامة والصلاة إلى السترة، وغير ذلك من القشور، نسأل الله أن يلهم المسلمين رشدهم، وأن يرددهم إلى الحق ردًا جميلًا.

(٢) الآس: هو المعالج كما في «لسان العرب» مادة: أسا.

الخطبة السادسة

في الانقياد للدين

الحمد لله وبه نستعين على أمور الدنيا والدين، ونسأله العمل بالكتاب المبين، وسنة سيد المرسلين، ونعوذ به من همزات الشياطين، ونزعات الملحددين والمتقولين على الله ما ليس به علم من المتشدين والمتفيهقين، وبه نحول ونصول ونقرأ على المخالفين، قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧].

نحمده تعالى على نعمة الإسلام وكفى بها من نعمة، ونشكره عز وجل على آلائه وهي كثيرة جمة.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له من عارضه في أمره سلب عنه النعمة، وأحل به السخط والنقمة.

ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى سبيل ربه بخير موعظة وأبلغ حكمة، ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات بنور هدايته من دياجير^(١) الظلمة.

(١) الدجر: هو الحيرة، وفي «التهذيب» شبه الحيرة، وهو أيضًا المَرَج، «لسان العرب» مادة: دجر.

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد العظيم قدره في كل أمة، وعلى آله وأصحابه الأئمة،
والتابعين لهم بإحسان في كل مهمة، ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ
فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

عباد الله:

شرع لكم الله من الدين ما فيه صلاح المعاش والمعاد، وبين على لسان محمد ﷺ سبيل
الحق والرشاد، وهداكم إلى ما فيه سعادة البلاد والعباد، فأوضح لكم الحلال والحرام،
والصلاح والفساد، وضرب لكم الأمثال بأهل الكفر والعناد، ومخالفة الشرائع والإلحاد،
من الذين يرون القوانين السماوية غير وافية بالمراد^(١)، ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ*
إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٣-١٤]، ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ
مَوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩].

الدين وضع إلهي جاءت به الكتب السماوية وأوضحته الأنبياء، وهو سائق لذوي
العقول السليمة إلى ما فيه سعادة الآخرة والدنيا، فحكمته بالغة، وحجته دامغة، وقوله
فصل، وقضاؤه عدل.

(١) إطلاقه لفظة «قوانين» على الكتاب والسنة لفظ محدث مبتدع تكرر من المؤلف كثيرًا، فكان الأولى
اجتنابه، وقد تقدم التنبيه على ذلك تحت الخطبة الرابعة فراجع إن شئت.

وأهله عند الله بمنزلة واحدة، السيد كالمسود والضعفاء كالأقوياء، قوانينه لا تتغير ولا تتبدل^(١)، ونصوصه لا تحرف ولا تُحوّل، وأحكامه لا تقلب ولا تعدل، لأنه صالح لكل زمان ومكان، وجامع لمتفرقات الأشياء، فلو عمل الناس بتعاليمه، ولو وقفوا عند مراسيمه^(٢)، لصاروا جميعاً أتقياء.

ولما حصل ظلم ولا عدوان ولا اعتداء من المجرمين على الأبرياء، ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].
يقول الله جل ذكره: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

وقال الذين لا خير فيهم من المتعلمين وجهلة المقلدين لأسيادهم الغربيين: سنعبد الله بآرائنا وسنأخذ من تعاليم غيرنا بأوفر نصيب، وما علموا هداهم الله ووفقنا وإياهم لكل خير أن العلم مهما كثر والعقل مهما كبر فصاحبه يُخطئ ويصيب، ولو كان هذا الدين بالرأي لجاز لكل إنسان أن يقول فيه ما يشاء ويفعل فيه ما يشاء، ولما احتاج ناقص لكامل.

(١) تقدم الكلام على إطلاق لفظة قوانين على الدين وأنها لفظ محدث دخيل كان ينبغي للمؤلف أن يجتنبه.

(٢) أي: حدوده.

ولما كان فضل لعالم على جاهل، فيالله من هذه الأعاجيب وفي «صحيح البخاري» عن النبي ﷺ قال: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»^(١). وإذا ضعف سلطان الحق تطاول السفية، وتناصر الفقيه، واتبع الناس أهواءهم وجهروا بالإلحاد والتكذيب.

والله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه، ولكن يقبض العلم بموت العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فأفتوهم بغير علم فضلوا وأضلوا^(٢) ولا ناقد ولا رقيب، ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠].

ساد الجهل وذهب العلم وعمرت بيوت الفسق والدعارة، وقل المصلون ورواد المساجد، وكثر المصلون ومن لا يؤم إلا بؤرة الفساد والخمارة، وأصبحت حلقات العلم خاوية من المتعلمين لا يؤمونها ولو على سبيل الزيارة.

وإذا قلت لأحدهم: قال الله أو قال رسوله كذا وكذا انتفخت أوادجه أو حملق فيك بعينه ووضع طربوشه^(٣) وأشعل السجارة، وقال قاتله الله متأففاً متعجرفاً: هذه النصوص

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٤٨٤) عن أبي مسعود الأنصاري البصري رضي الله عنه.

(٢) هذا الكلام مبناه على حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أخرجه البخاري رقم (١٠٠) و٧٣٠٧ ومسلم رقم (٢٦٧٣).

(٣) الطربوش: غطاء للرأس يصنع من صوف أو نحوه، وقد تلف عليه العمامة، «المعجم الوسيط» =

قد ذهب وزهد زمانها، وأتم لا تعرفون من الدين إلا قشوره، ونحن نعرف مراد الله في كتابه وندرك أسرارهِ.

فعلم قليل ولسان طويل وفخفة وتضليل وأنايه وأباطيل، وحسد وكبر وعجب ورياء ومفاخرة، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١]، ﴿وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

أيها الحاضرون: كم رجل فيكم الآن يحفظ القرآن؟ وكم شخص فيكم يحفظ مائة حديث من كلام سيد عدنان، الذي أوتي جوامع الكلم^(١) وأيده الله بقوة الحجة وحسن

=

(٥٧٩).

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري (٢٩٧٧) ومسلم (٥٢٣).

البيان، وأين عالمكم الذي ترجعون إليه في كل شأن وتسألونه عن مشكلات الأديان؟^(١)

وأين وعاظكم المرشدون وخطباؤكم المجيدون الذين يأخذون بمجامع القلوب وتطرق حكمتهم الآذان بلا استئذان، ألا رحم الله أسلافكم الذين كانوا إذا صمتوا فكالجبال، وإذا نطقوا أمثال البحار، علماً وأدباً وصراحة في الحق وإعراضاً عن الباطل لا لشيء سوى صحة اليقين وصادق الإيمان.

فإذا علموا علّموا، وإذا جهلوا تعلموا، والحكمة ضالتهم يأخذونها من كل إنسان، ويقول فيهم الطالب للمطلوب كما حكى الله عن عبده الخضر: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

الله الله أيها المسلمون في دينكم لا يفتننكم الشيطان عنه بأقوال المسرفين ولا تصرفنكم هذه المدينة الغربية عن تعاليمه والامثال لما فيه من القوانين^(٢)، فإنه من يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.

(١) الصواب أن يقول المؤلف رحمه الله: وتسألونه عن مشكلات الدين، وقد تقدم التنبيه على كلمة الأديان مراراً، وهي قد نسخت بديننا الإسلامي الحنيف الذي يجب الرجوع إليه والسؤال عنه والعمل به، والله الموفق.

(٢) تقدم التنبيه على لفظة قوانين تحت الخطبة الرابعة.

ولقد عرف الناس فضله واعترف بصلاحيته لبني الإنسان كلهم كثير من المستشرقين^(١)، وفلاسفة الهند والصين والمنصفون من الأوروبيين والأمريكيين، ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿البقرة: ١٣٠، ١٣١﴾.

فالطبع السليم يقبله، والعقل الصحيح يحتمله، والرأي السديد والفكر الثاقب يدرك أنه خير دين، لصحة عقائده وسمو مقاصده وقوة أصوله ومسانده، فهو تشريع عظيم ودستور متين^(٢)، ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: يا أيها الناس من علم فليقل، ومن لم يعلم فليقل: لا أدري، فما أنتم بخير من الذي يقول الله له: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ

(١) الاستشراق حركة انطلقت بباعث ديني يستهدف خدمة الاستعمار وتسهيل عمله ونشر المسيحية، وللمستشرقين أهداف وأفكار ومعتقدات خبيثة، ومنها:

١- التشكيك في صحة رسالة النبي ق. ٢- التشكيك في صحة القرآن والطعن فيه.

٣- العمل على تنصير المسلمين وغير ذلك من الأفكار الخبيثة، ومن رام المزيد لذلك فليرجع إلى كتاب «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة» (٢/ ٦٩٧-٧٠٥).

(٢) إطلاق لفظة «دستور» على الكتاب والسنة وأحكام الدين لفظ محدث دخيل كان ينبغي للمؤلف رحمه الله تعالى أن يبتعد عنه، وقد تقدم التنبيه على ذلك تحت الخطبة (٥).

الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿ص: ٨٦﴾^(١)، وسئل الإمام مالك عن أربعين مسألة، أجاب عن أربع وقال: لا أدري في ست وثلاثين^(٢).

وقال الشافعي: إذا وجدتم قولي يخالف الحديث فاضربوا بقولي عرض الحائط وخذوا بحديث سيد المرسلين^(٣)، وكذلك أبو حنيفة^(١) يقول: إذا صح الحديث فهو مذهبي^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠٩) ومسلم رقم (٢٧٩٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) الذي وقفت عليه في «سير أعلام النبلاء» للذهبي رحمه الله (٧٧/٨) من طريق الهيثم بن جميل قال: سمعت مالك سئل عن ثمان وأربعين مسألة، فأجاب في اثنتين وثلاثين منها بـ«لا أدري»، وأسند ابن عبد البر رحمه الله في «التمهيد» (٧٣/١) من طريق أبي زرعة عن الوليد بن عقبة عن الهيثم بن جميل به. والهيثم بن جميل هو البغدادي ثقة من أصحاب الحديث. وذكره الذهبي في «السير» المصدر السابق من طريق خالد بن خدّاش قال: قدمت على مالك بأربعين مسألة فما أجابني منها إلا في خمس مسائل، وخالد بن خدّاش هو البصري صدوق يخطئ من رجال مسلم.

(٣) الإمام الشافعي رحمه الله تعالى له أقوال كثيرة في الحث على متابعة سنة رسول الله ق، منها:

١- إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ق، فقولوا بسنة رسول الله ق ودعوا ما قلت، وفي رواية: فاتبعوها ولا تلتفوا إلى قول أحد.

قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: أخرجه الهروي في «ذم الكلام» (٣/٤٧/١)، والخطيب في «الاحتجاج بالشافعي» (٢/٨)، وابن عساكر (١٥/٩/١)، والنووي في «المجموع» (١/٦٣)، وابن القيم (٢/٣٦١)، والفلاني في «إيقاظ الهمم» ص (١٠٠).

والرواية الأخرى لأبي نعيم في «الحلية» (٩/١٠٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٣/٢٨٤) «الإحسان» بسنده الصحيح عنه نحوه. اهـ من كتابه «أصل صفة صلاة النبي ق» (١/٢٩).

٢- إذا رأيتموني أقول قولاً وقد صحَّ عن النبي ق خلافه فاعلموا أن عقلي قد ذهب.

قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: رواه ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي» (٩٣)، وأبو القاسم السمرقندي في «الأمالي» كما في المنتقى منها لأبي حفص المؤدب (١/٢٣٤)، وأبونعيم في «الحلية» (١٠٦/٩)، وابن عساكر (١٥/١٠/١) بسند صحيح. المصدر السابق (١/٣١).

٣- كل ما قلت فكان عن النبي ق خلاف قولي مما يصح فحديث النبي ق أولى فلا تقلدوني.
قال الشيخ الألباني رحمه الله: أخرجه ابن أبي حاتم (٩٣)، وأبونعيم وابن عساكر (١٥/٩/٢) بسند صحيح.

٤- كل حديث عن النبي ق فهو قولي، وإن لم تسمعه مني. المصدر السابق (١/٣١).
(١) أبوحنيفة هو النعمان بن ثابت الكوفي الإمام، يقال: أصلهم من فارس فقيه مشهور كما في «التقريب» ضعيف الحديث بالإجماع، كما ذكر شيخنا مقبل الوداعي رحمه الله في كتابه «نشر الصحيفة في أقوال أئمة الجرح والتعديل في أبي حنيفة».

(٢) قال الشيخ الألباني رحمه الله: أخرجه ابن عابدين في الحاشية (١/٦٣)، وفي رسالته «رسم المفتي» (١/٤) من مجموعة رسائل ابن عابدين، والشيخ صالح الفلاني في «إيقاظ الهمم» (٦٢) وغيرهم.
ونقل ابن عابدين عن «شرح الهداية» لابن الشحنة الكبير شيخ ابن الهمام، أنه صحح هذا الأثر عن أبي حنيفة.

قال الشيخ الألباني رحمه الله: هذا من كمال علمهم وتقواهم حيث أشاروا بذلك إلى أنهم لم يحيطوا بالسنة كلها، وقد صرح بذلك الإمام الشافعي فقد يقع منهم ما يخالف السنة التي لم تبلغهم فأمرونا بالتمسك بها، وأن نجعلها من مذهبهم رحمهم الله تعالى أجمعين. اهـ من أصل «صفة صلاة النبي ق» للشيخ الألباني رحمه الله تعالى (١/٢٤).

وهناك أقوال أخرى عنه رحمه الله تعالى في الحث على اتباع السنة المذكورة في المصدر السابق، منها:

١- لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه. وفي رواية: حرام على من لم يعرف دليلاً أن يُفتي بكلامي، زاد في رواية: فإننا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه غداً.

٢- إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله تعالى وخبر الرسول ق فاتركوا قولي.

ولا يتعصب لرأيه وإن كان هو الفقيه العظيم وشيخ المجتهدين.

وقال الإمام أحمد بن حنبل لولده عبدالله^(١): يا بني إياك وآراء الرجال فإنهم يصيبون ويخطئون، وعليك بالحديث.

وهكذا أقوال أهل العلم أجمعين. وأخطأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مسألة فردت عليه امرأة وهو على المنبر فقال رضي الله عنه: أصابت امرأة وأخطأ أمير المؤمنين^(٢).

(١) أحمد: هو ابن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزي، نزيل بغداد، أبو عبدالله أحد الأئمة، ثقة حافظ فقيه حجة إمام أهل السنة والجماعة.

وولده عبدالله هو الإمام الحافظ الناقد محدث بغداد، قال الخطيب: كان ثقة ثبتاً فهماً، قال الذهبي: وكان صينياً ديناً صادقاً صاحب حديث واتباع وبصر بالرجال، لم يدخل في غير الحديث، مات يوم الأحد لتسع بقين من جمادى الآخرة سنة (٢٩٠هـ)، ترجمته في «السير» (١٣/٥١٦) فما بعدها وفي غيره من المصادر.

(٢) قصة اعتراض المرأة على عمر وهو على المنبر ضعيفة منكرة.

وهي بهذا السياق الذي ذكره المؤلف رحمه الله تعالى، أخرجها الزبير بن بكار كما في «تفسير ابن كثير» عند تفسير آية (٢٠) من «سورة النساء».

قال شيخنا مقبل الوداعي رحمه الله في تحقيقه لـ «تفسير ابن كثير» (٢/٢٨٨-٢٨٩): هذا الأثر ضعيف لأمرين:

الأول: أن جد الزبير بن بكار هو عبدالله بن مصعب، قد ضعفه ابن معين كما في «الميزان».

الأمر الثاني: أنه أثر معضل، فعبدالله بن مصعب لم يسمع من عمر. اهـ بتصرف، وقد حكم على هذه الطريق الحافظ ابن كثير رحمه الله بالانقطاع.

طريق أخرى: أخرجها سعيد بن منصور في «سننه» برقم (٥٩٨)، والبيهقي في «الكبرى» (٧/٢٣٣) من =

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

=

طريق مجالد عن الشعبي، قال: خطب عمر فقال: ألا تغالوا في صداق النساء ... فذكر القصة، قال البيهقي عقبه: وهذا منقطع.

قلت: الأثر ضعيف لعلتين:

العلة الأولى: الانقطاع بين الشعبي وعمر، فإنه لم يسمع من عمر، قال أبو حاتم وأبوزرعة، الشعبي عن عمر مرسل، كما في «جامع التحصيل».

العلة الثانية: مجالد بن سعيد الهمداني ضعيف كما في ترجمته من «التهذيب»، وبهاتين العلتين ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في «الإرواء» (٦/ ٣٤٧-٣٤٨)، وحكم عليه بالنكارة، وضعفه شيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في تحقيقه لـ «تفسير ابن كثير» المصدر السابق.

طريق أخرى: أخرجها عبدالرزاق في «مصنفه» (٦/ ١٨٠) رقم (١٠٤٢٠) وفي سننه قيس بن الربيع ضعيف، وأبو عبدالرحمن السلمي واسمه عبدالله بن حبيب لم يسمع من عمر، قاله ابن معين كما في «جامع التحصيل»، وبهاتين العلتين ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في «الإرواء» المصدر السابق، وشيخنا المجدد مقبل الوادعي رحمه الله في تحقيقه لـ «تفسير ابن كثير».

طريق أخرى أخرجها سعيد بن منصور في «سننه» رقم (٥٩٩) ورجح البيهقي في «الكبرى» (٧/ ٢٣٣) فيها الإرسال، وانظر «العلل» للدارقطني (٢/ تحت سؤال رقم ٢٤١).

فالخلاصة: أن قصة أصابت المرأة وأخطأ عمر، ضعيفة، وقد ضعفها المحدث الألباني رحمه الله، وكذا شيخنا مقبل الوادعي رحمه الله تعالى في تحقيقه لـ «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٨٩).

ثم قال رحمه الله: وإذا كان هذا الأثر ضعيفاً لا يصح عن عمر فليس معناه أنها تجوز المغالاة في المهور ... ولن يصلح الناس ويحل مشاكلهم إلا انقيادهم لشرع الله. اهـ

فيا متقول على الله ومتعمداً الكذب عليه أين أنت من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢] وأي شيء عندك من العلم حتى تأتي بما غفل عنه القرآن، أو أهملته الأديان^(١).

وإنما أنت من الذين يقول الله فيهم: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].
أوما تأدبت بأدب الإسلام ولا اكتفيت بما فيه من الأحكام، حتى خالفت قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

فتب إلى ربك واستغفر لذنبك واقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْخُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤].

(١) الصواب أن يقول المؤلف رحمه الله: أو أهمله الدين، كما تقدم التنبيه على ذلك مراراً.

الخطبة السابعة

في السنة والبدعة

الحمد لله والخير كله فيما جاء به كتاب الله، والفوز والفلاح في متابعة السنة وما أمر به رسول الله، والبدعة كلها شر، ومن اتبع هواه فقد أضله الله، نحمده تعالى أوضح الحق بما شرع، وتعبد الخلق باجتتاب البدع، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر: ٧].

سبحانه وتعالى لا يقبل من صاحب بدعة حجًا ولا عمرة ولا صدقة ولا زكاة ولا صومًا ولا صلاة ولا صرفًا ولا عدلاً حتى يدع بدعته ويترك هواه.^(١)

ومن سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيء، وذلك فضل الله.

ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيء وما ظلمهم الله^(٢)، ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ

(١) هذا الكلام مبناه على حديث حذيفة رضي الله عنه أخرجه ابن ماجه في «المقدمة» رقم (٤٩)، وفي إسناده محمد بن محسن العكّامي، قال الحافظ في «التقريب»: كذبوه، وقد حكم على الحديث بالوضع الإمام الألباني رحمه الله تعالى في «الضعيفة» (٣/ رقم ١٤٩٣).

وكلام المؤلف رحمه الله يتنزل على صاحب البدعة الكبرى المخرجة من الإسلام، الله أعلم.

(٢) هذا الكلام مبناه على حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أخرجه مسلم (١٠١٧).

بَصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا * وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿النساء: ١١٤-١١٥﴾.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فيما وعد به من الخير وتوعد به من العذاب الشديد، ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥].
ومن اتبع فقد سعد واهتدى، ومن ابتدع، فقد شقي واعتدى ودين الله لا يعرف بالتقليد^(١).

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، القائل: «من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد»^(٢).

(١) التقليد لغة: وضع الشيء في العنق محيطاً به كالقلادة.

واصطلاحاً: اتباع من ليس قوله حجة، «الأصول من علم الأصول» للشيخ ابن عثيمين رحمه الله ص (٧٧).

(٢) (ضعيف جداً).

أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٧٤)، وابن بشران في «الأمال» (١/ ٩٣) و (٢/ ١٤١) كما في «الضعيفة» للشيخ الألباني رحمه الله (١/ ٤٩٧)، وذكره المنذري في «الترغيب» (١/ ٨٠)، والذهبي في «الميزان» (١/ ٥١٩).

من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفي سنده الحسن بن قتيبة الخزازي المدائني، قال الذهبي في «الميزان» المصدر السابق: هالك، وقال الدارقطني: متروك الحديث، وقال أبو حاتم: ضعيف، وقال

الأزدي: واهي الحديث، وقال العقيلي: كثير الوهم. اهـ

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد المبعوث بالأمر الرشيد، والخير الذي ما عليه من مزيد، والقائل ﷺ: «وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(١).
 صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه المحاميد، وعلى التابعين لهم بإحسان من قريب أو بعيد، ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِّيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

=

وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥/ رقم ٥٤١٤)، وأبونعيم في «الحلية» (٨/ ٢٠٠)، وفي سنده محمد بن صالح العذري، قال الشيخ الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (١/ ٤٩٨): لم أعرفه، وسبقه قبل ذلك الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٧٢).
 وقد ضعف الحديث المحدث الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم ٣٢٦ و ٣٢٧، ثم قال رحمه الله: ويغني عنه حديث «إن من ورائكم أيام الصبر للتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم... الحديث، وهو مخرج في «الصحيحة» (٤٩٤).
 (١) (حسن لغيره).

أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦-١٢٧)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٢٧)، وابن ماجه (٤٣ و ٤٤)، والحاكم (١/ ٩٥-٩٦)، وابن حبان (٥) من طرق عن العرياض بن سارية رضي الله عنه به مطولاً.
 وبمجموع طرقه صححه المحدث الألباني رحمه الله تعالى في «الإرواء» (٨/ ١٠٧-١٠٩) رقم (٢٤٥٥)، وحسنه شيخنا مقبل الوداعي رحمه الله تعالى في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (٢/ ٢٠-٢١).

عباد الله لقد أكمل الله لكم دينه، وأتم عليكم نعمته وهداكم للإسلام، ومن على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الأحكام، فحد الحدود وشرع الفرائض والنوافل وبين الحلال والحرام، وعلمنا كيفية الطهارة والصلاة والزكاة والحج والصيام، ألا وهو محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

وقال بعض أصحابه الكرام: اتبعوا ولا تتبدعوا فقد كفيت^(١)، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها من الاعتصام بكتاب الله وسنة سيد الأنام.

رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وقومي أن نتبع الهوى أو نعبد الأصنام، ونعوذ بك اللهم من فتنة الشيطان، وتلاعبه بكثير من العباد والفقهاء والحكام، ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا

(١) (صحيح).

أخرجه الدارمي في «المقدمة» (٢١١)، ووكيع في «الزهد» رقم (٣١٥)، وابن بطة في «الإبانة» رقم (١٧٥)، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» برقم (٥٤)، والمروزي في «السنة» برقم (٧٨)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» برقم (١٠٤)، وأحمد في «الزهد» ص (١٦٢).

وفي سنده حبيب بن أبي ثابت مدلس وقد عنعن، وأبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي، قال شعبة: لم يسمع من ابن مسعود، لكن قال الإمام أحمد في قول شعبة لم يسمع من ابن مسعود شيئاً: أراه وهماً. وأخرجه أبو خيثمة في «العلم» رقم (٥٤) بسند صحيح إلى إبراهيم النخعي عن ابن مسعود به، وإبراهيم هو ابن يزيد النخعي لم يدرك ابن مسعود إلا أنه قال: إذا حدثتكم عن رجل عن عبد الله فهو الذي سمعت، وإذا قلت قال عبد الله: فهو عن غير واحد عن عبد الله.

فالأثر صحيح إلى ابن مسعود، وقد صححه الشيخ الألباني رحمه الله في تحقيقه لكتاب «العلم» لابن أبي خيثمة.

الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَيْسَ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَخْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا * قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٢﴾ [الإسراء: ٦٣].

لما ظهر الحق ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وأشرقت الأرض بنور ربها وامتألت بهذا الدين سرورًا، وابتهاجًا وأسلمت اليهود والنصارى والمجوس والوثنيون^(١) أفرادًا وأزواجًا شق هذا على الأحرار والرهبان وغضب علماء بني إسرائيل وعظماء الفرس والروم، فأضرموا شرًا، وأبطنوا كفرًا.

وأسروا في أنفسهم عنادًا ولجاجًا^(٢)، واستبدلوا بالاستقامة اعوجاجًا، ورسم لهم الشيطان طريق البدعة والتحريش بين المؤمنين، وطعن بعضهم على بعض، وتفسير كتاب الله بأهوائهم الضالة.

(١) المجوس: هم عبدة النيران القائلون إن العالم صادر عن أصليين هما الظلمة والنور والمجوس في الأصل المجوس لتدنيهم باستعمال النجاسات، والميم والنون يتعاقبان، والمجوس هم أقدم الطوائف، وأصلهم من بلاد فارس، وقد نبغوا في علم النجوم، ومن جملتهم المانوية. اهـ من كتاب «التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية» ص (٣٨٠) لفالح بن مهدي.

والوثنيون: جمع وثني، والوثنية: تطلق على مختلف العقائد التي لا تفرد الله سبحانه وتعالى بالتوحيد، وتنسب إلى عبادة الوثن من أحجار وأصنام ... وللكتاب عليها بتوسع راجع «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة» (٢/ ١١٧٥).

(٢) لجّ في الأمر: تهادى عليه وأبى أن ينصرف عنه، والملاجة: التهادي في الخصومة كما في «لسان العرب» مادة: لجج.

واتخذوا تلکم الطريقة سنّةً ومنهاجًا، فكذبوا على الله ورسوله ونقلوا من أساطير الأولین ما وجدوا له في الجهال وادعیاء العلم نفاقًا ورواجًا، تصوف الهند، وفلسفة اليونان، وتعاضم الفرس، وطاعة الروم، وكذب اليهود، فضلوا سبیل الله واتخذوا من الضلالات سبلاً فجاجًا، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

وبأولئك ظهرت البدعة وكثر أنصارها، وضاعت السنة وسكت أحبارها، واستيقظت الفتنة، والفتنة أشد من القتل، وأضرمت^(١) نارها، وتعدي على شريعة الله واقتحمت أسوارها.

واختلف العلماء وارتفعت أصواتهم وكاد يخبو من الملة أنوارها، وعظم للمشرکین أوثانها وأحجارها، ودعي الأموات من دون الله، ونصبت التوابیت^(٢)، وأرخت عليها أستارها، واستعين بغير الله، وطاف بالقبور والأشجار ومنابع الماء ومساكن الجن حجاجها وزوارها، واستعمل في بيوت الله لزندقة المتصوفين وإباحية المبتدعين طبلها ومزمارها،

(١) الضرم: اشتعال النار والتهابها، كما في «لسان العرب» مادة: ضرم.

(٢) جمع تابوت، وهو الصندوق الذي يحرز فيه المتاع، وعند قدماء المصريين: صندوق من حجر أو خشب توضع فهي الجثة عليه من الصور والرسوم ما يصور آلام المصريين وعقائدهم في العالم الآخر. «المعجم الوسيط» (١٠١).

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾

[الفرقان: ٥٨].

في مساجدنا بدع ومخالفات لا تحصى ولا تعد، فتقديم وتأخير، وزيادة ونقصان، وتغيير لما كان من أمر الطهارة والاعتكاف والصلاة والأذان، ولا إنكار من أحد يكذبون على الله ويتقربون إليه بغير مراده في الوسيلة والمقصد، وفي الحديث الشريف «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(١).

وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(٢).

فهذا يقرأ القرآن غلطاً، وذاك يكلف نفسه من العبادة شططاً^(٣)، وربما سبح إذا قام وقرأ إذا سجد، وطائفة يتواجدون ويرقصون ويقولون: يا سيدي فلان ابن فلان المدد المدد، وربما ضربت لهم الآلات وتغنوا بوصف المرد والغانيات ورفعوا الأصوات بالمنكرات، واستبدلوا الضلالات بالرشد^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) هذه الرواية انفرد بإخراجها مسلم رقم (١٧١٨) (١٨).

(٣) الشطط: مجاوزة القدر في كل شيء، ومن معانيه: الجور والظلم والبُعد عن الحق، كما في «لسان العرب» مادة: شطط.

(٤) هذا الكلام فيه رد على الصوفية، فليتهم يفقهون وينقادون للحق ويدعنون، والله در المؤلف رحمه الله فقد أنكر عليهم كثيراً من البدع والضلالات والمخالفات في كتابه هذا وفي غيره من الكتب، وقد أؤذي منهم أشد الأذى، وراجع ما سطره في كتابه «زوبعة في قارورة» ومع هذا كله، فقد حصلت =

وأئمتنا لا يعرفون أحكام الصلاة، ولا يحسنون كتاب الله، يحاربون السنة ويناصرون البدعة ويحبون ما ظهر منها وما تجدد، والوعاظ والخطباء يروون الأحاديث الضعيفة^(١).

ويرغبون في أشياء ما أنزل الله بها من سلطان، ولا جاء بها سيدنا محمد، ويمدحون ويذمون من وافقهم أو خالفهم من فقهاء البلد، ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخْذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذَا لَا ذَنْبَكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥].

يتوضأ المبتدع فيسرف في الصب^(٢) ويزيد على الثلاث^(٣)، ويقول بكل تعب وعناء:

=

منه بعض الهفوات فقد ذكر عن نفسه كما في كتابه المتقدم أنه كان يحضر حفلاتهم، ويسكت عن بعض ما يسمع من المنكر درء للمفسدة وجلباً للمصلحة، فنسأل الله أن يعفو عنا وعنه.

(١) ليت المؤلف رحمه الله عمل بكلامه هذا، فقد أورد في كتابه هذا وسائر كتبه كثيراً من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ولكن يعتذر له بما ابتلاه به من العمى وهو في الخامسة من عمره، وأن العصر الذي كان فيه لم يكن هناك أي اهتمام بعلم الحديث، فأسأل الله أن يعفو عنا وعنه، والله المستعان.

(٢) الصب: هو إراقة الماء كما في «لسان العرب» مادة: صب.

(٣) الزيادة على الثلاث بدعة محدثة في الوضوء، لحديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، فمن زاد على هذا فقد أساء وظلم.

أخرجه أبوداود (١٣٥)، والنسائي (٨١/١)، وابن ماجه (٤٢٢) وهو حديث حسن، وقد صحح الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح ابن ماجه» (١٤٢/١)

نويت الوضوء، نويت الطهارة، نويت الطهور^(١)، ويقوم إلى الصلاة فيجهد نفسه ولا يكبر حتى يتأوه تأوه المصدور، ويهزأ به العقلاء ويضحك منه الشيطان الغرور، ثم يفعل

(١) من المعلوم أن النية شرط لصحة جميع العبادات بدلالة الكتاب والسنة وإجماع الأمة، والفرق بين العادة والعبادة هو بالنية. وقد أشار المصنف رحمه الله إلى أن الجهر بالنية من أفعال المبتدعة في سائر أنواع العبادات من وضوء وصلاة وصيام وغير ذلك، فالجهر بالنية بدعة محدثة ما أنزل الله بها من سلطان، ولا يفعلها إلا الجهلة من عوام المسلمين والمتعصبين للمذاهب، هدايا الله وإياهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الجهر بالنية لا يجب ولا يستحب باتفاق المسلمين، بل الجهر بالنية مبتدع مخالف للشريعة إذا فعل ذلك معتقداً أنه من الشرع فهو جاهل ضال يستحق التعزير والعقوبة على ذلك ...

وأما التلفظ بها سرّاً فلا يجب أيضاً عند الأئمة الأربعة وسائر أئمة المسلمين، ولم يقل أحد من الأئمة إن التلفظ بالنية واجب لا في الطهارة ولا في صلاة ولا في صيام ولا في حج، ولا يجب على المصلي أن يقول بلسانه: أصلي الصبح ولا أصلي الظهر ولا العصر لا إماماً ولا مأموماً، ولا يقول بلسانه: فرضاً ولا نفلاً وغير ذلك، بل يكتفي أن تكون نيته في قلبه، والله يعلم ما في القلوب. «الفتاوى» (٢٢/٢١٩).

وقال رحمه الله: التلفظ بالنية نقص في العقل والدين، أما في الدين فلا لأنه بدعة، وأما في العقل فلا لأنه بمنزلة من يريد أن يأكل طعاماً فيقول: نويت بوضع يدي في هذا الإناء أني أريد أن أخذ منه لقمة فأضعها في فمي فأمضغها ثم أبلعها لأشبع. «الفتاوى الكبرى» (٢/٩٦)، وانظر «زاد المعاد» (١/٢٠١)، وإنما أطلت في بيان هذا الأمر لأهميته، ونسأل الله أن يهدينا وجميع المسلمين للتمسك بالدين واتباع سنة سيد المرسلين.

ويقول أشياء وكلها غير مأثور، وربما كانت الصلاة ردًا عليه لأنها مخالفة لهدي من يقول ﴿صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي﴾ كما هو في الحديث مشهور^(١).

وإذا صام قدم السحور وآخر الفطور، وأفطر الأيام التي هو بصيامها مأمور، وتقرب إلى الله معتقدًا سنية ما خصه بالصوم من الأيام والشهور.

وإن تعجب فعجب ما تراه من المبتدعين عند زيارة القبور، فقد جعلوا الطواف بها وتقبيلها والتمسح بأعتابها من العمل المبرور، وأقاموا لها مواسم يختلط فيها الرجال بالنساء، ويلعب القمار^(٢) وتشرب الخمر.

والعالم الساكت عن الإنكار يعد من الصالحين ويقدم في الحضور، وإن أنكر أو اعترض فممقوت ومهجور، وقوله مردود عليه وكذب وزور.

لقد انقلبت الأوضاع، وحبذا الابتداع، وتحكم الجاهل المغرور، ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٦].

يتزوج أحدنا فترهقه العادات وتقتله التكاليف فدفع كثير، وصدّاق كبير، ووليمة عظيمة، وثياب ملونة ومطرزة من الثقيل والخفيف.

ويبني أحدنا داره أو يقصد سفرًا أو تزف إليه امرأته فيذبح لذلك، ويتقي أذى الجن بالدم، ويفرح بكذب السعد ويتشاءم بالأيام والنجوم.

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٣١) من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

(٢) القمار: هو كل لعب فيه مراهنه، «المعجم الوسيط» (٧٩٢)، وانظر «لسان العرب» مادة: قمر.

ويا لها من بدع وتحريف، وتضليل وتزييف وفعل بغیض وقول سخي، ومريضنا لا يلتبس الطب من بابه، ولا يطلب له الشفاء بأسبابه، ولكنه يعالج بالتائم^(١) والحروز^(٢)، وفك الرزّع^(٣)، وإقامة الزار^(٤)، وحيلة الدجال الذي يزعم أن بيده القبض والتصرف، ويموت ميتنا فيغسل ويكفن ويصلى عليه ويحمل ويدفن في بدع تستحق إفرادها بالتصنيف^(٥).

(١) التائم: جمع تيمة، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم، فأبطلها الإسلام. اهـ من «النهاية» لابن الأثير (١٩٧/١) مادة: تم، وتشمل التيمة كل ما عُلق على الصدر أو في العضد أو على البيوت أو السيارات، وسميت تيمة لأنهم يرون أنه يتم بها دفع العين، انظر «التمهيد شرح كتاب التوحيد» (١٠٩) للشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله.

(٢) الحروز: جمع حرز، وهو الوعاء الحصين يحفظ فيه الشيء، «المعجم الوسيط» (١٨٧)، والمراد أن يوضع بها الطلاسم التي فيها استعانة بالشياطين أو بغير الله العظيم مما هو شرك وكفر به سبحانه وتعالى.

(٣) الرزّع لم يتبين لي ما هو

(٤) الزار: هو حفلة راقصة تقام لطرد الأرواح الخبيثة التي تمس أجسام بعض الناس في زعمهم. اهـ من «المعجم الوسيط» (٤٣١).

وقال شيخنا المحدث الفقيه أبو عبد الرحمن يحيى الحجوري حفظه الله: مرض الزار مرض يصاب به بعض العصاة من الجن فيؤمرونه، يعني المريض أن يذبح للجن، وهذا شرك وهو موجود في السودان، استفدت هذا الكلام من بعض دروسه الماتعة جزاه الله خيرًا وجعله ذخراً للإسلام والمسلمين.

(٥) ذكر بعضها المحدث الألباني رحمه الله في كتابه العظيم «أحكام الجنائز وبدعها» فراجعه إن شئت.

فأصوات عالية وأعمال عن السنة نابه، طبول تدق، وأعلام تنشر وتعلق، ونار مع الجنازة وبطءٌ بها ولغو معها ومأتم يقيمه عليها^(١) الغني والفقير، وينفق ما عنده عليه

(١) أشار المؤلف رحمه الله تعالى إلى عدة بدع في هذه الفقرات فجزاه الله خيرًا على إنكاره لأمثال هذه المنكرات التي ما أنزل الله بها من سلطان، ومن ذلك المأتم الذي يحصل فيه كثير من المخالفات والشركيات والتبذير والإسراف، فالتعزية لأهل الميت مشروعة، ولكن ليست بالاجتماع على أكل القات وشرب الدخان وغير ذلك من المخالفات التي تفعل في بلادنا اليمنية، نسأل الله أن يرد المسلمين إلى الحق ردًا جميلًا.

قال العلامة الألباني رحمه الله تعالى في كلامه على التعزية: وينبغي اجتناب أمرين وإن تتابع الناس عليهما:

١- الاجتماع للتعزية في مكان خاص كالدار أو المقبرة أو المسجد.

٢- اتخاذ أهل الميت الطعام لضيافة الواردين للجزاء.

وذلك لحديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: «كنا نعد -وفي رواية: نرى- الاجتماع إلى أهل الميت وصنيعة الطعام بعد دفنه من النياحة». أخرجه أحمد رقم (٦٩٠٥) وابن ماجه (١/٤٩٠)، والرواية الأخرى له، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

قال النووي في «المجموع» (٣٠٦/٥): وأما الجلوس للتعزية فنص الشافعي والمصنف (الشيرازي) وسائر الأصحاب على كراهته، قالوا: يعني بالجلوس لها أن يجتمع أهل الميت في بيت فيقصدهم من أراد التعزية، قالوا: بل ينبغي أن ينصرفوا في حوائجهم، فمن صادفهم عزاهم، ولا فرق بين الرجال والنساء في كراهة الجلوس لها. اهـ

وكذا نص ابن الهيثم في «شرح الهداية» (٤٧٣/١) على كراهة اتخاذ الضيافة من الطعام من أهل الميت، وقال: وهي بدعة قبيحة، وهو مذهب الحنابلة كما في «الإنصاف» (٥٦٥/٢). اهـ بتصرف من «أحكام الجنائز» (٢١٠-٢١١).

القوي والضعيف، ويتبارى في إقامته والإنفاق عليه بالقرض وبغير إذن الوارث الصغير كل وضع وشريف.

والمرأة تحد على الميت^(١)، زوجاً أو قريباً مدة طويلة، تترك فيها اللباس والطيب والتنظيف، وتحتسب هذا وفاء، وتعدّه قياماً بحق الميت، فلا تنتهي عن البدعة بزجر ولا تخويف.

والشيطان يتحكم في أوليائه فيحسن القبيح ويقبح الحسن ويضل بهم عن الدين الحنيف، ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا* يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١١٩-١٢٠].

ليست البدعة في الطعام والشراب ولبس الثياب وتنسيق الأثاث وإصلاح الدار، وإنما البدعة في الدين وما يتقرب به إلى العزيز الغفار، من صلاة أو صيام أو تلاوة أو أذكار.

=

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: وكان من هديه ق تعزية أهل الميت، ولم يكن من هديه أن يجتمع للعزاء ويقرأ له القرآن، لا عند قبر ولا غيره، وكل هذا بدعة حادثة مكروهة. اهـ «زاد المعاد» (١/ ٥٢٧). وما أحسن ما قيل:

ثلاثـة تشقى بها الدار العرس والمآتم والـزار

(١) الإحداد في اللغة: المنع، وأما الإحداد في الشرع: فهو أن تمتنع المرأة عن كل ما يدعو إلى جماعها ويرغب في النظر إليها، كثياب الزينة والحلي والتجمل بالكحل وتحسين الوجه بالمكياج أو غيره. «الشرح الممتع» (٣٩٣/ ١٣).

ويحرم الإحداد عل ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا المرأة على زوجها أربعة أشهر وعشرًا، لحديث أم حبيبة رضي الله عنها رواه البخاري (٥٣٣٤) ومسلم (١٤٨٦) (٥٩).

ولا عليك أن تأكل بالشوك^(١) والملاعق وعلى الأرض أو المائدة ما اجتنبت الحرام
وتوسطت بين التبذير والإقتار، واشرب الماء حلواً بارداً، والبس الثوب جديداً، واركب
الفرس أو البغل أو الحمار، أو السيارة الفخمة أو القطار أو سفن الرياح أو البخار.

(١) الشوك المراد بها هنا: من أدوات المائدة، وهي: أداة ذات أصابع دقيقة مذببة كالشوكة يتناول بها بعض الطعام. «المعجم الوسيط» (٥٢٦).

ولا تفهم الدين معكوسًا، فتحسب التلغراف^(١) والتلفون والراديو وما أنعم الله به على الناس من وسائل الراحة بدعة يستوجب صاحبها دخول النار.

وإذا سمعت بهدي رسول الله ﷺ في أي شيء فاتبعه، وحافظ على التقاليد الإسلامية الحقة^(٢) ولا تتشبه بالكفار، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً ﴿[الإنسان: ٢٣، ٢٤].

قال رسول الله ﷺ: «إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته»^(٣).

(١) التلغراف هو البرق، وهو جهاز نقل الرسائل من مكان إلى آخر بعيد بواسطة إشارات خاصة، راجع «المعجم الوسيط» (٧١، ١٠٧).

(٢) إطلاق لفظة تقاليد إسلامية على أوامر الدين وما جاء به نبينا الكريم ق لفظ محدث دخيل، ينبغي للمؤلف أن ينزه كتابه عنه، والإسلام نفسه ليس عادات ولا تقاليد، وإنما هو وحي أوحى الله به إلى رسله، وأنزل به كتبه، فإذا تقلده المسلمون ودأبوا على العمل به صار خلقاً لهم وشأنًا من شؤونهم. وكل مسلم يعلم أن الإسلام ليس نظامًا مستفاه من عادات وتقاليد، لكن غلبت عليهم الكلمات الدارجة في الإذاعة والصحف والمجلات وفي وضع النظم واللوائح، مثل ما سُئل عنه من قولهم: «وتمشيًا مع العادات والتقاليد».

فاستعملوها بحسن نية قاصدين منها الاستسلام للدين الإسلامي وأحكامه، وهذا قصد سليم يحمدون عليه غير أنهم ينبغي لهم أن يتحروا في التعبير عن قصدهم عبارة واضحة الدلالة على ما قصدوا إليه، غير موهمة أن الإسلام جعله عادات وتقاليد سرنا عليها أورثناها عن أسلافنا المسلمين. اهـ بتصرف من فتوى اللجنة الدائمة نقلها عنهم الشيخ بكر أبو زيد في «معجم المناهي اللفظية» (٣٦٧-٣٦٨).

(٣) (صحيح).

أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣٧)، وابن عدي في «الكامل» (٦ / ٢٢٦١)، وابن وضاح في «البدع» =

وقال ﷺ: «إن إبليس قال: أهلكتهم بالذنوب فأهلكوني بالاستغفار، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء فهم يحسبون أنهم مهتدون فلا يستغفرون»^(١).

=

والنهي عنها» (١١٩) رقم (١٥٧)، والبيهقي في «الشعب» (٩٠١٠)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١٤٥ و ١٤٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.
وفي سنده محمد بن عبدالرحمن القشيري الكوفي، قال ابن عدي: منكر الحديث، وقال الدارقطني: متروك الحديث.

ولكنه متابع فقد تابعه أبو زمرة فروى الحديث عن حميد الطويل عن أنس بن مالك به، أخرجه البيهقي في «الشعب» (٩٠١١)، والطبراني في «الأوسط» رقم (٤٢٠٢)، وأبو الشيخ في «تاريخ أصبهان» ص (٢٥٩).

وأبو زمرة هو أنس بن عياض الليثي ثقة من رجال الجماعة كما في «التقريب»، وقد حسن إسناد الطبراني المنذري في «الترغيب» (٨٦/١)، وصححه المحدث الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١٦٢٠)، وشيخنا المجدد مقبل الوادعي رحمه الله كان على الاحتجاج به فيما استفدناه من حلقاته المباركة، وانظر «غارة الأشرطة».

وفي الباب عن ابن عباس أخرجه ابن ماجه رقم (٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٩)، ولفظه: «أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته»، وفي سنده أبو زيد، قيل: اسمه عبدالملك بن ميسرة مجهول كما في «التقريب»، وأبو المغيرة مجهول كما في «التقريب» أيضًا، وانظر «الضعيفة» للشيخ الألباني رحمه الله رقم (١٤٩٢).

(١) (ضعيف جدًا)

أخرجه أبو يعلى رقم (١٣٦) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفي سنده عثمان بن مطر الشيباني ضعيف كما في «التقريب»، وشيخه عبدالغفور بن عبدالعزيز الواسطي قال يحيى بن معين: ليس حديثه بشيء، وقال ابن حبان: كان ممن يضع الحديث، وقال البخاري: تركوه، وقال ابن عدي: =

وقال أيضًا لخادمه بلال رضي الله عنه: «اعلم يا بلال»، قال: ما أعلم يا رسول الله؟ قال: «اعلم أن من أحيأ سنة من سنتي أميتت بعدي كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه مثل أثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئًا»^(١).

=

ضعيف منكر الحديث. اهـ من «الميزان» (٢/ ٦٤١).

وفيه أبو رجاء مولى أبي بكر قال الحافظ: مجهول كما في «التقريب»، والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١٠)، وقال: رواه أبو يعلى وفيه عثمان بن مطر ضعيف، وأشار إلى ضعفه الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير آية (١٣٥) من «سورة آل عمران»، وقد حكم بالوضع على الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الجامع» رقم (٣٧٩٩).

ويغني عنه: ما ذكره العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيح» رقم (١٠٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ق قال: «إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني».

(١) (ضعيف جدًا).

أخرجه الترمذي (٢٦٧٧) والسياق المذكور له، وابن ماجه في «المقدمة» (٢٠٩ و ٢١٠)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٠) من حديث عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه.

وفي سنده كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف المزني، قال النسائي والدارقطني: متروك، وقال أبو داود والشافعي: أحد الكذابين، وقال أحمد: منكر الحديث، وقال ابن حبان: روى عن أبيه عن جده نسخة موضوعة لا يحل ذكرها في الكتب ولا الرواية عنه إلا على وجه التعجب. اهـ المراد من «التهذيب».

وقال الشيخ الألباني رحمه الله في «ضعيف ابن ماجه» ص (١٩): ضعيف جدًا.

قلت: ويغني عنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ق: «من دعا إلى هدى كان له من =

وخرج رسول الله ﷺ يوماً على أصحابه رضي الله عنهم وهم جلوس، فقال لهم: «أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأنا رسول الله؟» قالوا: بلى، قال: «إن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً»^(١)، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩].

=

الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» رواه مسلم (٢٦٧٤).
وحديث العرباض بن سارة رضي الله عنه: «عليكم بسنتي» وهو حديث حسن لغيره تقدم تخريجه، وحديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه أخرجه مسلم (١٠١٧).
(١) (حسن).

أخرجه أبوبكر بن أبي شيبة في «مصنفه» (٤٨١/١٠)، وعبد بن حميد في «المنتخب» رقم (٤٨٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/٢) رقم (٤٩١) من حديث أبي شريح الخزاعي الكعبي رضي الله عنه. وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «الصحيح» (٧١٣)، وحسنه شيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٢٨٢/٢).

الخطبة الثامنة

في الصحة والنظافة

الحمد لله الذي لا يقبل إلا طيباً^(١) ولا يرفع إليه إلا العمل الصالح، جميل يحب الجمال^(٢)، ولا يأمر الخلق إلا بما يعود عليهم بالمصالح، أحل الحلال من الطيبات وحرم الخبائث والقبائح.

نحمده تعالى على نعمة الإسلام حمد المعترف المادح، ونشكره عز وجل أمرنا بالطهارة والنظافة وصحة الأبدان والأرواح والقرائح^(٣)، وهل يجلب الأمراض ويفسد الذوق ويضعف العقل ويغضب الرب ويؤذي الجليس^(٤) إلا قباحة المنظر وخبث الروائح، ﴿مَا

(١) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم رقم (١٠١٥).

(٢) يشير رحمه الله إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه مسلم رقم (٩١).

(٣) القرائح: جمع قريحة، هي الجراحات الملتئمة، كما في «لسان العرب» مادة: قرح.

(٤) هذا الكلام ليس عليه دليل، وأن قباحة المنظر تؤذي الرب، ولكن ينبغي على المسلم الاهتمام بمنظره ومخبره، لقول النبي ق: «الطهور شطر الإيمان» أخرجه مسلم (٢٢٣) عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

ولحديث: «إن الله يحب إذا أنعم على عبده نعمة أن يرى أثر نعمته عليه»، أخرجه أحمد (٤٣٨/٤) عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

وإسنده حسن، وقد حسن الحديث شيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٩٥/٢)، وفي

الباب عن مالك بن نضلة رضي الله عنه، وهو حديث صحيح صححه شيخنا مقبل الوادعي رحمه =

يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُسَمِّيَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ [المائدة: ٦].

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شرع الوضوء والغسل وإزالة النجاسة عن الثياب والأبدان.

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله القائل ﷺ: «الطهور شطر الإيمان»^(١)، والموحي إليه بقول الله جل ذكره: ﴿وَيُثَابِقَ فَطَهَّرْ* وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدر: ٤-٥]، ويعني به الأقدار وعبادة الأوثان^(٢).

=

الله في «الصحيح المسند» (١٥٩/٢).

نعم قباحة المنظر والروائح المنبعث كرائحة الدخان والثوم والكراث وما أشبه ذلك قد تؤذي الجليس كما دلت على ذلك الأدلة.

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، بإسناد منقطع بين أبي مالك الأشعري وأبي سلام والرجل الساقط هو عبدالرحمن بن غنم، كما أبان ذلك النووي رحمه الله في شرحه لهذا الحديث عن الدارقطني.

وأخرجه بذكر عبدالرحمن بن غنم بين أبي سلام وأبي مالك ابن ماجه (٢٨٠)، والنسائي (٥/٥-٦)، وابن حبان (٨٤٤) بإسناد صحيح، فالحديث صحيح والحمد لله.

(٢) هذان معنيان من معاني الآية، وقيل: (وثيابك فطهر) قيل: المراد بالثياب القلب والنفس، وقيل: النساء. قال ابن القيم رحمه الله في «إغاثة اللهفان» ص (٥٨) ط/ دار الحديث: والآية تعم هذا كله، وتدل عليه بطريق التنبيه واللزم. اهـ

وقال ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية: وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب، فإن العرب =

اللهم فصل على سيدنا محمد القائل: «خمس من الفطرة فعدها: قص الشارب ونتف الإبط وتقليم الأظفار وحلق العانة والختان»^(١).

صلى الله عليه وعلى آله وأهل بيته المطهرين بنص القرآن، وعلى صحابته المتطهرين من الذنوب والأدران، وعلى التابعين لهم بإحسان من أهل الإيمان.

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

عباد الله: إن الدين يأمركم بطهارة الباطن والظاهر، ولا تقبل العبادة إلا من طاهر^(٢)، فمن الشرك والحسد والكبر والرياء والحقد تكون طهارة القلوب والسرائر، ومن البول

=

تطلق الثياب عليه.

(١) أخرجه البخاري (٥٨٨٩ و ٥٨٩١) ومسلم (٢٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) لا يشترط لقبول كل عبادة الطهارة، فمن العبادات ما لا تقبل إلا بالطهارة مثل الصلاة، ومن العبادات ما لا يشترط فيها الطهارة كقراءة القرآن للمحدث، سواء كان حدثاً أكبر أو أصغر؛ لأن النبي ق كان يذكر الله على كل أحيانه.

وهكذا أفعال الصائم في نهار رمضان غير الصلاة لا يشترط لها الطهارة، وهكذا إخراج الزكاة لا يشترط لها الطهارة، وهكذا التسبيح والتهليل والتكبير، وغير ذلك من العبادات القولية والفعلية.

نعم قوله: فمن الشرك المشرك بالله شركاً أكبر لا تقبل منه عبادته، لقوله الله جل وعلا: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا حَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ﴾، وغير ذلك من الأدلة، ولأن المشرك نجس نجاسة معنوية، قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾، فالمشرك يجب عليه أن يتوب إلى الله سبحانه وتعالى من شركه، حتى تقبل منه عبادته، قال الله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

والغائط والقيح^(١) والمستقذرات كلها تكون طهارة الأجسام والظواهر، ولا يدخل الجنة

من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر^(٢)، ولا يضر السوء إلا منافق أو كافر.

وفي الحديث الشريف: «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت

فسد الجسد كله ألا وهي القلب»^(٣).

إن الذنوب لتعمي البصائر ورب جميل منظره وخبيث مخبره، تراه فتحسبه صالحًا فتباهي به وتفاخر، وإذا ما اختبرته وجربته وجدته طالحًا وعرفت أنه مخادع وماكر.

والله لا ينظر من الناس إلى صورهم وأبدانهم، ولكنه إلى الأعمال والنيات

ناظر^(٤)، ﴿وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس: ٢١].

نجاسة القلب تطهرها مسالمة الناس وصدق التوبة والوثوق بالله، وحب الخير للغير

وأن تكره للناس من الشر ما تكرهه لنفسك، وأن ترضى بقدر الله، والمؤمن المصدق بكتاب

(١) القيح: هو الصديد الذي كأنه الماء، وفيه سُكَلَة دم. «لسان العرب» مادة: قيح.

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أخرجه مسلم (٩١).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٥١) ومسلم رقم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٤) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم (٢٥٦٤) (٣٣) (٣٤) قال:

قال رسول الله ق: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

الله لا يضر غشاً ولا يفعل نكراً ولا يعمل إلا بمرضاة الله، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وفي كتب الصوفية من العناية بأمر الباطن وطهارة القلوب من درن الذنوب ما يستعين به المنصف على محاربة نفسه وهواه ^(١).

ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ويلهمه رشده ويعينه على تقواه، ويقربه إليه زلفى، فلا يسمع ولا يبصر، ولا يفعل ولا يترك إلا بالله، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهَ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

(١) قول المؤلف رحمه الله (وفي كتب الصوفية من العناية...) إلى آخر كلامه، هذا الكلام والإشادة منه والتبجيل لكتب الصوفية كلام باطل غير صحيح، وهكذا جرى عادته رحمه الله في إشاداته بكتب هؤلاء مع معرفته بما هم عليه من الشراكيات والبدع والضلالات والانحرافات والخرافات. وقد حصل منه مثل هذا التبجيل لكتبهم في «إصلاح المجتمع» ص (٢٦) بتحقيق شيخنا العلامة المحدث الفقيه يحيى بن علي الحجوري حفظه الله تعالى.

وما في كتب هؤلاء إلا الزيغ والضلال والأحاديث الضعيفة والموضوعة والأحلام والمكاشفات، وكان الأولى له أن يقول مكان هذه العبارة: وفي كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ق من العناية بأمر الباطن ... إلخ كلامه.

ولو قال ذلك لكان صواباً، فكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ق فيها موعظة للمتقين وبغية للمريدين، من ابتغى الهدى بغيرهما ضل وغوى، ومن تمسك بهما فاز ونجا، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦].

نقرأ في كتب الفقه والحديث ما يؤمر به المسلم من السواك والمضمضة والاستنشاق والدلك والتخليل، وما يجب عليه من إزالة النجاسة وغسل الجنابة وتعهد المعاطف التي لا يصل إليها الماء فلا ندرك السر إلا قليل، وما شرع الله لعباده الختان وحلق العانة ونتف الإبط وتقليم الأظفار وما يحتاجه الشعر من الدهن والترجيل إلا لما يحبه تعالى من صحة أجسامهم ونظافة ثيابهم وطيب روائحهم، والمؤمن عند الله طيب وجميل، ولماذا تسن في الجمع^(١) والأعياد ولحضور كل اجتماع عام مبالغة المسلم في التنظيف والتغسيل، ولماذا حرم الله وطء الحائض^(٢) والبصاق في المسجد^(١)، وأوجب الاستنجاء، وغسل أواني الكفار^(٢)، وما ولغ فيه الكلب^(٣)، ونص على ذلك الحديث والتنزيل؟

(١) الصواب أن غسل الجمعة واجب على من أتى الجمعة من الرجال، لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم» أخرجه البخاري (٨٥٨) و(٨٧٩) ومسلم (٨٤٦).

ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل» رواه البخاري (٨٧٧) ومسلم (٨٤٤). والمراد بالاحتلم في الحديث الأول البالغ.

والقول بالوجوب قول عدد كثير من أهل العلم، منهم: ابن عمر وأبو هريرة وأبوسعيد وعمار بن ياسر وعمر بن الخطاب، نقل ذلك عنهم ابن المنذر في «الأوسط» (٤)، وبه قال الظاهرية، وحكاها عن هؤلاء ابن حزم في «المحلى»، وابن القيم في «زاد المعاد» (١/٣٧٦).

وسياقي التصريح من المصنف رحمه الله تحت الخطبة (٤٦) بأن غسل الجمعة واجب، إلا أنه أخطأ فنسب القول بالوجوب للجمهور كما سيأتي التنبيه عليه إن شاء الله في موضعه.

(٢) لقوله جل وعلا: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ =

ليس إلا ابتعادًا بكم أيها المسلمون عن الأمراض، وخوفًا عليكم من العدوى، ول يتم نعمته عليكم كما أتمها على أبيكم إبراهيم الخليل، ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨].

بعض الناس إذا تسوك ذلك الأسنان والحنك حتى تُدمى ولم يغسل المسواك، فيعرضه لوقوع الذباب عليه، ولم يغسله من القلح^(٤) حتى يكون عليه من الجراثيم الفتاكة ما يودي به إلى الهلاك، ويرى أنه خالف السنة ولم يدرك الغرض من التنظيف إن لم يكن سواكه من عود الأراك.

=

حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴿البقرة: ٢٢٢﴾.

(١) يشير رحمه الله إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ق: «البصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها» رواه البخاري رقم (٤١٥) ومسلم رقم (٥٥٢).

(٢) يشير رحمه الله إلى حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، إنا بأرض قوم أهل كتاب أفنأكل في آيتهم؟ قال: «لا تأكلوا فيها إلا أن تجدوا غيرها فاغسلوها وكلوا فيها» رواه البخاري (٥٤٧٨) ومسلم (١٩٣٠).

(٣) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ق: «طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات، أولاهن بالتراب» أخرجه مسلم رقم (٢٧٩) (٩١).

(٤) القلح: صفرة تعلو الأسنان في الناس وغيرهم، وقيل: هو أن تكثر الصفرة على الأسنان وتغلظ ثم تسود أو تخضر. اهـ من «لسان العرب» مادة: قلح.

ومن الناس من يمتخط بيده ولا يكاد ينزعها من أنفه وفمه وإبطه وما بين فخذه، وإذا تضمض مع الماء في الحياض والبرك وهذا حرام وفيه حرمة المتطهرين منتهى الانتهاك وقد تغسل أيها المتوضئ نجاستك بالماء الموقوف وتدخل فيه أطرافك المتلوثة، إياك ومثل هذا وإياك^(١) والذي يبول أو يتغوط في طرق الناس أو ظلهم أو في موارد الماء ظالم وملعون على لسان من علمك^(٢) وهداك إلى مصالح دينك ودنياك، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٧]، إذا شربت الماء فسم الله ولا تشرب من ثلثة الإناء^(٣) ولا

(١) سئل شيخنا العلامة المحدث أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله عن الوضوء بقاء البرك وقد تغير لون الماء إلى أخضر؟

فأجاب: إن كان التغير بسبب الاغتسال فيهما والاستنجاء فلا يجوز؛ لأنها تكون قد تنجست، والماء طهور لا ينجسه شيء إلا ما غير ريحه أو طعمه أو لونه بنجاسة تحدث فيه، وإن كان التغير من طول المكث، فهو أمر مستقدر فقط، وقد يأتي الغثيان إذا تضمض واستنشق من تلکم البرك.

فأنا أنصح أصحاب البرك أن يتخذوا لهم أباريق ويغرفوا من البرك، ويخرجوا إلى الخارج، والله سبحانه وتعالى يسهل إذا علم صدقهم وإخلاصهم. اهـ من «إجابة السائل» سؤال رقم (٣)، ص (٣١).

(٢) يشير المؤلف رحمه الله تعالى إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ق: «اتقوا اللعائن، الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم» رواه مسلم رقم (٢٦٩).

(٣) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ق أن يُشرب من في السقاء أو القربة» رواه البخاري (٥٦٢٧ و ٥٦٢٨)، وفي الباب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رواه البخاري (٥٦٢٥) ومسلم (٢٠٢٣).

تتنفس فيه^(١)، وإذا أكلت فاغسل يديك قبل الطعام وبعده، وكل مما يليك^(٢)، ولا تنظر إلى أكيلك^(٣) أو تأخذ شيئاً مما يليه^(٤)، ومن نام وعلى يديه غمر فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه^(٥).

والمؤمن النظيف إذا أكل لا يدخل أصابعه في فيه، وحذار أن تتخلل وتلفظ ما بين أسنانك أو تخرج شيئاً تضعه على المائدة فتضر به جليستك وتؤذيه، والمسلول ومن به مرض معدي لا يدخل المساجد ولا يحضر المحافل.

(١) يشير رحمه الله إلى حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه رواه البخاري (١٥٤) ومسلم (٢٦٧)، وفي الباب عن ابن عباس رواه الترمذي (١٨٨٩)، أبوداود (٣٧٢٨)، وابن ماجه (٣٤٢٨)، وإسناده صحيح، وقد صحح الحديث شيخنا مقبل رحمه الله في «الصحيح المسند» (١/٥٠٤).
 (٢) يشير رحمه الله إلى حديث عمر بن أبي سلمة قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ق، وكانت يدي تطيش في الصحيفة، فقال لي رسول الله ق: «يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك» رواه البخاري (٥٣٧٦) ومسلم (٢٠٢٢).
 (٣) ليس هناك دليل فيما أعلم في النهي عن النظر إلى الأكيل في حال الأكل، لكن هذا من باب الأدب، والله أعلم.

(٤) يشير رحمه الله إلى حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه، وقد تقدم تخريجه.
 (٥) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ق: «من نام وفي يده غمر ولم يغسله، فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه» أخرجه أحمد (٢/٢٦٣)، وأبوداود (٣٨٥٢)، وابن ماجه (٣٢٩٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح ابن ماجه» (٣/١٢٥)، وحسنه شيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٢/٣٧١).
 والعمر: الدسم والزهومة من اللحم.

وإذا خرج منه شيء يبعه وينحيه، وما شرع الله فسخ النكاح بالجدام والبرص إلا مخافة أن يعدي أحد الزوجين الآخر^(١)، وما أكثر ما يباشر الرجل امرأته فيعديها وتعيده. وفي الحديث الشريف: «لا عدوى ولا طيره»^(٢)، ولكن هذا لمن صح إيمانه وصدق في توكله على ربه وباريه^(٣): ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

-
- (١) وكذلك من الموانع بين الزوجين أن ذلك يوجب نفرة تمنع قربانه من زوجه بالكلية ومسها والاستمتاع المقصود بالنكاح، وللمزيد راجع «المغني» (١٠/٥٦-٥٧)، و«وزاد المعاد» (٥/١٨٢)، و«الشرح الممتع» (١٢/٢١٦-٢١٨) والله أعلم.
- (٢) أخرجه البخاري رقم ٥٧٥٣ و(٥٧٧٢) ومسلم (٢٢٢٥) (١١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفي الباب عن أنس رضي الله عنه أخرجه البخاري (٥٧٧٦) ومسلم (٢٢٢٤)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري (٥٧٠٧) ومسلم (٢٢٢٠)، وعن جابر رضي الله عنه أخرجه مسلم رقم (٢٢٢٢).
- (٣) سبق المؤلف رحمه الله إلى هذا القول الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ في «تيسير العزيز الحميد» (٤٢٥-٤٢٦)، ثم قال: وأحسن من هذا كله ما قاله البيهقي وتبعه ابن الصلاح وابن القيم وابن رجب وابن مفلح أن قوله: (لا عدوى) على الوجه الذي كانوا يعتقدونه في الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى، وأن هذه الأمراض تعدي بطبعها...
- وأما قوله: (فر من المجذوم فرارك من الأسد)، و(لا يورد ممرض على مصح) فإنه من باب اجتناب الأسباب التي خلقها الله تعالى، وجعلها سبباً للهلاك والأذى، والعبد مأمور باتقاء أسباب الشر إذا كان في عافية. اهـ بتصرف

معالجة الأمراض والتماس الطب لا يعد مخالفة للتوكل كما يتوهم ذلك من لا يعرف
تعاليم الإسلام، فلقد كان رسول الله ﷺ يداوي ويتداوى^(١)، ويقول: «من تطب من غير
أن يعلم منه طب فهو ضامن»^(٢).

(١) أما كونه ق يداوي فلحديث جابر رضي الله عنه في «صحيح مسلم» (٢٢٠٧) (٧٤)، قال: رمي أبي
يوم الأحزاب على أكله، فكواه رسول الله ق، وعنه رضي الله عنه قال: رمي سعد بن أبي وقاص في
أكله فحسمه النبي ق بمشقص، ثم ورمت فحسمه ثانية. أخرجه مسلم (٢٢٠٨).
وفي الترمذي (٢٠٥٠) عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ق كوى أسعد بن زرارة من الشوكة. وإسناده
صحيح.

والشوكة: إمرار ينتشر على الوجه والجسد، كما في «النهاية» (٥١٠ / ٢).
وإنما كونه يتداوى فلحديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ق احتجم وأعطى الحجام أجره
واستعط. رواه البخاري (٢٢٧٨) ومسلم (١٢٠٢) وغيره من الأحاديث، وللمزيد راجع في ذلك
كتاب «الطب» من «صحيح البخاري»، و«الجامع الصحيح» لشيخنا مقبل الوداعي رحمه الله.
(٢) (ضعيف).

أخرجه أبوداود (٤٥٨٦)، وابن ماجه (٣٤٦٦)، والنسائي (٥٢-٥٣ / ٨)، والدارقطني (١٩٦ / ٣)،
والحاكم (٢١٢ / ٤)، وابن عدي في «الكامل» (١٧٦٧ / ٥) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنهما.

قال الدارقطني: لم يسنده عن ابن جريج غير الوليد بن مسلم، وغيره يرويه عن ابن جريج عن عمرو بن
شعيب مرسلًا.

فالراجح في الحديث الإرسال، وقد أشار ابن عدي إلى ذلك في «كامله»، ومع إرساله فهو منقطع ابن
جريج لم يسمع من عمرو بن شعيب، قاله البخاري كما في «جامع التحصيل».
وأخرجه أبوداود (٤٥٨٧) وفي سنده علتان: ١- أنه مرسل. ٢- جهالة المرسل.

ويخاف على الأمة من مهلكات الأوهام، ويقول: «ما أنزل الله داءً إلا وأنزل له دواء علمه من علمه، وجهله من جهله»^(١)، ويرغب في السنا والسنوات^(٢)، ويأمر بالاستياك

=

فالحديث ضعيف، ومع هذا فقد حسن الحديث المحدث الألباني رحمه الله تعالى في «الصحيحة» رقم (٦٣٥)، والله أعلم.

(١) (صحيح لغيره).

أخرجه الإمام أحمد (٣٧٧/١ و ٤١٣ و ٤٥٣)، والبيهقي في «الكبرى» (٣٤٣/٩)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٢٨٥/٥) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وإسناده حسن.

وقد اختلف في رفع الحديث ووقفه، ورفع صحیح، كما قال الدارقطني رحمه الله في «العلل» (٣٣٤/٥) - (٣٣٥)، وتفصيل ذلك في تحقيق «مسند أحمد» (٥٣-٥٠/٦)، وقد صحح الحديث المحدث الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٤٥١).

وفي الباب عن أبي هريرة أخرجه البخاري رقم (٥٦٧٨)، وعن أسامة بن شريك أخرجه أحمد (٢٧٨/٤)، وصححه شيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٤٣-٤٢/١)، وجاء عن غيرهما، وللمزيد راجع تحقيق «مسند أحمد» المصدر السابق.

(٢) أحاديث الترغيب في السنا والسنوات جاءت عن عدد من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم:

١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً: «ثلاث فيهن شفاء من كل داء إلا السام (يعني الموت) السنا والسنوات». أخرجه النسائي في «الكبرى» (٤/٤) رقم (٧٥٧٧)، وأبونعيم في «الطب» ص (٣٥)، وعنه الضياء في «المختارة» (٢٢٥٥)، وهو حديث حسن.

٢- حديث أبي ابن أم حرام، واسمه (عبد الله بن أم حرام)، ولفظه مرفوعاً: «السنا والسنوات فيهما دواء من كل داء». أخرجه البيهقي في «الكبرى» (٣٤٦-٣٤٧/٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٣/٢٧) وإسناده صحيح.

٣- حديث أسماء بن عميس رضي الله عنها، أخرجه ابن ماجه (٣٤٦١)، وعبد الله في «زوائد المسند» =

والاحتجام^(١).

=

(٣٦٠ / ٦) وغيرهم، وإسناده ضعيف فيه مبهم، وقد ضعفه شيخنا الوادعي رحمه الله في «تبعاته لأوهام الحاكم التي سكت عليها الذهبي» (٣٢٣ / ٤)، وكذا العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الجامع» (٤٨١٠).

٤- حديث أم سلمة رضي الله عنها، أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٣ / رقم ٩٥٢)، وفي سنده جهالة.
٥- حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أخرجه السيوطي في «النهج السوي في الطب النبوي» (٢٩٦)، وأبونعيم في «الطب» (١٠٧)، وفي سنده سهل مولى المغيرة أبوحرز، قال ابن حبان في «المجروحين» (٣٤٨ / ١): لا يحتج به.

فالخاص أن الحديث صحيح، وقد صححه العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (١٧٩٨)، وانظر رسالة أخينا في الله الشيخ علي بن أحمد الرازي حفظه الله «المجتبى في تحقيق أحاديث وفوائد السنن» ط/ دار العقيدة، ومنها استفدت في تخريجي هذا، والله الموفق.
فائدة: السنا هو نبات حجازي أفضله المكّي وهو دواء شريف مأمون الغائلة قريب من الاعتدال حار يابس في الدرجة الأولى. «زاد المعاد» (٧٥ / ٤)، وانظر «النهاية» لابن الأثير (٤١٤ / ٢).

وشكله: نبات كأنه الخناء زهره إلى الزرقة وحبه مفرطح إلى الطول، «المعجم الوسيط».
وأما السنوت: فقد حكى ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» (٧٥ / ٤) في معناه ثمانية أقوال، وأقربها أنه العسل الذي يكون في زقاق السمن، فيخلط السنا مدقوقاً بالعسل المخالط للسمن ثم يعلق فيكون أصلح لما في العسل والسمن من إصلاح السنا وإعائته على الإسهال، والله أعلم.
(١) أما الأمر بالاستيأك فلم يثبت فيه حديث صحيح عن النبي ق، وجاءت أحاديث فيها الأمر بالاستيأك لا يثبت منها شيء، منها:

١- حديث رافع بن حديج رضي الله عنه: «السواك واجب» أخرجه أبونعيم، قال الحافظ في «التلخيص» =

الحبير» (١/ ١١٣): إسناده واهي.

٢- حديث أبي الدرداء، قال: «عليكم بالسواك فلا تغفلوه ..»، قال الحافظ في «التلخيص»: لا أصل له من طريق صحيح ولا ضعيف.

٣- حديث معاوية: أمرني رسول الله ق ألا آتي أهلي في غرة الهلال، وأن أستن كلما قمت من ستي. رواه أحمد والطبراني (١٩ / رقم ٨١١)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١ / ٢١٥) و(٤ / ٢٩٢): وفيه عبيدة بن حسان منكر الحديث.

وفي الباب أحاديث أخرى ضعيفة، انظرها في «التلخيص الحبير»، و«مجمع الزوائد» (٢ / ٩٦-١٠١). والثابت هو حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» رواه البخاري (٨٨٧ و ٧٢٤٠) ومسلم (٢٥٢)، وفي لفظ عنه مكان «عند كل صلاة»: «مع كل وضوء» رواه أحمد (٢ / ٤٦٠) وهو صحيح.

فائدة: قال النووي في «شرح مسلم» عند حديث رقم (٢٥٢): السواك سنة ليس بواجب في حال من الأحوال، لا في الصلاة ولا في غيرها بإجماع من يعتد به في الإجماع. اهـ. وأما الحجامة فلم يثبت بالأمر فيها شيء.

وجاء عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ق يقول: «ما مررت ليلة أسري بي بماء إلا قالوا: يا محمد مر أمتك بالحجامة» أخرجه ابن ماجه (٣٤٧٩) وفي سننه جبارة بن المغلس وكثير بن سليم وهما ضعيفان.

وفي الباب عن ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه الترمذي (٢٠٥٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترمذي» (٢ / ٢٠٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما رواه الترمذي (٢٠٥٣)، وفي سننه عبدالرحمن بن إسحاق الواسطي الكوفي ضعيف باتفاق كما في ترجمته من «التهذيب»، وكذلك فيه عباد بن منصور ضعيف لسوء حفظه وتغيره، وقد تقدمت الإشارة إلى أحاديث الترغيب في الحجامة قبل، ويحمل كلام المؤلف رحمه الله ويأمر بالاستياك والاحتجام أي أمر ندب، والله أعلم.

وينتهي عن الإفراط في الأكل^(١).

(١) لم أقف على حديث ينص على ذلك إلا ما ذكره العلامة الألباني رحمه الله تعالى، في «الصحيحة» رقم (٣٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً تجشأ عند النبي ق، فقال له: «كف عنا جشاءك، فإن أكثرهم شبعاً في الدنيا، أطولهم جوعاً يوم القيامة»، أخرجه الترمذي (٢٤٧٨) وابن ماجه (٣٣٥٠)، وفي الباب عن عقبة بن عامر، وأبي جحيفة، والمقدام بن معد يكرب، وبوب عليها ابن ماجه: (باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع) والله أعلم.

وما ذكره العلامة الألباني رحمه الله من الأحاديث فيها كلام.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» عند شرح حديث رقم (٦٤٥٢)، وفيه جواز الشبع ولو بلغ أقصى غايته أخذاً من قول أبي هريرة: «لا أجد له مسلماً»، وتقرير النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك خلافاً لمن قال بتحريمه، وإذا كان كذلك في اللبن مع رفته ونفوذه، فكيف بما فوقه من الأغذية الكثيفة... ثم ذكر بعض الأحاديث التي ذكرها العلامة الألباني رحمه الله ثم قال: ويمكن الجمع بأن يحمل على الزجر على من يتخذ الشبع عادة لما يترتب على ذلك من الكسل عن العبادة وغيرها، ويحمل الجواز على من وقع له ذلك نادراً ولا سيما بعد شدة جوع. اهـ بتصرف.

والجلوس في الشمس^(١)، ويقول: «المعدة بيت الداء»^(٢).

(١) لم أقف على حديث في النهي عن الجلوس في الشمس، والذي وقفت عليه ما صححه العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٨٣٨) أن النبي ق نهى أن يجلس بين الضح والظل، وقال: «مجلس الشيطان».

والضح: هو ضوء الشمس.

أخرجه أحمد (٤١٣/٣-٤١٤) من حديث رجل من أصحاب النبي ق.

وله شاهد من حديث بريدة رضي الله عنه أخرجه ابن ماجه (٣٧٢٢) قال الشيخ الألباني رحمه الله في «الصحيحة» المصدر السابق: إسناده حسن، وحسنه شيخنا مقبل الوداعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (١٣٢/١)، وفي الباب عن جابر رضي الله عنهما، أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣٦٤/٥) وفي سنده عبدالله بن محمد بن المغيرة متهم بالوضع، والراوي عنه المقدم بن داود ضعيف جداً. وأخرجه أحمد في «مسنده» (٣٨٣/٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ق قال: «إذا كان أحدكم جالساً في الشمس فقلصت عنه فليتحول من مجلسه»، وإسناده منقطع محمد بن المنكدر لم يسمعه من أبي هريرة رضي الله عنه، بينهما رجل مبهم كما عند أبي داود (٤٨٢١)، والبيهقي (٣/٢٣٦-٢٣٧). وقد صحح الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٨٣٧).

وأخرج الحاكم (٢٧١/٤) عن أبي حازم قال: رأي النبي ق وأنا قاعد في الشمس فقال: «تحول إلى الظل، فإنه مبارك»، وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٨٣٣) وحكم على قوله في الحديث: «فإنه مبارك» بالشذوذ، والله أعلم.

(٢) هذا الحديث لا أصل له عن النبي ق.

قال السخاوي رحمه الله في «المقاصد الحسنة» رقم (١٠٣٥): حديث «المعدة بيت الدواء والحمية رأس الدواء» لا يصح رفعه إلى النبي ق، بل هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب أو غيره... اهـ

وقد ذكر العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (١٦٩٢): حديث «المعدة حوض البدن والعروق إليها =

وإنه ﷺ لطيب الأرواح والأجسام، والقرآن يبيح التيمم للمريض إذا خاف من استعمال الماء، كما يبيح له ترك الصيام، ولا بأس أن يقعد المريض أو يضطجع في الصلاة إذا عجز عن القيام^(١).

وللمحرم بالحج والعمرة أن يخلق رأسه إن كان به مرض أو تأذى بالهوام، وعليه فدية من صدقة أو نسك أو صيام.

وإذا فقد الطبيب للرجال أو الطبيبة للنساء جاز للرجل أن ينظر من المرأة بحضور زوج أو محرم إلى ما يريد علاجه منها ولكن مع الأدب والاحتشام^(٢)، فأى دين له من العناية

=

ورادة، فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة، وإذا سقمت المعدة صدرت العروق بالسقم». قال الشيخ الألباني رحمه الله: منكر رواه العقيلي ص (١٦)، وتام في «الفوائد» (١/٤٨)، وابن عساكر (٩٣/٢/١٧) ... عن أبي هريرة به، قال العقيلي: هذا الحديث باطل لا أصل له، وهذا الكلام يروى عن ابن أبجر، وهو عبد الملك بن سعيد عن أبيه، وقال الذهبي: هذا منكر، وإبراهيم يعني ابن جريج الرهاوي ليس بعمدة. اهـ ويحى البابلي ضعيف جداً كما في «التقريب». اهـ بتصرف من «الضعيفة» المصدر السابق.

(١) يشير رحمه الله إلى حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كانت بي بواسير فسألت النبي ق عن الصلاة فقال: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب» رواه البخاري (١١١٧).
(٢) هذا كلام جيد من المؤلف رحمه الله، وليت المسلمين يعملون بذلك رجالاً ونساءً، ولكن ذهب الغيرة وانتشر الفساد والاختلاط في المستشفيات والعيادات.

وقد بوب البخاري رحمه الله في «صحيحه» في كتاب الطب باب (٢) باب هل يداوي الرجل المرأة والمرأة الرجل، وذكر حديث (٥٦٧٩) عن ربيع بنت معوذ بنت عفراء قالت: كنا نغزو مع رسول الله ق =

بالصحة مثل ما للإسلام كما عرفت من الأحكام، ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»^(١).

قال رسول الله صلى الله وسلم: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فرارًا منه»^(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة من عسل أو لذعة بنار توافق داء وما أحب أن أكتوي»^(٣).

=

نسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة.

قال الحافظ رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: وليس في هذا السياق تعرض للمداوة إلا إن كان يدخل في عموم قولها: «نخدمهم»، نعم ورد الحديث المذكور بلفظ: «ونداوي الجرحى ونرد القتلى»، فجري البخاري على عادته في الإشارة إلى ما ورد في بعض ألفاظ الحديث ويؤخذ حكم مداوة الرجل المرأة منه بالقياس، وإنما لم يجزم بالحكم لاحتمال أن يكون ذلك قبل الحجاب، أو كانت المرأة تصنع ذلك بمن يكون زوجها أو محرماً.

وأما حكم المسألة فتجوز مداوة الأجانب عند الضرورة وتقدر بقدرها فيما يتعلق بالنظر والجلس باليد وغير ذلك. اهـ

(١) أخرجه البخاري (٢٢٠ و ٦١٢٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٤٣٧٣) ومسلم (٢٢١٨) عن أسامة بن زيد رضي الله عنه.

وأخرجه البخاري (٥٧٢٩) ومسلم (٢٢١٩) عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه.

وقال أيضاً: «إذا بال أحدكم فلا يمس ذكره بيمينه، وإذا دخل الخلاء فلا يتمسح بيمينه، وإذا شرب فلا يتنفس في الإناء»^(٢)، والله تعالى يقول: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

=

- (١) أخرجه البخاري رقم (٥٦٨٣) ومسلم (٢٢٠٥) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.
- وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية بنار، وأنا أنهى أمتي» رواه البخاري رقم (٥٦٨٠).
- (٢) رواه البخاري (١٥٣ و ١٥٤) ومسلم (٢٦٧) من حديث أبي قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري رضي الله عنه.

الخطبة التاسعة

في الألفة والاتحاد

الحمد لله الذي جعل المؤمنين إخوة ونعمة الأخوة في الإيمان، وألف بين قلوبهم، وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن^(١)، وصيرهم بعد الفرقة كالبنان أو كالبنان. نحمده تعالى فضلنا على سائر الأمم^(٢)، كما فضل ديننا على سائر الأديان، ونشكره عز وجل جعلنا خير أمة أخرجت للناس بشهادة القرآن، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤].

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في جلاله وقده، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله القائل: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٣).

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ق: «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء» أخرجه مسلم رقم (٢٦٥٤)، وفي الباب عن أنس، أخرجه أحمد (٣/ ١١٢ و ٢٥٧) وإسناده صحيح.

(٢) لقول الله عز وجل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(٣) أخرجه البخاري رقم (١٣) ومسلم رقم (٤٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد الطيب منبته والكريم مَحْتَدُهُ^(١)، وأفضل الناس في نوعه وجنسه، رسول الله إلى كافة جنه وإنسه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ما أشرق الوجود بنور شمسهِ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [أنفال: ٧٥].

عباد الله: أهم ما جاءت به الرسل بعد التوحيد جمع الكلمة ولم الشعث وتسوية الصفوف، ومثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد^(٢)، والمؤمن رحيم رءوف، وما شرع الله في دينه المساواة^(٣) بين القوي والضعيف، والشريف والمشروف إلا ليطم بين عباده التألف، والمسلم أليف مألوف.

(١) المحتد: الأصل والطبع، كما في «لسان العرب» مادة: «حتد».

(٢) يشير رحمه الله إلى حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه رواه البخاري (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٦)، والسياق له.

(٣) قال شيخنا أبو عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله في «اللمع على إصلاح المجتمع» (٥٤٢) معلقاً على قول المؤلف «ولكن رسول الله المبعوث بالعدالة والمساواة»، قال شيخنا: هذا غير صحيح، فلفظ المساواة ورد نفيه في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [آل عمران: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وليس من العدالة التسوية بين العالم والسكران في الصوت والكلمة بين الرجل والمرأة، بل العدالة إنزال كل منزلته التي أنزله الله إياها في كتابه أو على لسان نبيه.

وكثيراً ما ينق الملاحدة بلفظ المساواة بين الذكر والأنثى، وليس هذا مقصود من المؤلف قطعاً، ولكنه لم يتأمله رحمه الله، فديننا دين العدالة لا المساواة، وإن غني المساواة في بعض العبادات مثل الصوم =

وما جمع النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار وأخى بينهم^(١) في كل شيء بالمعروف، وقضى على ما كان بين الأوس والخزرج^(٢) من الخلاف إلا لكي يتحدوا، وفضل الاتحاد معروف.

وما استاءت اليهود من شيء استياؤهم من اجتماع المسلمين وتألفهم بعد ما كان بينهم من الفرقة والقتل والخوف، حتى أضمروا الشر ودبروا الأمر، وخوف الله من كيدهم وحذر، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ ﴿[آل عمران: ١٠٠-١٠١].

وبفضل الاتحاد ظهر المسلمون^(٣) مع قتلهم على أعدائهم من كفار أهل الكتاب والمشركين، وهل فتحوا البلاد وأظهروا الإسلام وقهروا الملوك والسلاطين، وصاروا

=

والصلاة ونحوها للرجال والنساء فالحكم واحد إلا ما خصه الدليل فهو صواب. اهـ كلامه حفظه الله.

(١) انظر لمؤاخاة النبي ق بين المهاجرين والأنصار «زاد المعاد» (٣/ ٦٣-٦٥)، و«صحيح البخاري» كتاب مناقب الأنصار: باب إخاء النبي ق بين المهاجرين والأنصار، حديث رقم (٣٧٨٠ و ٣٧٨١ و ٣٧٨٢). وانظر: باب كيف آخى النبي ق بين أصحابه حديث رقم (٣٩٣٧)، و«السيرة النبوية» لابن كثير (١/ ٣١٩-٣٢١)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٠٤).

(٢) انظر خبر ذلك في «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٩٨)، وما ذكره ابن كثير رحمه الله تحت تفسير آية (١٠٣) من «سورة آل عمران».

(٣) الصواب أن يقول المؤلف رحمه الله: وبفضل الله عز وجل ثم بفضل الاتحاد ظهر المسلمون، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

أقوياء وعلماء وأغنياء وسادة الدنيا والدين، إلا باتحادهم، وما كان ذلك ليكون من الضعفاء أو تناله المساكين، ولكنهم جمعوا أمرهم وتعاونوا على البر والتقوى فأيدهم الله بالنصر والتمكين.

وقال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

ولا شك أن اليد الواحدة لا تصفق ولو كانت والعود ينكسر وحده، وهو في الحزمة مع غيره لا ينكسر ولا يلين، وكذلك الناس إذا اتحدوا مسلمين ومحاربين، كانت لهم العاقبة والله مع الصابرين. ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، في غزوة بدر ما كان عدد المسلمين المقاتلين إلا ثلاثمائة وبضعة عشر، والكفار كانوا تسعمائة أو أكثر^(١)، فأيد الله الذين عرفوا الحق واثلت عليه قلوبهم وعقدوا العزم على مقاتلة من خالفهم من الأبيض والأسود والأحمر والأصفر.

ويوم أحد^(٢) اختلف المسلمون نوعاً ما وترك بعضهم العمل لما قال سيد البشر^(١)، فأدبل عليهم الكفار ونالوا منهم وكثر فيهم القتل واستعر^(٢)، وإنما كان ذلك درساً عملياً من الله لعباده حتى يعرفوا عاقبة الأمر إذا اتحدوا.

(١) انظر خبر غزوة بدر في «سيرة ابن هشام» (٢/٦٠٦-٧١٥)، و«السيرة النبوية» لابن كثير (١/٣٣٤-٣٧٨)، و«زاد المعاد» (٣/١٧١-١٧٩).

(٢) انظر خبر هذه الغزوة في «السيرة النبوية» لابن كثير (١/٤٠١-٤٣٨)، و«زاد المعاد» (٣/١٩٢) =

وكذلك نجزي من شكر، وإن اختلفوا فبئس المصير والمستقر، وكذلك يجزى من كفر، ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ [البينة: ٤-٥]، لم يمض على المسلمين إلا فترة قصيرة من بعثة الرسول وهم في منتهى العز والكرامة يخافهم العظماء ويخشى بأسهم الملوك والزعماء وتقنع منهم الدول الكبرى بالعافية والسلامة، حتى تفرقوا شيعاً وأحزاباً، وصارت الأسماء ألقاباً، وتعددت مذاهبهم خطأ وصواباً^(٣)، وجعلوا قواعد الدين متناقضة، وعقائد المسلمين متعارضة في أمر

=

(٢٤١)، و«سيرة ابن هشام» (٣/ ٦٠-١٦٩).

(١) المقالة هي: «لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم، فلا تبرحوا وإن رأيتموهم ظهوروا علينا، فلا تعينونا» رواه البخاري (٤٠٤٣) عن البراء بن عازب رضي الله عنه. وفي بعض الروايات: «إن رأيتمونا تحطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطأنهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم» أخرجه البخاري (٣٠٣٩) عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) قال ابن منظور في «لسان العرب»: «سعر النار والحرب يسعرهما ... أوقدهما وهيجهما».

(٣) تعدد المذاهب ليس عليه دليل، والواجب على المسلم أن يلزم الحق الذي دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ق، وأن يوالي على ذلك ويعادي على ذلك، وكل حزب أو مذهب يخالف الحق يجب البراءة منه وعدم الموافقة عليه.

فدين الله واحد وهو الصراط المستقيم، وهو عبادة الله وحده لا شريك له واتباع رسوله محمد ق. والمذاهب الأربعة ما أنزل الله بها من سلطان، ولم يرد في كتاب الله ولا سنة رسوله ق أن هذا أو ذاك يكون شافعياً أو مالكياً أو حنبلياً أو حنفياً، فالمذاهب أورثت بين الناس العداوة والبغضاء والشحناء، ومن قرأ التاريخ عرف ذلك.

=

الخ_____لافة والإمام_____ة^(١) فسني^(٢)

وشي_____ي^(٣) ،

=

فالحاصل: أن الله ما تعبدنا إلا بكتابه وسنة رسوله ق، قال الله: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال الله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

(١) كل ذلك بسبب تفرقهم واختلافهم وعدم عملهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم ق.

(٢) أهل السنة ليسوا من الفرق المخالفة، وإنما هم الطائفة الناجية المنصورة الموافقة للحق الذي جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله ق.

والمراد بالسنة: الطريقة المسلوكة في الدين، وهي ما عليه رسول الله ق وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال.

فأهل السنة والجماعة هم أهل السنة؛ لأنهم تمسكوا بسنة النبي ق وهديه، واقتفوا طريقته باطنًا وظاهرًا في الاعتقادات والأقوال والأعمال.

وأهل السنة والجماعة هم الجماعة التي يجب اتباعها؛ لأنهم اجتمعوا على الحق وأخذوا به، ولأنهم يجتمعون دائمًا على أئمتهم وعلى الجهاد وعلى السنة والاتباع وترك البدع والأهواء والفرق، وهم أهل الحديث والأثر، وهم الطائفة الناجية المنصورة بإذن الله رب العالمين، كما قال ذلك أئمة العلم والدين.

(٣) الشيعة: من الفرق المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ق، وهم الذين شابعوا عليًا رضي الله عنه وقالوا بإمامته وخلافته نصًا ووصية، إما جليًا أو خفيًا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره.

وهم خمس فرق: كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة، وإسماعيلية، فبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال، وبعضهم إلى السنة، وبعضهم إلى التشبيه.

=

(١) النواصب: تطلق ويراد بها كل من نصب العداوة لأهل البيت.

وخارجي^(٢) وقرمطي^(١).

=

(١) الرافضة إحدى فرق الشيعة المنتسبة للتشيع لآل البيت مع البراءة من أبي بكر وعمر وسائر أصحاب النبي ق إلا القليل منهم، وتكفيرهم لهم وسبهم إياهم. وأما سبب تسميتهم بالرافضة فالذي يراه جمهور المحققين أن سبب إطلاق هذه التسمية عليهم هو لرفضهم زيد بن علي بعد أن كانوا من أتباعه؛ لأنهم طلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر، فقال: لقد كانا وزيراً جدي فلا أتبرأ منهما، فرفضوه وتفرقوا عنه. ولهم آراء وأفكار ومعتقدات باطلة، بينها أهل العلم، منها:

١- عصمة أئمتهم الإثني عشر، وأنهم أفضل من جميع الأنبياء والرسل، واختلفوا في أفضليتهم على رسول الله ق.

٢- اعتقادهم برجعة أئمتهم الإثني عشر إلى الدنيا قبل قيام الساعة.

٣- أن جبريل عليه السلام خان الرسالة فأعطاهما لنبينا محمد ق، وهي لعلي رضي الله عنه.

٤- أن القرآن قد بدل وغير.

٥- تكفيرهم للصحابة أو بعضهم.

راجع للمزيد عن معتقداتهم: «الفرق بين الفرق» (١٦، ٣٨)، «فكر الخوارج والشيعة» للصلاحي (١٠٨) فما بعدها، «رافضة اليمن» للشيخ الفاضل محمد بن عبد الله الإمام حفظه الله، مجلد «الموسوعة الميسرة» (٢/ ١٠٦٩-١٠٧٤)، و«فرق معاصرة تنتسب للإسلام» (١٢٧/١).

(٢) الخوارج: اسم يطلق على كل من خرج على الإمام الحق، لكن إذا أُطلق هذا اللقب فيراد به الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم المعروفون الآن في عصرنا بجماعة الهجرة والتكفير.

ولهم آراء وأفكار ومعتقدات، منها:

١- نفي الأسماء والصفات.

=

=

٢- تكفير أصحاب الكبائر وتخليدهم في النار.

٣- القول بالخروج على أئمة الجور.

وانظر لما تقدم: «مقالات الإسلاميين» (٢٠٧/١)، و«الفصل في الملل والأهواء والنحل» (١١٣/٢)، و«فرق معاصرة تنتسب للإسلام» (٢٢٧/١)، و«رافضة اليمن» للشيخ الفاضل أبي نصر محمد بن عبدالله الإمام (٣١٨-٣١٩)، و«فكر الخوارج والشيعة» / د الصلابي وهو إخواني / ص (١٠) فما بعدها، و«الخوارج وتاريخهم وآراؤهم الاعتقادية» د. غالب عواجي.

(١) القرامطة نسبة إلى رجل يقال له: حمدان قرمط، رجل من أهل الكوفة، وقد كان راعياً مائلاً إلى الزهد والديانة فيما يذكر عنه في بداية حياته، وقيل: إنه كان يتظاهر بذلك، وأنه على المجوسية، فصادفه رجل من الباطنية فدعاه لذلك.

والقرامطة إحدى فرق الباطنية الذين هم أحب وأكفر من اليهود والنصارى، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» (١/ ٦١) حوادث سنة (٢٧٨هـ): وفيها تحركت القرامطة وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذي يعتقدون بنبوة زرادشت ومزدك، وكانا يبيحان المحرمات.

ثم هم بعد ذلك أتباع كل ناعق إلى باطل، وأكثر ما يفسدون من جهة الرافضة ويدخلون إلى الباطل من جهتهم؛ لأنهم أقل الناس عقولاً، ويقال لهم: الإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل الأعرج ابن جعفر الصادق. اهـ

ولهم أفعال وفضائح إجرامية في تاريخهم وسيرتهم، منها:

١- قتل المسلمين. ٢- والفتك بهم. ٣- وأكل أموالهم. ٤- إفسادهم في الحج.

٥- وقتلهم الحبيج. ٦- وأخذهم للحجر الأسود، وغير ذلك.

راجع «البداية والنهاية» (١/ ٨١، ١٦٠-١٦١)، و«فضائح الباطنية» (١٢-١٣) للغزالي، ولهم أماكن كثيرة في اليمن ونجران والإحساء والعراق والبحرين وغيرها من البلدان، فنسأل الله أن يزيلهم، وأن يطهر الأرض منهم.

وكل يكيد لغيره ويبطل أحكامه^(١)، ويراه ضالاً يستحق أن يضرب رأسه بالصمصامة^(٢).

وإذا وضع السيف في هذه الأمة لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة^(٣)، والفتنة نائمة ولعن الله من أيقظ الشر وأقامه^(٤)، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].
وعاقبة الغادر الخزي والندامة ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ [البقرة: ٢٦-٢٧].

(١) هذا الكلام من المؤلف رحمه الله كلام باطل، فالنصيحة ليست من الكيد، وهكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليسا من الكيد، مع أن هذه الفرق المخالفة أحكامها وعقائدها وأقوالها مخالفة للكتاب والسنة، كما رأيت والله المستعان.

(٢) الصمصامة: اسم للسيف القاطع الصارم الذي لا يشني، كما في «لسان العرب» مادة: صمم.

(٣) هذا الكلام صحيح ومبناه على حديث ثوبان رضي الله عنه أخرجه ابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» آية (٦٥) من «سورة الأنعام»، وأحمد (٢٧٨/٥، ٢٨٤)، وأبوداود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، والحاكم (٤٤٩/٤)، وابن حبان (٧٢٣٨)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان» (٣٨٩-٣٩٠)، وشيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في «رياض الجنة» ص(١٧).

(٤) هذا الكلام مبناه على حديث ضعيف، أخرجه الرافعي كما في «ضعيف الجامع» (٤٠٢٤) للعلامة الألباني رحمه الله تعالى عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

يا أهل الإسلام كيف تختلفون ودينكم التوحيد والاتحاد، وكيف تفرقون وأنتم تعلمون ما في الفرقة من المضرة والفساد، وهل تنتشر الفوضى ويختل النظام وتتعدل مصالح البلاد والعباد إلا بالتفرق في الأعمال والمقاصد والاعتقاد^(١).

وهل يستعين عليكم الكفار، ويتمكن فيكم الاستعمار وتصابون بأشد المضار إلا باختلاف آرائكم ومتابعة أهوائكم وشدة بعضكم على بعض باللوم والانتقاد، وما كانت سياسة فرعون والجبابرة من بعده إلا سياسة فرق تسد.

والشيطان يدخل بين الآباء والأولاد، ويبعد ما بين الجماعات والأفراد، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

في هذه البلاد أحزاب ومذاهب شتى، ولهم في الناحيتين الدينية والسياسية، ما يستوجبون به من الله غضباً ومقتاً^(٢)، عددهم قليل وعنادهم عظيم ونفوسهم شريرة وشيطانهم رجيم، وواعظهم مبعوض والسامع غير موعوظ.

(١) هذا الكلام جيد في ذم التفرق والاختلاف لولا ما ذكره في كلامه السابق في الطعن في أهل السنة، فالمؤلف يريد بيان الحق للناس وتوحيد الصف وجمع الكلمة، ولكن صدرت منه بعض الكلمات المخالفة بسبب من حوله من جلساء السوء، فنسأل الله أن يعفو عنا وعنه.

(٢) لو قال المؤلف رحمه الله: وفي هذه البلاد أحزاب ومذاهب شتى، ولهم في الناحيتين الدينية والسياسية مما يخالف الكتاب والسنة ما يستوجبون به من الله غضباً ومقتاً، لكان أولى؛ لأن السياسية منها ما هو من الدين، ومنها ما ليس من الدين.

وحوادث الأيام تفت في أعضادهم فتًا، القرآن يدعوهم إلى الألفة والاجتماع، والشيطان يزين لهم الخصام والنزاع، ويستميل خبثاء الطباع، لقوله: إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع.

ويقول في المصلحين زورًا وبهتًا، الصغير لا يحترم الكبير ولا يرى له حقًا، والكبير لا يرحم الصغير ولا يبش به ملاقة ونطقًا، والحاكم لا يستعين برعيته ولا هم يغضون أبصارهم عن عثرته، والملحد لا يحترم جمعة ولا أحدًا ولا سبتًا^(١).

والمتدين لا يبذل جهده في التعليم ولا يصبر على مجادلة الفاجر الأثيم ولا يتخلق بالحكمة قولًا وصمتًا، وتمسكًا وسمتًا، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

فيم هذه الفرقة والإسلام يجمعكم ومبادئكم متقاربة^(٢)، بلاد واحدة، وجنسية واحدة، ولغة واحدة، والأهواء مختلفة، والآراء متضاربة، وأنتم لا شك ترمون إلى هدف سام،

(١) الملحد ملحد لا يحترم شيئًا من دين الله جل وعلا.

وقول المؤلف: «ولا أحدًا ولا سبتًا»، السبت عيد اليهود، والأحد عيد النصارى، فلا يجوز أن نتشبه بهم في ذلك من حيث تعطيل الأعمال واحترام يومي السبت والأحد لأجل أنها عيدا اليهود والنصارى فهذا محرم؛ لأنه تشبه بهم، ومن تشبه بقوم فهو منهم.

(٢) قول المؤلف رحمه الله: ومبادئكم متقاربة، المبادئ ليست متقاربة إذا كان الخلاف في العقيدة والمنهج، فهذا الكلام من المؤلف رحمه الله وعفا عنه دعوة إلى التقارب مع الذين حادوا الله ورسوله وخالفوا الكتاب والسنة، فإن ديننا الإسلامي الحنيف يأمر بالولاء للمؤمنين الموحدين المستقيمين، ويأمر =

وتؤمنون غاية شريفة، وتدعون إلى الإصلاح في كل مناسبة، ولكن جهودكم غير متحدة وأعمالكم غير متفقة.

وكل يخطئ غيره ويتمدح بما ليس فيه ^(١) ويتشبع بما لم يعط ويعد حجته صائبة، فآلسنة فصيحة، وأقوال صحيحة، وقلوب خبيثة ^(٢) ونفوس متعادية متحاربة، والله يعلم سرهم

=

بالبراءة من الشرك والمشركين وأهل البدع والانحرافات الزائغين. وإن كان يقصد بالمبادئ تعاليم الدين وأوامره فهذا الكلام ينبغي البعد عنه والتحرز منه. راجع كلام جيداً عن ذلك في «معجم المناهي اللفظية» (٤٩٠-٤٩١).

(١) السكوت على الخطأ لا يجوز، والخطأ ينكر على صاحبه كائناً من كان.

قال الإمام مالك رحمه الله: كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر، وأشار إلى قبر النبي ق. وقال العلامة مفتي الديار السعودية شيخ الإسلام عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله: ومتى سكت أهل الحق عن بيان أخطاء المخطين وأغلاط الغالطين، لم يحصل منهم ما أمر الله به من الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومعلوم ما يترتب على ذلك من إثم الساكت من إنكار المنكر وبقاء الغلط على غلظه والمخالف للحق على خطئه، وذلك خلاف ما شرعه الله سبحانه من النصيحة والتعاون على الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والله ولي التوفيق. اهـ من كتاب «تنبيهات على ما كتبه الصابوني في صفات الله عز وجل» ص (٣٠).

(٢) يا سبحان الله! كيف يصدر هذا الكلام من المؤلف رحمه الله، كيف تكون قلوب الناصحين خبيثة وهم ما أرادوا إلا النصح والخير للمسلمين، وقدوتهم في ذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾.

ونجواكم، ويدعوكم إلى ما فيه صلاح دينكم ودنياكم، ويكره لكم التفرق في مسرحكم ومأواكم ويحذركم الشر وجانبه.

ويقول تعالى لمحمد عليه الصلاة والسلام: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قال رسول الله ﷺ: «إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها»، قالوا: يا رسول الله كيف تأمرنا؟ قال: «تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم»^(١).

وقال ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يأمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(٢).

وقال أيضاً: «إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعلت عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتن يرقق بعضها بعضاً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه، فمن أحب أن يرحل عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه،

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٣ و٧٠٥٢)، ومسلم (١٨٤٣) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم رقم (١٨٣٩) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر»^(١).

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿[الإنسان: ٢٩-٣٠].

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة رقم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

الخطبة العاشرة

في الحث على الصلاة

الحمد لله الذي جعل الصلاة عماد الدين، وجعلها كتاباً موقوتاً على المؤمنين، وألزم بها المسلمين وحثهم عليها في محكم الذكر المبين، فقال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦].

نحمده تعالى وهو الكريم المتفضل البر الجواد، ونشكره عز وجل على إنعامه الذي ما له من نفاد.

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله القائل: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد»^(١)، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلٍ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلٍ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤١-٤٢].

(١) (صحيح بمجموع طرقه وشواهده).

أخرجه أحمد (٢٣١/٥)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٩٤) وغيرهم من طريق أبي وائل عن معاذ بن جبل به مطولاً.

وإسناده منقطع، أبو وائل وهو شقيق بن سلمة لم يسمع من معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال ابن طاهر:

لا يعرف لأبي وائل عن معاذ رواية. اهـ من حاشية «جامع التحصيل» (٢٣٩)، وله طرق أخرى عن =

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد المرشد الأمين، والموصوف بالرحمة واللين، وصلى الله وسلم عليه وآله وأصحابه الغر الميامين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها المسلمون: إن آية ما بينكم وبين غيركم الصلاة، إذ لا يقوم بها إلا خاشع قانت منيب أواه، ﴿رَجُلٌ لَا تُلْهِمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور: ٣٧].

ولا يقصر فيها إلا سفيه أضله الشيطان وأغواه، نعم ولا يتغافل عنها إلا فاسق استزله هواه وأطغاه، ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤-٧].

خمس صلوات في اليوم والليلة كتبهن الله على العباد^(١)، يطهرون بها أرواحهم من الذنوب كما يطهرون بالماء درن الثياب والأجساد^(٢)، من حافظ عليهن في أوقاتهن بغير ما بطلان ولا فساد، فقد فاز بنعمة من الله ورضوان وهدى إلى سبيل الرشاد.

=

- معاذ بن جبل رضي الله عنه، وكلها لا تخلو من مقال، انظرها في تحقيق «مسند أحمد» (٣٦/ ٣٤٦)، وبمجموعها صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح الترمذي» (٢/ ٣٢٨-٣٢٩).
- (١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أخرجه أحمد (٥/ ٣١٧)، وصححه شيخنا الإمام مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (١/ ٤٦٠-٤٦١)، وفي الباب عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٤٦) ومسلم (١١).
- (٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي هريرة أخرجه البخاري (٥٢٨) ومسلم (٦٦٧).

ومن تركهن خسر الدنيا والآخرة ومأواه جهنم ولبئس المهاد، مع فرعون وهامان وأبي بن خلف^(١) وثمود وعاد ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨].

قد جعل الله إقامة الصلاة لهذا الدين ركناً أساسياً، وأمر بها النبيين والمرسلين وأتباعهم وكان أمر ربك مقضياً، فقال إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠] وكان صديقاً نبياً.

ومدح الله إسماعيل بصدق الوعد وأنه يأمر أهله بالصلاة الزكاة وكان عند ربه مرضياً، وقال عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١]. وقال الله لمحمد عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤].

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي ق أنه ذكر الصلاة يوماً فقال: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف». أخرجه أحمد (١٦٩/٢)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٣٥٣)، وابن حبان (١٤٦٧)، وإسناده حسن من أجل عيسى بن هلال الصديقي، فقد روى عنه جمع وذكره ابن حبان في «الثقات» (٢١٣/٥)، وذكره الفسوي في «تاريخه» (٥١٥/٢) في ثقات تابعين أهل مصر، فالحديث حسن على أقل أحواله، وقد ضعفه الإمام الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب» (١٦٤/١)، والحق أنه حسن كما تقدم.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾

[مريم: ٥٩].

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُسْلِمِينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ١٩-٢٣].

تارك الصلاة معرض عن الله وخارج من دائرة الإسلام، وكافر بغير تفصيل عند كثير من الأئمة الأعلام^(١)، ومحروم من التلذذ بآية إياك نعبد وإياك نستعين في أعظم موقف وأشرف مقام، ومصرف عن الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم بخير إنعام.

(١) هذا هو الصحيح الذي اختاره المؤلف، وهو ما ذهب إليه الإمام أحمد في أشهر الروايتين عنه وإسحاق وابن المبارك، وقد نقل بعضهم إجماع الصحابة على هذا كما نقله أيوب بن أبي تيمة وشقيق بن عبدالله وابن حزم، ونقل إسحاق بن راهوية أنه إجماع أهل الحديث، ولا يعلم مخالف للصحابة في ذلك.

وهذا القول تؤيده الأدلة من القرآن والسنة:

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، وقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

قال الشوكاني: وهذا استثناء لا يتنزل إلا على الكفار.

ومن السنة حديث جابر في مسلم (٨٢): «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»، وحديث بريدة عند الترمذي (٢٦٢٣): «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»، وإسناده صحيح، وقد صححه شيخنا الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (١/١٤٢)، وغير ذلك من الأدلة.

قريب من الشر بعيد من الخير وموصوف بكل إجمام، لا دين له فينهاه، ولا صلاة له فتمنعه عن سيئات الذنوب وقبيح الآثام، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ما بال مساجدنا خالية من الرؤساء والأعيان إلا النزر اليسير، ما بال جمعتنا وجماعتنا لا يحضرها إلا عاجز مريض أو بائس فقير، وما بال أئمتنا وقرائنا ما بين شيخ هرم وقعيد وضريح.

أيعاف أغنياءنا المترفون حضور المساجد والوقوف بين يدي الملك القدير، ويترفعون عن الصلاة مع الفقراء والمساكين وعلى فرش الحصير، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١].

كانت المساجد للصلاة والاعتكاف وكل عبادة مرضية، وأندية للمسلمين^(١) يجتمعون فيها بكرة وعشية، ولا يتخلف عنها إلا مسافر^(١) أو مريض أو معذور بشيء من الأعذار

=

واختار هذا القول من المتأخرين الشيخ ابن باز وابن عثيمين وشيخنا مقبل الوادعي رحمه الله على الجميع. راجع للمزيد في هذه المسألة «أصول اعتقاد أهل السنة» (٣٩٥-٤٠٣)، ورسالة الشيخ ابن عثيمين «في حكم تارك الصلاة»، و«الشرح الممتع» (٢٨-٣٩)، و«المغني» (٣٥٩-٣٥١/٣) ط: هجر، و«الصلاة وأحكام تاركها» لابن القيم، و«فتح الباري» للحافظ ابن رجب رحمه الله (٢٣-٢٦).

(١) قال شيخنا العلامة الفقيه المحدث أبو عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله في «اللمع على إصلاح المجتمع» (٤٥٨) معلقاً على إكثار المصنف من مدح الأندية: أكثر المصنف من مدح الأندية، =

الشرعية^(٢)، فيها مدارسهم ومعاهدهم الدينية والدنيوية، ويتخرج منها الملوك ورجال الدولة والعلماء والشعراء والأدباء وقادة الفكر^(٣) وأهل الهمم العلية، وكانت لهم كيبوت البرلمان ومجالس النواب^(٤) في الأمم والشعوب الأجنبية، ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

فيا شباب الإسلام ويا شيوخ المسلمين، ويا أيها الرؤساء والأعيان ويا علماء الدين كيف هجرتم بيوت الله ومجالس العلم. وتلاوة الذكر المبين وعمرتم بيوت القال والقليل،

=

وهي عندنا تعتبر من أوكار الحزبية. اهـ

(١) الصحيح أن صلاة الجماعة واجبة على المسلم في الحضر والسفر لمواظبة النبي ق على ذلك مع قوله: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، ولقوله جل وعلا: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾ [النساء: ١٠٢].

وذهب جمهور أهل العلم إلى أنه ليس على المسافر جماعة، وعللوا ذلك بوجود المشقة، والصواب الأول راجع «الفتح» (١٤٩/٢) ط: السلام، و«صلاة الجماعة» للشيخ ابن عثيمين ص (١٨)، و«الشرح الممتع» (١٤١/٤).

(٢) راجعها في «الشرح الممتع» للعلامة الفقيه محمد بن صالح العثيمين رحمه الله (٣٠٩-٣١٩).

(٣) الأولى اجتناب هذه اللفظة، هم يطلقونها في عصرنا مريدين أن لهم أهلية في قدرتهم على الاستنباط ونشر محاسن الإسلام، وقد تقدم الكلام على ما يتعلق بكلمة المفكر الإسلامي فراجع إن شئت.

(٤) هذه الألفاظ كان ينبغي للمؤلف رحمه الله أن يتجنبها في كلامه وخطابه، فبيوت الله عز وجل ليست كيبوت البرلمان التي يقع فيها الصخب والصياح، وليست كمجالس النواب التي تحصل فيها الفوضى ويعارض فيها الشرع، ويحكم فيها بغير ما أنزل الله. فنسأل الله أن يعفو عنا وعن المؤلف رحمه الله، فإن هذا مما يدل على تأثره بمنهج الإخوان المسلمين تمامًا، والله المستعان!.

وجالستم العصاة والفاستقين، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤].

أوجب أحدكم أن يسمع منادي الصلاة فيدبر موصوفاً بهذه الآية، ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿[القيامة: ٣١-٣٣]، ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿[الأنفال: ٢-٣].

الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات» رواه مسلم ^(١).

وفقني الله وإياكم لما يحبه ويرضاه، ولطف بنا فيما قدره وقضاه، وجعلني وإياكم من المقيمين الصلاة، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿[المؤمنون: ١-٤].

(١) أخرجه مسلم برقم (٦٦٨).

الخطبة الحادية عشرة

في الاشتغال عن الواجبات والمندوبات بالمحرمات والمكروهات

الحمد لله الحليم العظيم القدير، العزيز الحكيم اللطيف الخير الرحمن الرحيم السميع البصير، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير.

﴿يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سَرَّاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤]، ﴿وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ*يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٨-١٩].

نحمده تعالى وقد سبقت رحمته غضبه وانتقامه، ونشكره عز وجل أسبغ علينا تفضله وإنعامه، ونسأله العفو والعافية والتوبة والإنابة وجميل الاستقامة، ونعوذ به أن نأمن من مكره، ولا يأمن مكر الله إلا الخاسرون يوم القيامة.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كتب على نفسه الستر^(١) والسلامة، والأجر والكرامة، لذوي الدين والشهامة.

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «لا يستر عبد عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة» رواه مسلم (٢٥٩٠) (٧٢)، وفي الباب عن يعلى بن أمية رضي الله عنه: «إن الله عز وجل حليم ستر يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم ليستتر»، رواه أبو داود (٤٠١٢)، والنسائي (٢٠٠/١)، وأحمد (٢٢٤/٤)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «الإرواء» (٣٦٧/٧) (٢٣٣٥).

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الموحى إليه بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّحَ بِهَا وَإِنْ تَصَبَّهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ [الشورى: ٤٨].

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد بشير المؤمنين المصلحين، ونذير العصاة المفسدين، والقائل ﷺ: «والذي نفسي بيده إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين»^(١). صلى الله وسلم عليه وعلى آله الميامين، وجميع الصحابة والتابعين، صلاة وسلاماً متلازمين إلى يوم البعث والنشور.

=

والستر: صفة فعلية لله عز وجل ثابتة بالسنة الصحيحة، والستير: من أسماه تعالى. فائدة: اعلم أن (الستار) ليس من أسماه تعالى، ولم يرد ما يدل على ذلك، وكذلك (الساتر) خلافاً لما هو شائع عند عوام الناس.

راجع كتاب «صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة» لعلوي السقاف (١٤١).

(١) (ضعيف، ومعناه صحيح).

أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / رقم ٧٩٠٧)، وابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» رقم (٦)، والأصبهاني في «الترغيب» (١٧٤)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٠٨٠) مطولاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى، والذي نفسي بيده إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين».

وفي سنده انقطاع بين عطاء بن أبي رباح وأبي سعيد الخدري فإنه رآه ولم يسمع منه، قاله ابن المديني، وفيه أبوبكر بن أبي مريم الغساني الشامي ضعيف، وكان قد سرق بيته فاختلط كما في «التقريب».

عباد الله! ما بالكم لا تسمعون، وإذا سمعتم لا تنتفعون، ولأي شيء تجتمعون، ويقوم فيكم الخطباء المصعقون^(١)، والوعاظ المبدعون فيذكرونكم أيام الله فلا تخشعون، ويرغبونكم في الخير فلا تسارعون، وينذرونكم السوء فلا تردعون.

فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

يا أيها المستمعون الكرام، لقد أحسستم الإنصات وأحسنتم لكم الكلام، فأين العمل بتعاليم الإسلام، وأين الانقياد لكتاب الله وسنة سيد الأنام، عليه الصلاة والسلام، لقد عطلتم الأحكام، وتساهلتم بأمر الحلال والحرام، فعن الطاعة إحجام^(٢)، وعلى المخالفة إقدام.

تسمعون داعي الله فلا تحيبون، وتمرون بالمساجد وفيها الصلاة تقام، فتولون معرضين، ولا تعيرون الأمر أي اهتمام، وإذا سمعتم الآلات والغناء، أو مررتم بديار الفاسقين وأهل الخنا، طربت لذلك أرواحكم، واهتزت له أشباحكم.

فأين المروءة والاعتصام بالقرآن، وما كان عليه آباؤكم الكرام، ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

(١) المصعقون: جمع مصعق، والصعق: الشديد الصوت، كما في «لسان العرب» مادة: صعق.

(٢) الإحجام: ضد الإقدام، أحجم عن الأمر كفَّ أو نكص هيبة، كما في «لسان العرب» مادة: حجم.

كانت المساجد تُغصّ^(١) بالمسلمين شيوخاً وشباناً، وكانت تعجّ^(٢) بأصواتهم تسبيحاً وتهليلاً واستغفاراً وقرآنًا، وكانوا يؤمنونها إذا سمعوا الأذان زرافات ووحداناً، ولا يتخلف منهم إلا مريض فيعاد أو غائب فيحفظ في أهله نساء وصبياناً.

وكان يؤمهم في صلاتهم الخلفاء والعلماء وأرفعهم قدرًا وشأنًا، واليوم قد هجرت بيوت الله وأصبح الناس يترفعون عن دخولها إلا أحياناً.

(١) أي: تمتلئ، كما في «لسان العرب» مادة: غصص.

(٢) العج: هو رفع الصوت بالصياح، كما في «لسان العرب» مادة: عجاج.

أما السينما^(١) وبيوت اللهو واللعب فيؤمها الناس فتيات وفتياناً، وإذا سمعوا داعي الفساد أجابوه سرّاً وإعلاناً، فالله أعلم ما يريد بعباده وقد خرجوا عن طاعته تمرّداً وعصياناً، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: ٤٥].

صلاة الصبح وأنتم تتقبلون على فراش الراحة ذات اليمين وذات الشمال.

وصلاة الظهر تتشاغلون عنها بالأعمال وما يحيط بكم من الأشغال.

وصلاة العصر مشغولون عنها بلعب التنس^(٢) والكيرم وأكل القات والخوض في

الباطل وكثرة القيل والقال.

وصلاة المغرب والعشاء وأنتم في القهوةات ودور السينما وميادين الرياضة وعلى

شواطئ البحر مع السفهاء والأنذال، وثمة^(٣) يختلط النساء بالرجال، ويقع من سوء الحال

وفحش الفعال وقبح المقال ما لا تقرأه الأديان، ولا ترضى به العلماء ولا الجهال.

(١) السينما: هي الصورة المتحركة على الشاشة أمام الناظرين، والدار التي تُعرض فيها هذه الصور، «المعجم الوسيط» (٤٨١).

والمقصود بالصور أي صور الأفلام الخليعة التي أفستد الكثير من المسلمين والمسلمات ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٢) وقع في المطبوع الدنس، والصواب المثبت، وهي تلك اللعبة المعروفة، التي هي من لعب الشيطان، التي صد بها كثيراً من الشباب عن ذكر الله وعن الصلاة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٣) أي: هناك، كما في «لسان العرب» مادة: ثمم.

وبيوت الله خالية من العلماء والعباد، ورواد المساجد في ظلمات الليالي، من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وعن الصلاة وأولئك هم أهل الكمال، وإذا أقيمت الصلاة فما أهلها إلا جمال أو جمال، فيا خيبة الآمال، ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

الإسلام دين البطولة والعمل الدائم المتواصل للدنيا والدين، والقرآن لا يريد من أهله إلا أن يكونوا دائبين على واجبات النفس والدين والمواطنين، وهو مع ذلك لا يمنع أهله من الراحة وإعطاء النفس حقها ما لم يكن ذلك مفضياً بالمؤمنين إلى صفات المجرمين، الذين يقتربون السيئات آمنين، ويعبدون الشهوات وينقادون للشياطين، سامعين مطيعين. بل جاء في الحديث الشريف عنه ﷺ: «إن لربك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً فأد إلى كل ذي حق حقه»^(١)، قاله لبعض الصحابة المتعبدين^(٢) الذين تركوا الدنيا وزينتها وشغلتهم الطاعة عن النفس والأموال والأهلين.

(١) أخرجه البخاري رقم (١٩٦٨) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه.

(٢) هو أبو الدرداء رضي الله عنه، ووقع مثل هذه القصة لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه، منها برقم (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩) (١٨٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وذكر الصحابة رضي الله عنهم أنهم إذا كانوا عند رسول الله ﷺ خشعت قلوبهم لذكر الله، وإذا انقلبوا إلى أهلهم نسوا بعض ذلك واستراحوا مع النساء والبنين فقال لهم النبي ﷺ: «ساعة وساعة»^(١).

وأخبرهم أنه لا بأس بذلك ما دام المسلم قائماً بما عليه لرب العالمين والناس أجمعين: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

ليس من الرجولة أن تتحلّى بالذهب^(٢) أو تلبس الحرير^(٣)، وليس من البطولة شرب الخمر^(١) وغشيان المواخير^(٢)، وليس التمدن أن تتلف المال بالإسراف والتبذير، فتكون لك سيارة فخمة وبيت مزينة غرفه والمقاصير بالأثاث الكبير، والفراش الوثير^(٣).

-
- (١) أخرجه مسلم (٢٧٥٠) من حديث أبي ربيعي حنظلة بن الربيع الأسدي رضي الله عنه.
- (٢) بل ليس من الدين أن يلبس الرجل الذهب لحديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ق: «أحل الذهب والحرير لإناث أمتي، وحُرْم على ذكورها» رواه أحمد (٤/ ٣٩٤، ٤٠٧)، وهو حديث حسن بشواهده الكثيرة، انظرها في تحقيق «مسند أحمد» (٣٢/ ٢٥٧-٢٥٨).
- (٣) لبس الحرير محرم على الرجال للأحاديث الواردة في النهي عن ذلك، منها: حديث حذيفة رضي الله عنه أخرجه البخاري (٥٨٣٧).
- وحديث عمر رضي الله عنه رواه البخاري (٥٨٢٨) ومسلم (٢٠٦٩) (١٥).
- ولا يجوز لبسه للرجال إلا لضرورة من حكمة أو مرض، لحديث أنس رضي الله عنه أن النبي ق رخص لعبدالرحمن بن عوف والوزير في قميص الحرير في سفر من حكمة كانت بهما. رواه البخاري (٢٩١٩) =

وإنما الدين والرجولة والتمدن والبطولة، في طاعة الملك القدير، وكسب المال من حله لمواساة الفقير، وتربية الصغير، وتعليم الجاهل، ومعاونة الضير والشيخ الكبير.

أما الاشتغال بهذه الحياة مع الغفلة عن المصير، وعدم الاعتبار بالأمم الماضية والقرون الخالية، فذلك منتهى الإفراط والتقصير. والسعيد من نظر في الآتي فادّكر وذكر الماضي فاعتبر، وفي الكتاب المنير غاية الوعظ والتذكير، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

نحن والله معجبون بما وصل إليه غيرنا من المدنية والحضارة، معترفون بما للشعوب والأمم المتحضرة من سيادة في الأرض ^(٤) وإمارة، فلو اقتدينا بهم في مكارم الأخلاق ^(١)

=

ومسلم (٢٠٧٦).

(١) بل ليس من الدين شرب الخمر، وهي أم الخبائث، وشربها يعتبر من كبائر الذنوب، فهي محرمة بدلالة الكتاب والسنة، قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

ومن السنة أحاديث كثيرة، ذكرها الإمام البخاري رحمه الله في «صحيحه» كتاب الأشربة برقم (٥٥٧٥) فما بعدها، فراجعها إن شئت.

(٢) المواخير: جمع ماخر، والماخور: هو بيت الريبة ومجمع أهل الفسق والفساد، «المعجم الوسيط» (٨٩٤).

(٣) الوثير: الفراش الوطئ، كما في «لسان العرب» مادة: وثر.

(٤) هذا الكلام من المؤلف رحمه الله كان الأولى اجتنابه، قال الله عز وجل: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا

ومعالي الأمور لتقدمنا في الزراعة والصناعة والتجارة، والطب والهندسة والعمارة، ولكننا أخذنا عنهم الخلاعة والدعارة، واقتدينا بهم في الإلحاد والفجارة.

وسمعنا ذكر الحرية فتوهمنا أنها الجراءة على الله والجسارة، وقلة الحياء والخروج عن الأديان^(٢) والآداب الفاضلة.

=

أَوْلَاذُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿التوبة: ٥٥﴾، وقال الله عز وجل: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَاذُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿التوبة: ٨٥﴾، وقال عز وجل: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿الروم: ٧﴾، وقال الله عز وجل: ﴿زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿البقرة: ٢١٢﴾، نعم، هم تقدموا في الدنيا، وهي فتنة فلا ينبغي التعلق بها والإعجاب؛ لأنها دار ابتلاء وامتحان واختبار.

ولا سيادة ولا عزة إلا بطاعة الله عز وجل باتباع كتابه والافتداء برسوله ق، هذه هي السيادة الحقيقية والملك الحقيقي، قال الله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴿المنافقون: ٨﴾، وقال الله سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿النور: ٥٥﴾.

(١) هذا الكلام من المؤلف رحمه الله وعفا عنه يعد من هفواته، حيث حث على الاقتداء بمكارم الأخلاق التي عند أعداء الله ورسله، وما هي الأخلاق التي وجدت عندهم حتى يشاد بها ويدعى الناس للاقتداء بها، ولماذا لا يدعى إلى الاقتداء بأخلاق نبينا محمد بن عبد الله ق، الموصوف من ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾، وإن كان لأعداء الله من أخلاق فهي مغمورة في بحر كفرهم وسيئاتهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٢) الصواب أن يقول المؤلف رحمه الله: الخروج عن الدين؛ لأن بقية الأديان قد نسخت بديننا الحنيف، =

فيها من إرادات ضعيفة وأخلاق منهارة، فما حظنا من المدنية إلا السترة والبنطلون والسينما والتنس^(١) ومختلف أنواع المجون، وذلك منتهى الخسارة، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: ١٣].

قال رسول الله ﷺ: «لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فلكما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة»^(٢).

=

قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

(١) وقع في المطبوع الدنس، والصواب الميثب.

(٢) (حسن).

أخرجه أحمد (٢٥١ / ٥) من حديث أبي أمامة صدي بن عجلان رضي الله عنه، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (٣٦٩ / ١)، وحسنه شيخنا الإمام الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٤١٨ / ١)، وفي الباب عن فيروز الديلمي رضي الله عنه أخرجه أحمد (٢٣٢ / ٤)، وصححه شيخنا الإمام مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (١٣٤ / ٢).

الخطبة الثانية عشرة

من أوامر الدين وكيف يكون المسلم

الحمد لله الذي توحد بالملك والملكوت، وتفرد بالعظمة والجبروت لا يحول ولا يزول، ولا يغيب ولا يفوت، هو الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم لا يتغير ولا يموت، ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

نحمده تعالى ولا نعبد إلا إياه ونشكره عز وجل ولا نستعين بأحد سواه، ونشهد أن لا إله إلا الله ولا رب غيره، ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله النبي الأواه نور شمس العرفان ومهبط أسرار القرآن.

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد الذي شرحت له صدره، ورفعت له ذكره، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الخيرة، وصحابته البررة وعلى التابعين لهم بإحسان.

أيها الناس إن ربكم الله الذي خلق، خلق الإنسان من علق ثم قدر ورزق، فقوله الفصل وحكمه الحق، وإليه الذهاب والمنطلق فيما الثواب وإما العقاب، ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ [الرحمن: ٣٩].

فغضوا عباد الله أبصاركم عن الحرام، ونزهوا أسماعكم عن فاحش الكلام، وطهروا ألسنتكم عن الكذب والغيبة النميمة، والسباب والشتام، وصفوا قلوبكم فإنها محل نظر الله

ذي الجلال والإكرام^(١) قبل أن يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام، ﴿فَبَآئٍ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣].

ليس الإسلام بمقصود على الصيام والصلاة والحج والزكاة، ولكنه ذلك والكف عن محارم الله، والوقوف عند كتاب الله وسنة رسول الله، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه يده والمهاجر من هجر من حرم الله^(٢)، ﴿وَلَيْنَ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ * فَبَآئٍ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦-٤٧].

كيف يكذب المسلم الذي يؤمن بالله وكتابه، وكيف يخوض المؤمن في أعراض إخوانه وأصحابه، وكيف يلوث لسانه بشتيم المسلم وسبابه، وكيف يدنس عرضه بمجالسة الفساق وأهل النفاق وأربابه، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧].

والإسلام يأمرنا بالخير ومكارم الأخلاق، والقرآن يدعونا إلى الاعتصام بحبل الله وينهانا عن الافتراق، ويحذرنا عاقبة الخصام والنزاع والشقاق.

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ق: «إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» رواه مسلم (٢٥٦٤) (٣٤).

(٢) يشير رحمه الله تعالى بهذا الكلام إلى حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ق: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» رواه البخاري (١٠) ومسلم (٤٠).

والسنة تأمرنا بالاتفاق، وتنهانا عن الغش والمكر والخداع والخيانة والربا والرياء وعن النفاق، فالقرآن والسنة بحران، ﴿يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللَّوْثُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢].

فتدبروا أيها المسلمون تعاليم هذا الدين، وتمسكوا بالكتاب المبين وسنة سيد المرسلين، وحبوا الدين إلى البنات والبنين، وحافظوا على المجد العظيم والتراث الثمين^(١)، ولا تفسدوا أمركم على أنفسكم بمتابعة الضالين وتقليد المضلين إن هذا لبلاغاً لقوم عابدين، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]. واستمعوا قول ربكم تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

فيا علماء الدين ووعاظه، وكتابه وقرائه وحفاظه، كيف تشاهدون صرح الإسلام يتهدم وترون أنقاضه، وكيف تعرفون المجتمع وأمراضه فلا تعرفون ولا تنكرون ولا تعظون ولا تذكرون، وأنتم خير أمة أخرجت للناس بشهادة القرآن، ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١].

الحديث عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن» رواه الترمذي وقال: حديث حسن (وفي بعض النسخ: حسن صحيح)^(٢).

(١) تقدم التعليق على أن إطلاق لفظة تراث على الكتاب والسنة؛ لفظ محدث دخيل ينبغي اجتنابه.

(٢) (حسن لغيره).

أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٥/١٥٣، ١٥٨، ١٧٧)، والحاكم (١/٥٤) وغيرهم من حديث أبي =

ذر رضي الله عنه.

وهو منقطع ميمون بن أبي شبيب، ويقال: ابن شبيب لم يسمع من أبي ذر، قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٣٩٦/١): ميمون بن أبي شبيب لم يصح سماعه من أحد من الصحابة، وقال أبو حاتم الرازي: روايته عن أبي ذر وعائشة غير متصلة، وبه أعل الحديث شيخنا مقبل رحمه الله في «تتبعه لأوهام الحاكم في مستدركه» (١١١/١).

وأخرجه الترمذي عقب رقم (١٩٨٧)، وأحمد (٢٢٨/٥، ٢٣٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

قال محمود بن غيلان كما في «سنن الترمذي»: الصواب حديث أبي ذر، فعلم أن علم حديث معاذ رضي الله عنه ليس بصواب.

ومع كونه ليس من حديثه، فإسناده منقطع ميمون بن أبي شبيب لم يسمع من معاذ بن جبل رضي الله عنه، واختلف في حديث معاذ كما في «العلل» للدارقطني (٧٢-٧٣)، وقد رجح الدارقطني فيه الإرسال، ولحديث أبي ذر طريق أخرى، أخرجه أبونعيم في «الحلية» (٢١٨/٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/رقم ٢٠١)، لكن حكم عليها الدارقطني بالوهم في «العلل» (٢٦٨/٦).

وصوب ما أخرجه أحمد (١٦٩/٥)، وهذه الطريق فيها جهالة الرواة عن أبي ذر رضي الله عنه، وللحديث طرق لا يثبت منها شيء لولا خشية الإطالة لسقتها.

وفي الباب عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (٥٥/٦)، قال الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»: إسناده فيه نظر.

وله طريق أخرى أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٣١٤/٦١)، وفي سندها جعفر بن سليمان في روايته عن ثابت مناكير كما في «شرح العلل» لابن رجب (٥٠٠/٢)، وشاهد مرسل عن عطاء بن يسار، أخرجه أحمد في «الزهد» (٣٥).

وعلى كل فالحديث حسن لغيره بمجموع طرقه، وقد حسنه المناوي في «فيض القدير» (١٢١/١)،

وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٣٦٢/٣) تحت رقم (١٣٧٣) وشيخنا مقبل =

جعلني الله وإياكم من الفائزين، ووفقنا جميعاً إلى كل خير في الدنيا والدين، وجنبنا موارد الظالمين. الآية: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

=

الوادعي رحمه الله في تحقيقه لـ «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٣٧).

قلت: ونصوص الكتاب والسنة شاهدة لهذا الحديث:

فقوله: «اتق الله حيثما كنت» يشهد له قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]، وقوله عز وجل: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ وغيرها من الآيات. وقوله: «واتبع السيئة الحسنة تمحها» يشهد لها قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤].

وقوله: «وخالق الناس بخلق حسن» تشهد لها الأدلة الكثيرة في الحث على الأخلاق الحميدة. وللمزيد راجع «جامع العلوم والحكم» للحافظ ابن رجب رحمه الله (١/ ٣٩٦-٣٩٨).

الخطبة الثالثة عشرة

بعض ما نحن عليه اليوم

الحمد لله الذي أمر بطاعته، ونهانا عن معصيته، ووعد الصالحين بجنته ومستقر رحمته، وتوعد العصاة بدار نقمته وزوال نعمته.

نحمده تعالى ونسأله أن يجعلنا من المصطفين الأخيار، وأن يخلصنا بخالصة ذكرى الدار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له السيد المطاع، له على خلقه الحجة بلا نزاع، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله إلى خير أمة وأتباع، منور الأبصار ومشنف الأسماع، ومألف الطباع.

قال له الله جل ذكره: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنِّي إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ* رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [ص: ٦٥-٦٦].

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد النبي المختار، وعلى آله الأطهار وصحابته الأبرار وعلى التابعين لهم بإحسان في اقتفاء الآثار.

أيها المسلمون: كتاب الله يناديكم للإيمان، ورسوله يدعوكم إلى الإحسان، فما لكم لا تسمعون الرسول ولا تحييون القرآن، أفي آذانكم وقر أم على قلوبكم الران^(١)، أم استحوذ

(١) الران، هو: الطبع والدنس الصدا الذي يعلو السيف والمرآة، والرَّيْن كالصدا يغشى القلب، وران =

عليكم الشيطان، وزين لكم الفسوق والعصيان، فأقبلتم على الفساد وأعرضتم عن تعاليم الأديان^(١)، ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

كان المسلمون إذا سمعوا الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية، قالوا: سمعنا وأطعنا وأقلعوا عن الخطيئة، ولم يصروا على ما فعلوا من المخالفات الشرعية، فترى أعينهم تفيض من الدمع لما عرفوا من الحق ونفوسهم عن الضلال مرعوبة.

وإذا نظروا في الآيات الكونية وتفكروا في المخلوقات الإلهية، وعرفوا قدرة الصانع^(٢) الحكيم باللسنة طاهر زكية، ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

=

الذنب على قلبه غلبه عليه وغطاه، وفي التنزيل: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، أي غلب وطبع وختم.

وقال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب. «لسان العرب» مادة: رين.

(١) الصواب أن يقول المؤلف رحمه الله: وأعرضتم عن تعاليم الدين؛ لأن بقية الأديان قد نسخت بديننا الإسلامي الحنيف الذي جاء به نبينا محمد ق، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

(٢) تقدم التعليق على لفظة الصانع، وأنها ليست من أسماء الله عز وجل، ولكن يجوز أن يخبر بها عن الله.

وأنتم اليوم عن الحق معرضون، وفي الباطل تخوضون، ولصرح الإسلام تنقضون، وفي الفساد تركضون، وإذا سمعتم قول الحق تمتعضون^(١) وبالملاهي تصحون، وإذا سمعتم القرآن تمرضون.

لقد أتعبتم الواعظين وأتعبكم الواعظون، ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

أين الصالح من الفاسد، والفاسق من العابد، والطامع من الزاهد، أين الملاهي ودور السينما من المساجد، أين بيوت الدعارة^(٢) والحانات^(٣) من المعابد^(٤)؟

أين الطاعم الكاسي الراقد، من الصائم القائم المجاهد هيهات هيهات ما بين الولد والوالد، وشتان^(٥) بين المقبل على الله والمعرض الشارد المعاند، ﴿فَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ*وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠٠-٢٠١].

(١) أي: تتوجعون ويشق عليكم ويعظم، كما في «لسان العرب» مادة: معض.

(٢) الدعارة: الفسق والخُبث والفجور، كما في «المعجم الوسيط» (٣٠٨).

(٣) الحانات: دكان الخمر، كما في «المعجم الوسيط» (٢٢٥).

(٤) المعابد جمع معبد: والمراد به مكان العبادة. «المعجم الوسيط» (٦٠٩).

(٥) شتان: معناها تباعد الذي بينهما، كما في «لسان العرب» مادة: شتت.

شبابنا في الحانات والمواخير^(١)، وشيوخنا يفعلون الموبقات^(٢) ويتركون الواجبات بلا نكير، ونساؤنا خارجات عن الآداب مستخفات بالحجاب.

فياله من منكر عظيم وشر مستطير، وأبناؤنا وبناتنا معرضون للفتنة والفساد الكبير، وقد استوى في الحالة المأمور والأمير، والمملك والوزير والغني والفقير، فلا الصغير يخاف من الكبير، ولا الكبير يستحي من الصغير، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

فحش وفجور، وقمار وهو وخمور، واستهتار وسفور، وخيانة وزور، وجهل وغرور، ونعم تصرف في المعاصي والشرور، ﴿أَمْنَ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك: ٢١].

﴿وَاتَّكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

فلا من الله تخافون، ولا من الناس تستخفون، ولا من أنفسكم تنصفون، تالله إنكم لمصرفون، وعن الحق تعزفون، وعلى طرق الضلال تختلفون، فالله المستعان على ما تصفون ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

(١) الماخور بيت الريبة ومجلس الريبة ومجمع أهل الفسق والفساد وبيوت الخمارين، «لسان العرب» مادة: نخر.

(٢) أي: المهلكات.

فتوبوا إلى الله قبل أن تموتوا أيها العباد، ولا تصروا على الضلال والعناد، واسلك بنفسك أيها المسلم سبيل الرشاد، ومن تاب تاب الله عليه^(١)، والله لا يحب الفساد، ﴿وَمَنْ لَا يُحِبُّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأحقاف: ٣٢].

﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣]، ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ*مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ* لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٨]، الحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»^(٢).

جعلني الله وإياكم من التوايين المتطهرين الأوايين، ووفقنا لمتابعة كتابه العزيز وسنة سيد المرسلين آمين^(٣).

الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ

(١) يشير رحمه الله إلى حديث ابن عباس أخرجه البخاري (٦٤٣٦) ومسلم (١٠٤٩) وجاء عن غيره.

(٢) أخرجه مسلم رقم (٢٧٥٩).

(٣) لا أعلم دليلاً صحيحاً على شرعية تأمين الداعي على دعائه، إلا ما كان عقب سورة الفاتحة.

نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ نَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿التَّحْرِيم: ٨﴾.

الخطبة الرابعة عشرة

في فساد الزمان^(١)

الحمد لله على كل حال، ونعوذ به من أحوال الضلال ونسأله العفو والعافية والمعافة الدائمة في الحال والمآل، ونعوذ به من فتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال، وخروج النساء عن طاعة الرجال^(٢).

- (١) قال ابن القيم رحمه الله: وكره رسول الله ق أن يقول: هلك الناس، وقال إذا قال ذلك: «فهو أهلكتهم»، وفي معنى هذا: فسد الناس وفسد الزمان ونحوه. اهـ من «زاد المعاد» (٢/ ٣٦).
- وقال الخطابي رحمه الله معلقاً على حديث أبي هريرة رضي الله عنه: إذا قال الرجل: هلك الناس فهو أهلكتهم، رواه مسلم (٢٦٢٣)، قال رحمه الله: معناه لا يزال الرجل يعيب الناس ويذكر مساوئهم ويقول: فسد الناس وهلكوا ونحو ذلك، فإذا فعل ذلك فهو أهلكتهم، أي: أسوأ حالاً منهم فيما يلحقه من الإثم في عيبتهم والوقعة فيهم...
- وقال مالك رحمه الله: إذا قال ذلك تحزناً لما يرى في الناس قال: يعني من أمر دينهم فلا أرى به بأساً، وإذا قال ذلك عجباً بنفسه وتصاغراً للناس فهو المكروه الذي نهى عنه. اهـ نقله عنهما الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في «معجم المناهي اللفظية» (٥٤٦-٥٤٧).
- قلت: ولعل مراد المؤلف رحمه الله الحزن والأسى لما يرى في الناس كما يظهر ذلك من خلال مقالاته رحمه الله، وإنما ذكرت هذا للفائدة، والله الموفق.
- (٢) إلا إذا أمروا بمعصية الله عز وجل فلا سمع لهم ولا طاعة، لقول النبي ق: «إنها الطاعة بالمعروف» رواه البخاري (٧٢٥٧) ومسلم (١٨٤٠) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

نحمده تعالى وهو الكبير المتعال، ونشكره عز وجل على نعمه والله يحفظها علينا من الزوال، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عالم السر والجهر، وبيده الخلق والأمر، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المؤيد بالنصر، والمخبر بمغيبات الدهر، القائل ﷺ: «يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر»^(١).

(١) (حسن لغيره).

أخرجه الترمذي (٢٢٦٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي سنده عمر بن شاعر البصري ضعيف كما في «التقريب»، لكن الحديث له شواهد منها:

١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «التمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر، أو قال على الشوك» أخرجه أحمد (٣٩٠-٣٩١)، وفي سنده عبدالله بن لهيعة الحضرمي ضعيف خلط بعد احتراق كتبه، لكنه هنا في الشواهد.

٢- حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه مرفوعاً: «إن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر» أخرجه أبوداود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨) وابن ماجه (٤٠١٤)، وابن حبان (٣٨٥) مطولاً.

وفي سنده عمرو بن جارية اللخمي، قال الحافظ في «التقريب»: مقبول، يعني عند المتابعة وإلا فلين، وأبو أمية الشعباني الدمشقي اسمه يُحمّد، وقيل عبدالله، قال الحافظ في «التقريب»: مقبول، يعني عند المتابعة وإلا فلين، فهنا في الشواهد.

٣- حديث ابن مسعود رضي الله عنه بمثل حديث أبي ثعلبة، أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠) / رقم (١٠٣٩٤)، والبخاري (١٧٧٦)، قال الشيخ الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٤٩٤): =

والقائل أيضًا ما معناه: «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني

صاحب القبر»^(١).

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾

[إبراهيم: ٤٦].

=

إسناده صحيح.

قلت: في إسناده سهل بن عثمان أو ابن عامر البجلي ترجمه الحافظ في «اللسان» (١٣٧/٣) وقال: كذبه أبو حاتم، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا يستحق الترك ولم يوثقه سوى ابن حبان، فعلى هذا فهو لا يصلح بالشواهد. اهـ

٤- حديث عتبة بن غزوان مرفوعاً: «من ورائكم أيام الصبر للمتمسك فيهن يومئذ بمثل ما أنتم عليه، له كأجر خمسين منكم» أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١٧/١٧) رقم (٢٨٩)، وابن نصر في «السنّة» ص (٩).

قال الشيخ الألباني رحمه الله: وإسناده صحيح لولا إبراهيم بن أبي عبلة عن عتبة بن غزوان مرسل كما في «التهذيب». اهـ من «الصحيحة» تحت رقم (٤٩٤).

وجملة القول بأن الحديث حسن لغيره بهذه الشواهد، لاسيما التي لم يشتد ضعفها، وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٩٥٧) والحمد لله.

(١) أخرجه البخاري رقم (٧١١٥) ومسلم في كتاب الفتن رقم (١٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: ليتني مكانه»، وفي لفظ مسلم: «يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر، ليس به الدين إلا البلاء».

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد المبعوث بين يدي الساعة وصاحب الحوض والشفاعة، وأفضل من دعا إلى الخير اتباعه، فله السمع والطاعة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأهل السنة والجماعة، صلاة وسلاماً دائماً دائمين بدوم الأيام والليالي.

أيها الناس، بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً^(١)، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فيفرق الله قلوبكم، وتمسكوا بالقرآن ظاهراً وباطناً، وأطيعوه ناهياً وأمراً، ولا يفتننكم الذين كفروا عن الإيمان فيبيع أحداكم دينه بعرض من الدنيا قليل فيصبح خاسراً، ولا تكونوا من الذين اتخذوا دينهم هزواً ولعباً وغرثهم الحياة الدنيا حتى صار عالمهم فاجراً، وعابدهم ماكراً، يعبدون الهوى ويتبعون الغوى، ويهجرون السوى، ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣]، فحرم ما أحله الله، وحلل ما حرمه الله^(٢) معانداً ومكابراً، واعلموا أنكم إلى الله صائرون وبين يديه مسئولون عما كنتم تعملون وكفى بالموت واعظاً وزاجراً، ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥].

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه مسلم (١١٨).

(٢) قال ابن حزم رحمه الله: واتفقوا أنه لا يحل لأحد أن يحلل ولا أن يحرم، ولا أن يوجب حكماً بغير دليل من قرآن أو سنة أو إجماع. انظر «الإجماع» (٢٧١).

يا أهل الإيمان، في آخر الزمان يستخف بالقرآن، ويتهاون الناس بالأديان^(١)، ويطيعون الشيطان، ويعصون ربهم الديان، وتستيقظ الفتنة ويعم الامتحان، ويتكلم الجاهل ويسكت العالم ويظهر الباطل للعيان والناس له أعوان، ويخفت صوت الحق ولا ينطق به لسان. وتصرف عنه القلوب وتصمم دونه الأذان، وتحل المزامير والعيدان محل التلاوة والأذان، وتتحكم النسوان في ذوي العمام والتيجان، وذلك يوم يتشبه الرجال بالنساء، وتشبه النساء بالرجال، كيف بك أيها المسلم إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه^(٢)، ووسد الأمر إلى غير أهله^(٣)، واتخذ الناس رؤوساً جهالاً فأفتوهم بغير علم

-
- (١) الصواب أن يقول المؤلف رحمه الله: ويتهاون الناس بالدين؛ لأن بقية الأديان قد نسخت بديننا الإسلامي الحنيف، كما تقدم التنبيه على ذلك مراراً.
- (٢) هذا الكلام مبناه على حديث أبي ثعلبة الخشني، وهذه القطعة منه ضمن حديث مطول، والحديث إسناده ضعيف تقدم تحريجه في أوائل هذه الخطبة ضمن الكلام على حديث أنس رضي الله عنه.
- (٣) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»، رواه البخاري (٥٩).

فضلوا وأضلوا^(١).

وكذلك يفعل الجهل بأهله، وكيف يكون التمسك بالدين وأحكامه وأهل الأرض لا يعبدون إلا المال ولو جاءهم من غير حله، يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يومًا ثقيلاً، ويأكلون التراث^(٢) أكلاً لما ويحبون المال حباً جما^(٣).

ويقولون: لو كان فلان كريماً على الله لأطعمه من واسع فضله، ويستبيح القوي منهم مال الضعيف وعرضه، وربما حكم العالم بجواز ضربه وسجنه وقاتله، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

يثيبهم بفضله، ويعاقبهم بعدله، ولا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله^(٤)، والمحفوظ من حفظه الله من السوء في قوله

(١) يشير رحمه الله إلى حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أخرجه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣).

(٢) أي المال.

(٣) أي: كثيراً، كما في «لسان العرب» مادة: جهم.

(٤) قوله: «لا تزال طائفة» إلخ، يشير رحمه الله إلى حديث جاء عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم، وهو بهذا اللفظ أخرجه مسلم رقم (١٩٢٠) عن ثوبان رضي الله عنه.

وفي الباب عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أخرجه البخاري (٧٣١١) ومسلم (١٩٢١)

وعن معاوية رضي الله عنه أخرجه البخاري (٣٦٤١) ومسلم (١٠٣٧).

وعن جابر رضي الله عنه أخرجه مسلم (١٩٢٣).

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه أخرجه مسلم (١٩٢٢).

وفعله، ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧].

يا عبد الله ليست الفتنة أن تصاب في نفسك أو مالك أو أهلك أو البنين، وإنما الفتنة التي يستعاذ بالله منها هي المصيبة في الدين، وأعظمها أن يحل الشك محل اليقين وأن يخرج الأمر من يد الصالحين فيصبح المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، ويستبدل بالأمر أهل الظلم من العلماء والسلاطين.

ومن أعان ظالماً بباطل ليدحض به حقاً فقد برئ من ذمة الله وذمة المرسلين ^(١).

=

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أخرجه أحمد (٤/٤٢٩)، وصححه شيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٢/٩٧).

وعلى كلٍ فالحديث قد أفردته بعض أهل العلم بالتصنيف، انظر «فتح الباري» (١٣/١٣) تحت حديث رقم (٧٣٠٧).

(١) هذا الكلام مبناه على حديث ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/١١) رقم (١١٥٣٩)، والحاكم (٤/١٠٠).

وفي إسناده الحسين بن قيس الرحي، الملقب بحنش متروك، كما في «التقريب»، وبه أعل الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/٢٠٥).

لكن له متابعان:

الأول: إبراهيم بن أبي عبله عن عكرمة عن ابن عباس، أخرجه الطبراني في «الصغير» رقم (٢٢٤)، وإبراهيم بن أبي عبله ثقة لكن في السند إليه سعيد بن رحمة المصيصي، قال ابن حبان: لا يجوز أن يحتج به لمخالفته الأثبات، وبه أعل الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/١٤٧).

الثاني: خصيف الجزري عند الخطيب في «تاريخه» (٦/٧٦)، وخصيف ضعيف والراوي عنه إبراهيم بن =

وفي الحديث عن الصادق الأمين: «إذا عظمت أمتي الدنيا نزعت منها هيبة الإسلام، وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي، وإذا تسابت أمتي سقطت من عين الله»^(١).

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

=

زياد القرشي، قال ابن معين: لا أعرفه، وفي «الميزان»: قال البخاري: لا يصح إسناده، ولا يعرف من ذا. اهـ

وله طريق آخر عند الطبراني في «الكبير» (١١ / ١١٢١٦)، وفي إسناده أبو محمد الجزري وهو حمزة بن أبي حمزة النصيبي، قال الحافظ في «التقريب»: متروك متهم بالوضع، ومع ذلك لم يعرفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥ / ٢١٢)، فتبين من هذا أن الحديث بهذه الطرق لا يرتقي للاحتجاج، وقد صححه العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (١٠٢٠)، والصواب خلافه لما قدمته. (١) (ضعيف).

أخرجه الحكيم الترمذي كما في «ضعيف الجامع» رقم (٦٩٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال الشيخ الألباني رحمه الله: ضعيف.

وقال رحمه الله في «الضعيفة» تحت رقم (٢٥٧٨): ولم يتكلم المناوي على إسناده بشيء. وذكره رحمه الله تعالى في «الضعيفة» تحت رقم (٢٥٧٨) عن الفضيل بن عياض دون قوله: «وإذا تسابت أمتي سقطت من عين الله»، وقال: ضعيف.

رواه عبد الغني المقدسي في «الأمر بالمعروف» (٢ / ٩٥) عن إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل يقول: ذكر عن النبي ق فذكره ...

وهذا إسناده ضعيف، فإنه مع إعضاله فيه إبراهيم بن الأشعث خادم الفضيل بن عياض، قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١ / ٨٨): سألت أبي عنه وذكر له حديثاً ... فقال: هذا حديث باطل موضوع، كنا نظن بإبراهيم بن الأشعث الخير فقد جاء بمثل هذا. اهـ

وإذا رأيت أيها المسلم ما نحن عليه من فساد الأخلاق، ومجاهرة الفساق بأوصاف رأيت بونًا شاسعًا^(١) بين المسلمين وتعاليم الكتاب المبين وسيرة خاتم النبيين وما أبعد ما بين الصحابة والتابعين، وبين الذين يكذبون بالدين، ويدعون اليتيم ولا يحفظون على طعام المسكين، قال رسول الله ﷺ: «إذا كانت أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها وإذا كان أمراؤكم أشراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأموركم إلى نسائك فبطن الأرض خير لكم من ظهرها»^(٢) أو كما قال.

والله لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق عند الله^(٣)، ولا تقوم الساعة وعلى الأرض من يقول:

(١) البون: مسافة ما بين الشيئين، كما في «لسان العرب» مادة: بون.

والشاسع: البعيد، كما في «لسان العرب» مادة: شسع.

(٢) (ضعيف).

أخرجه الترمذي رقم (٢٢٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال الترمذي عقبه: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث صالح المري، وصالح المري في حديثه غرائب ينفرد بها لا يتابع عليها صالح. اهـ

قلت: صالح المري هو صالح بن بشير بن وادع المري القاص الزاهد ضعيف كما في «التقريب».

وسعيد بن إياس الجريري ثقة اختلط قبل موته بثلاث سنين، والراوي عنه صالح المري ولا ندرى هل سمع منه قبل الاختلاط أم بعده؟! راجع «الكواكب النيرات» وقد أشار إلى ضعف الحديث الترمذي كما رأيت وضعفه الإمام الألباني رحمه الله في «ضعيف الترمذي» ص (٢٥٤).

(٣) يشير رحمه الله إلى حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما موقوفًا من قوله، أخرجه =

الله الله^(١) حتى يظهر الدجال، ولا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن^(٢)، ولا يحجون بيت الله^(٣)، وحتى يظهر الجدل، ويكثر القتال^(١)، فتقل الرجال حتى ما يكون للخمسين امرأة

=

مسلم رقم (١٩٢٤). وجاء بنحوه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أخرجه مسلم برقم (٢٩٤٩)، وعلقه البخاري رقم (٧٠٦٧).

(١) يشير رحمه الله إلى حديث أنس رضي الله عنه أخرجه مسلم (١٤٨).

(٢) يشير رحمه الله بهذه الفقرة إلى حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، قال الشيخ الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (٤٧٨٩): ضعيف، أخرجه ابن عبدالحكم في «فتوح مصر» (٢٥٥)، والدلمي (١٧١/٤)، ولفظه: «لا تقوم الساعة حتى يرفع الركن والقرآن»، وفي إسناده ابن لهيعة ضعيف، وشيخه أبوزرعة عمرو بن جابر. اهـ بتصرف

قلت: لكن يغني عنه حديث حذيفة رضي الله عنه: «وليسري على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية»، وهو حديث صحيح تقدم تخريجه، وهو في «الصحيحة» للشيخ الألباني رحمه الله (٨٧).

(٣) يشير رحمه الله بهذه الفقرة إلى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه موقوفاً: «لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت».

أخرجه أبويعلى رقم (٩٩١)، وعلقه البخاري في كتاب الحج (٤٧)، ووصله مرفوعاً ابن حبان (٦٧٥٠)، والحاكم (٤٥٣/٤).

والحديث صحيح مرفوعاً وموقوفاً، وقد صححه المحدث الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٢٤٣٠)، وجاء في «صحيح البخاري» (١٥٩٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: «ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج...»

فالجمع بين الروايتين كما قال الحافظ في «الفتح»: إنه لا يلزم من حج الناس بعد خروج يأجوج ومأجوج أن يتمتع الحج في وقت ما عند قرب ظهور الساعة، ويظهر والله أعلم أن المراد بقوله: «ليحجن =

إلا القيم الواحد^(٢)، وكذلك قال رسول الله، فإذا ذهب الصدق ورفعت الأمانة واستخف بالصلاة وظهر اللواط والزنا وتشبه الرجال بالنساء وفاض المال عند السفهاء فانتظروا أمر الله، ﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكَرًا﴾ فذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿[الطلاق: ٨-٩].

فاتقوا الله، ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ [إبراهيم: ٣١].

اسمعوا يا عباد الله بعض ما يقوله رسول الله ﷺ في فساد الزمان وتقلبات الأحوال، ومما قال: «ليأتين على الناس زمان يكذب فيه الصادق، ويصدق فيه الكاذب، ويخون فيه الأمين، ويؤتمن الخون، ويشهد المرء ولم يستشهد ويحلف وإن لم يستخلف، ويكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع لا يؤمن بالله ورسوله».^(٣)

=

البيت» أي مكان البيت، لما سيأتي بعد باب أن الحبشة إذا خربوه لم يعمر بعد ذلك. اهـ

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري رقم (١٠٣٦) ومسلم في

كتاب العلم رقم (١٥٧)، وفي الباب عن أبي موسى رضي الله عنه أخرجه مسلم (٢٦٧٢).

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أخرجه البخاري (٨١) (٦٨٠٨)

ومسلم (٢٦٧١).

(٣) الحديث بهذا السياق أخرجه البخاري في «تاريخه» (٢٩٧/٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٣)/

رقم (٧١١)، و«الأوسط» رقم (٨٦٤٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

وفي إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث ضعيف يصلح في الشواهد، ويحيى بن سليم بن زيد مجهول كما

في «التقريب»، وقد ضعفه بهذا السياق الإمام الألباني رحمه الله تعالى في «الضعيفة» رقم (٤٣٦٦) =

فهو لا يعبد إلا شهوته، ولا يقدر إلا المال.

وقال أيضاً: «إذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا - وشبك بين أنامله - فالزم بيتك وأملك عليك لسانك، خذ ما تعرف ودع ما تنكر، وعليك بخاصة أمر نفسك، ودع عنك أمر العامة»^(١).

=

لكن لبعض ألفاظ الحديث شواهد:

فقوله: «ليأتين على الناس زمان ... ويؤتمن الخائن» لها شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه أحمد (٣٣٨/٢)، وفي سنده فليح بن سليمان المدني ضعيف يعتبر به. وأخرجه أحمد (٢٩١/٢) من طريق أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه وفي إسناده عبد الملك بن قدامة الجمحي ضعيف، وإسحاق بن بكر بن أبي الفرات مجهول. وله شاهد من حديث أنس رضي الله عنه أخرجه أحمد (٢٢٠/٣) وفي إسناده محمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن.

وشاهد آخر عند الطبراني في «الكبير» (١٨ / رقم ١٢٤) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه، وإسناده حسن.

فهذه الفقرة حسنة لشواهدا.

وقوله: «ويشهد المرء ولم يستشهد ويحلف ولم يستحلف» لها شاهد من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أخرجه البخاري (٢٦٥١) ومسلم (٢٥٣٥).

وقوله: «ويكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع» صحيحة لشواهدا، وقد ذكرتها في تحقيقي للمجلد الرابع من «فتح الباري» كتاب البيوع تحت شرح حديث رقم (٢١٢٢).

(١) (حسن).

أخرجه أحمد (٢١٢/٢)، وأبوداود (٤٣٤٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وقد حسن الحديث الإمامان المحدثان الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٢٠٥)، وشيخنا مقبل =

فقابل ما سمعت أيها المسلم من كلام نبيك ﷺ بالسمع والطاعة والامتثال. وقيل
 لرسول الله ﷺ: أخبرنا يا رسول الله عن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا
 يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

فقال: «اتتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً
 ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك، ودع عنك أمر العوام، فإن من
 ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين
 رجلاً يعملون مثل عمله»^(١).

=

الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند من دلائل النبوة» (٤٥٦).

(١) (إسناده ضعيف، ولبعض فقراته شواهد)

أخرجه أبوداود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤)، وابن حبان (٣٨٥) من حديث
 أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه.

وفي إسناده عمرو بن جارية اللخمي، قال الحافظ في «التقريب»: مقبول، قلت: يعني عند المتابعة، وإلا
 فلين، ولم يتابع، وفيه أبو أمية الشعباني قيل: اسمه يُحْمَد، قيل: عبدالله، قال الحافظ في «التقريب»:
 مقبول، فهما مجهولان، أعني أبا أمية وعمراً، وبهما أعل الحديث الشيخ الألباني رحمه الله في «الضعيفة»
 رقم (١٠٢٥)، لكت لبعض ألفاظ الحديث شواهد:

فقوله: «اتتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر» تشهد لها الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة في الحث على
 التآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر.

وقوله: «فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام» يشهد لها الحديث المتقدم فهي صحيحة.

وقوله: «فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن...» لها شواهد تصح بها، مضى ذكرها في أوائل الخطبة
 الرابعة عشرة، والحمد لله.

فهنيئاً لك يا مجتنب الفتنة وسيئات الأعمال.

وفي ذات ليلة استيقظ رسول الله ﷺ فزعاً محمراً وجهه يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح الليلة من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه»، وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها.

قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله، أفنهلك وفينا الصالحون؟! قال: «نعم إذا كثرت الخبث»^(١).

نفوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ونسأله الهداية والتوفيق والعصمة من الضلال.

يا عباد الله وقولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٥].

وتوبوا إلى الله قبل أن تموتوا واعلموا أن الله سريع العقاب، وإنه لغفور رحيم.

وكفوا عن الحرام جوارحكم وطهروا قلوبكم فإنها محل نظر الله^(٢) وهو لا ينظر تعالى إلا إلى القلب السليم^(٣)، وأصلحوا ذات بينكم وتمسكوا بدينكم، ولا يفتنكم المال والهوى

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٣٤٦ و ٣٥٩٨) ومسلم (٢٢٨٠) من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها.

(٢) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تقدم تخريجه.

(٣) ظاهر الحديث العموم «ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

والشيطان الرجيم، وقولوا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وأنت الشكور الحليم.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥].

الخطبة الخامسة عشرة

في ظهور الفساد

الحمد لله الذي لا يدوم غيره ولا يرجى إلا خيره، ولا يخشى إلا ضيره^(١)، ولا يعول^(٢) إلا عليه، يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود، ذو العرش المجيد فعال لما يريد.

نحمده تعالى ونشكره على كل حال، ونستعين به ونذكره وهو الكبير المتعال، ونتوب إليه ونستغفره ونسأله السلامة والعافية والستر والجلال، ومن تاب تاب الله عليه ومن تولى فإن الله هو الغني الحميد.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يضل من يشاء ويهدي من يشاء والله يعلم وأنتم لا تعلمون، سبحانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الأمين المأمون، والموحى إليه بقوله تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ خَوْضًا وَيُلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الزخرف: ٨٣].

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد القائل: «الحياء شعبة من الإيمان»^(١)، «ومن لا إيمان له لا حياء له»^(٢)، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام الصّيد، وعلى التابعين لهم بإحسان في صالح الأعمال والأمر الرشيد.

(١) أي: ضره كما في «لسان العرب» مادة: ضرور.

(٢) أي: لا يستعان إلا به ولا يتوكل إلا عليه، ولا يستغاث إلا به، «لسان العرب» مادة: عول.

عباد الله، ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

وانتهك الناس حرمان الدين وتعدوا حدود الله وهزءوا بالقوانين، فلا من الله يخافون، ولا يطبق عليهم القانون، فالأخلاق يفسدونها والفضيلة يقتلونها، والفواحش يرتكبونها وهم آمنون.

وإذا قيل لهم اتقوا الله لا يتقون، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَ اللَّهُ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦]، ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ*وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ*وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ ثَبَعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ﴾ [ق: ١٢-١٤].

=

(١) أخرجه البخاري رقم (٩) ومسلم رقم (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) هذا حديث ضعيف، أخرجه أبو الشيخ ابن حيان في «الثواب» كما في «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/٣٨٣)، والأصبهاني في «الترغيب» (١٠٩٨) من طريق مجمع بن حارثة بن زيد بن حارثة عن عمه يزيد بن جارية، به.

قال المنذري عقبه: وفي إسناده بشر بن غالب الأسدي مجهول، قلت: ترجمته في «اللسان» (٣٦/٢) و«الجرح والتعديل» (٢/٣٦٣)، وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب» (٢/١٨٤).

فساد أخلاقنا وذهاب الحياء من رجالنا ونسائنا جعلنا في هذه الحالة التي تشاهدونها، وإعراضنا عن الدين وتعاليمه واستخفافنا بتقاليدنا القومية التي كنتم تعظمونها وتمجدونها.

قد أوقعنا فيما نكره وأدخلنا فيما لا نحب وكفى بما نحن فيه من أمراض لا تداوونها، وأنتم الذين نشرتموها بينكم وتغافلتُم عنها حتى فتكت بكم فكيف تعالجونها وبأي شيء غير الدين تزيلونها.

فهل صرتم الآن لا تشعرون وأصبحتم لا تفكرون، وترون قبيح الفعال من أبنائكم وبناتكم فتقرونها ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿[ق: ٢٧-٢٨].

وإذا ظهر الفساد وانتشر الإلحاد وتجاهر الناس بالذنوب، فغير عزيز على الله أن يخسف بهم الأرض أو يرسل عليهم حاصباً من السماء أو يهلكهم بالأمراض والحروب، ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥].

حتى يستوي الغالب والمغلوب، ومن أنت يا من يحارب الله بالمعاصي ويبارزه بالفسوق والعصيان وسيئات العيوب، أمستخف بعلام الغيوب، أم متساهل بيوم تشخص فيه الأبصار وتذوب من هوله حبات القلوب.

أما أنت من الذين لا يصدقون بخروج الناس من القبور ولا يؤمنون ببعث ولا نشور، فال حاضر من الدنيا لديهم محبوب، وفيه مرغوب، وما غاب عنهم من الآخرة وما بعد الموت فلا مرغوب ولا مرهوب، وما هو لهم بمطلوب، فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

يوم تأتي كل نفس معها سائق وشهيد ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق:٢٢].

كلما أراد المصلحون إصلاح جانب من هذا المجتمع الفاسد تصدعت فيه جوانب أخرى، فكيف يصنع الواعظ والمصلح، وكم يسعف المساعد، والمصيبة الكبرى والداهية العظمى كثرة المفسدين وقلة الصالحين وألف بان يعجزهم الهادم الواحد، فكيف بألف هدام بعد بان واحد.

وأي شيء يفعل الخطباء وما تؤثر المنابر والمساجد والكنائس^(١) ومختلف المعابد^(٢)، إذا سقطت أخلاق الأمة في البيوت والأسواق، واشترك في الفساد القائم منهم والقاعد، والصادر والوارد.

(١) الكنائس جمع كنيسة، وهي: متعبد اليهود والنصارى.

وقرن المؤلف عفا الله عنه الكنائس والمعابد بمساجد المسلمين ومنابرهم، يعد من هفواته وزلاته في هذا الكتاب، فما هي الأخلاق الفاضلة التي تقع في الكنائس حتى يتأثر بها، فالكنائس تدعو إلى هدم الأخلاق ونشر الرذيلة، كيف لا وهي يعبد فيها غير الله ويعظم ويحكم فيها بغير حكمه سبحانه وتعالى.

وبناء هذا فيجب على ولاية أمور المسلمين إزالة الكنائس الموجودة في البلاد العربية وعلى ذلك فتوى أهل العلم كشيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم، راجع للمزيد «أحكام أهل الذمة» (٢/٦٨٦-٦٨٧)، و«مسألة الكنائس» لشيخ الإسلام، ت/ علي الشبل، ورسالة الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله «تحريم بناء الكنائس في البلاد العربية» والله الموفق.

(٢) لا ينبغي أن يطلق المؤلف رحمه الله على مساجد المسلمين معابد، وإنما يطلق عليها مساجد بنص =

وقديماً كانت هذه البلاد مشهورة بالعلم والصلاح، وكان يؤمها العلماء وأهل الفضل من الأقطار البعيدة والبلاد النائية للتجارة والسياحة ومزاورة أهل العلم والفضل من فقيه وصوفي^(١) ومحدث وزاهد.

=

القرآن، فقولوه: ومختلف المعابد، فيه إجمال، فمثلاً عبادة اليهود في معابدهم باطلة، وكذا النصارى والباطنية والمجوس وغيرهم من فرق الكفر والإلحاد والضلال. فأبي أثر يكون عند هؤلاء الكفرة، وإنما يتأثر المسلم بالمساجد التي يعبد فيها الله وحده لا شريك له، فنسأل الله أن يعفو عنا وعن المؤلف.

(١) الصوفية: سموا بذلك للبسهم الصوف، هذا هو الصحيح الذي اختاره كثير من المحققين، كابن الجوزي في «تلبس إبليس» (١٦٣)، وشيخ الإسلام كما في «الفتاوى» (١١/٦-٧). كما أن نسبة التصوف لأهل الصفة غلط، كما قال ابن الجوزي رحمه الله في «تلبس إبليس» ص (٩٠)، وشيخ الإسلام رحمه الله كما في «الفتاوى» (١١/٦).

وهذه الفرقة الضالة المنحرفة لهم عقائد وأفكار منحرفة، منها:

الحلول، كما هو مذهب الحلاج ومن سار على فكره ونهجه.

وحدة الوجود، وهي عدم الانفصال بين الخالق والمخلوق.

ومنهم من يعتقد بعقيدة الأشاعرة والماتريدية في ذات الله تعالى وأسمائه وصفاته.

والغلاة منهم يعتقدون في الرسول ق عقائد شتى.

فمنهم من يزعم أن الرسول ق لا يصل إلى مرتبتهم وحالهم.

ومنهم من يعتقد أن الرسول ق هو قبة الكون، وهو الله المستوي على العرش، وأن السموات والأرض

والعرش والكرسي وكل الكائنات خلقت من نوره.

ومنهم من يتوسل به ويستشفع به إلى الله تعالى على وجه يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة.

وفي الأولياء يعتقد الصوفية عقائد شتى، فمنهم من يفضل الولي على النبي، ومنهم من يجعل الولي مساوياً =

واليوم قد تغيرت الأحوال واختلط الحرام بالحلال، واستهتر السفهاء والأنذال، وطغوا بالمال وخرج الولد عن طاعة الوالد ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ فِى السَّمْعِ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿ق: ٣٦-٣٧﴾.

الله في كل صفاته، فهو يخلق ويرزق ويحيي ويميت، ويتصرف في الكون، ولهم تقسيمات للولاية، فهناك الغوث والأقطاب الأبدال والنجباء، غير ذلك من المعتقدات الباطلة المذكورة في كتب أهل العلم.

انظرها في «مصرع التصوف» للبقاعي، و«التصوف» لإحسان إلهي ظهير، «الكشف عن حقيقة الصوفية» محمود القاسم، و«دراسات في التصوف» لإحسان إلهي ظهير، و«هذه هي الصوفية» لعبدالرحمن الوكيل، و«الموسوعة الميسرة» (١/ ٢٥٣-٢٧٨).

وعلى هذا فحث المصنف رحمه الله على مزاورة الصوفية يجب البعد عنه لما عند القوم من العقائد الفاسدة والبدع والشركيات والخرافات؛ ولقول النبي صل الله عليه وسلم: «مثل المجلس الصالح والمجلس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة»، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة»، أخرجه البخاري (٢١٠١)، و(٥٥٣٤)، ومسلم رقم (٢٦٢٨)، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال الحافظ في الفتح (٤/ ٤١٠)، وفي الحديث النهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدين والدنيا، والترغيب في مجالسة من ينتفع بمجالسته فيها. اهـ وقال النووي في شرح مسلم: وفي الحديث: ... النهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع. اهـ

سبحان الله، كيف انتشر الخبث في أمة كتابها القرآن ودينها الإسلام وكيف وقعوا في الأرض وعفرت وجوههم بالرغام^(١)، وسقط من الذروة السنام^(٢).

وكيف اسودّ تاريخهم وكانوا غرة في جبين الأيام، يحمون الدّمار^(٣) ويكرمون الجار، ويتباعدون عن العار، ويحملون الكل ويصلون الأرحام، ويفكون العاني^(٤)، ويطعمون الطعام.

وما زالوا كذلك لهم العزة والإكرام في العرب والأعجام، ترفرف لهم على ربوع الأرض تلکم الأعلام، ويهاهم الفرس والأروام، حتى فسدت أخلاقهم وتجاهر فساقهم واستوى في ذلك مصرهم وعراقهم، والهند والسند، واليمن والشام.

فلذوا بعد العزة وسقطوا بعد الرفعة وكانوا ملوكًا وسادة فصاروا من الخول^(٥) والخدام، وكذلك يفعل بالمجرمين ومرتكبي الآثام. وما ربك بظلام ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

(١) الرغام هو التراب، كما في «لسان العرب» مادة: رغم.

(٢) ذروة كل الشيء أعلاه، وذروة السنام والرأس أشرفهما، كما في «لسان العرب» مادة: ذرا.

(٣) الدّمار: هو كل ما يلزمك حفظه وحياطته وحمایته والدفع عنه، كالحرّم والأهل والأنساب.

والذمار: ما وراء الرجل مما يحق عليه أن يحميه، «لسان العرب» مادة: ذمر.

(٤) العاني: هو الأسير، كما في «لسان العرب» مادة: عنا.

(٥) الخول: حشم الرجل وأتباعه، ويقع على العبد والأمة، وهو مأخوذ من التخويل والتملك، وقيل:

من الرعاية، «لسان العرب» مادة: خول.

والله ما ظهر في أمة اللواط والزنا والخمر والقمار والربا وتطفيف المكيال والميزان، إلا ظهر فيهم الغلاء وانتشر فيهم البلاء والأمراض التي لم تكن معروفة في أسلافهم وظلم السلطان^(١).

وما بذل قوم دينهم بعدما عقلوه وخالفوه بعدما عرفوه وألفوه، إلا مات خيارهم وعاش شرارهم وقلت أمطارهم وغلت أسعارهم واستحوذ عليهم الشيطان، وكذلك يكون في آخر الزمان.

وما هذه الحروب الطاحنة ومصائب الحالة الراهنة والفتن التي تموج كموج البحر، والآفات التي في هذا الدهر، إلا نتيجة الأخلاق الفاسدة والإعراض عن تعاليم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان^(٢).

(١) هذا الكلام صحيح ومبناه على حديث ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩)، والبخاري (٢٦٨/٢) رقم (١٦٧٦)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (١٠٦)، وشيخنا المجدد الإمام مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند من دلائل النبوة» ص (٥٣٥-٥٣٦).

(٢) قول المؤلف رحمه الله (والإعراض) هذا الكلام خطأ يجب العدول عنه، والصواب أن يقول: والإعراض عن تعاليم الفرقان بدون ذكر تعاليم التوراة والإنجيل والزبور، أو نحو ذلك من العبارات السليمة.

ولسنا بحاجة إلى تعاليم التوراة والإنجيل والزبور؛ لأن هذه الكتب قد حرفت وبدلت وغيرت، وعلى فرض أنها لم تغير أو تبدل فهي منسوخة بالقرآن، قال الله عز وجل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

فمتى كان يفتخر الرجل بأنه لو طي أو زان، ومتى كان يقول: إنه فاعل أو مفعول به أن يتجاهر بمعاشرة الغلمان وتقبيل الصبيان، بمرأى ومسمع من أهله والإخوان، فيا للعار ويا للشنار^(١)، ويا لحلول الفساد محل الرشاد، في أمة لا يتعاونون على البر والتقوى ويتعاونون على الإثم والعدوان ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

=

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فأما مجرد الرجوع إلى قولهم (يعني أهل الكتاب)، أو إلى ما في كتبهم فلا يجوز بالاتفاق، والنبي ق قد استخبرهم فأخبروه، ووقف على ما في التوراة فإنما ذلك لأنه لا يروج عليه باطلهم، بل الله سبحانه يعرفه ما يكذبون مما يصدقون كما قد أخبرهم بكذبهم غير مرة، وأما نحن فلا نأمن أن يحدثونا بالكذب فيكون فاسق، بل كافر، قد جاءنا نبأ فاتبعناه. اهـ من «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٤١١-٤١٢) ت/ د/ ناصر العقل.

وقال الذهبي رحمه الله تعالى: ولا يشرع لأحد بعد نزول القرآن أن يقرأ التوراة، ولا أن يحفظها لكونها مبدلة محرفة منسوخة العمل قد اختلط فيها الحق بالباطل فلتجتنب، فأما النظر فيها للاعتبار وللرد على اليهود فلا بأس بذلك للرجل العالم قليلاً والإعراض أولى. اهـ من «سير أعلام النبلاء» ترجمة عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما (٣/ ٨٦).

وانظر «فتاوى اللجنة الدائمة» (٣/ ٤٣٣ / ٤٣٤).

(١) الشنار: هو العيب والعار، وقيل: هو العيب الذي فيه عار، وقيل: أقبح العيب والعار، «لسان العرب» مادة: شنر.

قال رسول الله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت»^(١).

وقال ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»^(٢).

وقال ﷺ: «الحياء من الإيمان والإيمان من الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار»^(٣).

وقال عليه الصلاة والسلام: «من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه»^(٤).

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٤٨٤ و ٦١٢٠) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٩) ومسلم رقم (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والسياق لمسلم رحمه الله تعالى.

(٣) (صحيح).

أخرجه الترمذي (٢٠٠٩)، وأحمد (٥٠١/٢)، وابن حبان (٦٠٨)، والحاكم (٥٢/١-٥٣)، وصححه الشيخان المحدثان الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٤٩٥)، وشيخنا مقبل الوداعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٤٠٤/٢).

(٤) (ضعيف).

أخرجه الحاكم (٢٢/١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي سنده عبدالله بن الوليد التجيبي المصري لين الحديث كما في «التقريب»، وفيه عبدالله بن عبد الرحمن بن حجيرة المصري، روى عنه جمع ولم يوثقه معتبر، وقد ضعف الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (١٢٧٤) وشيخنا =

وقال أيضًا: «من زنى خرج منه الإيمان، فإن تاب تاب الله عليه»^(١)، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ
فَزَعُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ*وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ
بَعِيدٍ﴾ [سبأ: ٥١-٥٢].

=

الوادعي رحمه الله في «تبعه لأوهام الحاكم في المستدرک» (١/٦٦).
ويغني عنه ما أخرجه أبوداود (٤٦٩٠)، والحاكم (١/٢٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول
الله ق: «إذا زنى العبد خرج منه الإيمان وكان كالظلة، فإذا انقلع منها رجع إليه الإيمان»، صححه
الشيخ الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٥٠٩).

(١) (صحيح لغيره).

أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧/رقم ٧٢٢٤) من حديث شريك بن حنبل، ويقال: ابن شحبيب،
وإسناده ضعيف فيه عيسى بن جارية المدني ضعيف كما في ترجمته من «التهذيب».
وشريك بن حنبل روى عنه اثنان ولم يوثقه معتبر، وقال الحافظ في «التقريب»: لم يثبت أن له صحبة،
فحديثه مرسل.

وقوله في الحديث: «من زنى خرج من الإيمان»: يشهده له ما قبله.

وقوله: «فإن تاب تاب الله عليه» لها شواهد كثيرة تصح بها.

فالحديث صحيح لغيره، وقد حسنه الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» رقم (٦١٥٠).

الخطبة السادسة عشرة

إيثار الدنيا على الآخرة

الحمد لله القائم بنفسه، الواحد العظيم في جلاله وقده، القادر العليم بأحوال جنه وإنسه، ومن يؤمن بالله ويعمل صالحًا يدخله دار كرامته وأنسه، ومن أعرض وأثر الحياة الدنيا فيدخله دار نقمته وحبسه ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

نحمده تعالى وهو الجواد الكريم، ونشكره عز وجل وهو المتفضل العظيم، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ويضل من يشاء وهو العليم الحكيم.

ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴿طه﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن يَخْشَى * تَنزِيلًا مِّنْ خَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿طه: ١-٥﴾.

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد النبي المختار مهبط الأسرار ومشرق الأنوار،
والقائل ﷺ: «الدنيا حلوة خضرة فمن أخذها بحقه بورك له فيها، ورب متخوض فيها
اشتتت نفسه ليس له يوم القيامة إلا النار»^(١).

(١) (صحيح).

وهو بهذا اللفظ أخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (١٠/٤٢٩) / ط دار الفكر/ من حديث
عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

قال الهيثمي: رجاله ثقات، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٣٤١٠)، والحديث في
الطبراني كما رأيت وهو في الأجزاء المفقودة من «المعجم الكبير»، ومنها «مسند عبدالله بن عمرو»،
ولم أقف على مسنده حتى أحكم عليه، وهكذا في القطعة الموجودة منه.

وأخرجه بنحو هذا اللفظ الترمذي (٢٣٧٤)، وأحمد (٦/٣٦٤، ٣٧٨)، والطبراني في «الكبير» (٥٧٧)
و٥٧٨ و٥٧٩-٥٨٧ من حديث خولة بنت قيس رضي الله عنها، وفي سنده عبيد بن سنوط المدني
روى عنه اثنان ولم يوثقه سوى ابن حبان والعجلي، وقد تابعه النعمان بن أبي عياش الزرقني عند
البخاري (٣١١٨) وأحمد (٦/٤١٥) بنحو هذا اللفظ.

وقد صحح حديث خولة بنت قيس، الإمام الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (١٥٩٢).
وقوله: «الدنيا حلوة خضرة» لها شاهد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أخرجه مسلم
(٢٧٤٢).

وقوله: «فمن أخذها بحق بورك له فيها» لها شاهد من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه أخرجه
البخاري (٣١٤٣ و١٤٧٢) ومسلم (١٠٣٥).

صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه الأخيار من المهاجرين والأنصار، وعلى التابعين لهم بإحسان في الآفاق والأمصار، صلاة وسلامًا دائمين متلازمين بدوام الأرض والسماء ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ [طه: ٧٦].

عباد الله. كيف أثرت الحياة الدنيا على ما عند الله، وكيف شغلتكم أموالكم وأهلكم عن ذكر الله وعن الصلاة، ومهما عشت أيها الإنسان وحظيت به في هذه الحياة، فإنك راحل وما في يديك زائل ولا يبقى إلا وجه الله، والدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه^(١).

(١) هذا الكلام مبناه على حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، وفي سنده عبدالله بن ضمرة السلولي روى عنه جمع ولم يوثقه سوى ابن حبان والعجلي وهما متساهلان في توثيق المجاهيل، وفيه عطاء بن قره السلولي روى عنه جمع ولم يوثقه سوى ابن حبان والعجلي.

وقد روي من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أخرجه البزار (١٧٣٦)، والطبراني في «الأوسط» (٤٠٧٢)، وفي سنده أبوالمطرف المغيرة بن المطرف، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/١٢٢): ولم أر من ذكره. اهـ

قال الشيخ الألباني رحمه الله في «الصحيحة» تحت رقم (٢٧٩٧): قال الذهبي في «المقتنى»: وا. اهـ قلت: ذكر له الدارقطني حديثه هذا في علله وخطأه فيه، فقال بعد أن ذكر حديث ابن مسعود: وهذا إسناد مقلوب، وإنما رواه ابن ثوبان عن عطاء بن قره، عن عبدالله بن ضمرة، عن أبي هريرة، وهو الصحيح. اهـ «العلل» (٨٩/٥) سؤال رقم (٧٣٥)، فأنت ترى أن الدارقطني رحمه الله صوب حديث أبي هريرة، وقد رأيت من في سنده.

لكن للحديث شواهد منها:

ومن اشترى العاجل بالأجل، ولم يتخذ دنياه مطية توصله إلى المقصد الذي يرضاه ومستقره الأخير الذي يهواه، مع الأنبياء والذين أنعم الله عليهم، فذلك الذي لا تفيد فيه المواعظ ولا ترده العبر عن غيه وضلاله في سره ونجواه ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الكهف: ٥٧]، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

حلال هذه الدنيا حساب، وحرامها عذاب، ومصيرها إلى الخراب، ولا يركن لها إلا مراتب، قد فقد الرشد والصواب.

=

١- حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، أخرجه أبونعيم في «الحلية» (٣/ ١٥٧) و(٧/ ٩١)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٠٣١)، قال أبونعيم في الموضع الأول: غريب من حديث محمد والثوري تفرد به عبدالله بن الجراح. اهـ

قلت: عبدالله هذا صدوق حسن الحديث كما في ترجمته من «التهذيب».

ولكن الحديث رجح أبو حاتم كما في «العلل» لابنه (٢/ ١٢٤) بأنه مرسل، وهو مرسل حسن الإسناد.

٢- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أخرجه ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» رقم (١٣٣)، لكن أعله بالوقف.

ثم إن حديث أبي سعيد في سنده عبدالملك بن حبيب المصيصي روى عنه جمع ولم يوثقه معتبر، قال الحافظ في «التقريب»: مقبول، يعني عند المتابعة وإلا فلين.

فالراجح في حديث أبي سعيد الوقف، وأنه من قول أبي الدرداء، وقول أبي الدرداء لفظه مغاير لما تقدم من حديث أبي هريرة وابن مسعود.

فالخاص: أن حديث أبي هريرة رضي الله عنه المذكور يصلح للاحتجاج به، وقد صححه المحدث الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٢٧٩٧)، والله أعلم.

فكم من ذهاب بلا إياب، وكم من حبيب قد فارق الأحباب، وترك الأهل والأصحاب، وصار إلى ثواب أو عقاب.

وأنت أيها العاقل على جمعها حريص، مع ما تشاهد فيها من التنغيص، فهون على نفسك أيها الخباب، وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢].

وفي الحديث الشريف: «لو كان لابن آدم واد من مال لا بتغى إليه ثانياً، ولو كان له واديان لا بتغى لهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»^(١).
﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى * وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣١-١٣٢].

لا بأس بجمع المال واكتساب الحلال والتمتع بالدار الفانية، إذا لم يكن ذلك شاغلاً عن طاعة الله والاستعداد للدار الثانية، بل طلب المعيشة فريضة بعد الفريضة.

(١) أخرجه البخاري (٦٤٣٧) ومسلم (١٠٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وفي الباب عن ابن الزبير رضي الله عنهما، أخرجه البخاري (٦٤٣٨).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٦٤٣٩)، ومسلم (١٠٤٨).

وأعظم نعمة الله على عبده بعد الإسلام هو الرزق الواسع والأمن والعافية، ولكن قومًا يعبدون المال ويقصدون المادة، ويجدون في طلب الدرهم والدينار ولو رأوه في الهاوية، لتهافتوا عليه وحاولوا الوصول إليه ولو بالخروج عن الدين والآداب السامية.

فلا دين ولا حياء، ولا شرف ولا مروءة، ولا إباء ولا طمعًا في الجنة العالية، ولا خوفًا من جهنم الحامية، فويلهم من الله يوم يقول قائلهم: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ﴾ [الحاقة: ٢٧-٢٩].

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: ١٦-١٩].

كثيرًا ما نشاهد من يتعامل بالربا ويأكل الرشا، ويطفف الكيل والميزان ويخون عملاءه والإخوان، لا يخاف من الله ولا يخشى، ويشهد الزور، ويرتكب الفجور، ولو استطاع لأخذ الأكفان من القبور.

وكل ذلك في سبيلك يا دنيا، ومن أجلك يفعل الإنسان ما يشاء، فقد يثق المسلم بالمسلم ويعجبه سمته وحضوره في المساجد لصلاتي الصبح والعشاء، فيطمئن إليه ويعتمد بعد الله عليه، ويأمنه على نفسه وماله ثم يجده بعد ذلك حية رقشاء، يخون الأمانة، ويستخف بالخيانة، وتتلاشى عنده المروءة والديانة، ويحمله حب المال على انتهاك المحارم وارتكابه الفحشاء.

وإذا خوفته بالله زوى عنك وجهه واستهزأ بك، واستحسن من نفسه ما يغشى ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى * وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الليل: ١٤-١٨].

في سبيل المال عالمنا محتال، وعابدنا دجال، والشاعر كذاب فيما قال، والكاتب يتزلف إلى الأغنياء والأنذال، ويكذب في الحقيقة والخيال.

والواعظ والخطيب ينصب الشباك والحبال، لاصطياد الرجال ونهب الأموال، ويقول ما ليس بفعال^(١).

والمحامي^(٢) يحب إغراء العداوة بين مواطنيه من نساء ورجال، ويعد موكله بالنجاح في كل حال، وهو يعلم أنه لا يدرك شيئاً من قصده ولا ينال.

والطبيب لا ينصح في البيت ولا الاستبال^(٣)، إلا إذا دفع المريض إليه ماله وبعث بالهداية إلى بيته في الغدو والآصال.

(١) ليس كل خطيب ينصب الشباك لأخذ المال، وإنما نستطيع أن نقول: كلام المؤلف يحمل على غالب الخطباء، ويتنزل بشدة على الإخوان المسلمين وأصحاب جمعية الحكمة والإحسان والبر والتقوى وغيرها، فما من قضية تحصل في الأمة، وما من نازلة إلا ويفترشون العائم على أبواب المساجد، لأخذ أموال المسلمين بحجة نصره الإسلام والمسلمين، بل صار بعض الخطباء منهم هذا همهم وديده، كيف يحتال على جمع أموال المسلمين، وقد أخبرني بعض الثقات: أن خطيباً في محافظة صنعاء ديدنه كل جمعة في خطبته عن جمع المال والتبرعات لفلسطين، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(٢) المحامي في القضاء: هو المدافع عن أحد الخصمين، «المعجم الوسيط» (٢٢٣).

(٣) هو المستشفى، كما أفادني به أخونا الفاضل صادق البيتي حفظه الله، لأن المؤلف عاش فترة في عدن فتأثر ببعض لغاتها.

فما أسعد الغني في هذه الأجيال، وما أكثر أتعاب الفقير وذوي العيال، في زمان لا تقدر فيه إلا المادة ولا يعبد فيه إلا المال ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلُّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [طه: ٨١].

لقد ضعف الدين وتحكم حب العاجل من قلوب الناس أجمعين، ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩].

إذا تليت عليهم آيات الله وأحاديث النبيين، قالوا: أساطير الأولين وخرافات الأقدمين، وكما أنه لا دين ولا يقين، كذلك لا رحمة ولا إنسانية ولا مبالاة بالمساكين.

ورب قائل يقول: إذا مت عطشاناً فلا نزل القطر على العالمين، وإذا نلت قصدي وبلغت حاجتي فما لي وللآخرين من محبين ومبغضين، وأولئك الذين يقولون للمال بلسان الحال والمقال: إياك نعبد وإياك نستعين، فله يسجدون، وإياه يحمدون، وعليه يعتمدون، ومعه لا يبالون بالقوانين^(١)، ولا يعتبرون بها فات، ولا يفكرون فيما هو آت، مما أخبر به الكتاب المبين وسنة سيد المرسلين ﴿قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ [طه: ١٣٥].

(١) تقدم التعليق على إطلاق لفظة القوانين على الكتاب والسنة، وأن الأولى اجتناب ذلك. والصواب أن يقول المؤلف رحمه الله: ولا يبالون بأحكام الكتاب والسنة، أو نحوها من العبارات السليمة.

قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها

(١) شربة ماء».

(١) (صحيح لغيره).

والحديث روي عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم، منهم:

١ - سهل بن سعد رضي الله عنه، أخرجه الترمذي (٢٣٢٠)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٥-٦)، وأبونعيم في «الحلية» (٣/ ٢٥٣)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤٦).
وفي سنده عبد الحميد بن سليمان الخزاعي المدني ضعيف كما في «التقريب»، وتابعه زكريا بن منظور عند ابن ماجه (٤١١٠)، والحاكم (٣٠٦/٤)، وزكريا بن منظور هو القرطي ضعيف أيضاً كما في «التقريب».

٢ - أبو هريرة رضي الله عنه، أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٣٠٦) كما في «الصحيحة» (٢/ ٣٠٠)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٤٤٠)، وفي سنده صالح بن نهان مولى التوأمة صدوق اختلط، والراوي عنه محمد بن عمار وهو ممن روى عنه بعد الاختلاط كما في «الكواكب النيرات».
٣ - ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» رقم (١٤٣٩)، والخطيب في «تاريخه» (٩٢/٤)، وظاهر إسناده الصحة لكن قال الخطيب عقبه: غريب جداً، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «الصحيحة» تحت رقم (٩٤٣).

٤ - ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه أبونعيم في «الحلية» (٣/ ٣٠٤) و(٨/ ٢٩٠)، وفي سنده الحسن بن عمار البجلي متروك كما في «التقريب»، فلا يصح أن يكون شاهداً لما تقدم.

٥ - عن جماعة من الصحابة، أخرجه ابن المبارك في «الزهد» رقم (٤٧٠)، وفي سنده عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح» (٦/ ١٥٦)، والبخاري في «تاريخه» (٣/ ٢٣٦)، وذكر البخاري عدداً من الرواة عنه، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، ولم يوثقه سوى ابن حبان في «الثقات» (٥/ ١٥٧).

وقال رسول الله صلى الله وسلم: «ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال أمن حلال أم من حرام»^(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين وهلاك آخرها بالبخل والأمل»^(٢).

=

وإسماعيل بن عياش الحمصي صدوق في روايته عن أهل بلده مخلص في غيرهم كما في «التقريب»، وروايته هنا من هذا القبيل.

٦- مرسل الحسن، أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢١٩) ومراسيل الحسن من أوهى المراسيل عند العلماء، ومع إرساله ففيه حريث بن السائب التميمي ضعيف يعتبر به.

٧- حديث عمرو بن مرة، أخرجه هناد في «الزهد» رقم (٨٠٠) بإسناد مرسل. فالخاصل أن الحديث صحيح لغيره بمجموع طرقه التي لم يشتد ضعفها، وقد صححه الإمام الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٦٨٦ و ٩٤٣).

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٠٥٩ و ٢٠٨٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) (حسن).

أخرجه أحمد في «الزهد» (١٦)، والطبراني في «الأوسط» رقم (٧٦٥٠)، والبيهقي في «الشعب» رقم

(١٠٣٥٠ و ١٠٣٥١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٨٦/٧) من حديث عبد الله بن عمرو بن

العاص رضي الله عنهما، وإسناده حسن من أجل محمد بن مسلم الطائفي، وقد تابعه متابعة قاصرة

ابن لهيعة عند ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» رقم (٢٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» رقم

(١٠٣٥١)، وابن لهيعة ضعيف خلط بعد احتراق كتبه، كما في ترجمته من التهذيب.

فالحديث حسن وقد صححه المحدث الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٣٤٢٧).

وقال أيضًا: «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء»^(١)، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ذَلِك مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى ﴿[النجم: ٢٩-٣٠].

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الخطبة السابعة عشرة

في الزهد والورع

الحمد لله القائم بذاته، والدائم بصفاته، والمعروف بعظيم آياته، والموصوف بكريم هباته، والعدل الحكيم في تصرفاته، عمّ جوده أهل أرضه وسماواته، واعترف بوجوده كل ناطق وصامت من مخلوقاته ﴿يَسْبَحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾*هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿[التغابن: ١-٢].

نحمده تعالى جعل الدنيا دار الممر، والآخرة دار المقر، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لو كانت الدنيا عنده تساوي جناح بعوضة ما جعلها في يدي من كفر^(١)، ولا ينفعه من شكر، وكل ميسر لما خلق له من خير وشر.

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الرابط على بطنه من شدة الجوع بالحجر^(٢)، سيد الأجداد، وأفضل العباد، وأصدق الزهاد، القائل ﷺ: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»^(١).

(١) يشير رحمه الله إلى حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، وهو حديث صحيح لغيره سبق تخريجه تحت الخطبة (١٦).

(٢) يشير رحمه الله تعالى بهذه الجملة إلى حديث جابر رضي الله عنه في قصة حفر الخندق، وفيه: «ثم قام =

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿[فاطر: ٢٤-٢٥].

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد المبعوث بالرغائب، والمؤيد بالعجائب، سيد الأعاجم والأعارب، والقائل ﷺ: «إنما يكفي أحدكم من الدنيا كزاد الراكب»^(٢).

=

أي رسول الله ق وبطنه معصوب بحجر»، أخرجه البخاري (٤١٠١) ومسلم (٢٠٣٩)، واللفظ للبخاري، وفي الباب عن أنس بن مالك رضي الله عنه أخرجه مسلم (٢٠٤٠).
(١) قال الشيخ الألباني رحمه الله في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» رقم (٢٤٦٠): منكر.
قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٦/٢): رواه البيهقي في «الزهد» من حديث جابر وقال: هذا إسناد فيه ضعف.

وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» (٤/١١٤) رقم (٣٣) بعد أن حكى كلام البيهقي فيه: وهو من رواية عيسى بن إبراهيم عن يحيى بن يعلى عن ليث بن أبي سليم، والثلاثة ضعفاء، وأورده النسائي في «الكنى» من قول إبراهيم بن أبي عبلة أحد التابعين من أهل الشام. اهـ
قلت: عيسى بن إبراهيم هو البركي، وقد قال فيه الحافظ في «التقريب»: صدوق ربا وهم، فإطلاق الضعف عليه كما سبق ليس بجيد.

قال الحافظ ابن حجر في «تسديد القوس»: هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم بن أبي عبلة في «الكنى» للنسائي ...

والحديث قال فيه شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوى» (١١/١٩٧): لا أصل له، ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي ق وأفعاله، وجهاد الكفار من أعظم الأعمال، بل هو أفضل ما تطوع به الإنسان .. ثم ذكر بعض الآيات والأحاديث الدالة على أنه من أفضل الأعمال، فكأنه رحمه الله يشير بذلك إلى استنكار تسميته بالجهاد الأصغر. اهـ من «الضعيفة» بتصرف.

(٢) (صحيح).

=

صلى الله عليه وعلى آله الأطهار وصحابته الأطياب، ما ذر شارق وأفل غارب، وعلى التابعين لهم بإحسان في ترك الحرام وفعل الواجب ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [الشورى: ٢٢].

عباد الله، حب الدنيا رأس كل خطيئة^(١)، والتكالب عليها أساس كل بليه، والانهماك فيها أصل كل رزية، وما سميت هذه الدار بالدنيا إلا لأنها دنية^(٢).

=

أخرجه أبويعلى (١٣ / رقم ٧٢١٤)، والطبراني في «الكبير» (٤ / رقم ٣٦٩٥)، وأبونعيم في «الحلية» (١ / ٣٦٠)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٩٩١٥ و ٩٩١٦) من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (١٧١٦). وفي الباب عن عدد من الصحابة ذكرهم العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» المصدر السابق، وانظر تحقيق «مسند أبي يعلى» (١٣ / ١٧٦)، و«مسند أحمد» (٣٩ / ١١٥). (١) هذا الكلام مبناه على حديث ذكره العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (١٢٢٦) وقال: موضوع، رواه البيهقي في «الشعب» بإسناد حسن إلى الحسن البصري رفعه مراسلاً. قلت: والمرسل من أقسام الحديث الضعيف، لا سيما إذا كان مرسله الحسن البصري، قال الدارقطني: مراسيله فيها ضعف ...

ثم ذكر العلامة الألباني رحمه الله أنه من قول عيسى وفيه إعضال. وقال ابن تيمية كما في «الفتاوى» (٢ / ١٩٦): هذا معروف عن جندب بن عبد الله البجلي، وأما عن النبي ق فليس له إسناد معروف.

وذكر نحوه في «مجموع الفتاوى» (١١ / ٩٠٧) وزاد: ويذكر عن المسيح ابن مريم عليه السلام، وأكثر ما يغلو في هذا اللفظ المتفلسفة، ومن حذا حذوهم من الصوفية على أصلهم في تعلق النفس، إلى أمور ليس هذا موضع بسطها. اهـ بتصرف من «الضعيفة».

وما هي إلا طريق معوجة أو سوّية، موصلة إلى الدركات السفلية، أو الدرجات العلية. فطوبى لمن اتخذها إلى الخير مطية، وسريعة غير بطية، ويا ندامة من اطمأن إليها وحسبها عند الله مرضية، وإنما هي ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالمًا أو متعلمًا كما ثبت عن سيد البرية^(٢).

فيا مؤمنًا بالله واليوم الآخر ويا صاحب النفس الزكية، تأهب للرحيل، واستعد للسفر الطويل بصالح الأعمال وخلوص النية.

ويا أيها المؤمنون ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ [الشورى: ٤٧]

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يقول: دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس؟ فقال له ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»^(٣).

=

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: سميت دنيا لسببين:
السبب الأول: أنها أدنى الآخرة؛ لأنها قبلها، كما قال تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [الضحى: ٤].

والثاني: أنها دنيئة ليست بشيء بالنسبة للآخرة. اهـ «شرح رياض الصالحين» شرح باب (٥٥) باب فضل الزهد في الدنيا...

(٢) (حسن لغیره) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وتقدم تخريجہ تحت أوائل الخطبة (١٦).

(٣) (ضعيف جدًا).

أخرجه ابن ماجه رقم (٤١٠٢)، والحاكم (٣١٣/٤)، والبيهقي في «الشعب» (٧/رقم ١٠٤٣)، =

وقال له آخر: أوصني يا رسول الله وأوجز، فقال عليه الصلاة والسلام: «إياك والطمع فإنه فقر حاضر، وإياك وما يعتذر منه، وعليك باليأس مما في أيدي الناس»^(١).

=

والطبراني في «الكبير» (١٩٣/٦) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه. وفيه خالد بن عمرو القرشي، قال أحمد والبخاري وأبوزرعة: منكر الحديث، وقال أحمد مرة: ليس بثقة يروي أحاديث بواطيل، وقال ابن معين: ليس حديثه بشيء، وقال مرة: كان كذابًا يكذب، وقال أبو حاتم: متروك الحديث. وأورد الحديث الذهبي رحمه الله في ترجمته من «الميزان» (١٥٨/٢)، وضعفه شيخنا الوادعي رحمه الله فيما استفدناه من دروسه الماتعة. وللحديث طرق أخرى لا يرتقي بها ومع ذلك فقد صحح للاحتجاج، الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٢/رقم ٩٤٤)، وانظر «الأضواء السماوية في تخريج أحاديث الأربعين النووية» (١٨٣-١٨٦).

(١) (ضعيف).

أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧/رقم ٧٧٥٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه دون قول: «وعليك باليأس مما في أيدي الناس».

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/٤٣٠): وفيه محمد بن أبي حميد وهو مجمع على ضعفه.

قلت: وهو كما قال، وهو الأنصاري الزرقني ترجمته في «التهذيب».

وقد ضعف الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «ضعيف الجامع» (٢٢٠٢).

وأخرجه الروياني في «مسنده» (١/٢٦٧)، والحاكم (٤/٣٢٦-٣٢٧)، والبيهقي في «الزهد الكبير» رقم (١٠١)، والديلمي (٢/٢٨٦)، والضياء في «الخامس من الحكايات المنثورة» (١/١١٣) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

وفيه محمد بن أبي حميد مجمع على ضعفه. اهـ ملخصًا بتصرف من «الضعيفة» للإمام الألباني رحمه الله =

تعالى (٣٨٨١).

وفي الباب عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أخرجه ابن ماجه (٤١٧١)، وأحمد (٥/٤١٢)، وأبونعيم في «الحلية» (١/٣٦٢) والبيهقي في «الزهد الكبير» رقم (١٠٢)، ولفظه: «جاء رجل إلى النبي ق فقال: عظمي وأوجز، فقال: إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع، ولا تكلم بكلام تتعذر منه غداً، وأجمع الإياس مما في يد الناس».

وفي سنده علي بن عاصم ضعيف، وعثمان بن جبيرة الأنصاري تفرد بالرواية عنه عبدالله بن عثمان بن خيثم، ولم يوثقه سوى ابن حبان، وقال الحافظ في «التقريب»: مقبول، يعني عند المتابعة وإلا فلين، فهو مجهول، ومع جهالته فقد اضطرب في سنده كما في «تحقيق مسند أحمد» (٣٨/٤٨٤-٤٨٥)، ومع ذلك فقد صححه الإمام الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٤٠١).

وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٤٢٤)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٩٥٢)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٥٢٤)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/٢٢٩): فيه من لم أعرفهم.

وعن أنس أخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (٥٢٣) وإسناده ضعيف جداً فيه محمد بن يونس الكديمي ضعيف كما في «التقريب»، وشبيب بن بشر قال البخاري: منكر الحديث.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٦/٥٤٥٩) عن سعد بن عمار السعدي موقوفاً وإسناده حسن. تنبيه: حديث سعد المتقدم ذكر الشيخ الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (٨/٣٣٨) أن أبانعيم ذكر أن صحابي الحديث سعد أبو محمد الأنصاري غير منسوب، وذكر ابن منده أنه سعد بن عمار. اهـ. قلت: وظاهر صنيع الحافظ في «إتحاف المهرة» (٥/١٣٠) أنه سعد بن أبي وقاص، وأي كان فالحديث ضعيف، والله أعلم، وانظر «ضعيف الجامع» (٣٩٣٨ و ٣٩٣٩).

وقال **عليه السلام**: «من أصبح آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه وليلته، فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقها»^(١).

(١) (ضعيف).

أخرجه ابن ماجه (٤١٤١)، والترمذي (٢٣٤٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٠٠)، والحميدي (٤٣٩)، والعقيلي في «الضعفاء» (١٤٦/٢) من حديث عبيد الله بن محصن الأنصاري رضي الله عنه. وفيه عبدالرحمن بن أبي شميلة الأنصاري، قال الحافظ في «التقريب»: مقبول، يعني عند المتابعة وإلا فلين، وفيه سلمة بن عبيد الله بن محصن، قال العقيلي: مجهول في النقل ولا يتابع على حديثه، ولا يعرف إلا به، وقال الحافظ في «التقريب»: مجهول.

وفي الباب عن أبي الدرداء رضي الله عنه، أخرجه ابن حبان (٦٧١)، وأبونعيم في «الحلية» (٢٤٩/٥)، وإسناده ضعيف جداً، فيه عبدالله بن هانئ بن عبدالرحمن، ترجمه الذهبي في «الميزان» (٥١٧/٢) وقال: متهم بالكذب، وقال أبو حاتم كما في «الجرح» لابنه (١٩٤/٥): هو شيخ يكذب. اهـ. وأبوه هانئ بن عبدالرحمن ذكره ابن حبان في «الثقات» (٥٨٣/٧) وقال: ربما أغرب.

وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٨٢٨)، وفيه علي بن عابس الكوفي ضعيف كما في «التقريب»، وفيه عطية بن سعد العوفي ضعيف وشيعي ومدلس. وجاء عن عمر رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٨٧٥)، وفيه أبوبكر الداهري عبدالله بن حكيم ترجمه الذهبي في «الميزان» (٤٩٩/٤) وقال: ليس بثقة ولا مأمون، وبه أعل الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٨٩/١٠) وفيه انقطاع.

وخالد بن المهاجر المخزومي قال الحافظ في «التقريب»: صالح الحديث، وأرسل عن عمر ولم يدركه.

وفي الباب عن علي رضي الله عنه، أخرجه السهمي في «تاريخ جرجان» (٣٢٢)، وفيه أحمد بن عيسى العلوي، قال الدارقطني: كذاب كما في «الميزان» (١٢٦/١).

وعلى كل فالحديث ضعيف لا يرتقي للحجية، ومع ذلك فقد حسنه الإمام الألباني رحمه الله في =

فكيف بأهل الألوף المؤلفة ولذيذ الطعام وفاخر اللباس، فثوب حرير، وفراش
وثير^(١)، ومنزل واسع كبير، وطعام مختلف ألوانه كثير، ومركب خطير وطيب آس^(٢).
ونعيم أنتم عنه مسئولون يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، وعمل
صالح.

فيا سعادة الأغنياء بالحسنات، ويا ندامة أهل الإفلاس، وتباً لهذه الدنيا حلالها حساب،
وحرامها عقاب.

الإنسان معرض فيها للأمراض والأعراض، فموت وجوع وعطش وعري ونعاس،
وعيشها حقير، وزمانها قصير، وحدثانها كثير.

وكل ما لك فيها محسوب عليك ومعدود حتى اللحظات والأنفاس ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ
تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ
مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١].

يا ابن آدم، إلى متى تعمر الدنيا وتجمعها وأنت عليها حريص وفيها طامع، وعمّا قريب
ستفارقها وتتركها لغيرك، وما لك منها إلا ما أكلت فأفנית، أو لبست فأبليت^(١)، أو
قدمت فأبقيت.

«الصحيحة» رقم (٢٣١٨).

(١) الوثير: الفراش الوطئ، كما في «لسان العرب» مادة: وثر.

(٢) أي: معالج، كما في «لسان العرب» مادة: أسا.

وهو المحفوظ وما سواه فضائع، فعلام تجري وحظك منها قليل، ونصيبك منها ضئيل. وعلام تجمعها من حلال وحرام، وإنما هي ودیعة من الودائع، يعيش الفتى سبعين عاماً مثلاً وهو في كد ونكد، وجهاد وسعي متواصل متتابع، فينقطع أمله ويحضر أجله، ويأخذه الموت من كل مكان، وهو لا يزال لها جامع، وفيها طامع، ومنها غير قانع.

وكانما دخل داراً ليشترىها، فدفعت الثمن وأخذ السكن، وقبل أن يتمكن انهدمت عليه، فخسر المشتري وربح البائع ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ [الحديد: ٢٠]

فنبؤني كيف يكون حال الزرع ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧]

أين سليمان بن داود الذي آتاه ربه ملكاً لا ينبغي لأحد من الناس بعده من العالمين؟!، وأين قارون الذي أوتي من الكنوز ما إن مفاتيحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، إذ قال له قومه: لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين!.

=

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه أخرجه مسلم (٢٩٥٨).

وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه أخرجه مسلم (٢٩٥٩).

أين الملك ذو القرنين، وقد بلغ مشرق الشمس ومغربها وكان من الفاتحين؟!، وأين عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم وأميم والعمالقة وقوم تبع وأصحاب مدين وغيرهم من القرون الغابرين.

لقد ذهبوا وذهبت بهم الدنيا وصاروا عبرة للمعتبرين، وذكرى للذاكرين ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١].
﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]

رويداً بنفسك يا طالب الدنيا، فرزقك مقسوم وأجلك محتوم، ومصير ما أنت فيه إلى الزوال، وحسبك منها ما يكفيك ويغنيك عن السؤال، والالتماس لما في أيدي الناس من ضروريات الحياة لنفسك والعيال.

واسمع كلام نبيك محمد ﷺ وهو الصادق المصدوق في الأقوال والأفعال، ومما قال: «والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم»^(١).

وحق ما تقول يا شريف الخصال وحيد الخلال، فعالمنا دجال^(١)، وتاجرنا محتال، وفاجرنا مفضل، والمأمون على الدماء والأموال ذئب مفترس مغتال.

(١) أخرجه البخاري (٣١٥٨ و ٤٠١٥) ومسلم رقم (٢٩٦١) من حديث عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه.

وفي سبيلك يا دنيا قد أصبح العلماء زنادقة ومنافقين^(٢)، وأصبح السادة والقادة هم الجهال، فما أكثر الحرام اليوم وما أقل الحلال، وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به^(٣).
ومن كان مطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذيه بالحرام، فكيف يستجيب دعاءه ذو الجلال^(٤) ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمَّنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠]

=

(١) ليس كل عالم دجال، إنما يطلق ذلك على من جعل الدين سُلماً للوصول للدنيا وزخارفها، وصار يقول ما لا يفعل، وأفعاله تخالف أقواله، فلبس على الناس وغرر بهم، وكما قيل: حاميتها حراميتها والله المستعان.

(٢) الدنيا فتنة هذه الأمة، وليس كل العلماء أصبحوا زنادقة منافقين من أجلها، ولكن هذا من باب التغليب، وإلا فمن العلماء الربانيين من بلغ قمة الزهد في الدنيا وعدم الالتفات إليها، سواء كان ذلك من العلماء المتقدمين أم المتأخرين، فمن المتقدمين أحمد والسفيانين وابن المبارك وشعبة وابن المديني والبخاري ومسلم وغيرهم، ومن المتأخرين العلامة الألباني وابن باز والعثيمين وشيخنا المجدد الوادعي وشيخنا يحيى الحجوري وغيرهم من علماء السنة الأفاضل، رحم الله الأموات منهم وحفظ الباقيين ممن سلكوا النهج القويم والصراط المستقيم.

(٣) يشير رحمه الله بهذه الفقرة إلى حديث جابر رضي الله عنه أخرجه أحمد (٣/ ٣٢١) وحسنه شيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (١/ ١٩٥-١٩٦).

(٤) يشير رحمه الله بهذه الفقرة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم رقم (١٠١٥).

أنا لا أذم المال إلا إذا أطمع، ولا أحذر من الدنيا إلا إذا شغلت ببنائها عن الواجبات، ولا أريد من الناس أن ينقطعوا في المساجد للعبادات، ويتركون أهلهم يتكفون الناس ما لا بد منه من الملابس والأقوات، ولا أريد منكم أيها الأحياء أن تكونوا كالأموات.

قد أعرضوا عن الدنيا وما فيها من الخيرات، والمصائب والآفات، ولكن أقول لكم تذكروا ما فات، واستعدوا لما هو آت، ولا تنسوا هادم اللذات ومفرق الجماعات.

ولا تنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض يا مؤمنًا بالآيات، ومصدقًا بتعاليم الديانات^(١)، ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ثم تقولوا: إن الله يغفر الزلات ويعفو عن السيئات، لأنه تعالى يقول: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١]

وحقوق الله مبنية على المساحات، أما حقوق الآدميين فمبنية على المشاحات^(٢)، ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون والظالمات ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦]

قال أبو هريرة رضي الله عنه: «ما شبع آل محمد ﷺ من طعام ثلاثة أيام تباعاً حتى قبض»^(١).

(١) الصواب أن يقول المؤلف رحمه الله ومصدقًا بتعاليم الدين أو نحوها من العبارات السليمة، لأن بقيت الأديان قد نسخت بديننا الإسلامي الحنيف، كما تقدم التنبيه على ذلك مرارًا.

(٢) يعني المطالبات والمنازعات، كما في «لسان العرب» مادة: شحح.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ يبيت وأهله الليالي المتتابة طاوين لا يجدون العشاء»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً قلت: لا يا رب أشبع يوماً وأجوع يوماً، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك»^(٣).

وقال عليه الصلاة والسلام: «لو كان لابن آدم واد من مال لا بتغى إليه ثانياً ولو كان له واديان لا بتغى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»^(٤).

=

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٣٧٤) ومسلم (٢٩٧٦)(٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي الباب عن عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري (٦٤٥٤) ومسلم (٢٩٧٠).

(٢) (حسن).

أخرجه أحمد (١/٢٥٥، ٣٧٣-٣٧٤)، والترمذي (٢٣٦٠)، وابن ماجه (٣٣٤٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٢١١٩).

(٣) (ضعيف).

أخرجه أحمد (٥/٢٥٤)، الترمذي إثر رقم (٢٣٤٧) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، وفي سنده عبيد الله بن زحر الضمري الإفريقي ضعيف يعتبر به، وفيه علي بن يزيد الألهاني ضعيف كما في «التقريب»، وقد ضعف الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «ضعيف الترمذي» (٢٦٤).

(٤) أخرجه البخاري رقم (٦٤٣٦ و ٦٤٣٧) ومسلم (١٠٤٩) من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وفي الباب عن أنس رضي الله عنه أخرجه البخاري (٦٤٣٩) ومسلم (١٠٤٨).

وعن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما، أخرجه البخاري رقم (٦٤٣٩).

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَكَيَّئُونَ* وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿[الزخرف: ٣٣-٣٥].

الخطبة الثامنة عشرة

في الحث على العمل والاكتساب

الحمد لله الأمر بالعمل، والنهي عن الكسل، سبحانه عز وجل قسم الرزق وقدر الأجل، وله الحمد على ما حصل، ونسأله المزيد من فضله وهو الذي يجيب من سأل وحاشاه أن يجيب فيه الأمل، ونعوذ به من العجز والكسل، والجبن والبخل والفشل. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كتب الإحسان على كل شيء وأمر بالإتقان ونهى عن الخلل، وأبغض الناس إلى الله الرجل السبيل^(١).

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾

[الملك: ١٥]

(١) السبيل هو الفارغ، وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: (إني لأرى أحداكم سبيلاً، لا في عمل دنيا، ولا في عمل آخرة) كما في «لسان العرب» مادة: سبيل. وانظر «المقاصد الحسنة» للسخاوي رحمه الله رقم (٢٤٦).

وقد جاء حديث بلفظ: «إن الله يكره الرجل البطال» قال الزركشي: لم أجده، ولفظ: «إن الله يبغض الشاب الفارغ» ذكرهما الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» (١٤٦-١٤٧).

ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المبعوث بالهدى، والمنقذ من الردى، أرسله معلمًا ومرشدًا، وناسخًا ومجددًا، وأوحى إليه بقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد القائل: «ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده»^(١).

وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده^(٢)، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه السعداء، بحور الندى، ونجوم الاهتداء، وعلى التابعين لهم بإحسان فيما خفي أو بدا، وعلى جميع المخاطبين بقوله تعالى: ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الطلاق: ١١]

عباد الله: طلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة^(٣)، والسعي في الرزق مما أمر به القرآن وعلمه، وأوجبه الرسول ﷺ وألزمه^(١)، وطلب الرزق شيء قضت به الشريعة

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٠٧٢) من حديث المقدام بن الأسود رضي الله عنه.

(٢) يشير المؤلف رحمه الله بهذا الكلام إلى حديث المقدام رضي الله عنه أخرجه البخاري رقم (٢٠٧٢).

(٣) هذا الكلام مبناه على حديث أنس رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في «الأوسط» برقم (٨٦١٠)، ولفظه: «طلب الحلال واجب على كل مسلم» وسنده ضعيف، فيه شيخ الطبراني مسعود بن محمد الرملي مجهول حال كما في ترجمته من «إرشاد القاصي والداني» (٦٤٦)، ومحمد بن أبي السري العسقلاني فيه ضعف من قبل حفظه، وبقيّة بن الوليد مدلس وقد عنعن، والانقطاع بين الزبير بن خريت وأنس.

وحكم به العقل وحتمه، فالتمس الزرق أيها المسلم من باب حله، وإياك وما نهاك الله عنه وحرمة، فمتاع هذه الدنيا قليل، وما أشد مغرمه ومأثمه، فطوبى لمن رضي بما قدر له ربه وقسمه، وعلم أن الله قد كتب رزقه وأجله وعمله وهو في بطن أمه^(٢)، جهل ذلك من جهله، وعلمه من علمه.

ومهما تكن لك من قوة فإنك لا تستطيع تغيير ما قدره الله ونظمه، ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك: ٢١].

أيها المسلم، جمعك للمال من حله عبادة مرضية عند الله، إذا كنت تريد به إعفاف نفسك عن الحاجة إلى الناس، وسؤالك غير الله، ومن أمسى كالألأ من كسب يده أمسى مغفوراً له^(٣)، وكفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول، وهكذا قال رسول الله^(١)، وخير الناس أنفعهم

=

والحديث حكم ببنكارته المحدث الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٣٨٢٦)، وفي الباب عن ابن مسعود رضي الله عنه وهو في «ضعيف الجامع» رقم (٣٦٢٠).

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى أحاديث كثيرة، منها حديث جابر: «لا تستبطئوا الرزق، فإنه لن يموت العبد حتى يبلغه آخر رزق هو له، فأجملوا في الطلب، أخذ الحلال وترك الحرام» أخرجه الحاكم (٤/٢) وغيره، وحسنه شيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (١/١٩٩).

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٣٢٠٨) ومسلم (٢٦٤٣).

(٣) هذا الكلام مبناه على حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٧٥٢٠)، وهو ضعيف فيه إبراهيم بن سلم، ترجمه الذهبي في «الميزان» (١/٣٦)، وقال ابن عدي:

=

منكر الحديث لا يعرف. اهـ

للناس^(٢)، والأغنياء هم وكلاء الله، وطوبى لمن أجريت على يديه أرزاق عباد الله، والمؤمن القوي العامل ممثّل قول ربه تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [المائدة: ٢].

وأبغض الناس من ترك العمل، وغلب عليه الكسل حتى صار كلاً على مولاه، يعده أهله ثقيلاً، ويراه صاحبه بغيضاً، ولا يلقاه أحد إلا وكره لقياه. ومن استغنى عن الناس واعتمد على الله ثم على نفسه، وأخذ بالأسباب وفقه الله وأعانه ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢]

=

وهاشم بن موسى الخصاف، قال الشيخ الألباني رحمه الله: لم أجد له ترجمة. وسليمان بن علي بن عبد الله روى عنه جمع ولم يوثقه سوى ابن حبان، وقال الحافظ في «التقريب»: مقبول، يعني عند المتابعة وإلا فليّن، وقال ابن القطان: لا يعرف حاله. وقد ضعف الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٢٦٢٦). (١) (ضعيف).

أخرجه النسائي في «الكبرى» (٩١٧٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وفي سنده وهب بن جابر الخيواني، قال ابن المديني والنسائي: مجهول، ووثقه ابن معين والعجلي وابن حبان، وقد خالفه من هو أوثق منه، وهو خيثمة بن عبد الرحمن، فرواه عن عبد الله بن عمرو بلفظ: «كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته» أخرجه مسلم (٩٩٦).

(٢) هذا الكلام مبني على حديث جابر رضي الله عنه، حسنه الإمام الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٤٢٦).

جاء الإسلام يأمر بالسعي والعمل ويحث على الاكتساب، ووضع لبنه قوانين المعاملات^(١) التي يعيشون آمنين بها على الدماء والأموال والأعراض والأحساب والأنساب.

وأخبرنا أن هذا المال للوصول إلى الجنة ومرضاة الله من أعظم الأسباب وإليكم الأدلة الصحيحة على فضيلة السعي في صالح الدنيا والآخرة من السنة والكتاب، فهذا رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب المؤمن المحترف»^(٢).

(١) تقدم التنبيه على إطلاق لفظة قوانين على أحكام الكتاب والسنة وأنه ينبغي اجتنابها.
(٢) (ضعيف جدًا).

أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٨٩٣٤)، وفي «الكبير» (١٢ / رقم ١٣٢٠٠)، وابن عدي في «الكامل» (٥٠ / ٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
وفي سنده عاصم بن عبيد الله ضعيف، وبه أعل الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤ / ٦٢)، وفيه قصور؛ لأن فيه ما هو أعظم وأطم، وهو أبو الربيع أشعث بن سعيد السمان متروك كما في «التقريب»، وقد ذكر الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» تحت رقم (١٣٠١).
وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه محمد بن مخلد في «فوائده»، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٩ / ٢ / ٨٩ / ٢) كما في «الضعيفة» للشيخ الألباني رحمه الله (٣ / ٤٦٦).
وفي سنده ليث بن أبي سليم ضعيف مختلط، وأورده ابن أبي حاتم في «العلل» (٢ / ١٢٨) وقال عن أبيه: هذا حديث منكر. اهـ
وفي الباب عن صحابة آخرين، ولا يثبت من ذلك شيء، راجع حاشية «الكامل» لابن عدي (٥٠ / ٢ ط): دار الكتب.

والله تعالى يقول: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾* أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿البقرة: ٢٠١-٢٠٢﴾.

ولكن إذا أمرتم باكتساب الحلال والتمتع بالطيبات ولبس فاخر الثياب، فلا يشغلنكم ذلك عن طاعة الله ولا يصرفنكم عما أعده الله للمتقين في الآخرة يا أولي الألباب، ولا تكونوا من الذين يقول الله فيهم: ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [الحديد: ١٤]

المؤمن المحترف الكسوب الذي لا يأكل إلا من عمل يديه، مكرم محبوب محترم بين زوجته وأبنائه وإخوته ووالديه، إذا خرج من بيته فكلهم يدعون له، وإذا رجع إليهم فأبصارهم شاخصة إليه، يطيعون أمره، ويقفون عند إرادته.

ولا يخرج منهم أحد عليه وصاحب المال والصانع المتقن مخطوب وده، مرغوب فيما لديه، وإذا كان مصلحاً لدينه وديناه صادقاً أميناً فيما له وما عليه، فبمثله يعز الدين ويستدل به على شرف الإسلام والمسلمين.

وما يعرف الإنسان إلا بأعماله، وإنما المرء بعمله وأصغريه ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣]

كان نوح وإبراهيم عليهما السلام يحترقان التجارة، وكان موسى أجيراً عند شعيب^(١)، فنعم المتعاقدان ونعمة الإجارة.

(١) الصحيح أن موسى عليه الصلاة والسلام لم يكن أجيراً عند نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام، =

وكان داود حداثاً، وسليمان خواصاً، وأبناء يعقوب تجاراً، وما أحسن التجارة، وكان إدريس خياطاً، ومحمد صلى الله وسلم عليهم أجمعين راعياً وجمالاً وتاجرًا، وما أبعدته عن الكسل، والبطالة والخلل، وما أجل قدره عن الخسارة.

وفي الحديث الشريف: «ما من نبي إلا وقد رعى الغنم»، قيل: وأنت يا رسول الله؟ قال: «نعم، كنت أرى على قراريط لأهل مكة»^(١).

وذلك طلب للرزق وليتمروا بذلك قبل النبوة على سياسة الخلق بعد النبوة، والله أعلم حيث يجعل أسرار.

وكان السلف الصالح رضي الله عنهم عمالاً مكتسبين لا ينظر منهم أحد إلى ما في يد الآخر، حتى فقيرهم كان يشكو إلى الله وحده افتقاره.

فكلهم ما بين غني شريف وفقير عفيف، لا تشغلهم الدنيا عن الآخرة ولا يمنعهم الدين عن الاكتساب، قال تعالى في جن سليمان عليه السلام: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ

=

لأمر، منها: أنه لو كان شعبيًا فإنه لن يرضى أن يجعل موسى نبي الله راعياً عنده، وأيضاً جميع ما ورد من الروايات المرفوعة والموقوفة لا تصح أن المراد به شعيب عليه السلام. وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٣/ ٢٣٢) أن هذا من قول الجاهلين، وأنه بالتواتر عند أهل الكتابين أن المذكور ليس شعبيًا عليه السلام. وانظر «تفسير السعدي» آية (٢٧) من سورة القصص.

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٢٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مَحَارِبَ وَمَثَائِلَ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿سبأ: ١٣﴾

دخل رسول الله ﷺ على سعد بن أبي وقاص وهو مريض، فاستأذنه بالوصية بجميع أمواله، فمنعه إلا من الثلث، وقال: «الثلث كثير، إنك إن تذر أهلَكَ أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس»^(١).

وذكر له ﷺ رجل يصوم النهار ويقوم الليل وقد انقطع للعبادة فقال: «من ينفق عليه؟» قيل: أخوه، قال: «أخوه خير منه»^(٢).

وقال ﷺ: «لا خير في من لا يحب المال ليصل به رحمه، ويؤدي به أمانته، ويستغني به عن خلق ربه»^(٣).

(١) أخرجه البخاري رقم (١٢٩٥ و ٣٩٣٦) ومسلم (١٦٢٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وظاهره يعارض حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: كان أخوان على عهد رسول الله ق، وكان أحدهما يأتي النبي ق، والآخر يحترف، فشكا المحترف أخاه للنبي ق، فقال: «لعلك ترزق به» رواه الترمذي (٢٣٤٦) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٢٧٦٩)، وشيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٤٦/١).

(٣) (ضعيف).

أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» رقم (١١٩٣)، وابن حبان في «المجروحين» (١٨٥/٢)، ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/رقم ١٦١٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيه العلاء ابن سلمة الرؤاس، قال ابن حبان: يروي عن العراقيين المقلوبات وعن الثقات الموضوعات، لا يحل =

وكان يقول ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر»^(١).

=

الاحتجاج به بحال.

وقال ابن الجوزي في «الموضوعات»: هذا حديث ليس من كلام رسول الله ق، إنما يروى نحوه عن الثوري. اهـ

ثم ذكر كلام ابن حبان، قلت: قد تابع العلاء بن مسلمة الحسين بن الفضل عند البيهقي في «الشعب» (١١٩٢)، والحسين بن الفضل هو البجلي ترجمته في «اللسان» (٣٥٢/٢)، وفيه كلام، فانحصرت العلة في مرجى بن رجاء اليشكري وهو ضعيف، وسعيد بن أبي عروبة كان قد اختلط فلعل الخطأ إما من مرجى أو منه.

قال البيهقي عقبه: هكذا قال راويه قال رسول الله ق: ولكنني هبته، وإنما يروى هذا الكلام بعينه من قول سعيد بن المسيب.

قلت: أثر سعيد أخرجه البيهقي في «الشعب» (١١٩٤)، وفيه بكر بن سهل الدمياطي ضعفه النسائي كما في «الميزان» (٣٤٥/١)، وعبدالله بن صالح كاتب الليث ضعيف، لكن تابعه الحسن بن سوار وهو صدوق عند أبي نعيم في «الحلية» (١٧٣/٢).

فالأثر حسن عن سعيد، والحمد لله.

(١) (صحيح).

أخرجه أحمد (٣٦/٥، ٤٢)، وابن أبي شيبه (٣٧٤/٣) و(١٩٠/١٠)، والنسائي (٧٤-٧٣/٣) و(٢٦٢/٨) من حديث أبي بكرة نفيح بن الحارث رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «تمام المنة» (٢٣٣-٢٣٢).

وفي الباب عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه ابن حبان (١٠٢٣)، والحاكم (٥٣٠/١) بإسناد صحيح، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (١٢٨٥).

وقال بعض الحكماء: لأن يجمع المرء مالا لأعدائه بعد موته خير له من الحاجة في حياته لأصدقائه.

وقال آخر: من حفظ دنياه فقد حفظ الأكرمين دينه وعرضه.

ومن استغنى عن الناس خدموه، ومن ترفع عن المسألة أكرموه، واليد العليا خير من اليد السفلى^(١)، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة^(٢).

ومن قضى لأخيه حاجة في الدنيا قضى الله له يوم القيامة سبعين حاجة^(٣)، وهذا كله لا يستطيع فعله إلا بحسن الخلق والمال الصالح، والله تعالى يقول: ﴿لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه، أخرجه البخاري (١٤٢٧) ومسلم (١٠٣٤)، وجاء عن ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري (١٤٢٩).

(٢) يشير المؤلف رحمه الله بهذا الكلام إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه مسلم رقم (٢٦٩٩).

(٣) هذا الكلام مبني على حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه الخطيب في «تاريخه» (١١/١٧٥)، ومن طريقه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» رقم (٨٤٦)، وذكره الشوكاني في «الفوائد المجموعة» ص (٧٤).

ولفظه: «من قضى لأخيه حاجة من حوائج الدنيا قضى الله له اثنتين وسبعين حاجة، أسهلها المغفرة»، قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، ودينار كذاب. اهـ

قلت: دينار ترجمه الذهبي في «الميزان» (٢/٣٠) وقال: دينار أبو مكييس الحبشي عن أنس ذاك التالف المتهم، قال ابن حبان: يروي عن أنس أشياء موضوعة، وقال ابن عدي: ضعيف ذاهب. اهـ

وَأَنْفُسَكُمْ وَلِتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ [آل عمران: ١٨٦].

ترك العمل يدعو إلى الفقر والمسكنة والذل والمهانة، ولا ترى الرجل السبيل إلا في غاية الضعف والبؤس والاستكانة، مهمومًا مغمومًا وليس له في الناس حيثة ولا مكانة. قد أتعبه سؤال الناس وأذله الاستدانة، والبطالة لا تنتج إلا بغض صاحبها واستثقال ظله، فهو لا يستحق المساعدة، ولا تنبغي له الإعانة، وحالته تدعوه إلى الزور والكذب والسرقة والخيانة، وليس له عهد ولا ذمة ولا عزيمة ولا همة ولا أمانة.

وظيفته التسكع في الأسواق والشوارع وأذيته إخوانه، ومدح الملوك ومن لا خير فيه وما أبعد ما بينه وبين الديانة ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ﴾ [فاطر: ١٠].

إذا علمت يا عبد الله، فضيلة العمل فلا تعمل إلا في حلال، وإياك إياك وظلم الميزان والمكيال، وأكل الرشا والتعامل بالربا وجمع المال بشهادة الزور، وأيمان الفجور، وطرق الحيلة والاحتيال.

ولا تكنز الذهب والفضة للورثة الأندال، وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، وقابل أوامر الله بالامتثال، واعمل بوصية لقمان لابنه حيث قال: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٧-١٨﴾ [لقمان: ١٧-١٨].

الخطبة التاسعة عشرة

في الاقتصاد وذم البخل والإسراف

الحمد لله الذي جعل المال عماد الحياة، وأعان به الإنسان على دينه ودنياه، وحذرننا من التبذير والتقصير وصرف المال في غير ما يحبه ويرضاه، ونهى عبده عن الطغيان إن هو أغناه.

فله الحمد على ما أعطاه، وله الشكر على ما أولاه، ونسأله المزيد من فضله وأن لا ينجينا إلى سواه^(١)، ونعوذ به من الكفر والفاقة وسوء الحال.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعز من يشاء ويذل من يشاء وهو أحكم الحاكمين، ويهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو رب العالمين.

ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الأمين، والمرشد العظيم إلى مصالح الدنيا والدين، والمنزل عليه في محكم الذكر المبين ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١] والقائل ﷺ: «إن الله يكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال»^(٢).

(١) فائدة: ذكر الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد في «معجم المناهي اللفظية» (١٣٥) أن الإمام أحمد سمع رجلاً يقول: اللهم لا تحوجني إلى أحدٍ من خلقك، فقال: هذا رجل تمنى الموت. اهـ
قال السيوطي: فالدعاء به ممنوع. اهـ بتصرف

(٢) أخرجه البخاري رقم (١٤٧٧ و ٢٤٠٨)، ومسلم (٥٩٣) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد المبعوث بالهدى والحكمة، وخير رسول إلى خير أمة
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة والموصوفين بصدق العزيمة وعلو الهمة، وعلى
التابعين لهم بإحسان في العقائد والأقوال والأفعال.

أيها الناس، نعم الله على خلقه لا تحصى ولا تعد، وفضله على عباده عظيم لا يحده
تعالى عظيم الشكر وغاية الحمد، ومن جلائل نعمه المال والولد، وصحة العقل والروح
والجسد.

ومن رزق المال وعرف حق الله فيه وفق للخير وسعادة الأبد، فهو لا يحتاج إلا إلى الله
الواحد الأحد الفرد^(١) الصمد، ويساهم في كل خير، ولا يمنعه من الشر خوف إنسان ولا
قلة ذات اليد، فطوبى لعبد صالح يتمتع بالمال الحلال من كسب المال من حله صرفه في
وجوه البر والإحسان.

(١) قال ابن حزم رحمه الله: ولا يجوز أن يُقال: الله فرد ولا موجود؛ لأنه لم يأت بهذا نص أصلاً.

وفي «تاج العروس»: والفرد في صفات الله تعالى من لا نظير له ولا مثل ولا ثاني.

قال الأزهري: ولم أجده في صفات الله تعالى التي وردت في السنة، قال: ولا يوصف الله -تعالى- إلا بما
وصف به نفسه، أو وصفه به النبي ق.

قال الشيخ بكر بن عبدالله أبوزيد حفظه الله: وتسمية الله باسم (الفرد) لا أصل لها، والله أعلم، ولهذا
غلط العلماء الصنعاني رحمه الله لما قال:

وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالصمد الفرد

... اهـ من «معجم المناهي اللفظية» ص (١٢٥).

ومن اكتسبه من غير حله استعان به على الكفر والفسوق والعصيان، وتمادى بسببه في الظلم والبغي والعدوان.

والإسراف والبخل صفتان مذمومتان في كل إنسان، يطيع بهما نفسه وهواه والشيطان، فمنع زكاة وقطيعه أرحام، وإساءة إلى الجيران وحرص وطمع وفخفخة وأنانية وبذخ وطمغان، ومخالفة لقول رسول الله ﷺ: «كل واشرب والبس وتصدق في غير ما سرف ولا اختيال»^(١).

المسرف يذهب ماله ويسوء حاله ويبغضه أقاربه وعياله، وهو عن كل ذلك غافل ويصحبه الأندال، ويخدعه المحتال، ويثني عليه ويمدحه الشاعر والشاحذ^(٢) والدجال وكل مختال.

والمسرف المبذر سفيه محجور عليه لأنه غير عاقل، ودخل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥]

(١) (حسن).

أخرجه أحمد (١/ ١٨١، ١٨٢)، والنسائي (٥/ ٧٩)، وابن ماجه (٣٦٠٥)، وعلقه البخاري في أول كتاب اللباس بصيغة الجزم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وقد حسن الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح ابن ماجه» (٢/ ٢٨٤).

(٢) الشاحذ: هو السائل الملح، كما في «المعجم الوسيط» (٤٩٩).

فتبارك الأمر بمصالح العاجل والآجل، فكم من ثروة ذهبت، ومال كثير تبدد وبيت عامر تقفل، نتيجة الإسراف وصرف المال في غير طائل، وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين بلا نزاع ولا جدال.

يتزوج الرجل ليصون دينه، ويعف نفسه، فيتكلف من النفقات ما لا يطيق، فدفع كثير، ومهر كبير، ومهر جان يقام في البيتين والطريق، وثياب وصبيحة، وكنب^(١) وناموسية^(٢)، وفرش ونهارق وصناديق، وتكاليف أخرى بعد ذلك تؤدي إلى الفراق والتطليق.

ويموت للإنسان أحد أقاربه، فيجمع على نفسه الحزن والتضييق، ويقيم المآتم^(٣) التي يحضرها العدو والصديق، ويكون الحباق^(٤) والمطواية^(٥)، ويطبخ الطعام للنائحات، فيا الله، من أرز ولحم، وسمن ودقيق، فلا يخرج المسرف من فرح ولا ترح إلا وقد فقد ماله، وأتعب نفسه والأهل والعيال.

ومن الناس من ينفق بلا حساب ولا يقيس خرجه بدخله، ولا يبالي بمستقبله، ولا يهمنه شأن ورثته وأهله، فهتمته بطنه وفرجه وإدراك نفسه مُناها، من نكاحه وشرابه وأكله.

(١) الكنب: أريكة منجدة وثيرة تتسع لأكثر من جالس.

(٢) الناموسية: كِلَّة رقيقة ذات خروق صغيرة، تتخذ للوقاية من الناموس. انظر «معجم الوسيط» (٨٣٥ و ٩٩٥).

(٣) تقدم التنبيه على ما يتعلق بالمآتم، وأن فعلها بدعة محدثة يجب على المسلمين اجتناب ذلك.

(٤) الحباق: جمع المتاع، كما في «المعجم الوسيط» (١٧٤).

(٥) المطواية: سكين صغير أو نصال تطوى في النصاب، «المعجم الوسيط» (٦٠٠).

وهل تعد من يشتري القات أو الخمر لإخوانه، ويجمعهم للهو والطرب، وضياع الوقت فيما حرم الله إلا مصاباً في نفسه وعقله، وما يقع في حفلات الزار والمخادر وإقامة اللوائم بغير مناسبات هو أعظم دليل على حماقة من يفعل ذلك وجهله وكذلك يفعل السفهاء في أموالهم، ويوافقهم على التبذير علماء السوء، ومن لا خير فيه من الجهال.

قال الحكماء: الاقتصاد نصف المعيشة^(١)، وما عال من اقتصد^(٢)، وخير الأمور أوساؤها^(٣)، والفضيلة وسط بين طرفين، وما عندكم ينقد وما عند الله باقي لا ينقد،

(١) فائدة: جاء مرفوعاً من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، ولفظه: «الاقتصاد نصف العيش»، قال الشيخ الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٢٤٦٦): أخرجه الخطيب في «تاريخه» (١٢/ ١١)، وفيه يعقوب بن إسحاق ترجمه الخطيب (١٤/ ٢٩٠) وقال: قال الدارقطني: هو ضعيف، وقال ابن المنادي: كتبنا عنه في حياة جدي، ثم ظهر لنا من انبساطه في تصريح الكذب ما أوجب التحذير عنه. اهـ بتصرف، وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنهما أورده الشيخ الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (١٥٧)، ولفظه: «الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة»، وقال: قال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٢٨٤) سألت أبي عن حديث ... ثم ذكره فقال: هذا حديث باطل، ونخيس وحفص مجهولان. اهـ

قلت: نخيس هو ابن تميم، وحفص هو ابن عمر. اهـ بتصرف من «الضعيفة» وانظر رقم (٣٦٣١).
 (٢) هذا الكلام مبناه على حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أخرجه أحمد (١/ ٤٤٧)، وابن أبي شيبة (٩/ ٩٦)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ رقم ١٠١٨)، والبيهقي في «الشعب» (٦١٤٩)، وفي سنده سكين بن عبدالعزيز العبدي صدوق يروي عن الضعفاء كما في «التقريب».
 وإبراهيم بن مسلم الهجري لين الحديث، وقد ضعف الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «ضعيف الجامع» (٤٤٥٩).
 =

والسعيد من اعتبر بأمسه وأصلح يومه واستعد للغد، ومن تعب في تحصيل شيء لم يخرج به إلا فيما يشكر عليه ويحمد.

أما الذين يرثون أموالهم أو تأتيهم الأرزاق بلا تعب ولا كد ففي سخط الله ينفقونها غالباً، ولا يعلمون أن الله لهم بالمرصد والبخيل بعيد عن الله بعيد عن الجنة قريب من النار.

وعكسه السخي الجواد كما جاء ذلك عن سيدنا محمد ^(٢)، فكونوا عباد الله كما وصفكم الله ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]

=

وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ رقم ١٢٦٥٦)، والبيهقي في «الشعب» (٦١٥٠)، وفي سنده خالد بن يزيد وهو ابن عبدالرحمن بن أبي مالك الدمشقي، قال الحافظ: ضعيف مع كونه فقيهاً، وقد اتهمه ابن معين، والضحاك بن مزاحم لم يسمع من ابن عباس، وقد ضعف الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «الضعيفة» تحت رقم (٤٤٥٩).

(١) قال السخاوي رحمه الله في «المقاصد الحسنة» (٢١٥-٢١٦): حديث «خير الأمور أوسطها» رواه السمعي في «ذيل تاريخ بغداد» بسند مجهول عن علي مرفوعاً به، وهو عند ابن جرير في «التفسير» من قول مطرف بن عبدالله ... اهـ

ويشهد لهذا كله قول تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، وأنشد بعضهم:
عليك بأوسط الأمور فإنها نجاة ولا تركب ذللاً ولا صعباً
(٢) (ضعيف جداً).

أخرجه الترمذي (١٩٦١)، والعقيلي في «الضعفاء» (١١٧/٢)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ٤٦٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال الترمذي عقبه: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث سعيد بن محمد.

=

والعدالة شرط فيمن يشهد، والله تعالى يقول في وصف عباده المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، وصدق الله فيما قال.

هكذا القرآن يُخاطب سيد المرسلين محمدًا الصادق الأمين، بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبْذَرُ تَبَذِيرًا إِنَّ الْمُبْذَرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧].

وحاشاه أن يكون عليه الصلاة والسلام مبذرًا أو بخيلًا وهو المبعوث بتعاليم هذه الشريعة وآداب هذا الدين. والله تعالى يخاطبنا جميعًا بقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، وبقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

=

وقد خولف سعيد بن محمد في رواية هذا الحديث عن يحيى بن سعيد، إنما يروي عن يحيى بن سعيد عن عائشة شيء مرسل. اهـ
قلت: الحديث في سنده سعيد بن محمد الوراق ضعيف كما في «التقريب»، وقد اضطرب في هذا الحديث، فتارة رواه عن أبي هريرة، وتارة عن عائشة، وقد ضعف الحديث العقيلي وابن حبان والترمذي وغيرهم.

وقال الشيخ الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (١٥٤): ضعيف جدًا.

قلت: ثم هو معل بالإرسال كما أشار إليه الترمذي رحمه الله.

وفي الباب عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أخرجه البيهقي في «الشعب» (١٠٣٥٣)، وفي سنده العلاء بن عمرو الحنفي تركه الذهبي، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به بحال، وفيه سعيد ابن مسلمة بن هشام الأموي ضعيف كما في «التقريب».

وحسبك أيها البخيل أنك محروم مظلوم لا تتمتع بشيء مما كسبته بكد اليمين وعرق
 الجبين ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ *
 الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحديد: ٢٣-٢٤]
 ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا
 * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذريات: ٥٦-٥٨]

وبيده التوفيق والخذلان، والهداية والضلال، وهو الكبير المتعال.

الخطبة العشرون

في الصدقة والإنفاق في سبيل الله

الحمد لله البر الجواد الكريم، القابض الباسط الرحمن الرحيم، نحمده تعالى على فضله العظيم، وإحسانه العميم.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أمرنا بصلة الأرحام، ومواساة الفقراء، وكفالة الأيتام ﴿إِنَّ الْمَصَدِّقِينَ وَالْمَصَدَّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١٨].

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أنفق ماله في سبيل الله، وفي الدنيا لم يتوسع وبها لم يتمتع، بل كره الحرص عليها والتنافس فيها^(١)، وذم ذلك وشنع، وقال: «ما رُزقت فلا تخبئ، وما سُئلت فلا تمنع»^(٢).

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٣٥٩٦) ومسلم (٢٢٩٦)، وفي الباب عن عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٣١٥٨) ومسلم (٢٩٦١).

(٢) (ضعيف جداً).

أخرجه الطبراني في «الكبير» (١/رقم ١٠٢١) من حديث بلال رضي الله عنه، وفي سنده طلحة بن زيد القرشي متروك كما في «التقريب»، وفيه أبوالمبارك قال الذهبي في «الميزان» (٤/٥٦٧، ٥٦٨): لا يدرى من هو، وخبره منكر ولا تقوم به حجة لجهالته. اهـ، ويزيد بن سنان الرهاوي ضعيف، كما في =

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد الشافع المشفع، صاحب الوسيلة والفضيلة والمقام الأرفع، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه السالكين على منهجه القويم وصراطه المستقيم.

أيها الناس، هل سمعتم ثناء ربكم الحي القيوم، على الذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم، وهل سمعتم كلام نبيكم المعصوم، في مدح الكريم المأجور، وذم البخيل المأثوم، وهل فهتم دعاءه لهذا وعلى هذا في الحديث المفهوم: «اللهم أعط منفقا خلفا، وأعط ممسكا تلقا»^(١).

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١]

فدائنوا ربكم بالصدقات على الفقراء والمساكين، وارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء^(٢)، فهو رب العالمين وأرحم الراحمين ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا

=

«التقريب».

(١) أخرجه البخاري رقم (١٤٤٢) ومسلم (١٠١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أخرجه أحمد

(٢/ ١٦٠) والترمذي (١٩٢٤) وغيرهما، وفي سنده أبوقابوس مولى عبدالله بن عمرو تفرد بالرواية

عنه عمرو بن دينار، ولم يوثقه معتبر، لكن للحديث شواهد منها:

١ - حديث جرير رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٥٠٢)، وفي سنده أبو إسحاق السبيعي

مدلس وقد عنعن.

٢ - حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أخرجه أبويعلی (٥٠٦٣)، والطبراني في «الكبير»

(١٠٢٧٧)، وفي «الأوسط» (١٤٠٦)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٨٧/٨): أبو عبدة لم يسمع =

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ
وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٣-١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤]

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ * هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ
بِكُمْ لَرَوْوْفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٨-٩]

فيا متمتعاً بطعامه وشرابه، وفراشه وأثاثه وثيابه، وزوجته وأولاده وأصحابه، ويا
مستغرقاً في علومه وآدابه، وجمع ماله واكتسابه، هلا سمعت كلام الله في كتابه، وما أعدّه
لأوليائه وأحبابه ﴿الَّذِينَ يقيمُونَ الصَّلَاةَ وَرَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا
لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٣-٤].

يا مالئاً بطنه باللحم والشحم، ومختلف ألوان الطعام، هلا تصدقت على البائس الفقير
بشيء من الكسر والعظام، ويا سعيدياً بالصحة والمال والجاه بين الأنام، ما لك لا ترحم
المصابين بالأمراض والأسقام، وما لك لا تتعهد جيرانك وأهلك والأرحام، وما لك لا
تتفقد أحوال الأرمال والأيتام ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا
مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَشْنُونَ * فطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ
كَالْصَّرِيمِ﴾ [القلم: ١٧-٢٠]

=

من أبيه فهو مرسل. اهـ

وبالجملة فالحديث على أقل أحواله صحيح لغيره، وقد صححه المحدث الألباني رحمه الله تعالى في
«السلسلة الصحيحة» رقم (٩٢٥).

هذه المدارس بالأيتام وأولاد الفقراء تعج^(١)، وهذه المستشفيات بأصوات المرضى
تضج^(٢)، وهذه البيوت بالعجائز والشيخوخ والأرامل ترتج، وأنفس البائسين والمحتاجين
عند الله تحتج، فسيحكم الله على هؤلاء يوم تنقطع المعاذير ويتعذر المخرج، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ*الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ*وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [المطففين: ١٠-١٢].
ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان، والأكلة والأكلتان، ولكن المسكين الذي لا
يجد غنى يغنيه، ولا يظن له فيتصدق عليه^(٣)، وقد غلبت عليه المروءة والعفة والإيمان،
فمنعه ذلك من سؤال فلان أو فلان.

ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جوعان^(٤)، ولا بالذي تبلى ثيابه فلا يكسو بها عريان،
فيا أهل الإيمان وأصحاب الإحسان تراحوا يرحمكم الرحمن ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ
إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

(١) عج رفع صوته وصاح، وقيده في «التهذيب» فقال: بالدعاء والاستغاثة، «لسان العرب» مادة: عجب.

(٢) الضجيج: هو الصياح عند المكروه والمشقة والجزع، «لسان العرب» مادة: ضجج.

(٣) يشير المؤلف رحمه الله بهذا الكلام إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (١٤٧٦) و(١٤٧٩) ومسلم (١٠٣٩).

(٤) هذا الكلام مبني على حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١١٢)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ رقم ١٢٧٤١)، وفي إسناده عبدالله بن مساور تفرد بالرواية عنه
عبد الملك بن أبي بشير البصري ولم يوثقه سوى ابن حبان، وحكم بجهالته ابن المديني والذهبي، =

يا أهل الدثور لا تفوتنكم الأجور، يا صاحب البيت المعمور، والحال المستور، أنفق ما في الجيب ترزق ما في الغيب، وتصدق بالميسور، فالله يخلف عليك ما أنفقت ويقبل منك ما تصدقت، ويثيبك على ذلك بالجنة والحرور، والأنهار والقصور، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ * فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الطور: ١٧-١٨].

=

وقال الحافظ في «التقريب»: مقبول، يعني عند المتابعة وإلا فلين.
وله شاهد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، ولفظه: «ما آمن بي من بات شبعان، وجاره جائع بجنبه وهو يعلم به».
أخرجه الطبراني في «الكبير» (١/ رقم ١٥٧)، وفي سنده محمد بن سعيد الأثرم ضعفه أبوزرعة وقال أبو حاتم: كتبت عنه وتركت حديثه فإنه منكر الحديث. «الميزان» (٣/ ٥٦٤).
وله طريق أخرى أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (١١٩)، وفيها علي بن زيد بن جدعان ضعيف، وله شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٥١٢)، وفي سنده حكيم بن جبير الأسدي ضعيف رمي بالتشيع، كما في «التقريب».
والحديث ذكره ابن أبي حاتم في «العلل» (٢٢٩٤)، وقال: قال أبي: هذا حديث منكر جدًا، ومحمد بن زياد الأثرم لين الحديث، وشاهد آخر من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٢/ ١٢)، وفي سنده عبدالعزيز بن يحيى الكناني، قال البخاري: ليس من أهل الحديث يضع الحديث.
وقال أبو حاتم: ضعيف. وقال العقيلي: يحدث عن الثقات بالبواطل، كما في ترجمته من تهذيب الكمال، وبه أعل الحديث الذهبي في تلخيصه للمستدرک، وهذا الحديث مما فات عزوه للحاكم المحدث الألباني رحمه الله في الصحيحة فيستدرک، وقد صحح الحديث بمجموع طرقه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في «الصحيحة» رقم (١٤٩).

هنيئاً للذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، لا يريدون بذلك إلا وجه الله، ثواب عظيم وأجر جزيل ورزق كريم ومغفرة من الله، وذكر جميل، ومدح طويل ونفس طيبة وقلب منيب أواه، وعمل مبرور وسعي مشكور، وأحب الناس إلى الله أنفعهم لعباد الله^(١)، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليربي لأحدكم التمرة واللقمة كما يربي أحدكم فלוه، أو فصيله حتى يكون مثل أحد»^(٢).

(١) هذا الكلام مبناه على حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/رقم ١٣٦٤٦)، ولفظه: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس» وسنده ضعيف جداً فيه عبدالرحمن بن قيس الضبي متروك وكذبه أبو رزعة كما في «التقريب»، وفيه سكين بن أبي سراج ترجمه الذهبي في «الميزان» (٢/١٧٤) وقال: اتهمه ابن حبان.

وله سند آخر عند ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» رقم (٣٦) وفي سنده بكر بن خنيس الكوفي ضعيف كما في ترجمته من «التهذيب».

فالحديث ضعيف، ومع ذلك فقد حسنه العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٩٠٦).

(٢) (صحيح لغيره).

أخرجه أحمد (٦/٢٥١)، وابن حبان (٣٣١٧) من حديث عائشة رضي الله عنها، وقد اختلف في وصل الحديث وإرساله، ورجح الدارقطني إرساله في «العلل» (١١/١٤٩).

لكن يشهد له بنحوه حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (١٤١٠ و ٧٤٣٠) ومسلم

رقم (١٠١٤)، وقد صحح حديث عائشة رضي الله عنه الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» =

وقال ﷺ: «أيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيما مؤمن سقى مؤمناً على ظمإٍ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن كسا مؤمناً على عريٍ كساه الله يوم القيامة من حلل الجنة»^(١).

وذكر ﷺ سبعة يظلهم الله في ظل عرشه^(٢) يوم لا ظل إلا ظله فعد منهم رجلاً تصدق بصدقه فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه^(٣)، ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤].

=

رقم (١٨١٥).

(١) (ضعيف).

أخرجه أبوداود (١٦٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفي سنده أبوخالد الدلاني يزيد بن عبدالرحمن فيه ضعف.

وأخرجه الترمذي (٢٤٤٩) وأحمد (١٣/١٤)، وفيه عطية بن سعد العوفي ضعيف وشيعي ومدلس، ثم إن الحديث معل بالوقف، وقد رجح وقفه الترمذي وأبوحاتم كما في «العلل» لابنه (٢٠٠٧)، والمنذري في «الترغيب والترهيب» (٧١٦/١)، وضعف الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «ضعيف الجامع» رقم (٢٢٤٩).

(٢) قوله: «في ظل عرشه» فيه إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه الترمذي رقم (١٣٠٦) وصححه شيخنا مقبل الوداعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٣٢٧/٢).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٦٦٠ و ١٤٢٣) وفي غيرها من المواضع، ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الخطبة الحادية والعشرون

في بناء المساجد وعمارتها

الحمد لله الذي جعل المساجد بيوتاً للعباد، ورغب في عمارتها والعناية بها عباده، وجعل ذلك من صفات المؤمنين الآخذين بأسباب السعادة.

نحمده تعالى ونسأله إمداده وتوفيقه وإرشاده، ونعوذ به من سيئات الذنوب، ولا راد لما أَراده، بيده الخير، ومنه الخير، يفعل ما يشاء، وهو على شيء قدير.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَّةٌ﴾ [النجم: ٣٢].

فضله عظيم وجوده عميم، وله على كل شيء سواه الفضل والمنة، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أجارنا به من الفتنة، وخلصنا به من المحنة، وأرسله إلينا بخير شريعة وأفضل سنة.

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد القائل: «من بنى لله مسجداً صغيراً كان أو كبيراً بنى الله له بيتاً في الجنة»^(١)، صلى الله عليه وآله وصحبه الموعودين من الله بالمغفرة والأجر الكبير.

(١) (صحيح لغيره).

والحديث بهذا السياق أخرجه الترمذي (٣١٩) من حديث أنس رضي الله عنه، وفي سنده عبدالرحمن مولى قيس مجهول كما في «التقريب»، وزياد بن عبدالله النميري البصري ضعيف يصلح في الشواهد، =

عباد الله، عمارة المساجد من شعائر الدين، والعناية بها من أوصاف المتدينين، الذين يسارعون إلى مغفرة من ربهم وجنة عرضها السموات والأرض ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿آل عمران: ١٣٣-١٣٤﴾.

وما ينفق من مال في بناء المساجد وما تحتاج إليه من الإمامة والتأذين، وفراشها ومصابيحها، وتسهيل ماء الوضوء والغسل فيها وتنظيفه للمتطهرين، لا يفعله إلا الأغنياء الذين يُصدقون بيوم الدين، وكذلك الفقراء والمساكين الذين يجودون باليسير وهو عند الله كثير، وكل شيء أحصيناه في إمام مبین.

=

وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب» (١٠٣/١).

ولكن للحديث شواهد، منها:

١- حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، مرفوعاً: «من بنى مسجداً لله بنى الله له في الجنة مثله» أخرجه البخاري رقم (٤٥٠) ومسلم رقم (٥٣٣) (٢٥).

٢- حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعاً: «من بنى مسجداً لله كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتاً في الجنة» أخرجه ابن ماجه رقم (٧٣٨)، وصححه شيخنا الإمام المصلح الكبير مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (١٨٧/١)، والعلامة الألباني رحمه الله في «صحيح ابن ماجه» (٢٢٩/١).

٣- حديث أبي أمامة رضي الله عنه، ذكره المحدث الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٣٤٤٥)، وجاء عن غير هؤلاء، فالحديث صحيح والحمد لله.

والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

فطوبى لمن رزقه الله مالاً يعمر به المساجد والمدارس والمستشفيات، ويطعم به القانع والمعتر^(١) والبائس الفقير.

قال رسول الله ﷺ: «إن مما يلحق المرء من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره، أو ولدًا صالحًا تركه، أو مصحفًا ورثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته»^(٢).

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير قول الله جل وعلا: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦]: اختلفوا في المراد بالقانع والمعتر، فقال العوفي عن ابن عباس: القانع بما أعطيته وهو في بيته، والمعتر الذي يعترض لك ويلم بك أن تعطيه من اللحم ولا يسأل، وكذا قال مجاهد ومحمد بن كعب القرظي.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: القانع المتعفف، والمعتر السائل، وهذا قول قتادة وإبراهيم النخعي، وقال ابن عباس وعكرمة وزيد بن أسلم... القانع هو الذي يقنع إليك ويسألك، والمعتر الذي يعتريك يتضرع ولا يسألك...

إلى قوله: واختار ابن جرير: أن القانع هو السائل؛ لأنه من أقنع بيده إذا رفعها للسؤال، والمعتر من الاعتراء وهو الذي يتعرض لأكل اللحم. اهـ

(٢) (حسن لغيره).

والحديث بهذا السياق أخرجه ابن ماجه (٢٤٢)، وابن خزيمة في «صحيحه» رقم (٢٤٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي سنده مرزوق بن أبي الهذيل الثقفي لين الحديث كما في «التقريب».

وقال عليه السلام: «وابنوا المساجد وأخرجوا القمامة منها، فمن بنى لله مسجدًا بنى الله له بيتًا في الجنة»، فقال رجل: يا رسول الله، وهذه المساجد التي تبنى في الطريق؟ قال: «نعم، وإخراج القمامة منها مهوور الحور العين»^(١).

وقالت السيدة^(١) عائشة رضي الله عنها: «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد وأن تنظف وتطيب»^(٢).

=

وله شاهد من حديث أبي قتادة بنحوه، أخرجه ابن ماجه (٢٤١)، وفي سنده فليح بن سليمان المدني ضعيف يعتبر به.

وشاهد آخر في «صحيح مسلم» رقم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث» الحديث.

وقد حسن الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» رقم (٢٢٣١)، وانظر «أحكام الجنائز» (٢٢٤)، و«الإرواء» (٢٨-٢٩/٦).

(١) (ضعيف، وقوله: «فمن بنى لله مسجدًا بنى الله له بيتًا في الجنة» صحيح لغيره كما تقدم بيان ذلك) والحديث أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣/رقم ٢٥٢١) من حديث أبي قرصافة رضي الله عنه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/٢): وفي إسناده مجاهيل.

وقال الشيخ الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (١٦٧٥) بعد ذكره لسند الحديث، وهذا إسناد مظلم، ليس لهم ذكر في شيء من كتب الرجال. اهـ

وقوله: «وإخراج القمامة مهوور حور العين» لها شاهد لا يصح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً: «كنس المساجد مهوور الحور العين».

قال الشيخ الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٤١٤٧): موضوع، رواه ابن الجوزي في «الموضوعات» وفي «العلل المتناهية» ... وفيه مجاهيل وعبدالواحد بن زياد متروك. اهـ

وعن أبي أمامة وأبي الدرداء ووائلته بن الأسقع رضي الله تعالى عنهم أجمعين عن النبي ﷺ قال: «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم، ورفع أصواتكم وإقامة حدودكم وسل سيوفكم، واتخذوا على أبوابها المطاهر، وجمروها في الجمع»^(٢)، وهكذا ينبغي أن تكون بيوت الله في غاية النزاهة والنظافة والتطهير.

=

(١) إطلاق لفظة «سيدة» على المرأة الأولى اجتنابه، قال الشيخ الفضال بكر بن عبدالله أبوزيد حفظه الله تعالى: السيادة للنساء مثل قول: السيدة عائشة، والسيدة خديجة، والسيدة فاطمة، هذا لم يكن معروفاً في لسان السلف والخير في اتباعهم... ثم ذكر وجوهاً أخرى، هذا أقواها، انظر «معجم المناهي اللفظية» ص (٣٠٣)، و«ألفاظ ومفاهيم في ميزان الشرع» (١٥) للشيخ ابن عثيمين، جمع صلاح السعيد.

(٢) (ضعيف مرسل).

أخرجه أحمد (٢٧٩/٦)، وأبوداود (٤٥٥)، والترمذي (٥٩٤) وابن ماجه (٧٥٩)، وأبويعلى (٤٦٩٨)، وابن حبان (١٦٣٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

والحديث اختلف في وصله وإرساله، وقد رجح إرساله الترمذي وأبوحاتم كما في «العلل» لابنه (١/١٦٨)، وقال ابن رجب بعد ذكره لكلام الترمذي: وكذلك أنكر الإمام أحمد وصله، وقال الدارقطني: الصحيح مرسل، انظر «الفتح» لابن رجب (٣/١٧٣).

(٣) (ضعيف، وقوله: «وشراءكم وبيعكم... وإقامة حدودكم» لها شواهد تصح بها)

أما حديث أبي أمامة وأبي الدرداء ووائلته رضي الله عنهم الذي أشار إليها المؤلف رحمه الله تعالى، فأخرجها الطبراني في «الكبير» (٨/رقم ٧٦٠١)، وفي سندها العلاء بن كثير الليثي متروك رماه ابن حبان بالوضع كما في «التقريب»، وفي روايته عن مكحول مناكير، كما قال أبوزرعة وابن عدي كما في «التهذيب»، وهو هنا كذلك.

وفيه أبونعيم النخعي عبدالرحمن بن هانئ كذبه يحيى بن معين، وقال الدارقطني: متروك، وضعفه =

كانت المساجد للصلاة والاعتكاف، وتلاوة القرآن، وذكر الله، ومجالسة الأخيار، وأول مسجد بني في الإسلام مسجد المدينة^(١) المنورة^(١) الذي شيده رسول الله ﷺ بيده الكريمة

=

أحمد بن حنبل وأبوداود والنسائي وغيرهم، وقال البخاري: فيه نظر، كما في «التهذيب»، ومكحول لم يسمع من وائلة، قاله أبو حاتم وأبوزرعة كما في «جامع التحصيل».

وحديث وائلة أيضًا له طريق أخرى أخرجه ابن ماجه (٧٥٠)، والطبراني في «الكبير» (٢٢ / رقم ١٣٦)، وفي سنده الحارث بن نبهان الجرمي متروك كما في «التقريب»، وأبوسعيد الشامي مجهول كما في «التقريب»، ومكحول لم يسمع من وائلة كما تقدم.

وفي الباب عن معاذ، أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠ / رقم ٣٦٩)، وفي إسناده انقطاع مكحول لم يسمع من معاذ بن جبل رضي الله عنه.

وعلى كل فالحديث ضعيف، وقد ضعفه ابن الجوزي والمنذري والحافظ ابن حجر والبوصيري، وقال عبدالحق: لا أصل له.

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: ضعيف لا يحتج به اتفاقًا، انظر «أصل صفة صلاة النبي ق» (١ / ٣٩١)، و«ضعيف الترغيب» (١ / ١٠٦)، و«ضعيف الجامع» (٢٦٣٦).

وقوله في الحديث: «وإقامة حدودكم» يغني عنها حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه مرفوعًا: «لا تقام الحدود في المساجد، ولا يستقاد فيها» وهو حديث حسن، أخرجه أحمد (٣ / ٤٣٤)، وأبوداود (٤٤٩٠).

وقد حسنه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح أبي داود» (٨٣ / ٣)، وانظر «الإرواء» (٢٣٢٧).

وقوله: «وشراءكم وبيعكم ..» لها شاهد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ولفظه: نهى رسول الله ق عن الشراء والبيع في المسجد». أخرجه أحمد (٢ / ١٧٩) وأبو داود (١٠٧٩) وإسناده حسن، وقد حسنه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح أبي داود» (١ / ٢٩٨).

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في كلامه على مسجد قباء: فكان هذا المسجد أول مسجد بني في =

وأيدي المهاجرين والأنصار، وما زالت عناية المسلمين بالمساجد معروفة إلى اليوم، ينفقون عليها الألوף المؤلفة، وما لا يدخل تحت عد ولا مقدار، فلقد أنفق الوليد بن عبد الملك^(٢) على المسجد الدمشقي^(٣) أكثر من ثلاثمائة ألف دينار، وجامع قرطبة الذين بناه عبدالرحمن

=

الإسلام بالمدينة، بل أول مسجد جعل لعموم الناس في هذه الملة. اهـ من «السيرة النبوية». (٣٠٩/١).

(١) إطلاق وصف المنورة على المدينة الأولى اجتنابه، قال الشيخ العلامة الفقيه محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى: ولا يقال: المنورة (يعني عن المدينة) لأن كل بلد دخله الإسلام فهو منور بالإسلام، ولأن ذلك لم يكن معروفاً عند السلف، وكذلك جاء اسمها في القرآن بالمدينة فقط، لكن لو قيل: المدينة النبوية لحاجة تمييزها، فلا بأس. اهـ من «القول المفيد» (١/ ٣٧٢) تحت شرح باب (أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون)، شرح حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وانظر «فضائح ونصائح» لشيخنا المحدث مقبل الوادعي رحمه الله ص (٢٤١)، وجزء في «زيارة النساء للقبور» (٥) للشيخ بكر أبو زيد رحمه الله.

(٢) هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي الدمشقي أبو العباس. ترجمه الذهبي في «السير» (٤/ ٣٤٧-٣٤٨) فقال: الذي أنشأ جامع بني أمية، وكان مترفاً دميماً سائل الأنف طويلاً أسمر، يتبختر في مشيته، وكان قليل العلم، نهمة في البناء، أنشأ أيضاً مسجد رسول الله ق وزخرفه.

وكان لحنة وحرص على النحو أشهراً فما نفع، مات في جمادي الآخرة سنة (٩٦) وله (٥١) سنة، وللمزيد في ترجمته انظر «البداية والنهاية» (٩/ ٧٠-٧٢، ١٦١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٣/ ١٦٤-١٨٧)، و«تاريخ الإسلام» حوادث سنة (٨٠-١٠٠) ص (٤٩٦) فما بعدها.

(٣) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في ترجمة الوليد بن عبد الملك: باني جامع دمشق الذي لا يعرف في الآفاق أحسن بناء منه، وقد شرع في بنائه في ذي القعدة من هذه السنة، فلم يزل في بنائه وتحسينه مدة =

الناصري^(١) يعد أثرًا من الآثار وفيه من العجائب والغرائب ما يبهر النظر، ويسر المسلمين ويغيظ الكافرين.

جامع الأزهر الشريف بمصر، وجامع الزيتونة بتونس لا نظير لهما في سائر الأقطار، وفي الهند جامع عظيم يملك الملايين، وهو المعروف بمسجد الجزار.

فعمارة مهمة، وأوقاف جمة، ونفقات تدل على علو الهمة، والله في خلقه أسرار، ﴿آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧].

إذا رزق الله عبده الصالح مالا صالحا وسلطه على إنفاقه في وجوه البر والإحسان فقد وفقه للخير، وهداه إلى صراط الذين أنعم الله عليهم من أهل الإسلام والإيمان.

=

خلافته، وهي عشر سنين، فلما أنهاه انتهت أيام خلافته. اهـ «البداية والنهاية» (٧٠ / ٩). وقال رحمه الله: وكانت همة الوليد في البناء، وكان الناس كذلك، وكانت همة أخيه سليمان في النساء، وكان الناس كذلك يقولون: الناس على دين ملوكهم. «البداية والنهاية» (١٦٥ / ٩). (١) الصواب: أن الذي بنى جامع قرطبة هو عبدالرحمن بن معاوية بن هشام أبوالمطرف الأموي أمير الأندلس وسلطانها، المشهور بالداخل كما في ترجمته من «السير» (٢٤٨ / ٨ - ٢٥٠). وأما عبدالرحمن الذي ذكره المؤلف هنا فهو عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله الناصر لدين الله، ترجمه الذهبي في «السير» (٢٦٥ / ٨) فما بعدها، وقال: سلطان الأندلس المدعو أمير المؤمنين، وكان شهيمًا صارمًا، وذكر أنه بنى مدينة الزهراء... ويقال: إن بناء الزهراء أكمل في (١٢) عشرة سنة بألف بناء في اليوم مع البناء (١٢) فاعلاً.

قال الذهبي رحمه الله: توفي الناصر في رمضان سنة (٣٥٠هـ). اهـ

ولا غبطة إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فهو يقول به هكذا وهكذا، ويخدم به الدين والأوطان، ويواسي به المعوزين من الأهل والخلان، والأصحاب والجيران، ورجل آتاه الله حكمة القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار^(١)، ويعلمه الناس إيماناً واحتساباً، ويرغم به أنف الشيطان.

وقد ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٥-١٠].

وصدق الله العظيم^(٢)، وبلغ نبيه الكريم، ورسوله البشير النذير، قال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]

(١) يشير المؤلف رحمه الله تعالى بهذا الكلام إلى حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٧٤) (١٤٠٩)، ومسلم (٨١٦)، وفي الباب عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري (٥٠٢٥ و ٧٥٢٩)، ومسلم رقم (٨١٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٥٠٢٦).

(٢) نعم صدق الله العظيم، لقول الله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

لكن لم يثبت عن النبي ق أنه كان يقولها عقب التلاوة، ولما قرأ عليه ابن مسعود قوله سبحانه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قال له: «حسبك»، أخرجه البخاري (٥٠٥٠) ومسلم (٨٠٠)، ولم يقل له: قل صدق الله العظيم.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾ [فاطر: ١٠]، وحين سمع أبو طلحة

الأنصاري هذه الآية قال: إن أحب أموالي إلي بيرحاء^(١) وقد جعلتها في سبيل الله فضعها يا

رسول الله حيث أراك الله، فقال ﷺ: «بخ بخ، ذلك مال رابح»^(٢).

وجاء عثمان بن عفان لجيش العسرة بألف دينار وحمل على مائة فرس وثلاثمائة بعير في

سبيل الله فقال له النبي ﷺ: «ما ضر عثمان ما صنع بعد اليوم»^(٣).

=

وهكذا أبي بن كعب رضي الله عنه لما قرأ عليه (لم يكن) كما في البخاري (٤٩٥٩) وكثير من قراء

الصحابه الكرام رضوان الله عليهم لم يكن يأمرهم أن يقولوا: صدق الله العظيم.

فقولها عقب التلاوة بدعة محدثة، دخلت على المسلمين من قبل القراء المصريين، ولعل المؤلف تأثر

بفكرهم فهو قد نشأ بينهم فترة من الزمن، والله المستعان، وانظر «فتاوى الشيخ ابن باز» (٧/ ٣٢٩-

٣٣١)، و«معجم المناهي اللفظية» (٣٣٦-٣٣٧)، و«ألفاظ ومفاهيم في ميزان الشرع» (٨١-٨٢)

للشيخ ابن عثيمين، جمع صلاح السعيد.

(١) في المطبوع «بئرحاء»، والصواب المثبت كما في «الصحيحين».

(٢) أخرجه البخاري رقم (١٤٦١) و(٢٣١٨)، ومسلم رقم (٩٩٨) من حديث أنس بن مالك رضي

الله عنه.

(٣) (حسن).

أخرجه الترمذي (٣٧٠١)، وأحمد (٦٣/٥) من حديث عبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه، وقد حسن

الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ٢٠٨-٢٠٩).

وقوله: «وحمل على مائة فرس وثلاثمائة بعير في سبيل الله» هذه الرواية أخرجه الترمذي (٣٧٠٠)،

وعبدالله بن أحمد في «زياداته على المسند» (٤/ ٧٥)، وإسناده ضعيف فيه فرقد أبو طلحة مجهول كما

في «التقريب».

=

وهنيئاً لأهل المال سعيهم المشكور وعملهم الناجح وكان الرجل من المسلمين يجود بهاله كله في سبيل الله حتى مدحه الله بقوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٩-٢١]^(١)، فبورك الممدوح وتبارك المادح.

وأنتم اليوم تملكون مئات الألوف وتدعون إلى الخير، فمنكم من يجود بالكثير ونفسه مطمئنة وقلبه متأثر بالدليل الواضح، ومنكم من يبخل بالقليل ويكره النصيحة والناصح.

=

وقد ضعف هذه الرواية الإمام الألباني رحمه الله في «ضعيف سنن الترمذي» (٤٩٥-٥٩٦).
(١) هذا الرجل هو أبوبكر الصديق رضي الله عنه، لما أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» رقم (٦٦)، وابنه عبدالله في «زوائد الفضائل» رقم (٢٩١)، والواحد في «أسباب النزول» (٣٠٠-٣٠١)، والحاكم (٥٢٥/٢) من طريق ابن إسحاق حدثني محمد بن عبدالله بن أبي عتيق، عن عامر بن عبدالله بن الزبير، عن أبيه رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق. وإسناده حسن من أجل ابن إسحاق فهو مدلس، لكن قد صرح بالتحديث، فانفتت شبهة تدليسه ووقع في «فضائل الصحابة» عن عامر بن عبدالله عن بعض أهله، فتبين أن المبهم هو عبدالله كما صرح به الحاكم، والحمد لله.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في الكلام على تفسير قول الله جل وعلا: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتَقَىٰ * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾: ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها. اهـ وانظر «الاستيعاب في بيان الأسباب» (٥١٧-٥١٩).

وإذا قيل: تصدق وكن من الصالحين، حرك رأسه واضطربت منه الجوارح وكاد قلبه يفر من بين الجوانح، وما عندكم ينفذ وما عند الله باق، وهو الجواد الوهاب المانع ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

يا مسلماً: لا ينبغي لك أن يكون خرجك في سبيل الشيطان كثيراً، وفي سبيل الله قليلاً، وأنت تعلم أن الله شاکر حلیم، وأن الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمائه ضعف إلى أضعاف كثيرة، كما جاء ذلك في الذكر الحكيم، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

ولم تكن بالله حاجة حين طلب منك القرض ووعدك عليه بالأجر الجزيل والثواب العظيم، ولكن ليلوكم فيما آتاكم ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١].

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠].

وما أرخص الجنة التي وعد المتقون إذا كان ثمنها الدراهم والدنانير، إذا بنيت يا عبد الله مسجداً تريد به وجه الله، كان لك من الأجر مثل أجر من تعبد فيه بالاعتكاف والصلاة وتلاوة كتاب الله.

وإذا كان في البلد مسجداً يسع الناس فالعناية به أعظم عند الله من إنشاء مسجداً آخر لا حاجة له، ولا خير في المفاخرة والمباهاة.

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يحذر من بناء مسجدين في بلد واحد يضار أحدهما الآخر^(١)، وتلك صفة المنافقين الذين ذمهم الله بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ﴾ [التوبة: ١٠٧].

وربكم يعلم من عبده ما أبداه وما أخفاه مما عمله أو نواه ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢].

وعِمارة المساجد ليست بزخرفتها وتزيينها بمختلف الألوان بل عابت الصحابة رضي الله عنهم^(٢) ذلك على أمير المؤمنين عثمان لولا أنه قال: بيوت الله أحق بذلك من معابد الأوثان، وإنما تعمر المساجد بعبادة الملك الديان، وبما يكون فيها من التعليم والبيان لعلوم السنة والقرآن.

وما أحسن المسلمين وهم في بيوت الله وقفوا صفوفًا كالبنين، يبتغون من الله سبحانه الفضل والرضوان فاعمروا مساجدكم أيها المسلمون ولا تعرضوها للهوان، ولا تشتموا بدينكم الحنيف أهل سائر الأديان، وقولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.

(١) لم أقف على من أخرجه، ولم يذكره السيوطي رحمه الله في «الدر المشثور» لكن حكى البغوي رحمه الله في «تفسيره» عند آية (١٠٧) من سورة التوبة: أن عمر رضي الله عنه، لما فتح الله عليه الأمصار أمر المسلمين أن يبنوا المساجد، وأمرهم أن لا يبنوا في مدينتهم مسجدين يضار أحدهما الآخر.

(٢) راجع «فتح الباري» للحافظ ابن حجر رحمه الله تحت شرح حديث رقم (٤٤٦) و(٤٥٠).

الخطبة الثانية والعشرون

في الراعي والرعية

ألقيت هذه الخطبة في مسجد العسقلاني يوم ١٨ جمادي الأولى من سنة ١٣٦٥ هـ وذلك

بين يدي ولي عهد اليمن المعظم^(١) - إمامها اليوم مولانا أمير المؤمنين أحمد بن حميد الدين حفظه الله^(٢) .

(١) هذا اللفظ قوله للملوك والأمراء من الألفاظ المتقدمة التي ينبغي تركها، فالمعظم حقيقة هو الله جل وعلا.

قال الشيخ الفضال بكر بن عبد الله أبوزيد حفظه الله: في جواب لشيخ مشايخنا العلامة محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى كما في «فتاويه» (١/ ١١٨): لا ينبغي قول المخلوق للمخلوق: يا معظم، مواجهة لما فيها من إساءة الأدب. اهـ

وفيهما أيضاً (١/ ٢٠٦) في تقرير له لما سُئِلَ عن لفظ «جلالة الملك المعظم»، قال: لا يظهر لي أن فيهما بأساً لأن له جلالة تناسبه. اهـ «معجم المناهي اللفظية» (٥٢٢-٥٢٣).

قلت: لكن الأولى اجتنابه والله أعلم.

(٢) هو أحمد بن الإمام يحيى بن محمد بن حميد الدين كان مولده بهجرة الرأس من الأهنوم ليلة الخميس / ١٢ جماد الآخرة سنة (١٣١٣ هـ) ترجمه القاضي المؤرخ إسماعيل الأكوخ حفظه الله فقال: كان كريماً شجاعاً مقداماً سريع الانفعال كثير الغضب سفاحاً فتاكاً لا يتورع عن سفك الدماء حتى دماء أقرب الناس إليه ، عالماً ولكن دون علم أبيه عرف منذ صباه بالمغامرات الطائشة ، والأعمال المستنكرة وكان مولعاً يتحفظ عنده ببعض الثعابين فيمسكها بيده ويداعبها ويطلقها في مجلسه ليفزع الخالص من أصحابه ... كانت وفاته في يوم الخميس / ٢١ / ربيع الآخر / سنة (١٣٨٢) هـ وقد كتبوا عنه =

الحمد لله الذي جعل الإنسان خليفة في الأرض^(١) ليعمرها، وملكه جوها وبرها وأبحرها، وزينه بالعقل وأكرمه بالعلم ليعرف نعمة الله ويشكرها، وسخر الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، فسبحان الذي سخرها ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ [النمل: ٦٠].

نحمده تعالى على نعمه ونعوذ به أن نكفرها، ونسأله المزيد من فضله، ومن عد نعم الله فلن يحصرها ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

=

المقالات ووصفوه بالرجل الشاذ والطفل الملتحي ا.هـ بتصرف من «هجر العلم ومعاقله في اليمن»

(٢ / ٨١٧ - ٨٥٢). وله ذكر في هذا الكتاب في مواضع متفرقة .

(١) اختلف أهل العلم في إطلاق هذا اللفظ (خليفة الله) على الإنسان، على ثلاثة أقوال:

الأول: الجواز، فيجوز أن يقال: خليفة الله في أرضه، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

الثاني: منع هذا الإطلاق؛ لأن الخليفة إنما يكون عمن يغيب ويخلفه غيره، والله شاهد غير غائب.

الثالث: ما قرره ابن القيم فقال: إن أريد بالإضافة إلى الله أنه خليفة عنه، فالصواب قول الطائفة المانعة فيها، وإن أريد بالإضافة أن الله استخلفه عن غيره ممن كان قبله فهذا لا يمتنع فيه الإضافة.

والقول الثالث قول سديد ووجيه، راجع «معجم المناهي اللفظية» (٢٥٢-٢٥٦) بتصرف.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلق الإنسان في أحسن تقويم، وهذه بالدين إلى الصراط المستقيم، وعلمنا بالقرآن أشرف التعاليم، وجعل الإسلام ديناً جامعاً بين مصالح الدنيا والآخرة، وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم.

ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الكريم الموحى إليه بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد القائل من حديث عظيم: «السلطان ظل الله في الأرض، يأوي إليه كل مظلوم من عباده، فإن عدل كان له الأجر، وكان على الرعية الشكر، وإن جار أو حاف أو ظلم كان عليه الوزر، وعلى الرعية الصبر»^(١) وللصابرين مغفرة وأجر كريم.

(١) (موضوع).

قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في «الضعيفة» رقم (٦٠٤): أخرجه تمام في «الفوائد» (٥/ ٨٠-٨١)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ١٧٥)، والضياء في «المنتقى من مسموعاته بمرو» (٢/ ٢٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفي سنده سعيد بن سنان أبو مهدي الحمصي اتهمه البخاري بقوله: منكر الحديث، وقال الجوزجاني: أخاف أن تكون أحاديثه موضوعة، وقال الدارقطني: يضع الحديث، وضعفه سائر الأئمة، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه غير محفوظ، ولذلك أورده الذهبي في «الضعفاء والمتروكين»، وقال: هالك. اهـ بتصرف يسير.

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين أفضل صلاة وتسليم ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

عباد الله، لما ملئت الأرض كفرًا وإلحادًا، وجورًا وظلمًا واستبدادًا، وقتلًا ونهبًا، واسترقاقًا واستعبادًا، وطغى الأقوياء على الضعفاء، وأصبح المساكين طعمة للشرفاء، وعاث المجرمون في الأرض فسادًا.

بعث الله في الأميين رسولًا منهم فرفع صوته بالحق ونادى، وملا الأرض هداية وإرشادًا، وجاء بدين العدل والمساواة^(١) بين الناس جماعات وأفرادًا، وقال: «يا معشر

(١) قال شيخنا العلامة الفقيه المحدث أبو عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله تعالى معلقًا على قول المؤلف في «إصلاح المجتمع»: ولكن رسول الله المبعوث بالعدالة والمساواة: ... هذا غير صحيح، فلفظ المساواة ورد نفيه في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [آل عمران: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. وليس من العدالة التسوية بين العالم والسكران في الصوت والكلمة، وكذلك بين الرجل والمرأة، بل العدالة إنزال كل منزلته التي أنزله الله إياها في كتابه أو على لسان نبيه، وكثيرًا ما ينعق الملاحدة بلفظ المساواة بين الذكر والأنثى، وليس هذا مقصود المؤلف قطعًا، ولكنه لم يتأمله رحمه الله، فديننا دين العدالة لا المساواة، وإن عنى المساواة في بعض العبادات، مثل الصوم والصلاة ونحوها للرجال والنساء، فالحكم واحد إلا ما خصه الدليل فهو صواب. اهـ من «اللمع على إصلاح المجتمع» (٥٤٢).

قريش: إن الله تعالى قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالأباء، لا فضل لأبيض على أسود، ولا لعربي على عجمي إلا بتقوى الله»^(١).

فعرز بداية وقصدًا، وشرف غاية ومرادًا ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

(١) أخرجه ابن هشام في «السيرة» (٤١٢/٣) فقال: قال ابن إسحاق: وحدثني بعض العلم ... فذكره مطولاً دون قوله: لا فضل لأبيض ... إلخ.

وإسناده معضل، لكن قوله: «إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها الأباء» يشهد له حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «لا تفتخروا بأبائكم الذين ماتوا في الجاهلية، فوالذي نفسي بيده، لما يدهده الجبل بمنخريه خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية».

أخرجه أحمد (٣٠١/١)، وصححه شيخنا مقبل الوداعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (١/٥٥٤)، وحديث جابر في مسلم (١٢١٨)، ولفظه: «ألا كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي».

وقوله: «لا فضل لأبيض ...» إلخ لها شاهد أخرجه أحمد (٤١١/٥) من حديث رجل من أصحاب النبي ق، أنه سمع خطبة رسول الله ق في وسط أيام التشريق فقال: «يا أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على أعرابي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى ..» الحديث، صححه شيخنا مقبل الوداعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٢/٤٥٥-٤٥٦) والحمد لله.

لقد عرف الناس هذا الدين وتعاليمه الشاملة، وكيف يدعوا إلى الآداب السامية والأخلاق الفاضلة، وعلموا أنه جامع لمصالح العاجلة والآجلة، فدخلوا فيه أفواجاً والتزموا شريعته العادلة.

فقوانينه^(١) جارية على الملوك والمماليك، والعطاء والصعاليك^(٢) فلا محابة ولا مفاضلة، فالصغير يحترم الكبير، والكبير يرحم الصغير، والمأمور يطلب حقه من الأمير، فأكرم بها من مساواة، وأعظم بها من مماثلة.

وفي نصف قرن صار المسلمون يحكمون مشارق الأرض ومغاربها بهذا القانون، حتى إذا ظهر الخصام والمجادلة ذهبت ريجهم، وضاق فسيحهم، وكانوا أمة متماسكة فصاروا أمة متخاذلة ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

جاء الدين بخير كثير، وخير ما جاء به التوحيد والاتحاد فالمعبود واحد، والعبادة واحدة، والقانون^(١) واحد والقبلة واحدة لسائر العباد، ويد الله مع الجماعة^(٢)، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية^(٣).

(١) تقدم التنبيه على لفظة قوانين، وأن إطلاقها على أحكام الكتاب والسنة لفظ محدث دخيل كان الأولى للمؤلف أن يجنبه.

(٢) الصعاليك: جمع صعلوك، والصعلوك: هو الفقير الذي لا مال له، كما في «لسان العرب» مادة: صعلك.

ومن يضلل الله فما له من هاد، والمؤمنون كالبنان أو كالبنيان يشد بعضه بعضاً^(٤)، فاعتصموا بحبل الله جميعاً واتبعوا سبيل الرشاد، ولا تفرقوا فتفرق بكم السبل عن سبيل الله ويشمت بكم الأعداء والأضداد.

وأطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم من كل بلاد، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، وإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله وبيوم المعاد. فإن زلتم من بعد ما جاءكم البينات فإن الله عز وجل بالمرصاد ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

=

(١) تقدم التنبيه على لفظة «قانون».

(٢) هذا الكلام مبني على حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه الترمذي (٢١٦٦)، وصححه شيخنا الإمام مقبل الوادعي رحمه الله تعالى في «الصحيح المسند» (١/٥١٣).

(٣) هذا الكلام صحيح، وقد ورد في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، أخرجه أحمد (١٩٦/٥)، وأبوداود (٥٤٧)، وفي سنده السائب بن حبش الكلاعي الحمصي روى عنه اثنان ولم يوثقه معتبر، وقال الدارقطني: صالح الحديث، وقال الحافظ في «التقريب»: مقبول، يعني عند المتابعة وإلا فليّن، فهو في الشواهد.

وفي الباب عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أخرجه أحمد (٢٣٣/٥)، وسنده منقطع العلاء بن زياد لم يسمع من معاذ.

فالحديث ضعيف، وقد كان شيخنا مقبل الوادعي رحمه الله على ضعفه فيما استفدناه من دروسه المباركة.

(٤) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٤٨١) ومسلم (٢٥٨٥).

وعظ النبي ﷺ أصحابه موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقالوا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع، فأوصنا أيها الأمين المأمون، فقال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد حبشي، ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً»^(١)، وما قوله ﷺ بحديث الأوهام والظنون.

وقال أيضاً: «عليكم بستتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»^(٢).

ونعوذ بالله من الضلالات واضطراب الشئون، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق^(٣) أيها المؤمنون، وكما تكونوا يوئى عليكم وأعمالكم عمالكم، والله يعلم ما تسرون وما تعلنون

(١) (حسن لغيره).

أخرجه أحمد (١٢٦/٤-١٢٧)، وأبوداود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣ و ٤٤) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «ظلال الجنة» برقم (٢٧)، وحسنه شيخنا الإمام مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٢/ ٢٠-٢١).

(٢) (حسن لغيره).

وهو قطعة من الحديث المتقدم عن العرباض بن سارية رضي الله عنه.

(٣) هذا الكلام صحيح، ومبناه على حديث الحكم بن عمرو الغفاري رضي الله عنه مرفوعاً: «لا طاعة لمخلوق في معصية الله» أخرجه أحمد (٦٦/٥) بإسناد صحيح وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «الصحيحة» تحت رقم (١٧٩).

وفي الباب عن عمران بن حصين رضي الله عنه، أخرجه أحمد (٤/ ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٣٦)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (١٨٠).

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ١٩].

لقد فرض الله للرعاة السمع والطاعة على الرعية أجمعين، وفرض عليهم العدل والحكم بالحق، وأن ينظروا إلى الناس نظر الآباء إلى البنين، وأن يأخذوا بكتاب الله ولا يتعدوا حدود الله محلين ومحرمين، وأميرين وناهين.

ومطابقين لما جاءت به الشريعة من الأحكام والقوانين^(١)، قائمين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم والوالدين والأقربين، لا يرجون إلا الله، ولا يخشون إلا الله، ولا تأخذهم في الحق لومة اللائمين.

فإن أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فلا عدوان إلا على الظالمين، ولو بغى جبل على جبل لك الباغى منهما^(٢)، وعلى الباغي تدور الدوائر ولو بعد حين ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا

=

وفي الباب عن علي رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٧٢٥٧) ومسلم (١٨٤٠) (٣٩)، وأحمد (٩٤ / ١).

(١) تقدم التنبيه على لفظة القوانين مراراً، وأن الأولى اجتنابها.

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ذكره العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (١٩٤٨) وقال: رواه ابن لال في «الجامع الكبير» (١ / ١٤٢ / ٢)، وكذا في «الجامع الصغير» لكنه ذكره بلفظ: «لو بغى جبل على جبل لك الباغي منهما».

وإما إسناده فلم أقف عليه، وببض له المناوي فلم يتكلم عليه بشيء ... إلى قوله: أخرجه ابن حبان في «الضعفاء» (١ / ١٥٥) عن أنس في ترجمة أحمد بن محمد بن الفضل، وقال: إنه كان يضع الحديث.

وابن مرويه عن ابن عمر كما في «المقاصد الحسنة» (٣٤٢ / ٨٨٨)، وكذا ابن عدي في «الكامل» (١ / ١٢)

ومنه تبين أن فيه إسماعيل بن يحيى التيمي، وهو كذاب وضاع.

=

غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ [البقرة: ٥٩]، إذا عرف الناس حق بعضهم على بعض وأخذوا بالحلل وتركوا الحرام، وتعاونوا على البر والتقوى ولم يتعاونوا على الإثم والعدوان ومخالفة الأحكام، ساد الأمن والأمان وحصلت الراحة والاطمئنان وغبط الكفار أهل الإسلام.

وإذا أطعم الطعام وأفشي السلام وأطيع الإمام وعم النظام، وتبادل التقدير والاحترام، عاد لنا مجدنا ورجع عزنا، وعظم أمرنا، وذاع ذكرنا، فلا نذل ولا نضام. وإذا تحكم فينا الهوى وتفرقت بنا الأهواء تفرقنا أيدي سباً وكان بعضنا عوناً على بعض كما نراه في هذه الأيام، وأين نحن من قول رسول الله عليه الصلاة والسلام: «إنا لا نستعين على أمرنا هذا بمشرك»^(١).

وعبد الله لا يستعين بعباد الأصنام ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

=

ورواه ابن المبارك في «الزهد» عن مجاهد مرسلاً، ورجح أبو حاتم كما في «العلل» لابنه (٢/ ٣٤١) وقفه على ابن عباس، وفي سنده أبو يحيى القتات، وأبويحيى القتات لين الحديث، فهو ضعيف مرفوعاً وموقوفاً، وأبويحيى قد توبع، ثم ذكر له متابعا ثم قال: وهذا إسناد صحيح، يعني عن ابن عباس رضي الله عنهما، فالصواب في الحديث الوقف. اهـ بتصرف من «الضعيفة».

(١) أخرجه مسلم رقم (١٨١٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

هل من سامع مُطيع فيعمل بالقرآن، وهل من مُجدٍ في عبادة الله وخدمة الأوطان، وهل من أناس يتناجون بالبر والتقوى ولا يتناجون بالإثم والعدوان، فنوحد أمرنا ونجمع شملنا ونمير^(١) أهلنا ونحفظ بلادنا من الاعتداء والطغيان.

فصحة وعلم وزراعة وتجارة حرة وصناعة نافعة، واستخراج لما في الأرض من معادنها بلا كسل ولا توان، ومن كان مع الله كان الله معه بالنصرة والعون في كل زمان، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

قال رسول الله ﷺ: «كلكم راع ومسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيته، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته» رواه البخاري ومسلم^(٢).

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا الوقوع في معاصيه، وأجارنا من مخالفة أوامره ونواهيه، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

(١) أي: نجلب لهم الميرة، وهي الطعام.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٨٩٣ و ٢٥٥٤) ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الخطبة الثالثة والعشرون

في التربية والتعليم

الحمد لله الذي فرض على الآباء والأمهات حسن تربية البنين والبنات، وجعل الأولاد والأحفاد والزوجات والأخوة الصغار والأخوات أمانة في يد القائمين عليهم من جملة الأمانات، يُسألون عنهم يوم الدين كما يسألون عن سائر الواجبات والمحرمات. وإذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له بعد الممات ^(١)، والله تعالى يقول: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ [الكهف: ٤٦].

نحمده تعالى ونستغفره لذنوبنا إنه كان غفارًا، ونسأله العفو والعافية وأن يمددنا بأموال وبنين وأن يجعل لنا جنات ويجعل لنا أنهارًا. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد فما لكم لا ترجون لله وقارًا وقد خلقكم أطوارًا.

ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الداعي إليه جهراً وإسراً، والمنزل عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]. والقائل ﷺ: «الولد من كسب الوالد» ^(١).

(١) يشير المؤلف رحمه الله بهذا الكلام إلى ما أخرجه مسلم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وبعض الناس لا يزيده ماله وولده إلا خساراً، اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد سيد السادات، والمنقذ من الضلالات، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه القادات، وعلى التابعين لهم بإحسان في العادات والعبادات.

عباد الله، من رزق المال والولد فقد رزق خيراً عظيماً، ومن شكر الله على نعمته زاده منها وكان الله شاكراً عليماً، ومن صرف نعمة الله في معصيته سلبها عنه وأذاقه عذاباً أليماً.

=

(١) (صحيح بشواهده).

أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٥١٣٢) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، وفي سنده خلف بن خليفة: صدوق اختلط في الآخر، وادعى أنه رأى عمرو بن حريث الصحابي، فأنكر عليه ذلك ابن عيينة وأحمد كما في «التقريب»، ومحمد بن أبي بلال التميمي، قال الشيخ الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٥٣٧/٥) تحت رقم (٢٤١٤): لم أجده ترجمته.

لكن الحديث صحيح يشهد له قوله ق: «إن أولادكم من أطيب كسبكم، فكلوا من كسب أولادكم». اهـ بتصرف.

قلت: الحديث المشار إليه أخرجه أحمد (٦/٣١، ٤١، ١٢٦، ١٢٧، ١٦٢) وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها من طرق يصير بها حسناً لغيره، وله شاهد من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، أخرجه أحمد (٢/١٧٩، ٢٠٤، ٢١٤).

قال الشيخ الألباني رحمه الله: سنده حسن. «أحكام الجنائز» (١٧١).

وقد تكلمت على الحديث بتوسع في تحقيقي للمجلد الرابع من «فتح الباري» تحت حديث رقم (٢٠٧٢) والحمد لله.

وما كان الله ليغير نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وكان الله عزيزاً حكيماً
﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ
عَقِيماً﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠].

ومن أدب أولاده وأحسن تربيتهم كان شاكراً لأنعم الله، مستوجباً للمزيد منها،
واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً، وأي فضل على الإنسان بعد الإسلام
أكبر من أن يبارك الله له في أولاده البنين والبنات.

عليك أيها المسلم حق واجب لله تؤديه إلا إذا تمسكت بالدين، ومن حقه عليك أن
تعبد لا تشرك به شيئاً، وأن تقوم بأمره في الأهل والبنين، فلا تتركهم عالة يتكففون الناس
أو يتبعون من لا خير فيه من العصاة والفاستين.

ولا يجوز لك أن تتركهم هملاً أو تضع لهم الحبل على الغارب فيقودهم إبليس وتسرقهم
الشياطين، ومن حقهم عليك أن تعلمهم وتطعمهم من الحلال الذي ورثته أو وصل إليك
بكد اليمين وعرق الجبين.

ولا تعلمهم ظاهراً من الحياة الدنيا وتتركهم بأمر الدين جاهلين، وفي الواجب
مقصرين، وبالحرمان متساهلين، وفي هوة الفساد ساقطين، فإنما هم رعييتك وأنت راعيهم
المسئول عنهم، كما في الحديث الشريف ^(١) عن الصادق الأمين، والله تعالى يقول لسيدنا

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى ما أخرجه البخاري (٨٩٣ و ٢٥٥٤) ومسلم (١٨٢٩) من حديث
عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

إبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾
[البقرة: ١٢٤].

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: ١٩-٢٢].

بعض الناس لا يهमे من بنيه إلا أن يكونوا موظفين أو تجاراً أو محترفين، يكتسبون المال ولو كانت الحرفة طبلاً ومزماراً، وطنبوراً وأوتاراً، ولا يبالي بهم إذا جمعوا المال أصالحين كانوا أم أشراراً.

وقديماً قيل: أشبع ولدك وأحسن أدبه، واجمع له أدباً ولا تكسب له ذهباً، والأبناء ورثة آبائهم طبائع وآثاراً، وكما تحب أن يكون أولادك فكن أنت إقبلاً وإدباراً، وإقللاً وإكثاراً، فإنما الولد سر أبيه^(١)، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١]، والكافر لا يلد إلا فاجراً كفاراً إلا من هداه الله، وذلك من آيات الله، والله خرق العادات، تخيروا لنطفكم أيها الأباء ولا تضعوها إلا في الأكفاء^(٢)،

(١) هذا الكلام مبناه على حديث لا أصل له، كما في «المقاصد الحسنة» للسخاوي رحمه الله (٤٤٨)، ونقل كلامه العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٤٨) ثم قال: ومعناه: ليس مضطرباً، ففي الأنبياء من كان أبوه مشركاً عاصياً، مثل آزر والد إبراهيم عليه السلام، وفيهم من كان ابنه مشركاً، مثل ابن نوح عليه السلام. اهـ

(٢) هذا الكلام مبناه على حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه ابن ماجه (١٩٦٨)، وابن عدي في «الكامل» (٤٦٧/٢)، وابن أبي حاتم في «العلل» (١٢٠٨)، والدارقطني (٢٩٩/٣)، والحاكم =

فإن العرق دساس^(١)، واختيار الأمهات الصالحات لبناء الأسرة الكريمة والعائلة الشريفة يعد بمثابة القواعد والأساس.

والأم مدرسة البنين الأولى، يتلقون فيها الخير والشر ويتخرجون منها بما كتب لهم من فائدة أو إفلاس، ومن مزيد الأسف أنك لا ترى إلا سوء تربية، وقبيح تشئة، وذهاب أخلاق، وفساد أذواق في كثير من الناس.

يسمع الوالد فاحش القول من ولده، ويراه على جانب عظيم من الفساد فلا ينكر عليه، وقد لا يرى في صنيعه من بأس، أفيجوز شرعاً أو عادة أو عقلاً أن نعيش كما تعيش البهائم ولا نفكر إلا في الطعام والشراب واللباس؟!.

=

(١٦٣/٢).

قال ابن أبي حاتم: قال أبي: الحديث ليس له أصل ... والحارث ضعيف، وهذا حديث منكر، وضعفه البوصيري في «زوائده».

قلت: في سنده الحارث بن عمران المدائني الجعفري ضعيف رماه ابن حبان بالوضع كما في «التقريب»، وله متابيع عند الحاكم المصدر السابق، وهو عكرمة بن إبراهيم، قال الذهبي متعقباً للحاكم: الحارث متهم وعكرمة ضعفوه. وله متابيع أخرى لكنها واهية كما في «التلخيص الحبير» (٣/١٤٦)، و«تاريخ بغداد» (١/٢٦٤)، ومع ذلك فقد صححه الإمام الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (١٠٦٧)، وانظر «الضعيفة» رقم (٧٣٠ و ٣٣٩٤ و ٥٠٤١)، و«موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة» (٣/٥٢٧-٥٢٨).

(١) هذا الكلام مبناه على حديث لا أصل له، كما في «موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة» (٣/٥٢٧).

يضيع منا الخلف ما ورثه من السلف، ونفضل عادات أعدائنا على تقاليد آبائنا^(١)، لقد ضعف الرجال وكاد يكون اليأس، ووالله ما تقع مسئولية الأبناء إلا على كواهل الآباء والأمهات.

كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه^(٢)، وهما يرفعان الولد أو يضعانه، وكما يريدان ينشأ الولد فقد يطهرانه أو ينجسانه.

وأخوف ما يخاف على الصغير سكوت مربيه على قبيح فعله وفحش لسانه، وإعطاؤه ما يحب واستغراقه في اللعب وتفضيله على إخوانه، ومرافقة الأشرار في الشارع والدار.

وعن المرء لا تسألوا ولكن اسألوا عن أقرانه، وللبيئة التي يعيش فيها المرء أثرها في إساءته وإحسانه، ومعلمه الناصح يستطيع تهذيبه ورفع شأنه، وإنما الطفل شاشة بيضاء ينقش المربي ما يشاء عليها من ألوانه ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ [لأعراف: ١٨٦].

ونعوذ بالله من أهل، قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ [مريم: ٥٩].

(١) إن كانت هذه التقاليد موافقة للكتاب والسنة فيؤخذ بها، وإن كانت مخالفة للكتاب والسنة فلا يلتفت إليها ولا يعمل بها.

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى ما أخرجه البخاري رقم (١٣٨٥) ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ما بال أولادنا لا يعرفون من الدين إلا أنه حائل منيع بين أهله وبين العلم والمدنية، ويظنون أنه لا ينفق والسياسة والأمور الاجتماعية والمصالح الدنيوية. وما بالهم لا يريدون إلا حياة الإباحية، ومضاهاة الأمم الأجنبية والشعوب اللادينية، يتشبهون بساداتهم الغربيين^(١) ويقلدون قاداتهم الأوروبيين في سفاسف الأمور والأخلاق الدنية، فشرب الخمر، ومشط الشعور، وتنسيق الثياب، ورشها بالعطور، والسترة والبنطلون والقبعة^(٢) وحلق الذقون، تعده الناشئة الغبية حضارة ورقياً وثقافة عصرية، ومخالفته جهود ورجعية، فضلوا السبيل وأخطأوا الطريق، وفاتهم الدليل وأخطأهم التوفيق وكذلك يفعل الجاهلون والجاهلات.

نحب أولادنا ونحب لهم الخير في كل حين، وننفق على تعليمهم المال الكثير، حاضرين وغائبين، فنحضر لهم المعلمين، ونرسلهم كل يوم إلى المدارس مبكرين. ونبعثهم إلى الجامعات والكليات في أقاصي البلاد رغبة في العلم الذي يصيرون به أعضاء عاملين، فيعود أكثرهم خائبين، وعن الحق ناكبين، ومن فاز منهم بشيء خرج عن الفضيلة والدين، وصار نقمة على البلاد والأهلين، يهزأ بالمواطنين، ويسخر بالمساكين.

(١) إطلاق السيادة على الكفار محرم، قال الشيخ الفضال بكر بن عبدالله أبوزيد رحمه الله في «معجم المناهي اللفظية» (٣١١): قال ابن القيم رحمه الله في «أحكام أهل الذمة»: أما أن يخاطب (يعني الكافر) بسيدنا ومولانا ونحو ذلك فحرام قطعاً. اهـ

(٢) القبعة: ضرب من القلانس يقي الرأس الشمس والمطر، كما في «المعجم الوسيط» (٧٤٥).

فتراه من ضلاله وسخفه متبخرًا في مشيه وشامخًا بأنفه، يحاول خرق الأرض برجليه، وأن يرفع السماء بيديه، ويرى نفسه من العظماء والأساطين، وإنما هو جاهل مفتون أصابه الجنون، أينما توجه لا يأت بخير، ولو كان من أشرف العائلات.

قال رسول الله ﷺ: «من علم علمًا فله أجر من عمل به لا ينقص من أجر العامل»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة»^(٢).

(١) (ضعيف).

أخرجه ابن ماجه رقم (٢٤٠) من حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه، وفي سنده سهل بن معاذ بن أنس الجهني ضعيف كما في ترجمته من «التهذيب»، وقد حسن الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (١/١٤٣)، لكن يغني عنه: حديث أبي مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» أخرجه مسلم (١٨٩٣).

وحديث جرير بن عبدالله رضي الله عنهما مرفوعًا: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده» رواه مسلم (١٠١٧).

(٢) (صحيح لغيره).

أخرجه أحمد (٣/٤٢، ٩٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧)، وأبوداود (٥١٤٧ و ٥١٤٨)، والترمذي (١٩١٦ و ١٩١٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفي سنده سعيد بن عبدالرحمن بن مكيمل الأعشى روى عنه اثنان ولم يوثقه معتبر، وقال الحافظ في «التقريب»: مقبول، يعني عند المتابعة وإلا فليكن.

وقد اختلف في سند الحديث، وللخلاف راجع تحقيق «مسند أحمد» (١٧/٤٧٦)، وله شواهد، منها:

١ - حديث عائشة رضي الله عنه مرفوعًا: «من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له سترا من النار» رواه =

وقال رسول الله ﷺ: «من ربي صغيراً حتى يقول لا إله إلا الله لم يحاسبه الله»^(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن»^(٢).

=

البخاري (١٤١٨) ومسلم (٢٦٢٩).

٢- حديث أنس في مسلم (٢٦٣١) مرفوعاً: «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو» وضم أصابعه، وانظر «الصحيحة» رقم (٢٩٥ و ٢٩٦).

٣- حديث ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «من عال ثلاث بنات فأنفق عليهن وأحسن إليهن وجبت له الجنة» أخرجه أبو يعلى (٢٤٥٧)، وفي سنده حسين بن قيس الرحيبي الملقب بحنش متروك، فلا يفرح به أن يكون شاهداً.

٤- حديث جابر أخرجه أحمد (٣/٣٠٣)، وأبو يعلى (٢٢١٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٢٤٩٢)، وغير ذلك من الشواهد راجعها في تحقيق «مسند أحمد» المصدر السابق.

٥- حديث عقبة بن عامر، ذكره العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٢٩٤).
(١) (موضوع).

أخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٧٥)، وابن عدي في «الكامل» (٢/١٦٢)، وابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد» (١٠/١٦٣/٢) من حديث عائشة رضي الله عنها، وفي سنده عبدالكبير بن محمد بن عبدالله وشيخه سليمان الشاذكوني كلاهما متهم بالكذب.

وقد أورده ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/١٧٨) وقال: لا يصح. اهـ بتصرف من «السلسلة الضعيفة» للإمام الألباني رحمه الله (١/رقم ١١٤)، وانظر «ضعيف الجامع» (٥٥٩٥).

(٢) (ضعيف مرسل).

أخرجه الترمذي (١٩٥٢)، والبخاري في «تاريخه» (١/٤٢٢)، والحاكم (٤/٢٦٣)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/٣٠٨) وغيرهم من حديث سعيد بن العاص الأموي، وفي سنده عامر الخزاز وهو

عامر بن صالح بن رستم ضعيف كما في ترجمته من «التهذيب»، وأيوب بن موسى هو ابن عمرو بن =

وقال أيضاً: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم»^(١)، وكان يمر بالصبيان فيسلم عليهم^(٢) ليعلمهم الآداب، وكان يحمل الصبيان في صلاته^(٣)، وهو سيد الكائنات وأشرف المخلوقات، وإنه ليقول ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم على تركها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»^(٤)، فيالها من أوامر وأكرم بها من تعليمات.

=

سعيد العاصي ثقة لكن لم يسمع من جده، وبه أعل الحديث الترمذي والبخاري والذهبي وضعفه العقيلي والعلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (١١٢١).
وزاد العلامة الألباني رحمه الله علة ثالثة، وهي جهالة موسى بن عمرو بن سعيد والد أيوب، وسعيد بن العاص الأموي مات النبي ق وله تسع سنين، فحديثه مرسل كما تقدم.
(١) أخرجه البخاري (٢٥٨٧) ومسلم (١٦٢٣) (١٣) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.
(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٦٢٤٧) ومسلم رقم (٢١٦٨).
(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٥١٦) ومسلم (٥٤٣).
(٤) (حسن لغيره).

أخرجه أحمد (٢/ ١٨٠، ١٨٧)، وأبوداود (٤٩٥ و ٤٩٦) وغيرهما من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وفي سنده سوار بن داود المزني البصري، قلب وكيع اسمه إلى داود بن سوار، فأخطأ كما ذكر الإمام أحمد عقب الحديث، وانظر «العلل» (١/ ١٤٩).
وسوار بن داود هذا مختلف فيه، والراجح أنه ضعيف يصلح حديثه في الشواهد، وله متابع كما في تحقيق «مسند أحمد» (١١/ ٢٨٦) والإسناد إلى المتابع فيه نظر.

لكن للحديث شاهد من حديث سبرة بن معبد الجهني، أخرجه أحمد (٣/ ٤٠٤)، وأبوداود (٤٩٤)، =

والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿[التغابن: ١٤-١٥].

=

والترمذي (٤٠٧) وغيرهم، وفي سنده عبد الملك بن الربيع بن سبرة الجهني ضعفه ابن معين، وقال ابن حبان: منكر الحديث جداً، ولم يوثقه معتبر، وأخرج له مسلم متابعة، فمثله يكون في الشواهد. وشاهد آخر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٥٠)، وفي سنده محمد بن الحسن بن عطية العوفي متفق على ضعفه كما في «التهذيب». وشاهد آخر من حديث أنس رضي الله عنه، أخرجه الدارقطني (١/ ٢٣١)، وفي إسناده داود بن المحبر البصري متروك، كما في «التقريب»، فلا يفرح بحديث أنس وأبي هريرة أن يكونا شاهدين. وبالجملة فالحديث حسن لغيره على أقل أحواله، وقد صحح حديث عبدالله بن عمرو وسبرة الإمام الألباني رحمه الله في «الإرواء» رقم (٢٤٧ و ٢٩٨)، وحسنه شيخنا العلامة الفقيه يحيى بن علي الحجوري حفظه الله في «اللمع على إصلاح المجتمع» (٤٦١).

الخطبة الرابعة والعشرون

في السفور والحجاب

الحمد لله العظيم شأنه، العزيز سلطانه الدائم بره وإحسانه، نحمده تعالى جعل الحياء شعبة من الإيمان، ومن لا حياء له فناقص إيمانه.

ونشكره عز وجل أمر المرأة بالحجاب والتزام الأداب، وعليه يقوم أساس البيت وبنياه وهي من الشرف عنوانه، ولمجد أسرتها ترجمانه.

ونعوذ به تبارك اسمه أن يحيف^(١) رجال زماننا ونسوانه، عن تعاليمه العظيمة وطريقته المستقيمة، وما جاءت به سنة نبيه وقرآنه ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له حفظ حق المرأة وأعلى قدرها، وجعل الحياء شطرين بين الرجال والنساء، وما أسعد الحياة إذا حفظت المرأة شطرها.

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أصلح من هذه الأمة أمرها وأظهر للعالمين فخرها ودلها على الله بمكارم الأخلاق، وما ترك خصلة من الخير إلا ذكرها، ولا خصلة من الشر إلا وحذر الأمة عنها وزجرها^(٢).

(١) الحيف: هو الميل، كما في «لسان العرب» مادة: حيف.

(٢) يشير المؤلف رحمه الله تعالى بهذا الكلام إلى حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، =

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد القائل: «أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية»^(١) الحديث.

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين عرفوا من الشريعة سرها، وحفظوا للنساء حقوقهن وألزموا المرأة خدرها^(٢)، وعلى التابعين لهم بإحسان، الخائفين من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجَارُونَ﴾ لَا تَجَارُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصِرُونَ ﴿[المؤمنون: ٦٤-٦٥].

أيها الناس، كانت المرأة مهضومة مظلومة معدودة عند كثير من الرجال في سقط المتاع، وكانت أوربا وقوانينها الآثمة تسمح للآباء والأزواج أن تؤجر المرأة وتعار وتشتري وتباع.

=

أخرجه مسلم رقم (١٨٤٤).

(١) (حسن).

أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٠، ٤١٤)، وأبوداود (٤١٧٣)، والترمذي (٢٧٨٦)، والنسائي في «المجتبى» (٨/ ١٥٣)، وفي «الكبرى» (٩٤٢٢) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «جلباب المرأة المسلمة» (١٣٧)، وحسنه شيخنا الإمام مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (١/ ٦٣٤).

(٢) الخدر: ستر يُمدُّ للجارية في ناحية البيت، ثم صار كل ما وارك من بيت ونحوه خدرًا، كما في «لسان العرب» مادة: خدر.

وكانت شريعة الرومان تكتم فم المرأة عن الضحك والكلام، وتلحقها بالكلاب وضواري السباع، وكان العرب يورثونها ويئدونها صغيرة ولا تحضر مجالسهم ولا تشاركهم في أي اجتماع.

فحين جاءت شريعة الإسلام وأخرجت المرأة من الظلمات إلى النور، ارتفعت في إنسانيتها غاية الارتفاع، وصارت مكلفة ومطلقة التصرف ومشاركة للرجال في كثير من الأحكام والأوضاع^(١).

ويكلمها رسول الله ﷺ، ويخاطبها القرآن فيخبرها أن عملها كعمل الرجال عند الله لا يضاع، ويحد لها حدوداً ويفرض لها فروضاً ويخفف عنها من الأحكام ما تعجز عنه رقة العواطف وضعف الطباع، ويأمرنا بحسن معاملتها ويقول لنا: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعاً هات»^(٢)، والجنة تحت أقدام الأمهات^(١)، وخيركم خيركم

(١) قوله: «ومطلقة التصرف»، أي في حدود ما جاء به الشرع، ليس لها التصرف في كل شيء حتى وإن خالف الشرع.

وأما مشاركتها للرجل في كثير من الأحكام فهذا صحيح، وأما مشاركته في الأوضاع، فإن كان بعملها في بيتها وتربيتها أبنائها فنعم ذلك ونعمت المشاركة، وأما مشاركتها للرجل في عمله الخاص والاختلاط بالأجانب فلم يكن ذلك إلا في عهد قريب بدأ انتشاره من مصر.

ومعلوم في ديننا الحنيف تحريم اختلاط الرجال بالنساء الأجانب، ولزوم المرأة لبيتها وعملها الأسري في تربية الأولاد ونحوه، والحفاظ على عرضها وصون كرامتها من الذئاب البشرية، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٢٤٠٨) ومسلم (٥٩٣) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

لأهله^(٢)، واستوصوا بالنساء خيراً^(١)، وكذلك يرفع الإسلام شأن المرأة وتتبعه المدنية في سائر البقاع ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

=

(١) هذا الكلام مبني على حديث لا يثبت، قال العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (٢/ رقم ٥٩٣): حديث «الجنة تحت أقدام الأمهات، من شئن أدخلن، ومن شئن أخرجن» موضوع. رواه ابن عدي (١/ ٣٢٥)، والعقيلي في «الضعفاء» ... من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال العقيلي: هذا منكر، نقله الحافظ في ترجمة موسى بن عطاء وهو كذاب، كما سبق بيانه في الذي قبله، (يعني في الحديث رقم ٥٩٢).

قال: فيه موسى بن محمد هذا هو الدمياطي المقدسي كذبه أبو حاتم وأبوزرعة وابن حبان وموسى بن سهل الرمي.

ثم قال الشيخ رحمه الله: والشرط الأول من الحديث له طريق أخرى رواه أبو بكر الشافعي في «الرباعيات» والقضاعي والدولابي والخطيب في «الجامع» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيه منصور بن المهاجر، وأبو النضر الأبار لا يعرفان، والحديث منكر، قاله ابن طاهر كما في «فيض القدير» للمناوي.

ويغني عن هذا حديث معاوية بن جاهمة أنه جاء النبي ق فقال: يا رسول الله، أردت أن أغزو، وقد جئت أستشيرك، فقال: «هل لك أم؟»، قال: نعم، قال: «فألزمها، فإن الجنة تحت رجلها».

رواه النسائي (٢/ ٥٤)، والطبراني (١/ ٢٢٥/ ٢)، وسنده حسن إن شاء الله. اهـ بتصرف من «الضعيفة»، وانظر «صحيح الجامع» رقم (١٢٤٩).

(٢) هذا الكلام مبناه على حديث صحيح، أخرجه الترمذي (٣٨٩٥) من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه الإمامان الجليلان الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٢٨٥)، وشيخنا مقبل الوداعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٢/ ٥٠٤)، والحمد لله.

أي شيء تريده المرأة بعد هذا وقد نطق القرآن العظيم بقول الله جل ذكره: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ
الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وأي شيء يريده أذعياء المدينة واتباع الشيطان الرجيم، من تحرير المرأة والخروج بها عن
الصراط المستقيم، أيعدون الحجاب ولبس الجلباب هضمًا لحقها وحكمًا برقها، وكذلك
يدعي كل أفاك أثيم.

إن المبالغة في سترها بالتزام خدرها وكتف سرها هو منتهى سعادتها وغاية صونها، عما
يريد بها الفاحش الزنيم^(٢)، وإذا ختلط الرجال بالنساء واجتمعوا في المجالس والأندية
والأسواق والمعامل، فعليك يا دنيا العفا وعلى الأخلاق سلام قولاً من رب رحيم.

وهل أوقع الناس في البلاء، وساقهم إلى الفناء، إلا ظهور الزنا، واختلاط الرجال
بالنساء، والجهل مع العفاف، أبر عند الله من هذه التعاليم، وما تفسد الأخلاق في الأمة إلا
وسقط كيائها وأذاقها الله لباس الخوف والجوع، والعذاب الأليم ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ * وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [هود: ١٢١-١٢٢].

كذب وزور ما يدعيه محررو المرأة وأنصار السفور، وفتنة ما يسوقونها إليه من مشاركة
الرجال في مهمات الأمور، فما هن وللحمامة والقضاء وميادين الرياضة ومستحبات أهل

=

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري رقم (٥١٨٥ و ٥١٨٦)،
ومسلم (١٤٦٨) (٥٩) (٦٠).

(٢) الزنيم: هو الذي يعرف بالشر واللؤم، كما في «لسان العرب» مادة: زنم.

الفجور، وماذا يصنع الرجل بالمرأة إذا لم يكن له بالمعروف عليها نفوذ ولو كانت من الحور، ولربات الحجاب مع أزواجهن في الأكواخ^(١) حياة هي أسعد من حياة السفارات في القصور، ومتى تكشفت المرأة في الأسواق والشوارع والمجتمعات العامة غاض ماؤها وذهب بهاؤها، فحل بها الدبور ووقعت في الويل والشبور.

وإذا صافحت ومازحت تساهلت بعرضها وتسامحت فكانت عليها لعنة الناظر والمنظور، وكانت مخالفة لقول الله تعالى في سورتي «الأحزاب والنور»: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

يا أيتها المسلمة المعتزة بشرف الإسلام والإيمان، هل أنت عاملة بأوامر دينك و متمسكة بالقرآن، أم أنت عصرية سافرة مركبها الجهل وقائدها الشيطان، ورائدها الفتنة، وسائقها الهوى، ومقصدها الفاحشة، وكذلك دأب النساء في آخر الزمان.

(١) الأكواخ: جمع كوخ، وهو بيت من قصب بلا كوة، كما في «لسان العرب» مادة: كوخ.

فإن كنت مسلمة في الظاهر والباطن ومؤمنة بالقلب واللسان، فلا تشركي بالله شيئاً، ولا تسرقِي ولا تزني، وإياك وافتراء البهتان، فإن العين زانية والأذن زانية واللسان زان، والقلب يتمنى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه^(١).

ولم تؤمر المرأة بالحجاب إلا لتصان، والاختلاط فتنه والسفور محنة، وقلة الحياء لعنة، ونبذ التقاليد الدينية والعادات القومية من ضعف الكيان^(٢)، واحتقار الذات والاستخفاف بكرامة الأديان^(٣)، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢].

يا أيتها الحرة الطاهرة ذات الكرامة والعفاف، يا سلالة الأكرمين والأماجد، ويا ابنة السادة الأشراف، لا يستزلك الشيطان والسافرات الفجارات لمخالفة الدين وعادات الآباء والأمهات وجميل الأوصاف.

(١) يشير المؤلف رحمه الله بهذا الكلام إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٦٢٤٣) ومسلم (٦٦١٢) (٢٦٥٧) (٢١).

(٢) تقدم التنبيه على إطلاق لفظة عادات وتقاليد على أحكام الدين، وأن الأولى اجتنابها. وأما التقاليد القومية فإن كانت موافقة للكتاب والسنة فيؤخذ بها، وإن كانت مخالفة للكتاب والسنة فلا يلتفت إليها.

(٣) الصواب أن يقول المؤلف رحمه الله: بكرامة الدين؛ لأن بقية الأديان قد نسخت بديننا الحنيف، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وما كانت النساء المسلمات المحصنات المؤمنات من الأسلاف إلا مدبرات المنازل، ومربيات البنين، وعليهن مع الحجاب أمر الداخلية، وذلك غاية الإنصاف.

وما من امرأة تعبد ربها وتطيع زوجها، وتحفظ فرجها، وتلزم بيتها، إلا رضي الله عنها وأرضاها^(١)، وأمنها يوم يفزع غيرها ويخاف، فقومي بما عليك، ودعي ما ليس إليك، ليكون الخير في يديك.

- (١) يشير المؤلف رحمه الله بهذا الكلام إلى حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، أخرجه أحمد (١/١٩١)، وفي سنده ابن لهيعة ضعيف خلط بعد احتراق كتبه.
- وله شاهد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (١٤٦٣ و١٤٧٣)، وابن عدي في «الكامل» (٤/١١٥) وفي سنده رواد بن الجراح العسقلاني صدوق اختلط بأخرة فترك، وفي حديثه عن الثوري ضعف كما «التقريب»، وهو هنا من هذا القبيل.
- وله شاهد آخر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه ابن حبان (٤١٦٣)، وفي سنده داهر بن نوح الأهوازي، ذكره ابن حبان في «الثقات» (٨/٢٣٨) وقال: ربما أخطأ، وقال الدارقطني في «العلل»: شيخ لأهل الأهواز ليس بقوي في الحديث.
- وفيه هدبة بن المنهال ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح» (٩/١١٤) وذكر عنه راويان، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، ولم يوثقه سوى ابن حبان (٧/٥٨٨)، وقد صححه المحدث الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٦٦٠).
- وله شاهد آخر من حديث عبدالرحمن بن حسنة، أخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٤/٣٠٦)، وفي سنده ابن لهيعة ضعيف، وسعيد بن عفير قال الهيثمي: لم أعرفه. اهـ.
- قلت: هو سعيد بن كثير بن عفير صدوق من رجال الصحيحين، فالحديث بمجموع طرقه وشواهده يرتقي للحجية، وقد صححه المحدث الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» رقم (٦٦١).

ولا تقصري في الواجب ولا تسرفي في الطلب، فإن الله يكره أهل التقصير والإسراف^(١)، وخير الأمور أوسطها، وما جاوز شيء حده إلا وكانت نتيجته البخس أو الإجحاف، ومن أمر بالخير وفعله، ونهى عن الشر وتركه طمعاً في الثواب وخوفاً من العقاب، فهو المؤمن حقاً، وفيه يقول خفي الألفاظ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

من أشرط الساعة وعلامات القيامة كثرة النساء، وقلة الرجال^(٢)، ومنها طلوع الشمس من مغربها^(٣)، وخروج الناس عن الدين، وفيضان المال^(٤).
وإذا كثرت الأطماع واختلفت الأهواء ظهرت الفتنة وشبت الحرب نارها بالقتل والقتال، فيموت الرجال وما يكون للخمسين امرأة إلا القيم الواحد^(٥)، فتتحل عقد الفضيلة غاية الانحلال.

(١) قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، وقال النبي ق: «إن الله يكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» متفق عليه.

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٨١)، ومسلم (٢٦٧١) (٩).

(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، أخرجه مسلم (٢٩٤١)، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٤٦٣٥) ومسلم (١٥٧).

(٤) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري (١٠٣٦ و ١٤١٢).

(٥) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٨١) ومسلم =

وما ترك النبي ﷺ فتنة يخافها على أمته أضر من النساء على الرجال^(١)، فهن حبايل الشيطان^(٢) وأتباع الدجال^(٣)، وإذا فقدن الحياء فلا طاعة ولا امتثال، ولا رادع لهن من فعل ولا مقال، وما ضرب الحجاب إلا لصون الكرامة والجمال من عبث أهل الضلال، والسافرة معرضة للشر بالغدو والأصال ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

=

(٢٦٧١).

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما، أخرجه البخاري رقم (٥٠٩٦) ومسلم رقم (٢٧٤٠).

(٢) هذا الكلام مبناه على حديث ضعيف، أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٥٥ و ١١٦)، كما في «الضعيفة» للشيخ الألباني رحمه الله من حديث زيد بن خالد الجهني، وفي سنده عبدالله بن مصعب بن خالد بن زيد الجهني، قال الذهبي رحمه الله: روى عن أبيه عن جده خطبة منكورة، وفيهم جهالة. «الميزان» (٥٠٦/٢).

وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢٤١-٢٤٢) من حديث عقبة بن عامر، وفي سنده عبدالعزيز بن عمران بن أبي ثابت الزهري متروك.

وأخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (١/٦٦) من حديث عائشة رضي الله عنها، وفيه أبوبكر بن أبي مريم ضعيف، وقد ضعف الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٢٤٦٤).

(٣) هذا الكلام مبناه على حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه أحمد (٦٧/٢)، وفي سنده محمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن، وشاهد آخر من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أخرجه ابن ماجه (٤٠٧٧)، وفي سنده إسماعيل بن رافع الأنصاري المدني ضعيف.

روى الحاكم والطبراني عن ابن مسعود عن النبي ﷺ عن ربه قال: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه»^(١).
 وروى الطبراني والإمام أحمد عن النبي ﷺ: «ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة، ثم يغض بصره، إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه»^(٢)، ومن يضبط نفسه ويغض

(١) (ضعيف).

أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ رقم ١٠٣٦٢) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وفي سنده عبدالرحمن بن إسحاق الواسطي ضعيف كما في «التقريب».
 وقد اختلف الرواة عنه، فمنهم من جعل الحديث عن حذيفة، أخرجه الحاكم (٤/ ٣١٣-٣١٤)، والقضاعي في «مسند الشهاب» رقم (٢٩٢)، ومنهم من جعله عن ابن عمر، أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» رقم (٢٩٣).

وعلى كل فمدار الحديث على عبدالرحمن بن إسحاق هذا وهو ضعيف كما تقدم، وقد ضعف الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (١٠٦٥)، والحمد لله.
 تنبيه: الحديث لم يخرج الحاكم من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، فعزو المؤلف رحمه الله الحديث إليه يعتبر وهمًا، وإنما أخرجه من حديث حذيفة رضي الله عنه كما رأيت.
 (٢) (ضعيف جدًا).

أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٤)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٠٨) رقم (٧٨٤٢)، والبيهقي في «الشعب» (٥٤٣١) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، وفي سنده عبيدالله بن زحر الإفريقي، قال ابن حبان: عبيدالله بن زحر منكر الحديث جدًا يروي الموضوعات عن الأثبات، وإذا روى عن علي بن يزيد أتى بالطامات، وإذا اجتمع في إسناد خبر عبدالله وعلي بن يزيد والقاسم أبو عبدالرحمن لم يكن ذلك الخبر إلا مما عملته أيديهم. اهـ «المجروحين» (٢/ ٦٢-٦٣).
 =

بصره ويحفظ فرجه عن محارم الله إلا المؤمن الخائف من الله في سوقه وسربه، والمرأة أحبولة الشيطان^(١) يصطاد بها الرجال فيهلكه بحبها ويفتنها بحبه، فإذا رأته واجتمعت به خرجت بعد عن الأدب والحياء، وشغلته بنفسها عن دينه وكسبه.

وما أمر النساء بملازمة البيوت، وأن يدين عليهن من جلابيهن ويضربن بخمرهن على جيوبهن إلا اتقاء الفتنة وحذرًا من الشر، وما أخطر الرجل على المرأة وما أملكها للبه، ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

ولا تدخلوا عليهن البيوت إلا مع الأزواج والمحارم، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه والمؤمن لا يتجاوز حد الله ولا يقف بقربه ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

قال رسول الله ﷺ: «ما من صباح إلا وملكان يناديان: ويل للرجال من النساء، وويل للنساء من الرجال»^(٢).

=

وعلي بن يزيد الألهاني ضعيف كما في «التقريب»، بل قال النسائي والدارقطني: متروك، وقد ضعف الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (١٠٦٤).
(١) هذا الكلام مبناه على حديث ضعيف تقدم تخريجه قبل.
(٢) (ضعيف جدًا).

أخرجه ابن ماجه رقم (٣٩٩٩)، وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» رقم (٩٦٣)، وابن عدي في «الكامل» (٤٩٥/٣)، والحاكم (١٦٠/٢) و(٥٥٩/٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

=

وقال عليه السلام: «لتغضن أبصاركم ولتحفظن فروجكم أو ليكسفن الله وجوهكم»^(١).

وقال عليه السلام: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»^(٢).

وقال أيضاً: «صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»^(٣).

=

وفي سنده خارجة بن مصعب السرخسي متروك، وكان يدلّس عن الكذابين، ويقال: إن ابن معين كذبه، كما في «التقريب»، وقد ضعف الحديث الذهبي في «التلخيص»، والعلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٢٠١٨).

(١) (ضعيف جداً).

أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠٨/٨) رقم (٧٨٤٠) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، وفي سنده عبيد الله بن زحر متروك، وعلي بن يزيد الألهاني ضعيف جداً كما تقدم قبل، وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «جلباب المرأة المسلمة» ص (١٨)، وشيخنا المحدث يحيى بن علي الحجوري حفظه الله في «اللمع على إصلاح المجتمع» (٢٤١).
(٢) (حسن).

أخرجه الروياني في «مسنده» (٢٢٧/٢) كما في «الصحيحة» للعلامة الألباني رحمه الله رقم (٢٢٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/٢) رقم (٤٨٦ ٤٨٧) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في «الصحيحة» المصدر المتقدم.

(٣) أخرجه مسلم (٢١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والله تعالى يقول: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَغْفِرْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٠].

الخطبة الخامسة والعشرون

في آفات اللسان

الحمد لله الذي لا يقول إلا حقًا، ولا يعد إلا صدقًا، ولا يأمر إلا رفقا، فعابده يعز ويرقى، وجاحده يذل ويشقى، نحمده تعالى تعبداً ورقاً، ونشكره عز وجل عملاً ونطقاً. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تبارك تقديرًا وخلقًا، وجل تدبيرًا ورزقًا، ونعوذ به من القيل والقال وسوء الحال وفضول الكلام وفتنة الشيطان الرجيم. ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله سيد الخلق طرا، وأشهرهم ذكرًا وأرفعهم قدرًا، وأعظمهم فخرًا، وأكثرهم تحملاً وصبرًا، وأجلهم مكانة وأقدسهم طهرًا، وأعفهم سرًا وجهرًا، وأطوعهم لله نهيًا وأمرًا.

قد خاطبه ربه في الذكر الحكيم، بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٌّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٠-١٣].

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد خير الأنام، عنوان الشرف ومسك الختام، والقائل

ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام»^(١).

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أولي النهى والأحلام، وعلى التابعين لهم بإحسان في حفظ اللسان وقلة الكلام، أفضل صلاة وسلام، ما دامت الليالي والأيام،

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٠٥٦) ومسلم (١٠٥) واللفظ له، من حديث حذيفة رضي الله عنه.

وعلينا ومعهم وفيهم يا ذا الجلال والإكرام، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

عباد الله، آفة الإنسان من الفرج واللسان، والمؤمن ليس بطعان ولا مغتاب، ولا نمام ولا مفتر لبهتان، وليس بكذاب ولا زان، ومن حفظ ما بين لحييه وفخذه فقد فاز بالأمان والنجاة من الشيطان، واستحق الضمان بالجنة والرضوان، في قول سيد ولد عدنان ﷺ:

«من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه، أضمن له الجنة»^(١).

فما أسهل العمل وما أعظم الأجر يا أهل الإيمان، والله تعالى يقول في محكم القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

الغيبة والنميمة داءان عضالان، منتشران في الأسواق بين الشيوخ والشبان، وحتى في بيوت الله ومواضع الصلاة تسمع بعض الناس وقد أطلق اللسان، في تمزيق أعراض المؤمنين بالغيبة والبهتان، ونقل الكلام من فلان إلى فلان بقصد الافتتان.

وما ينم ولا يغتاب إلا خبيث النفس أو جبان، ثقيل طبعه على الناس خفيف عمله في الميزان، يخاف منه الكريم كما يخاف من الثعبان، ويطمئن إليه اللئيم لأنه شيطان، يفرق بين

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٤٧٤) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

الإخوان ويفعل بين الأصدقاء والخلان فعل النار في الهشيم، ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

النمام من الذين يسعون في الأرض فسادًا، ويحاربون الله ورسوله والمؤمنين، وهو معدود من السحرة عند كثير من المفسرين^(١)، يفرق بين المرء وزوجه، ويباعد ما بين الآباء والبنين.

فقلبه خبيث، ولسانه حلو الحديث، وطالعه مشئوم، وصنيعه مذموم، وعمله مما تعجز عنه الشياطين^(٢)، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٥].

ولا يصلح الله عمل المفسدين، ذنوبك أيها النمام عظيمة، ونفسك لئيمة، وأية جريمة هي عند الله كالنميمة، فنعوذ بالله من القيل والقال وفتنة النمامين، الذين لا يعيشون إلا في الماء العكر، ولا تطيب لهم المجالس إلا بإغراء العداوة بين المسلمين، أولئك هم شرار الخلق

(١) قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن صاحب «فتح المجيد» (٢/ ٤٨٤) / ت: الفران: / وذكر ابن عبدالبر عن يحيى بن أبي كثير قال: يفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة. وقال أبو الخطاب في «عيون المسائل»: ومن السحر السعي بالنميمة والإفساد بين الناس. وانظر «الفروع» لابن مفلح (٦/ ١٨٠).

(٢) بل عمله من وسوسة الشياطين وتسلطهم عليه ولعبهم به.

عند الله^(١) ، وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا
وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المتحنة: ٥].

من لوث فاه بالكذب والغيبة والنميمة والسباب، فقد أكل لحوم الناس وولغ في
أعراضهم كما تأكل الجيف، وتلغ في الدماء جائعات الكلاب، وكم في السنة والكتاب من
الوعيد بسوء المصير والمآب لكل أفاك أثيم، أو مشاء بالنميم أو مفتر كذاب.

وجميع هذه الخصال مذمومة باتفاق أهل الأديان، وخارجة عن الفضيلة والآداب،
والمؤسف أن أكثر المتخلقين بها من المسلمين المؤمنين بالثواب والعقاب، وأبعد الناس عن
هذه الأوصاف هم الكفار من المشركين وأهل الكتاب.

فنبئوني أيها السامعون من الشيب والشباب، لماذا لا نعمل بتعاليم ديننا؟!، ولا نتخلق
بأخلاق نبينا؟!، لقد ذهب الرشد والصواب، وأصبحنا نقول ما لا نفعل، ونشتغل
بالقشور وغيرنا يتمتعون باللباب^(٢) ، ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ
لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠-٦١].

(١) ليس ذلك على الإطلاق، إنما شرار الخلق عند الله الكفرة بأنواعهم من يهود ونصارى ومجوس
وغيرهم، قال الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ
هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ .
وكان الصواب أن يقول المؤلف رحمه الله: أولئك من شرار الخلق عند الله؛ لأن أصحاب النميمة عصاة
وليسوا كفاراً، إلا إذا كانوا مستلحين فالمستحل لما حرم الله يكفر كما هو معتقد أهل السنة والجماعة.

(٢) قوله: (ونشتغل بالقشور وغيرنا يتمتعون باللباب) إن كان يقصد بهذا الكلام أن أصول الدين لباب =

مجالسنا في الأسواق والأندية والقهوات ومبارز القات، لا نسمع فيها إلا لغواً وتأثيماً، ولا نرى فيها إلا أفكاً أثيماً.

فيا لها من كلمات تضح لها الأرض والسموات سفاهة وفحشاً، وألسنة تنهش الأعراض نهشاً، وجوه لا تستحي، وقلوب لا تخشى، ومن لم يستح فليصنع ما شاء.

فما تنفع العظا، ولا تؤثر الآيات البينات، في من مات، آه على الأمهات والبنات، والأخوات والزوجات، من ألسنة السفهاء المستخفين بالآداب والكرامات، المتساهلين بقول رسول الله ﷺ: «السبع الموبقات»، وقد عد منها قذف المحصنات الغافلات

المؤمنات^(١)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣]، أليس من العار أن نرى رجلاً ذا لحية وسبحة^(٢) وعمامة، فتحسبه شيخاً وقوراً، أو عالماً مشهوراً، حتى إذا سمعت كلامه، سمعت خلاعة وبذاءة، وثرثرة ولأمة، والعالم قد هياً للسباب أوراقه وأقلامه، وجرد من لسانه حسامه^(٣)،

=

وفروعه قشور، فهذا الكلام خطأ يجب العدول عنه إلى الصواب، وأن الدين كله لباب أصوله وفروعه، والحمد لله، وقد تقدم التنبيه على ذلك.

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٢٧٦٦) ومسلم رقم (٨٩).

(٢) تقدم الكلام على مسألة السبحة، والخلاصة أن اتخاذها بدعة محدثة، يجب اجتنابها والانتها عنها.

(٣) هذا الكلام يحتاج إلى تفصيل، فإن كان يقصد المؤلف رحمه الله أن يبين بدع المبتدعين والإنكار عليهم والتحذير من باطلهم يعتبر سباً، فهذا الكلام يعتبر منه باطلاً كان يجب عليه اجتنابه؛ لأن إنكار =

وأصحاب الجرائد يرسلون من الكلام سهامه على المصلحين وأصحاب الكرامة، والأنذال والسفهاء يستطيلون في أعراض الفقهاء وأهل الاستقامة، تلك أشرط القيامة^(١).

فهل من توبة أو طلب للسلامة قبل حلول الندامة ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٤].

قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(٢).

وقال ﷺ: «رحم الله امرءاً قال خيراً فغنم، أو سكت عن شر فسلم»^(٣).

=

المنكر والبدع والأهواء من باب النصيحة للمسلمين، والأخذ بأيديهم إلى طريق النجاة. وإن كان يقصد بكلامه هذا أن بعض العلماء هياً للسبب أوراقه وأقلامه بغير حق ولا برهان ولأغراض في النفوس، فهذا الكلام يعتبر صواباً.

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً: «بين يدي الساعة سنوات خداعة» ومنها: «والسفيه يتكلم في أمر العامة»، وقد تقدم تخريجه ضمن تخريج حديث: «ليأتين على الناس زمان يكذب فيه الصادق...» تحت الخطبة (١٤).

(٢) أخرجه البخاري رقم (٦١٣٦) ومسلم رقم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) (ضعيف).

أخرجه البغوي في «حديث كامل بن طلحة» (٣/٢)، كما في «الصحيحة» (٥١٠/٢)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» رقم (٤١)، والبيهقي في «الشعب» (٤٥٨٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» رقم (٥٨١) عن الحسن به مرفوعاً مرسلًا، فهو ضعيف لإرساله.

وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» رقم (٣٦٤) من طريق خالد بن أبي عمران به مرسلًا، ومع إرساله فيه ابن لهيعة ضعيف.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (٧٧٠٦) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وفي سنده عفير بن =

وقال عليه السلام: «وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو قال: على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم» ^(١).

وقال عليه السلام: «الربا اثنان وسبعون باباً، أدناها مثل إتيان الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه» ^(١).

=

معدان الحمصي ضعيف كما في «التقريب».

وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٤٥٨٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥٨٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وهو من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين وفيها ضعف، فالحديث لا يرتقي إلى الحجة.

وقد حسن الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٨٥٥)، ويغني عنه حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أخرجه الحاكم (٢٨٦-٢٨٧/٤)، ولفظه: «قولوا خيراً تغنموا، واسكتوا عن شر تسلموا» صححه العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٤١٣)، وشيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٤٥٩-٤٦٠) والحمد لله.

(١) (صحيح بطرقة وشواهد).

أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٢٣١/٥) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وفيه انقطاع بين أبي وائل شقيق بن سلمة ومعاذ بن جبل رضي الله عنه.

وله طرق أخرى راجعها في تحقيق «مسند أحمد» (٣٦/٣٤٥-٣٤٧)، والأضواء السبابة في تخريج الأربعين النووية» (١٧٣-١٧٨)، والفقرة التي بين أيدينا لها شاهد صحيح من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وهو في «الصحيحة» للإمام الألباني رحمه الله (٤١٣)، و«الصحيح المسند» لشيخنا الإمام مقبل الوادعي رحمه الله (٤٦٠/١).

وقد صحح حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه الإمام الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (١١٢٢).

(١) (ضعيف، وقوله: «إن أرى الربا» لها شاهد تصح به).

والحديث أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧/رقم ٧١٥١) عن البراء بن عازب رضي الله عنه، وفي سنده عمر بن راشد اليمامي ضعيف كما في «التقريب»، وأحاديثه عن يحيى بن أبي كثير خاصة مناكير، قاله أحمد والبخاري كما في «التهذيب»، وهو هنا من هذا القبيل.

وله شاهد آخر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أورده ابن أبي حاتم في «العلل» (١/٣٩١) رقم (١١٧٠) وسئل عنه أبو زرعة فقال: هذا حديث منكر. اهـ

قلت: في سنده إبراهيم بن عمر الصنعاني مستور كما في «التقريب».

وله شاهد آخر من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أخرجه ابن ماجه (٢٢٧٥) مختصراً، والحاكم (٣٧/٢)، وظاهر إسناده الصحة، لكن قال البيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٣١): هذا إسناد صحيح والمتن منكر بهذا الإسناد، ولا أعلمه إلا وهماً، وكأنه دخل لبعض رواة الإسناد في إسناده. اهـ

وذكر الجملة الأولى منه وهي قوله: «الربا ثلاثون وسبعون باباً» شيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (١/٦٦٧).

وله شاهد آخر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه ابن الجارود (٦٤٧)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/٢٥٧)، وابن عدي في «الكامل» (٥/١٩١٣)، والبيهقي في «الشعب» (٥١٣٣)، وفيه رواية عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير مضطربة، وقد اضطرب في هذا الحديث، فتارة يرويه عن أبي هريرة، وتارة يرويه عن عبدالله بن سلام.

وحديث عبدالله بن سلام روى موقوفاً، والموقوف له طرق، منها:

١- ما أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٢/٢٥٨) وسنده ضعيف؛ لأنه من رواية عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير، وهي مضطربة كما تقدم.

٢- أخرجه البيهقي في «الشعب» (٥١٢٩)، وإسنادها منقطع بين زياد بن أسلم وعبدالله بن سلام.

٣- أخرجه عبدالرزاق (١٠/٤٦٠)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (٥١٢٦) وفيها انقطاع =

ومر عليه الصلاة والسلام بقبرين جديدين فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير،
وأما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستبرئ من البول»^(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «النميمة والشتيمة والحمية في النار»^(٢).

والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَّى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

=

عطاء بن أبي مسلم لم يسمع من عبدالله بن سلام.
فالحديث بهذه الشواهد لا يرتقي للحجية، ومع ذلك فقد صححه الإمام الألباني رحمه الله في «الصحيحة»
رقم (١٨٧١)، لكن قوله في آخر الحديث «وإن أربى الربا..» لها شاهد صحيح من حديث سعيد بن
زيد رضي الله عنه، أخرجه أبوداود (٤٨٧٦)، وصححه شيخنا مقبل الوداعي رحمه الله في «الصحيح
المسند» (١/ ٣٦١).

(١) أخرجه البخاري رقم (٢١٦ و ٢١٨)، ومسلم (٢٩٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) (ضعيف).

أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٣٦١٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
قال الشيخ الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٤٧٠٣): فيه محمد بن يزيد بن سنان الرهاوي، وأبوه
يزيد ضعيفان، والأب أشد ضعفاً من الابن. اهـ.
وانظر ما سيأتي تخريجه تحت الدائرة الخامسة في أواخر الكتاب إن شاء الله تعالى.

الخطبة السادسة والعشرون

في التحذير من الحسد

الحمد لله على نعمه التي لا تُعدُّ، وعلى إحسانه الذي لا يحُد، صاحب الفضل العظيم على كل أحد، عوذ نبيه محمدًا ﷺ من شر النفاثات في العقد، ومن شر حاسد إذا حسد فعليه المعتمد وإليه المستند ومنه المستمد، وله الملك وله الحمد هو حسبي ونعم الوكيل، ونعم المولى نعم النصير.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له بيده الفضل وهو الفصل، قال تعالى في «سورة النحل»: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل: ٩٠].

ومنه ألا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تعاملوا بالكذب والخيانة والزور والمطل، ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الأجل، بعثه ربه بالحنيفية السمحة^(١) والدين السهل، فجاء بما لا يخالف العقل ولا يباين صحيح النقل.

(١) هذا الكلام صحيح، ومبناه على حديث أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/١٩٢) عن حبيب بن أبي ثابت مرفوعاً، وهذا مرسل رجاله ثقات، وفيه برد الحريري، قال الشيخ الألباني رحمه الله في «غاية المرام» رقم (٨): لم أعرفه، ثم بين حاله في «الصحيحة» بأنه مجهول حال تحت حديث رقم (٢٩٢٤). وأخرجه أبوبكر بن سلمان الفقيه في «مجلس من الأمالي» (١/١٦)، كما في «غاية المرام» رقم (٨)، ومن هذا الوجه أخرجه ابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد» (٣/٥)، وكذا الخطيب في «تاريخه» (٧/٢٠٩) من حديث جابر مرفوعاً.

فأكرم بسيد الأولين والآخرين من بشير، وأعظم بخاتم النبيين والمرسلين من نذير،
اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد الكامل في الحسب والنسب، والراقي إلى معالي الرتب.
والصادق المصدوق في العجم والعرب، والقائل ﷺ: «إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل
الحسنات كما تأكل النار الحطب»^(١).

=

وفيه مسلم بن عبدربه، قال الذهبي في «الميزان»: ضعفه الأزدي، لا أدري من ذا، قلت: وفيه أبو الزبير
مدلس وقد عنعن، ومن هذا الوجه ضعفه المحدث الألباني رحمه الله في «ضعيف الجامع» (٢٣٣٧).
وأخرجه أحمد (٢٣٦/١)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٢٨٧) من حديث ابن عباس رضي الله
عنهما قال: قيل لرسول الله ق: أي الأديان أحب إلى الله؟ فقال: «الحنيفية السمحة».
وفي سننه ابن إسحاق مدلس وقد عنعن، وداود بن الحصين ثقة إلا في روايته عن عكرمة فهي منكرة،
وهو هنا كذلك، وقد حسن الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٨٨١).
وللحديث شاهد من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه أحمد (١١٦/٦)، ولفظه: «إني أرسلت
بحنيفة سمحة»، وفي سننه عبد الرحمن بن أبي الزناد ضعيف يعتبر به.
وشاهد آخر من حديث أبي أمامة، أخرجه أحمد (٢٦٦/٥)، وفي سننه معان بن رفاعة السلامي لين
الحديث كما في «التقريب»، وعلي بن زيد الألهاني ضعيف، فالذي يظهر أن الحديث بهذه الطرق
يصير حسناً لغيره وقد حسنه الشيخ الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٢٩٢٤).
(١) (ضعيف).

أخرجه أبوداود رقم (٤٩٠٣)، والبخاري في «تاريخه» (٢٧٢/١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه،
قال البخاري: لا يصح.

قلت: فيه إبراهيم بن أبي أسيد البراد المدني روى عنه اثنان وقال أبو حاتم: شيخ، فهو في الشواهد، وجده
أبو أسيد البراد، قيل اسمه أسيد بن أبي أسيد البراد مجهول حال كما في ترجمته من «التهذيب»، وقد
ضعف الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (١٩٠٢).

=

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه المتحبين إلى الله بأفضل القرب، وعلى التابعين لهم بإحسان في طهارة القلوب وسلامة الصدور وكمال الأدب ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١].

عباد الله: داء الحسد من أعظم الأدواء، والابتلاء به من أعظم البلوى، يحمل صاحبه على الدعوى ويبعده عن التقوى، ويركبه الأهواء فيضل ويغوى، يضيق صدره وينفطر قلبه بنعمة الله على أخيه، فيعاني من البؤس واللاء^(١)، ما لا يستطيع أن يبت مع حزناً ولا شكوى، خلق فسوى لم يحسن القسمة في أولاد حواء.

فخيره قليل وشره كثير، ولسانه طويل ونظره قصير، قاتل الله الحسود لا يفعل الخير، ولا يحبه لعباد الله، وإذا رأى نعمة الله على عبده ضاق بها ذرعاً وتمنى زوالها عنه قاتله الله. وما أوقع الشيطان في معصية الله إلا حسده لآدم وامتناعه من السجود بعد إذ أمره الله، وما حمل قابيل على قتل هابيل إلا حسده^(٢) لأخيه حين تقبل منه الله قربانه الذي أراد به وجه الله، وجنته ورضاه.

=

وفي الباب عن أنس رضي الله عنه أخرجه ابن ماجه (٤٢١٠)، وهو ضعيف جداً، في سنده عيسى بن أبي عيسى الحناط متروك كما في «التقريب».

(١) اللأواء: الشدة والضر، كما في «لسان العرب» مادة: لوي.

(٢) تسمية ابني آدم بقابيل وهابيل، وأن قابيل قتل هابيل هو قول الجمهور من السلف والخلف، كما في «تفسير ابن كثير» آية (٢٧)، ولم يثبت نص في تعيين اسميهما.

قال الشيخ أحمد شاكر: أما أنها ابنا آدم لصلبه فهو القول الثبت الصحيح الذي يدل عليه سياق الآيات =

وما منع المشركين من الدخول في هذا الدين إلا حسدهم لرسول الله ﷺ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ [الزخرف: ٣١]، أفلم يجد الله من يرسله إلا محمد بن عبدالله.

وما حمل أهل الكتاب على كراهة الإسلام، وصرف المسلمين عن كتاب الله، والإيمان بسيد رسله وخاتم أنبيائه إلا قوله تعالى: ﷺ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة: ١٠٩].

الحسود لا يسود ولا يبلغ المقصود، يقتل نفسه بيده، ويؤجج^(١) في صدره نار الخبث التي لا يشعر بها المحسود، ولو كان يملك خزائن الأرض لأمسك خشية الإنفاق والإنسان جحود ولربه كنود، وعدو المرء من يعمل بعمله، سواء في ذلك السيد والمسود، والقريب والبعيد، والوالد والمولود.

=

مؤيداً بالسنة الصحيحة، وأما تسميتهما قاييل وهابيل فإنما هو من نقل العلماء عن أهل الكتاب، لم يرد به القرآن ولا جاء في سنة ثابتة فيها نعلم. فلا علينا أن لا نجزم ولا نرجحه، وإنما هو قول قيل. اه نقله عنه الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في «معجم المناهي اللفظية» (٦٧٣).

(١) هو الإيقاد، كما في «لسان العرب».

وأكثر ما يكون الحسد بين العلماء^(١) وأهل المناصب العالية، والرتب السامية في هذا الوجود، ولكل فضيلة حد محدود إلا العلم ففضله ممدود، وشرفه مشهود، ولذلك يتنافس فيه المسلمون والمشركون، والنصارى واليهود^(٢).

وكل يريد أن يكون فيه صاحب القدح المعلى والمقام المحمود، ولذلك يكثر الحسد بين أهله، وما يعلم نيات العباد إلا ربهم المعبود ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: ٣١].

الحاسد لا ينظر إلا شزراً^(٣)، ولا ينطق إلا كفرًا، ولا يضمّر إلا غدرًا، ولا يعمل إلا شرًا، ولا يدبر إلا مكرًا، ثوبك الحديد لا يرضيه، ونعلك البراقة تؤذيه، وإذا رآك صحيح الجسم طلعت له الصفراء، وعاداك سرًا وجهراً.

(١) فائدة: قال ابن الجوزي: اعلم أنه لا يقع الحسد إلا في أمور الدنيا، فإنك لا ترى أحدًا يحسد قوام الليل ولا صوام النهار ولا العلماء على العلم، بل على الصيت والذكر. «صيد الخاطر» ص (٣٦٠) - (٣٦١).

(٢) أكثر تنافس المسلمين اليوم على علوم الدنيا، أما العلوم الشرعية فتنافسهم فيها قليل إلا من رحم الله. وأما اليهود والنصارى فصارت منافساتهم في علوم الدنيا، قال الله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

(٣) الشزر: النظر بمؤخر العين، وأكثر ما يكون النظر الشزر في حال الغضب، كما في «لسان العرب» مادة: شزر.

فإن كنت عالماً قال: هذا جاهل لا يفهم عرفاً ولا نكرًا، وإن كنت صانعاً لم يقم لك وزنا، ولم يعرف لك قدرًا، وإن كنت تاجرًا قال: هذا خائن وسيء المعاملة، فسبحان الله كيف أثرى.

وجملة القول إن الحاسد ميسر للعسرى، لا يعرف حمدًا ولا شكرًا، وما تنفع فيه المواعظ عذرًا ولا نذرًا ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملئ: ١٠-١١].

بضاعة الشيطان خمسة أصناف، يبيعها من قوم معروفين:

وهي الحسد وأهله العلماء، وأهل الحرفة الواحدة^(١)، مسلمين وغير مسلمين، والكبر وأهله الأنذال، والسفهاء ومن لا خير فيه من المحتقرين عند الله والناس أجمعين، والجور وأهله الملوك والعظماء والأمراء وأعوانهم من الفسقة الظالمين، والكيد وأهله النساء والضعفاء من الوشاة والنمامين.

والخيانة وأهلها التجار والسماسرة، ونعوذ بالله من شر الحاسدين والمتكبرين، وأهل الجور والكيد والخائنين، وبئست البضاعة بضاعة الشيطان.

(١) قال ابن حبان: وأكثر ما يوجد الحسد بين الأقربان، أو من تقارب الشكل؛ لأن الكتبة لا يحسدها إلا الكتبة، كما أن الحجة لا يحسدها إلا الحجة، ولن يبلغ المرء مرتبة من مراتب الدنيا إلا وجد فيها من يغيضه عليها أو يحسده فيها. اهـ من «روضة العقلاء» ص (١٣٦) بتصرف.

ويا ندامة المشترين، وفي الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله إلا وهي القلب،
كما يقول الصادق الأمين^(١)، ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ* أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٣-١٤].

ما فرق الناس شيعاً ولا صيرهم أحزاباً متباغضين إلا الحسد والحاسدون، وما ظهر
الخلاف بين المسلمين حتى ذهب مجدهم وضعف جندهم، واستبيح حدهم إلا حين ظهر
فيهم الحسد وكثر المتنافسون.

واستخفت الرعية بملوكها وأمرائها، وخرجوا عن الطاعة، ورأوا نعمة الله عليهم
فقالوا هذا لا يكون، وعز على ولاية الأمور والرؤساء أن يتمتع الرعية والمرءوسون بما
رزقهم الله من الخير وقالوا لهم كيف تعيشون؟ ومن أين تأكلون؟!!

وقال بعضهم لبعض: نحن أحق بالملك منهم، وكذلك الأولون، وخاف القضاة
والفقهاء والكتاب والمدرسون على وظائفهم التي بها يعززون، وعليها يعتمدون^(٢)، فدبر
كل منهم الكيد لصاحبه.

واتخذوا الدين هزواً ولعباً، وجعلوا العامة بضاعتهم التي بها يتجرون، وفيها يتباعدون
ويشترون، وسوف ينبئهم الله يوم القيامة بما كانوا يصنعون ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ

(١) أخرجه البخاري رقم (١٥٩٩) ومسلم رقم (٥٢) و(٢٠٥١) من حديث النعمان بن بشير رضي الله
عنهما.

(٢) بعد الله جلا وعلا.

نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْخِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ [الزخرف: ٣٢].

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٠٧].

هون على نفسك أيها الحاسد واسأل من الله الجواد الكريم، أن يعطيك من فضله العظيم وجوده العميم، مثلما أعطى أخاك من صحة وعافية وجاه عريض وملك كبير، وعلم كثير، وأولاد بررة ومال جسيم.

واعلم أن فضل الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وطب نفسك وقر عيناً بقسمة الله وقضائه وقدره فإنه عزيز حكيم.

وفي الحديث القدسي: «إن من عبادي لفقر، ولو أغنيته لكفر، وإن منهم لغني، ولو أفقرته لكفر»^(١).

(١) (ضعيف).

والحديث جاء عن جمع من الصحابة:

١- حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/رقم ٢٣١)، وأبونعيم في «الحلية» (٨/٣١٨، ٣١٩)، وفي سنده الحسن بن يحيى الخشني ضعيف كما في ترجمته من «التهذيب»، وقد تابعه من لا يفرح بمتابعته، وهو عمر بن سعيد الدمشقي عند البغوي في «شرح السنة» (١/١٤٢)، كما في «الضعيفة» (٤/٢٥٦)، وعمر قال الذهبي فيه: تركوه، وفيه أيضاً صدقة بن عبدالله وهو السمين ضعيف جداً كما في «التهذيب»، وهشام الكناي لم أجد له ترجمة، والحديث ذكره العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (١٧٧٥).

فسبحانه من ملك عظيم ومدبر حكيم، ومصير هذه الدنيا إلى الزوال فعلام يتحاسد الناس فيها وهم يعلمون أن متاعها قليل، وإنما هي كالسبيل إلى نعيم مقيم وعذاب أليم. فلا تحاسدوا ولا تباغضوا، ولا يحمل بعضكم على بعض حقداً، ولا يضر له غشاً، والله بما تعملون عليم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦].

قال عليه السلام: «دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، هي الحالقة، لا أقول حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين»^(١).

=

٢- حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٥/٦)، وفي سنده يحيى بن عيسى الرمي مختلف فيه، والراجح ضعفه، وفي السند من لا أعرفه، والحديث ذكره العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (١٧٧٤).

٣- حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٢٧٠/١٠) قال الهيثمي: وفيه جماعة لم أعرفهم.

(١) (منقطع).

أخرجه أحمد (١/١٦٥، ١٦٧)، والترمذي (٢٥١٠) من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه، وفيه انقطاع يعيش بن الوليد بن هشام الأموي المعيطي ثقة من الثالثة إلا أنه لم يدرك الزبير بن العوام، بينهما مولى لآل الزبير كما جاء مصرحاً به عند أحمد في الموضع الثاني، والترمذي، وصححه أبوزرعة كما في «العلل» لابن أبي حاتم (٣٢٧/٢).

فعلى هذا فالواسطة رجل مبهم ولا ندري ما حاله، وقد حسن الحديث لغيره الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (٣/٢٣، ٩٩).

وقوله: «البغضاء هي الحالقة» لها شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في «الأدب =

وقال عليه السلام: «كاد الفقر أن يكون كفراً، وكاد الحسد أن يغلب القدر»^(١).

وقال عليه السلام: «سيصيب أمتي داء الأُمم: الأشر، والبطر، والتكاثر، والتشاحن في الدنيا والتباغض، والتحاسد، حتى يكون البغي»^(٢).

=

المفرد» رقم (٢٦٠)، وفي سنده إبراهيم بن أبي سيد وجده مجهولا حال، وقد حسن الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الأدب المفرد» رقم (١٩٧)، والصواب أنه ضعيف لما رأيت.

(١) (ضعيف).

قال العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٤٠٨٠): قال في «المقاصد»: رواه أحمد بن منيع عن الحسن أو أنس مرفوعاً، وهو عند أبي نعيم في «الحلية» (٣/٥٣، ١٠٩) و(٨/٢٥٣)، وابن السكن في «مصنفه»، والبيهقي في «الشعب» (٢/٤٨٦ / ١)، وابن عدي في «الكامل» عن الحسن بلا شك. وفي سنده يزيد الرقاشي ضعيف.

وقال العراقي: رواه أبو مسلم الكشي والبيهقي في «الشعب» من رواية يزيد الرقاشي عن أنس، ويزيد ضعيف... قال في «مجمع الزوائد» (٨/٧٨): ورواه الطبراني في «الأوسط» عن أنس، وفيه عمرو بن عثمان الكلابي وثقه ابن حبان وهو متروك. اهـ

وروي من حديث ابن عباس في قصة الضب، رواه أبو بكر الطريشي في «مسلسلاته» (١٢٧-١٣١) وهو حديث موضوع، كما قال بعض المحدثين، ورواه نصر المقدسي في «مجلس من أماليه» (٢/١٩٥) و(١/١٩٦) عن علي بن أبي طالب، وإسناده مظلّم، ومن دون علي لم أعرفهم. اهـ بتصرف من «الضعيفة».

(٢) (ضعيف).

أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٩/٩٠١٦)، والحاكم (٤/١٦٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي سنده أبوسعيد الغفاري ترجمه الحافظ ابن حجر في «تعجيل المنفعة» (٢/٤٦٦-٤٦٧)، وابن أبي حاتم في «الجرح» (٩/٣٧٩)، والبخاري في «الكنى» له رقم (٣١٤)، وابن حبان في =

وقال عليه السلام: «الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل» ^(١).

وقال عليه السلام: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله هذا الكتاب، فقام به آناء الليل وآناء

النهار، ورجل أعطاه الله مالاً، فتصدق به آناء الليل وآناء النهار» ^(٢).

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

=

«الثقات» (٥/٥٧٣)، ولم يذكر من الرواة عنه سوى حميد بن هانئ وخلاّد بن سليمان الحضرمي ولم يوثقه معتبر فهو مجهول الحال.

تنبيه: وقع في بعض مصادر ترجمته أبوسعيد، في بعضها «أبوسعد» وصوب الشيخ الألباني رحمه الله أنه أبو سعد كما في «الصحيحة» (٢/٢٩١).

فالخاصل: أنه حديث ضعيف لجهالة حال أبي سعد أو سعيد الغفاري هذا، وقد صححه الإمام الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٦٨٠)، والحمد لله.

(١) (ضعيف).

قال العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٣٥٢٣): أخرجه الديلمي (٢/١٠١) من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعاً، وفي سنده مخيس بن تميم مجهول كما قال ابن أبي حاتم (٤/٤٤٢) عن أبيه وهشام بن عمار فيه ضعف من قبل حفظه. اهـ بتصرف

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٢٥) ومسلم (٨١٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، بلفظ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فقام به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فتصدق به آناء الليل وآناء النهار».

وأخرجه البخاري (٧٣) ومسلم (٨١٦) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري (٥٠٢٦).

الخطبة السابعة والعشرون

في الكبر والتواضع

الحمد لله الكبير المتعال، رب السموات والأرض وما فيهن، والعالم بكل حال، سبحانه جعل التكبر من صفات الأنذال، وجعل جزاء المتكبرين الهوان والإذلال، ولهم في الآخرة السلاسل والأغلال، يوم يسحبون في النار على وجوههم، وتأخذهم الملائكة من ذات اليمين وذات الشمال، يوم ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين.

نحمده تعالى تفرد بالكبر والعظمة، ومن نازعه في شيء منها قصمه ^(١)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فيما نقضه وأبرمه.

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي اجتباؤه فأكرمه، وأمره بإهانة المتكبرين ومن شرمهم عصمه، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد البدر الطالع، والسيد المطاع المتواضع، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن بإحسان يتابع، وعلى كل مسلم ومسلمة، وسامع وطائع، وعلينا ومعهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه مسلم (٢٦٢٠).

عباد الله: من تكبر أذله الله ومن تواضع رفعه الله، والمتكبرون يبعثهم الله يوم القيامة على صور الذر يطأهم الناس بأقدامهم لحقارتهم على الله^(١)، وهم في عرصات القيامة شرار الخلق عند الله^(٢).

وأهل النار كل جعظري جواظ مستكبر^(٣)، يظن أنه كريم على الله، يشمخ بأنفه إذا تكلم، ويجافي مرفقيه عن جنبيه، ويقارب الخطى إذا مشى متطاولاً على إخوانه مترفعاً على أقرانه، وهو أحقر من ذباب، وأشأم من غراب، وأذل من التراب أخزاه الله، وسوف يصلية نار جهنم، وذلك جزاء أعداء الله، ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ * ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿[غافر: ٧٥-٧٦].

(١) يشير المؤلف رحمه الله بهذا الكلام إلى حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أخرجه أحمد (١٧٩/٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٧)، والترمذي (٢٤٩٢) وغيرهم، وحسنه الترمذي وأقره ابن رجب في كتابه «التخويف من النار» ص (١٢٤)، والأمر كما قال، وتبعهم على ذلك الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٧٨٩٦).

(٢) إذا جمعوا مع كبرهم الكفر بالله فهم كما قال المؤلف رحمه الله، شرار الخلق عند الله، وإلا فالصواب أن يقول: من شرار الخلق عند الله، لأنهم مسلمون ولكنهم عصاة.

(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٤٩١٨) و(٦٠٧١)، ومسلم (٢٨٥٣).

ومما جاء في وصية لقمان عليه السلام لابنه، يقول العليم الخبير: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٨-١٩].

ومن تعاليم ربنا لهذه الأمة ونبیها عليه الصلاة والسلام يقول تعالى ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

وحاشا البشير النذير أن يقول أو يفعل ما ليس له بحق مع صغير أو كبير، وما يرفع صوته على الناس وينظر في عطفه ويتعاطم بنعمة الله عليه إلا متكبر، شأنه حقير، وقدره صغير، وليس بمحسوب في غير ولا نفير، وما له عند أحد من تقدير ولا حساب له في قليل ولا كثير.

فارفق بنفسك يا مسكين وتدبر كلام رب العالمين ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢].

المتكبر عدو الله وعدو نفسه وعدو الناس، يقصر في الواجب ويدعي ما ليس فيه، ويتشدد في الكلام ويتأنق في اللباس، وإنه لثقل في حركته وسكونه، بغيض في أمره ونهيه، لا يحسن نهياً ولا طلباً ولا التماساً، لا يفعل الخير ولا يستطيعه ولا يرى أن لأحد عليه فضلاً ولو كان في غاية الإفلاس.

وقد يمنعه الكبر عن طلب العلم والتماس الرزق لفساد دماغه وقلبه بعبث الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [الأحقاف: ١٨].

كيف يتكبر الإنسان وأوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة، وهو بينهما يحمل العذرة، كيف يتناول الخبيث على العلماء وأهل الفضل، ويزعم أنه يعرف كل شيء، وهو دعي جاهل مجهول نكرة.

تراه لأول وهلة فتظنه أسدًا، ثم تخبره فلا تجده إلا بقرة، قد امتلأ كبرًا وإعجابًا بنفسه، وسمعةً ورياءً ولومًا وشرهًا، هو مثل الدخان يملأ طبقات الجو وأصله من القمامات المنتشرة، والأوساخ المبعثرة.

ولو كان متواضعًا لكان مثل النجم في علوه وهو على صفحات الماء لمن نظره، وإنك أيها المتكبر لبغيض حتى على السفرة، الكرام البررة وإذا دعيت إلى الخير قلت كما قال إبليس حين دعي إلى السجود لآدم فأبى، فقال له ربه: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿ [ص: ٧٥-٧٨].

إذا بلغ المرء أربعين عامًا فقد تم خلقه واستقام أمره، ونضج عقله، وكان صوابه أكثر من خطئه^(١)، وصدق قوله فعله، وصار محترمًا مهابًا، يوقره جيرانه وأهله، فإن كان حليمًا متواضعًا، بشوشًا عفيفًا طاهرًا، جل قدره وعظم فضله.

وإن كان سفيهاً متكبراً قد اجتمع على الذنوب والعيون شمله، كان ذلك دليلاً على أنه مختال فخور، وجاهل مغرور، ومن خفي عليك أصله ذلك عليه فعله، وما يستر نقصه

(١) هذا عند بعض الناس دون بعض، وخير الناس من طال عمره وحسن عمله، كما قال النبي ق.

بالكبر إلا امرؤ ذهب عنه رشده، وأودى به إلى الهلاك جهله، وذلك الذي لا خلاق له في الدنيا ولا يخسر الآخرة إلا مثله، كما يقول تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

بعض الناس يمنعه الكبر عن الاعتراف بالجميل وحسن الصنيع، وبعضهم يمنعه الكبر عن دخول المساجد وحضور الجماعات مع الجمال والحمال والوضيع، ويرى أنه أجل وأسمى من أن يقف إلى جانب هذا المسكين الذي هو عند الله بمقام رفيع.

ومنهم من يتكبر عن مجالسة العلماء، ومصاحبة الفضلاء، ومرافقة السعداء، ويظن أنه غير محتاج إلى أدب ولا قانون^(١) ولا تشريع.

وأنى له أن يتجنب الشر وهو فيه أو يفعل الخير وهو لا يستطيع، لقد باء بغضب من الله، ورجع على نفسه بالوبال والخسران الفطيع ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ * عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [المعارج: ٤٠-٤١].

ألا وإن الكبر قد يمنعه صاحبه من الإيمان بالله واليوم الآخر، ويحول بينه وبين الخير ومتابعة الأكابر وقد يحمله على الفساد في الأرض وارتكاب المنكر، وقد يقول المتكبر أنا خير من فلان الشاكر الذاكر، أو العالم الناثر الشاعر، وهو لا يساوي فيه قصاصة الشعر ولا قلامة الأظافر.

(١) تقدم التنبيه على إطلاق لفظة قانون، وأنها لفظة محدثة ينبغي اجتنابها.

وقد يرى ولأمة الويل أنه هو البارز الظاهر وصاحب المجد والمفاخر، وهو الذليل الصاغر والشرير الفاجر، وفي أمثاله يقول العليم القادر والخبير بأحوال خلقه الأول منهم والآخر، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ * سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المنافقون: ٥-٦].

المتكبر الغني يزعم أنه الموكل بأرزاق العباد، وأنه الكريم المتفضل البر الجواد، والمتكبر الفقير يزعم بنفسه وهو محتاج إلى الأصدقاء والأضداد، والصانع المتكبر يظن أنه الذي يدبر حركة الأفلاك ويرفع للسماء العمام، ويتوهم أنه الذي مد الفضاء وأجرى الهواء، وبسط الأرض وثبتها بالأوتاد.

والعالم الفخور يحسب أنه داعية الرشاد، ومنقذ البلاد من هوة الفساد، والشباب المتعظم يخالون أنفسهم هم الأفراد، المشار إليهم بالمهمات في الأغوار والأنجاد.

وجملة القول إن المتكبرين لا يصلحون لشيء من أمور المعاش والمعاد، وإنهم لعاجزون عن كل إسعاد وإصلاح وإرشاد، فافعل اللهم بالمتكبرين وأهل العناد، ما فعلت بقوم نوح وعاد وشمود وفرعون ذي الأوتاد ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤-٤٥].

الخطبة الثامنة والعشرون

في الصبر والشجاعة

الحمد لله الذي أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، وجعل الصبر من صفات أهل اليقين، وحثهم عليه في محكم الذكر المبين، بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

نحمده تعالى ونسأله العفو والعافية والهداية إلى أقوم سبيل، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أمرنا بالصبر ووعده عليه بالثواب الجزيل.

ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المأمور بالصبر الجميل في محكم التنزيل، والقائل ﷺ: «الصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك»^(١) - يريد عند الملك الجليل^(٢) -.

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، وقد تقدم الكلام على سنده بما حاصله أن الحديث صحيح.

(٢) قال شيخنا يحیی حفظه الله: لا أعلم دليلاً صحيحاً على إثبات اسم الجليل لله تبارك وتعالى.

والمخاطب بقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد الحامد الشاكر والمرشد الحكيم الصابر، وعلى آله وصحبه أولي المفاخر وعلى التابعين لهم بإحسان في الباطن والظاهر ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤].

أيها المؤمنون: فضيلة الصبر من أعظم الفضائل، ومنزلة الصابرين عند الله من أشرف المنازل، وأسعد الناس من رزق لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وجسداً على البلاء صابراً^(١)، وذلك هو المؤمن الكامل ومن صبر ظفر ونال ما لم تنله الأوائل، وما يثبت في الحروب ويصبر في الخطوب ويقف لمصارعة الحوادث والكوارث إلا الشجعان البواسل، وبالصبر والثبات تهون الشدائد، ويسلم المعاند، وتستقيم الأمور، ويستخف بالشرور، ويظهر الحق

(١) يشير المؤلف رحمه الله بهذا الكلام إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١١٢٧٥)، وفي «الأوسط» (٧٢١٢)، ولفظه مرفوعاً: «أربع من أعطيهن أعطي خير الدنيا والآخرة: قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وبدناً على البلاء صابراً، وزوجة لا تبغيه خوفاً في نفسها وماله». وإسناده ضعيف فيه مؤمل بن إسماعيل البصري ضعيف، قال ابن نصر: إذا تفرد بحديث وجب أن يتوقف ويثبت فيه؛ لأنه كان سيء الحفظ كثير الغلط. اهـ من «التهذيب»، وقد ضعف الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (١٠٦٦).

على الباطل ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ
أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

أثبت الناس في البلاء وأجملهم صبراً أفضلهم عند الله منزلة وأجلهم قدرًا، وأشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأئمة فالأئمة^(١)، وفي ذلك أبلغ ذكرًا، وما يتلى الله عبده شيء إلا ليظهره من الذنوب^(٢) أو يعظم له أجرًا^(٣).

وما يعرض الذهب على النار إلا ليكون نضارًا بعد أن كان تبرًا، وما وقع الصابر في مكروه إلا ويسر الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا، وسيجعل الله بعد عسرًا يسرًا.

ومن ضاق بالقدر ذرعًا وسخط قضاء الله فاته الأجر وكان عاقبة أمره خسرًا، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿أَلَمْ * أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١-٢].

(١) هذا الكلام صحيح، ومبناه على حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أخرجه أحمد (١/ ١٧٢)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (١٤٣)، وشيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (١/ ٣٢٠).

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عائشة رضي الله عنها، الذي رواه مسلم (٢٥٧٢)، وإلى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رواه البخاري (٥٦٤١ و ٥٦٤٢) ومسلم (٢٥٧٣).

(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه البخاري (٥٦٤٨) ومسلم (٢٥٧١).

لقد صبر نوح على قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا وهو يدعوهم إلى الله، وصبر إبراهيم على أبيه وقومه، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، حتى قال وقد يؤس منهم: إني مهاجر إلى الله.

وكم لقي موسى وهارون وهما الكريهان على الله من فرعون وملئه وهم أعداء الله.

وابتلي عيسى بن مريم في ذات الله، فقوم يقولون فيه السوء ويتهمون أمه بالزنا^(١)، وقوم يقولون: إنه ابن الله^(٢).

أما نبينا محمد بن عبدالله عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين صلوات الله، فقد نال منه قومه واستباحوا منه ما حرم الله حتى قال له ربه تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٤٨].

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وكان العلماء الصالحون يصبرون على مخالفة قومهم، ويتحملون من سفهائهم ما يقولون، وإذا نسب إليهم ما يكرهون، قالوا كما قال يعقوب لبيه: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

(١) وهم اليهود عليهم لعائن الله.

(٢) وهم النصارى عليهم لعائن الله.

وإذا صبر العالم على القيام بمهمته في آخر الزمان، فقد برئت ذمته وأديت رسالته وإن غضب الشيطان وأهل الطغيان، وإذا صبر المقاتل في الميدان فتح الحصون والمعقل وصرع الأقران.

وإذا صبر الفقراء على حالهم رزقهم الله الأجر والقناعة والتفرغ لطاعته وصحة الأبدان، وإذا صبر المريض وفعل ما يلزم عجل له الشفاء وفاز من الله بالرضوان ونعيم الجنان، والوالد إذا صبر على حسن تربية أولاده والعناية بهم نال منهم البر والإحسان.

وإذا صبر الطبيب على معالجة المريض وعامله بالرفق والحنان فقد خدم الأوطان وأدى ما عليه لبني الإنسان ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

في موقف القيامة ينصب الميزان، ويجد كل إنسان ما قدمه من الأعمال في ديوان إلا الصابرين على المصائب في الأموال والأولاد والأبدان فيتجلى لهم الله بالرحمة والحنان ثم يصب عليهم الثواب صبًّا، ويقول سلام عليكم طبتم يا أهل الإيمان ولكم علي الجنة، وقد رضيت عنكم جزاء بما صبرتم عليه من الامتحان.

فيغبطهم على ذلك الأولون والآخرون، ويقولون: يا ليتها قطعت أجسادنا بالمقاريض، لما يرون من فضل الله على الصابرين، كما جاء ذلك عن سيد ولد عدنان ^(١) ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

(١) يشير المؤلف رحمه الله تعالى إلى ما أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨٢ / ١٢) رقم (١٢٨٢٩) من =

يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ
الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ [النحل: ٤١-٤٢].

قال العلماء: ينقسم الصبر إلى ثلاثة أقسام^(١):

- ١- صبر على الطاعة من صلاة وزكاة وصيام وقيام.
- ٢- وصبر على المصيبة في الأهل والأجسام.
- ٣- وصبر عن المعصية بترك ما تشتهيه النفس من سائر أنواع الحرام.

=

حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفي سنده مجاعة بن الزبير، ترجمه الذهبي في «الميزان» (٣/ ٤٣٧)، وقال: قال أحمد: لم يكن به بأس في نفسه، وضعفه الدارقطني، وقال ابن عدي: هو ممن يحتمل ويكتب حديثه. اهـ فالراجح ضعفه، وقد ضعف الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب» (٢/ ٣٦٤).

وفي الباب عن أبي أمامة رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ٦٦) رقم (٧٦٩٧)، وفي سنده غفير بن معدان الحمصي المؤذن ضعيف كما في «التقريب»، وقد ضعف الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب» (٢/ ٣٦٥).

وفي الباب عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: «يود أهل العافية يوم القيامة حين يُعطى أهل البلاء الثواب لو أنّ جلودهم كانت تقرض بالمقاريض»، أخرجه الترمذي (٢٤٠٢)، وفي سنده أبو الزبير مدلس وقد عنعن، وقد حسنه الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (٣/ ٣٣٠).

(١) أقسام الصبر الثلاثة دل عليها الكتاب والسنة، وقد سبق المؤلف إلى هذا التقسيم ابن القيم رحمه الله في «عدة الصابرين» (٤٦)، وفي «مدارج السالكين» (٢/ ١٢٩)، وفي «زاد المعاد» (٤/ ٣٠٥)، وابن رجب في «لطائف المعارف» ص (٢٨٤) وغيرهما.

وأفضل الصبر ما كان عند الصدمة الأولى ومعه الرضا والتسليم لمن يقول تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

ومن الصبر الجميل أن تدفع بالتي هي أحسن وتعفو عمن ظلمك، وتعرض عمن شتمك وأنت قادر على الانتقام ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٦-١٢٧].

صبرك أيها المسلم يوم الفتنة وثباتك عند المحنة أمر يهون، ولكن صبرك عند فساد الزمان وإعراض الناس عن الأديان^(١) أصعب ما يكون، والقابض على دينه في آخر الزمان كالقابض على الجمر^(٢) حين يوصف الكفار والعصاة بالعقل والدهاء، ويوصف المؤمنون بالأتقياء بالبلادة والتغفيل والجنون.

وقوفك يومئذ عند حدود الله، وصبرك على أوامره ونواهيه، دليل أنك من الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون، فاصبر تؤجر، وابشر بمعية الله وحسن رعايته وإن خالفك الناس أجمعون قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

(١) الصواب أن يقول المؤلف رحمه الله: عن الدين، لأن بقية الأديان قد نسخت بديننا الإسلامي الحنيف، قال الله: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

(٢) هذا الكلام مبناه على حديث صحيح تقدم تخريجه.

قال رسول الله ﷺ: «إذا أحب قومًا ابتلاهم فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع»^(١)، وقال ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط»^(٢)، وقال عليه الصلاة والسلام: «ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا غم ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها»^(٣).

وقال أيضًا: «من أصيب بمصيبة بهاله أو في نفسه فكتمها ولم يشكها للناس كان حقًا على الله أن يغفر له»^(٤).

(١) (حسن).

أخرجه أحمد (٤٢٧/٥، ٤٢٨) من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (٣/٣٣١).

(٢) (صحيح لشواهد من حديث أنس رضي الله عنه).

أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، وفي سنده سنان بن سعد الكندي ضعيف يعتبر به، لكن للحديث شواهد يصح بها، ذكرتها في تحقيقي لـ «كتاب التوحيد» تحت باب (٣٤)، والحمد لله.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٤١ و ٥٦٤٢) ومسلم (٢٥٧٣) من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٤) (موضوع).

أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١١٤٣٨)، وابن حبان في «المجروحين» (٢٠٢/١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفي سنده بقية بن الوليد مدلس وقد عنعن، وفي روايته عن ابن جريج ضعف، وهو هنا يروي عنه، قال ابن حبان: كان يروي عن كذايين ويدلس، وكان له أصحاب =

وقال ﷺ: «من أعطي فشكر، وابتلي فصبر، وظلم فاستغفر وظلم فغفر»، ثم سكت،

فقالوا: يا رسول الله ما له؟ قال: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].^(١)

وكذلك يقول الله في مدح الصابرين: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ

هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧].

جعلني الله وإياكم من الصابرين، الذين هم بالله معتمدون، ولقضائه وقدره

مستسلمون ومسلمون ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

[البقرة: ١٥٦].

=

يسقطون الضعفاء من حديثه ويسوونه فالتزق ذلك به اهـ «المجروحين» (١/ ٢٣٠-٢٣١) بتصرف.

وقد حكم بوضع الحديث الذهبي في «الميزان» (١/ ٣٣٣)، وابن حبان في «المجروحين» المصدر السابق،

وابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ١٢٦ و ١٧٨)، والعلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (١٩٨).

(١) (موضوع).

أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧/ ١٣٨) رقم (٦٦١٣) من حديث سخبرة الأزدي رضي الله عنه، وفي

سنده أبو داود الأعمى واسمه نُفيع بن الحارث متروك، وقد كذبه ابن معين كما في «التقريب».

وبه أعل الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٨٤)، وقال العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف

الترغيب» (٢/ ٣٦٤) ضعيف جداً.

الخطبة التاسعة والعشرون

في حسن الجوار وحقوق الجار

الحمد لله الذي أمرنا بالبر والصلة ونهانا عن العقوق، وجعل حق المسلم على المسلم من أكد الحقوق، وجعل للجار حقاً على جاره وإن كان من أهل الكفر والفسوق.

نحمده تعالى وبه الوثوق، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو الخالق وكل شيء سواه مخلوق، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق المصدوق، اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد الناطق بأفضل منطوق.

صلى الله وسلم عليه وعلى صحبه المؤدين للحقوق، وعلى التابعين لهم بإحسان من سابق ومسبق.

عباد الله: حق الجار على جاره مؤكد بالآيات والأحاديث، وما زال جبريل يوصي محمداً

بـ **﴿عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾** بالجار حتى ظن أنه سيشرکه في الموارث ^(١)، ولا يسيء الجوار ويؤذي الجار إلا لئيم وخبيث، غماز هماز لماز مناع للخير معتد أثيم، بكل فساد الأرض يعيث.

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عائشة رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٦٠١٤) ومسلم (٢٦٢٤).

وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري (٦٠١٥) ومسلم (٢٦٢٥).

سيره في الخير بطيء وسيره في الشر حثيث، وفيه يقول ﷺ: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن»، قيل: يا رسول الله، لقد خاب وخسر، من هو؟ قال: «من لا يأمن جاره بوائقه». قالوا: وما بوائقه؟ قال: «شره»^(١).

كان العرب في الجاهلية والإسلام يحمون الذمار^(٢)، ويتفاخرون بحسن الجوار، وعلى قدر الجار يكون ثمن الدار، والإسلام يأمر بحسن المجاورة ولو مع الكفار، وشر الناس من تركه الناس اتقاء شره^(٣)، وتباعد عنه من يعرفه تجنبًا لضره، وأخبت الجيران من يتتبع العثرات، ويتطلع إلى العورات في سره وجهره، وليس بمأمن على دين ولا نفس ولا أهل ولا مال، ولا يميز من يدانيه بين عرفه ونكره.

قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»^(٤)، وقال رسول الله ﷺ: «المؤمن من آمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٠١٦) من حديث أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه.

(٢) قال ابن منظور في «لسان العرب» مادة: دمر: الذمار: هو كل ما يلزمك حفظه وحياطته وحمايته والدفع عنه، وإن ضيعه لزمه اللوم، وقيل: الذمار الأنساب، وقيل: الحشم الحرم والأهل، وسمي ذمارًا لأنه يجب على أهله التذمر له. اهـ بتصرف

(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري (٦٠٣٢) ومسلم رقم (٢٥٩١).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠١٨) ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأما رواية: (فليكرم =

لسانه ويده، والمهاجر من هجر السوء، والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره
بوائقه»^(١).

=

جاره) فأخرجها البخاري رقم (٦٠١٩)، واللفظ له ومسلم رقم (٤٨) من حديث أبي شريح
الخرزاعي الكعبي رضي الله عنه.
(١) (صحيح).

وهو بهذا السياق أخرجه أحمد (٣/ ١٥٤)، والبزار كما في «كشف الأستار» (٢١)، وأبو يعلى (٤١٨٧)،
وابن حبان (٥١٠) من حديث أنس رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح
الترغيب» (٢/ ٦٨٠).

وقوله: «المؤمن من أمنه الناس»، لها شاهد من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه، أخرجه أحمد
(١٢/ ٦)، وحسنه شيخنا الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٢/ ١٢٤-١٢٥)، وصححه
العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٦٥٣٤).

وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٩)، وعن عبدالله بن بن عمر رضي الله
عنهما، أخرجه أحمد (٢/ ٢١٥)، بإسناد صحيح.

وقوله: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، جاءت عن عدة من الصحابة، منهم عبدالله بن
عمرو رضي الله عنهما أخرجه البخاري (١٠) ومسلم (٤٠)، وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه
أخرجه البزار (٩/ ٢٠٦) وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رحمه الله (٢/ ١٢٤).
وقوله: «المهاجر من هجر السوء»، لها شواهد، منها: حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه المتقدم ذكره
عند البزار.

وقوله: «لا يدخل الجنة...»، لها طريق آخر عن أنس رضي الله عنه أخرجه أحمد (٣/ ١٩٨)، وفيه علي بن
مسعدة الباهلي ضعيف، وله شاهد مرسل، أخرجه هناد في «الزهد» (١٠٣٣) عن الحسن، وإسناده
حسن.

=

عار عليك أيها المسلم أن تبيت تاحماً شبعان، وجارك طاو جوعان، وعار عليك أن تلبس الحديد، وتبخل بما أبليت من ثيابك على عراة الجيران.

وعار عليك أن تتمتع بالطيبات من مشموم ومطعوم، وجيرانك يشتهون العظام وكسر الطعام، وأنت تعلم قول رسول الله ﷺ: «ألا لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»^(١).
وأنه قال لأبي ذر رضي الله عنه: «يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعهد جيرانك»^(٢).

كيف يليق بك أيها المسلم أن تقيم في بيتك الأفراح، وفي البيت الذي بإزائك ماتم الموت والأتراح، هل تجردت من العواطف والشعور، وهل نسيت أوامر الدين، وعادات آبائك الأكرمين.

أيها المغرور إن من حق جارك عليك أن تسلم عليه إذا لقيته، وأن تعوده إذا مرض وتشيعه إذا مات^(٣)، وتكون لأولاده بعد وفاته كما كان لهم في حياته، وأن تقف إلى جانبه

=

فهي صحيحة بلا شك، وقد صحح هذه الطريق الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (٢/ ٦٨٠)، ولها شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه مسلم رقم (٤٦)، ولفظه: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه».

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٠١٧) ومسلم (١٠٣٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم رقم (٢٦٢٥) من حديث أبي ذر رضي الله تعالى عنه.

(٣) جاء حديث بهذا المعنى من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، أخرجه الطبراني في «الكبير»

(١٩/ رقم ١٠١٤)، وفي سننه أبوبكر الهذلي أخباري متروك كما في «التقريب»، وإسماعيل بن عياش =

في السراء والضراء والشدة والرخاء، وفي المثل السائر: «من فاته نفع إخوانه، فلا يفوته نفع جيرانه»، وقال رسول الله ﷺ: «خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره»^(١).

حرام عليك أيها المسلم أن تنظر في بيت جارك وهو غافل أو تخونه في أهله، ومن نظر في بيت جاره بغير إذنه ملأ الله عينه من نار جهنم^(٢).

وحرام عليك أن تسمع ما يقول في بيته فتكون جاسوسًا لا يأمنك على قوله وفعله، وإذا عجزت عن بر جارك والإحسان إليه والاعتراف بفضله فكف أذاك عنه، ولا تضره، ودعه يستريح في منزله.

=

ضعيف في غير الشاميين، وهو هنا كذلك، وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٢٥٨٧).

(١) (حسن).

أخرجه الترمذي (١٩٤٤)، وأحمد (١٦٨/٢) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (١٠٣)، وشيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (١/٦١٨-٦١٩) والحمد لله.

(٢) لم أقف على حديث بهذا اللفظ، لكن أخرج البخاري في «الأدب المفرد» (٢٠٩٢) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: من ملأ عينه من قاعة بيت قبل أن يؤذن له فقد فسق.

قال الشيخ الألباني رحمه الله: عمار بن سعد التميمي لم يدرك عمر. «ضعيف الأدب المفرد» (٩٥)، وذكر الشوكاني رحمه الله في «الفوائد المجموعة» حديثاً «من ملأ عينه من الحرام ملأ الله عينه من نار جهنم» وقال: لا أصل له. «الفوائد» (٢٠٧).

وإذا دعاك فأجبه، وإن استشارك فأشر عليه، وإذا كان مظلوماً فانصره أو ظالماً فاقبض على يديه، وإن أحسن فاشكره، وإن أساء فاعف عنه، وإن ارتكب الفساد فلا تقره عليه. فرب جار متعلق بجاره يوم القيامة، يقول: يا رب، إن هذا قد أغلق بابي دوني، ومنعني معروفه، ورآني على الشر فلم ينهني عنه^(١).

وقال رجل: يا رسول الله، إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها، غير أنها تؤذي جيرانها، قال: «هي في النار»، قال: يا رسول الله، فإن فلانة تذكر من قلة صلاتها وصيامها وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذي جيرانها، قال: «هي في الجنة»^(٢).

(١) (حسن لغيره).

أخرجه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٣٤٦) ضمن «موسوعة ابن أبي الدنيا» (٢/٤٩٣)، والأصبهاني في «الترغيب» (٨٤٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وفي سننه أبان بن بشير المكتب، روى عنه جمع كما في «الجرح والتعديل» (٢/٢٩٩)، وذكره ابن حبان في «الثقات» (٦/٦٨)، وللحديث طريق أخرى أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (١١١)، وفي سننه ليث بن أبي سليم ضعيف مختلط. فالحديث بهاتين الطريقتين يصير حسناً لغيره، وقد صححه الإمام الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٢٦٤٦)، وانظر «صحيح الترغيب» (٢/٦٨٤).

(٢) (صحيح).

أخرجه أحمد (٢/٤٤٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١١٩)، والبيهقي في «كشف الأستار» رقم (١٩٠٢)، والحاكم (٤/١٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفيه أبو يحيى مولى جعدة تفرد بالرواية عنه الأعمش، وروى له مسلم متابعة، ووثقه ابن معين كما في =

أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء، وأربع من الشقاوة الجار السوء، والمرأة السوء والمركب السوء والمسكن الضيق^(١).
والله تعالى يحب جارا صبرا على أذية جاره حتى يكفيه الله إياه بتحول أو موت^(٢)، ومن

=

«الجرح والتعديل» (٤٥٧/٩) وابن حبان والذهبي، فمثله صحيح الحديث، وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (٢/٦٨٢-٦٨٣)، و«الصحيحة» رقم (١٩٠)، والحمد لله. وقوله: «الأثور»، جمع ثور، وهي القطعة من الأقط.
والأقط: هي شيء يتخذ من مخيض اللبن الغنمي، قاله المنذري في «الترغيب والترهيب».
(١) هذا الكلام صحيح ومبناه على حديث أخرجه ابن حبان (٤٠٣٢) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وصححه الإمامان الجليلان الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٢٨٢)، وشيخنا مقبل الوداعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (١/٣٢٤)، والحمد لله.
وفي الباب عن نافع بن عبد الحارث، أخرجه أحمد، وصححه لغيره العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (٢/٦٨٨).
(٢) هذا الكلام مبناه على حديث أبي ذر رضي الله عنه، أخرجه أحمد (١٧٦/٥)، والطبراني في «الكبير» رقم (١٦٣٧)، والسياق له بإسناد صحيح، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (٢/٦٨٦).

أول ما يقع فيه فصل القضاء يوم القيامة خصومة الجيران^(١)، ومن الحماقة والخرق وضعف الرأي ترافع الناس إلى الحكام فيما يقع عادة بين الجيران، من خصومات النساء ومشاجرات الصبيان، ومما جاء عن رسول الله ﷺ نهيه عن إطالة البنيان^(٢)، إذا كان في ذلك شيء من الأذى كسد الهواء والإشراف على من يدانيك في المكان.

(١) الذي وقفت عليه ما جاء عن عقبة بن عامر مرفوعاً: «أول خصمين يوم القيامة جاران»، أخرجه أحمد (١٥١/٤)، وفيه ابن لهيعة ضعيف مختلط، وقد تابعه عمرو بن الحارث عند الطبراني في «الكبير» (١٧/٨٣٦)، فيرتقي الحديث إلى الحسن، والله أعلم.

(٢) يشير المؤلف رحمه الله بهذا الكلام إلى حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الركوب على جلود السباع، وعن تشييد البناء.

أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٩/٩٢٠)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧٠/٤)، وفيه يزيد بن سفيان أبوالمهزم، قال أحمد: ما أقرب حديثه، وقال النسائي: متروك وضعفه الناس، وقال الحافظ: متروك. وهو كما قال.

وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الجامع» (٦٠٤٢)، وانظر «الضعيفة» تحت رقم (٤٧٢٢)، وقد ذكر المؤلف رحمه الله في «إصلاح المجتمع» (٢٩٥) حديثاً بهذا المعنى، ولم يعلق عليه شيخنا يحيى الحجوري حفظه الله بشيء، فالله أعلم.

وقد أخرجه الذهبي في «حقوق الجار» (٩٣)، والطبراني في «الكبير» (١٩/١٠١٤) من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، ولفظه: «ما حق جاري عليّ، قال إن مرض عدته ..» إلى قوله: «ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح»، وفي سنده أبو بكر الهذلي سلمى بن عبدالله بن سلمى أخباري متروك الحديث كما في «التهذيب».

وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (٢٥٨٧).

ولقد كان يقول ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة، فإن جار البادية يتحول»^(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب»^(٢).

(١) (صحيح بشواهده).

أخرجه النسائي (٢٧٤/٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١١٧)، وابن حبان (١٠٣٣)، والحاكم (٥٣٢/١)، والذهبي في «حقوق الجار» (١٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وهو من رواية محمد بن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة، ومحمد بن عجلان اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة، قال ابن معين: اختلطت على ابن عجلان، يعني أحاديث سعيد المقبري، وقال يحيى القطان: عن ابن عجلان كان سعيد المقبري يحدث عن أبي هريرة، وعن أبيه عن أبي هريرة، وعن رجل عن أبي هريرة، فاختلفت عليه فجعلها كلها عن أبي هريرة. اهـ المراد من «التهذيب»، وقد تابع ابن عجلان عبدالرحمن بن إسحاق عن سعيد المقبري عند الحاكم (٥٣٢/١)، وأحمد (٣٤٦/٢)، وعبدالرحمن بن إسحاق هو المدني حسن الحديث.

وله شاهد من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٩٤/١٧) رقم (٨١٠)، ولفظه: «اللهم إني أعوذ بك من يوم السوء، وليلة السوء، ومن ساعة السوء، ومن صاحب السوء، ومن جار السوء في دار المقامة».

وإسناده حسن، وقد حسن الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (١٤٤٣)، وصححه شيخنا يحيى حفظه الله في «اللمع على إصلاح المجتمع» (٢٩٩).

(٢) (حسن).

بعض الناس لا يبالي بغيره إذا تمت له راحته، ولا يهتم أن يكون عباد الله كلهم ساخطين عليه وأن تدنس ساحته، ما دام ينال قصده ويصل إلى مراده ويتمتع بشهوته، وتحسن له حالته.

ولو كان في ذلك هلاك غيره وترك دينه وخروجه عن الشرف والمروءة، ولذلك تراه بغضاً في إخوانه ممقوتاً في جيرانه، وخفيفاً في ميزانه وسخيفاً عند من يعرفه من أهل زمانه.

=

أخرجه الترمذي (٢٣٠٥)، والبيهقي في «الشعب» (٩٠٩٦)، وأحمد (٣١٠/٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي سنده انقطاع، الحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة كما هو قول الجمهور، وفيه أبوطارق السعدي البصري مجهول كما في «التقريب»، لكن تابعة عوف بن أبي جميلة عند الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٤٧٩/١).

وللحديث طريق أخرى عند ابن ماجه (٤٢١٧) نحوه، وفيها محرز بن عبدالله الجزري ثقة يدلّس عن مكحول، لكن روى الحديث عنه هنا بواسطة برد بن سنان، فزالت بذلك مظنة تدليسه، لكن الحديث روى على أوجه مختلفة عن مكحول، وذكره غير محفوظ، قاله الدارقطني في «العلل» (٢٦٥/٧)، وزاد: والحديث غير ثابت.

وبالجملة فالحديث حسن على أقل أحواله، وقد حسنه الإمام الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٩٣٠)، وذكر تنمة شواهد هناك، وحسنه شيخنا المحدث أبو عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله في «اللمع على إصلاح المجتمع» (٤١).

ولبعض فقراته شواهد، فقوله: «وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً» تشهد لها الأحاديث الكثيرة في الإحسان إلى الجار.

وقوله: «ولا تكثر الضحك..» إلخ لها طريق أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه ابن ماجه رقم (٤١٩٣)، وحسنه شيخنا مقبل رحمه الله في «الصحيح المسند» (٣٨١/٢).

ومما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من أحب، فمن أعطاه الدين فقد أحبه، والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه»^(٢).

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي مسعود الأنصاري البصري رضي الله عنه أخرجه البخاري (٣٤٨٤).

(٢) (ضعيف مرفوعاً، والصواب وقفه على ابن مسعود).

أخرجه أحمد (٣٨٧/١)، والبخاري في «كشف الأستار» (٣٥٦٢)، والبخاري في «تاريخه الكبير» (٣١٣/٤)، والحاكم (٤٤٧/٢)، والبيهقي في «الشعب» (٥١٣٦)، وأبونعيم في «الحلية» (١٦٦/٤) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

وفي سنده الصباح بن محمد البجلي ضعيف كما في «التقريب»، وله طرق أخرى مرفوعة، انظرها في تحقيق «مسند أحمد» (١٩٠-١٩١).

وقد جاء الحديث موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه، أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١١٣٤)، والطبراني في «الكبير» (٨٩٩٠)، وأبونعيم في «الحلية» (١٦٥/٤)، قال الدارقطني في «العلل» (٢٧١/٥): والصحيح موقوف. اهـ وهو كما قال.

وقد ضعف الحديث مرفوعاً الإمام الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب» (٥٣٢/١)، وشيخنا المحدث يحيى بن علي الحجوري حفظه الله في «اللمع على إصلاح المجتمع» ص (٢٩٨).
وقوله: «والذي نفسي بيده... إلخ لها شواهد تقدمت، فهي صحيحة، والحمد لله.

جعلني الله وإياكم من خيار خلقه، وبارك لي ولكم في الطيبات من رزقه، وأجارني وإياكم من أذية الجار والتهاون بحقه، آمين (الآية) ❖ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُحْتَالًا فَخُورًا** ❖

[النساء: ٣٦].

الخطبة الثلاثون

في طاعة الوالدين وبرهما

الحمد لله الذي هدانا واخترنا واجتباننا، ومن خلقه اصطفانا تفضلاً منه وامتناناً، وأنزل قرآنًا، هدى للناس وبياناً، وحكمًا بالغَةً وفرقانًا، وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

نحمده تعالى وهو الذي بنعمته تتم الصالحات، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أوجب طاعة الوالدين، وحرّم عصيانهما وقهرهما، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وأدبنا لهما بقوله تعالى: ﴿وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٤]، ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله سيد العظماء وأشرف الكرماء وأفضل من تحت السماء، والقائل ﷺ: «الجنة تحت أقدام الأمهات»^(١).

(١) (موضوع).

قال العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (٢/ رقم ٥٩٣): حديث «الجنة تحت أقدام الأمهات، من شئن أدخلن، ومن شئن أخرجن». رواه ابن عدي (١/ ٣٢٥)، والعقيلي في «الضعفاء» ... من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال العقيلي: هذا منكر، نقله الحافظ في ترجمة موسى بن عطاء وهو كذاب، كما سبق بيانه في الذي قبله، (يعني في الحديث رقم ٥٩٢).

قال: فيه موسى بن محمد هذا هو الدمياطي المقدسي كذبه أبوحاتم وأبوزرعة وابن حبان وموسى ابن سهل الرملي، ثم قال الشيخ رحمه الله: والشطر الأول من الحديث له طريق أخرى رواه أبو بكر الشافعي في «الرباعيات» والقضاعي والدولابي والخطيب في «الجامع» من حديث أنس بن مالك =

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد المرشد العام، إمام المرسلين ومسك الختام، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أفضل صلاة وسلام.

عباد الله: بروا آبائكم تبركم أبناءكم، وعفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم^(١)،

=

رضي الله عنه، وفيه منصور بن المهاجر، وأبو النضر الأبار لا يعرفان، والحديث منكر، قاله ابن طاهر كما في «فيض القدير» للمناوي.

ويغني عن هذا حديث معاوية بن جاهمة أنه جاء النبي ق فقال: يا رسول الله، أردت أن أغزو، وقد جئت استشيرك، فقال: «هل لك أم؟»، قال: نعم، قال: «فالمها، فإن الجنة تحت رجلها».

رواه النسائي (٢/٥٤)، والطبراني (١/٢٢٥/٢)، وسنده حسن إن شاء الله. اهـ بتصرف من «الضعيفة»، وانظر «صحيح الجامع» رقم (١٢٤٩).

(١) هذا الكلام مبناه على حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (١٠٠٢)، وفي سنده علي بن قتيبة الرفاعي ترجمه الذهبي في «الميزان» (٣/١٥١) وقال: قال ابن عدي: له أحاديث باطلة.

وفي الباب عن جابر رضي الله عنه، أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٢٩٩)، والحاكم (٤/١٥٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/٣٣٥)، والخطيب (٦/٣١١) قال العقيلي: ليس له أصل من حديث مالك، ولا من وجه يثبت، وقال: علي بن قتيبة الرفاعي بصري يحدث عن الثقات بالبواطيل وما لا أصل له.

وأورد الحديث الذهبي في «الميزان» (٣/١٥١) من بواطيله، وقال المحدث الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (٢٠٣٩): ضعيف.

وفي الباب عن عائشة رضي الله عنها، أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٦٢٩٥)، وإسناده ضعيف جداً، فيه خالد بن يزيد العمري، كذاب، كما في «الميزان» (١/٦٤٦)، وعبد الملك بن يحيى بن الزبير مجهول.

=

واعلموا أن سخط الله في سخط الوالدين، وأن رضاه لا يكون إلا إذا رضي عنكم
آبائكم^(١).

ولا شيء يزيد في العمر ويبارك في الرزق مثل بر الوالدين وصلة الأرحام^(٢)، وعند الله
آجالكم وأسماءكم، وقد أمرتم بما أمرت به أنبياءكم، وما من نبي إلا وقد أمر ببر والديه.

=

وقال العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» تحت رقم (٢٠٤٣): وهذا موضوع الإسناد.
وجاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه الحاكم (١٥٤/٤)، وفي سننه سويد بن عبدالعزيز
السلمي ضعيف جداً، كما في ترجمته من «التهذيب».
وقد ذكر الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٢٠٤٣)، وذكر بقية طرقه هناك لمن أحب
أن يراجعها، وقد ضعف الحديث شيخنا المحدث أبو عبد الرحمن يحيى بن علي الحنجوري حفظه الله في
«اللمع على إصلاح المجتمع» (٥٢٦).

(١) يشير المؤلف رحمه الله بهذا الكلام إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أخرجه
الترمذي (١٨٩٩)، وابن حبان (٤٢٩)، والحاكم (١٥١-١٥٢/٤)، وفي إسناده عطاء العامري
الطائفي تفرد بالرواية عنه ابنه يعلى ولم يوثقه سوى ابن حبان، وجهله الذهبي وابن القطان.
وقد اختلف في رفع الحديث ووقفه، ورجح وقفه الترمذي، والموقوف أخرجه الترمذي عقب الرقم
السابق، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢)، ومداره على عطاء العامري وهو مجهول، كما تقدم.
وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البزار (١٨٦٥)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»
(١٣٦/٨): فيه عصمة بن محمد متروك.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٢٧٦)، وفيه أحمد بن إبراهيم بن
كيسان، وإساعيل بن عمرو، وهما ضعيفان كما في ترجمتهما من «الميزان».

(٢) يشير المؤلف رحمه الله بهذا الكلام إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٥٩٨٥)، =

كما جاء ذلك في محكم الآيات قال الله عز وجل: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٢-١٤].

وقال عيسى ابن مريم لقومه: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٠-٣٢].

وقال إبراهيم لأبيه: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧].
وقال نوح: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨].

ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، والعاق لوالديه، والديوث الذي يقر الخبث في أهله^(١)، وممن عـق والده عقه أولاده، وكما تدين

=

ولفظه مرفوعاً: «من أحب أن ييسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه».

وفي الباب عن عائشة رضي الله عنها، مرفوعاً: «صلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار، يعمران الديار ويزيدان في الأعمار» أخرجه أحمد (١٥٩/٦)، وصححه شيخنا الإمام مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٥٢٢/٢).

(١) يشير المؤلف رحمه الله بهذا الكلام إلى حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أخرجه أحمد (٦٩/٢)، وفي سنده مبهم، وهذا المبهم يحتمل أنه عبدالله بن يسار كما جاء التصريح به في بعض =

تدان^(١)، ولا تجازى على الشر إلا بمثله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

=

طرق الحديث.

وأخرجه أحمد (١٣٤ / ٢)، والنسائي (٨٠ / ٥)، والبزار (١٨٧٦) من طريق أخرى عن ابن عمر رضي الله عنهما، وفي سنده عبدالله بن يسار المكي الأعرج مولى ابن عمر، روى عنه جمع ولم يوثقه سوى ابن حبان كما في ترجمته من «تهذيب التهذيب»، وقال الحافظ في «التقريب»: مقبول، يعني عند المتابعة وإلا فلين.

فهو مجهول حال، وقد تابعه محمد بن عمرو عند البزار (١٨٧٥)، لكن في الإسناد إليه عمران القطان وهو ضعيف على الراجح، فتحصل من هذا أن حديث ابن عمر مداره على عبدالله بن يسار الأعرج وهو مجهول حال.

لكن للحديث شواهد منها:

- ١- حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أخرجه أحمد (٢٠١ / ٢)، وفي سنده جابان الراوي عن عبدالله بن عمرو مجهول، وانظر تحقيق «مسند أحمد» (١١ / ٤٧٣-٤٧٤).
- ٢- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أخرجه أحمد (٢٨ / ٣)، وفي سنده يزيد بن أبي زياد القرشي ضعيف، ومع ضعف إسناده ففيه انقطاع مجاهد بن جبر لم يسمع من أبي سعيد الخدري كما في «جامع التحصيل».

وغير ذلك من الشواهد المذكورة، راجعها في تحقيق «مسند أحمد» (١٠ / ٣٢٢-٣٢٤)، وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (٢ / ٤٧٢، ٦٠٠)، و«صحيح الجامع» (٣٠٦٣)، وانظر «الصحيحة» رقم (٦٧٣-٦٧٤ و ٦٧٥)، وحسنه شيخنا المحدث يحيى بن علي الحجوري حفظه الله في «اللمع على إصلاح المجتمع» (٦٦٢-٦٦٣).

(١) هذه اللفظة ذكرها العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٤١٢٤) من حديث ابن عمر، وقال: =

ويا لطول عنائها من وضعه وحمله فيا مؤمناً بالله ومصدقاً بثوابه وفضله، وعقابه وعدله، هلا امتثلت أمره في كتابه العزيز وعلى لسان خاتم رسله، ومن ذلك قوله ﷺ: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعاً وهات»^(١).

كيف تعامل أمك بالعقوق أيها المسلم، وقد حملتك تسعة أشهر حملاً ثقيلاً، وحين ولادتها تقاسي بوضعك ألماً شديداً وعذاباً وبيلاً، وقد أرضعتك حولين كاملين، وكان صبرها عليك صبراً جميلاً، فكانت تجوع لتشبع أنت، وتسهر لتنام أنت، وتتعب لتستريح أنت ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

فطعامك درها، وبيتك حجرها، ومركبك ظهرها، وما تعد بكاءك إلا تسبيحاً وتهليلاً، تحن إليك وتهواك، وتحيطك وترعاك، وإذا مت أو غبت عنها كرهت كل شيء سواك.

=

ضعيف أخرجه ابن عدي (٢٩٤/١)، وقال: محمد بن عبد الملك كل أحاديثه مما لا يتابعه الثقات عليه، وهو ضعيف جداً، قال الشيخ الألباني رحمه الله: هو متفق على توهينه. لكن قد روي الحديث بإسناد خير منه، أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٩)، ولكنه مرسل. وقال الشيخ زكريا الأنصاري في «فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل» (٢/١٠٠) في قوله «كما تدين تدان»: هو مثل مشهور، وحديث مرفوع أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» بسند ضعيف، وله شاهد مرسل، ومعناه: كما تُجَازِي تُجَازَى ...

وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» بعد عزوه لمن أخرجه: ووصله أحمد في «الزهد» من هذا الوجه بإثبات أبي الدرداء، وجعله من قوله، وهو منقطع مع وقفه. اهد بتصرف.

(١) أخرجه البخار رقم (٥٩٧٦) ومسلم رقم (٥٩٣) من حديث المغيرة بن شعبه رضي الله عنه.

وقد شغلت بك قلبها، وجعلت عليك رها حافظاً ووكيلاً، فأياك أن تعقها، أو تضيع حقها فتكون من الخاسرين في حياتك، ويوم توفي كل نفس ما كسبت، وكان وعد ربك مفعولاً، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٤-١٥].

وهكذا جاء في كثير من الآيات.

ألا وإن من أشراط الساعة أن يطيع الرجل زوجته ويعق أمه، وير صديقه ويحفو أباه^(١)، ومن شقاوة المرء أن يحسن إلى أعدائه، ويسيء إلى من يحبه ويهواه، ولا منة لأحد على أحد بعد الله كمنة الوالد على الولد الذي كان سبباً في وجوده ومحياه، وبعطفه وحنانه عليه رباه وأطعمه وأسقاه.

(١) يشير المؤلف رحمه الله بهذه الكلام إلى حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أخرجه الترمذي (٢٢١٠)، وفي سننه فرج بن فضالة الشامي ضعيف، ويزداد ضعفاً إذا روى عن يحيى بن سعيد وهو هنا كذلك، ومحمد بن عمر بن علي صدوق لكن روايته عن جده مرسله. وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه الترمذي (٢٢١١)، وفي سننه ربيع الجذامي مجهول، والحديثان في «ضعيف سنن الترمذي» للألباني رحمه الله (٢٤٩-٢٥٠).

وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/رقم ٩١)، ولفظه: «إذا كثرت الشرط، وملكت الإماء -يعني من أشراط الساعة- وأطاع الرجل امرأته، وعق أمه، وأقصى أباه...» الحديث، وفي سننه عبد الحميد بن إبراهيم الحضرمي ضعيف كما في «التقريب».

وبه أعل الحديث. الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٢٣/٧)، وزاد: وفيه جماعة لم أعرفهم.

وإذا ترعرع الطفل وشب تمنى لو لديه الموت، وهما يتمنيان له الحياة، ولعن الله من لعن والديه^(١)، أو لعنه والداه، وقبح الله من لا يبر أمه ولا يعرف حقها وأذله وأخزاه.

وفي الحديث الشريف: «كل الذنوب يؤخر الله منها ما يشاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات»^(٢).

كثير من الأمهات اليوم ترضى من البر بكف الأذى عنها، وبطيب الكلام، وتسأل ربها كل خير لأولادها الذين لا يرضونها بشيء غير السكوت والابتسام.

ورب صابرة على قلة ذات يدها وموت زوجها وكفالة الأيتام، وساعية في تحصيل ما يحتاجون إليه من الملابس والطعام، ومن أجل ذلك قد رضيت أن تعيش خادمة في بيوت بعض اللثام، لغسل الثياب وطي الفراش، وكنس الكنيف والحمام.

حتى إذا بلغ الولد أشده واستوى، تكبر عليها وأعرض عنها، وأنفق ما لديه في الحانات وبيوت المومسات^(٣).

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخرجه مسلم رقم (١٩٧٨).

(٢) (ضعيف).

أخرجه الحاكم في «مستدرکه» (٤/١٥٦)، والطبراني كما في «ضعيف الجامع» من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، وفي سنده بكار بن عبدالعزيز بن أبي بكرة البصري ضعيف كما في ترجمته من «التهذيب»، وقد ضعف الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «ضعيف الجامع» (٤٢١٣)، وشيخنا يحيى بن علي الحجوري حفظه الله في «اللمع على إصلاح المجتمع» (٥٢٦-٥٢٧).

(٣) أي: الزانيات.

أملك أيها المسلم تسعى عليك، وتعولك صغيرًا وكبيرًا، وأنت تهينها غنيًا، وتكلفها نفسك وأولادك إن كنت فقيرًا، وقد تجود عليها بشيء قليل تمن به عليها وتعهده شيئًا كثيرًا. ورب عجوز فانية وشابة غانية، قد يئست من الحياة وأظلم الدهر في عينيها، ولم يترك لها من دون الله وليًا ولا نصيرًا، فلا تراها إلا عارية، ولا تسمعها إلا باكية، تكاد تموت تغيضًا وزفيرًا، كانت تأمل بر أولادها وتنتظر منهم جزاءً وشكورًا.

وكانت تعدهم بينها وبين الخطوب حجابًا مستورًا، ولكنهم تركوها وشأنها ولم يبالوا بحقها وشغلتهم الأموال والأولاد والزوجات.

قال رسول الله ﷺ: «رغم أنفه ثم رغم أنفه»، قيل: من يا رسول الله؟ قال: «من أدرك والديه عند الكبر، أو أحدهما، ثم لم يدخل الجنة»^(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «الكبائر: الإشراف بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس»^(٢).

وقال ﷺ: «من الكبائر شتم الرجل والديه»، قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه»^(٣).

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٥٥١) (١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخار رقم (٦٦٧٥) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري رقم (٥٩٧٣) ومسلم رقم (٩٠) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وجاء رجل يستأذن النبي ﷺ في الجهاد فقال له: «أحي والداك؟»، قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد»^(١).

وقال آخر: من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله؟ فقال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أبوك»^(٢).

فاسمعوا يا عباد الله كلام الله وكلام رسول الله، وتوبوا إلى جميعاً أيها المؤمنون، فإنه من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات، جعلني الله وإياكم من الخيار البررة، وجنبي وإياكم سبيل الفجرة، وتغمدنا جميعاً بوسع المغفرة.

الآية من سورة الإسراء: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا * رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٥].

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٠٠٤) ومسلم رقم (٢٥٤٩) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٥٩٧١)، ومسلم رقم (٢٥٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الخطبة الحادية والثلاثون

في مدح الصدق وذم الكذب

الحمد لله الصادق في قيله، والهادي إلى سبيله، ومادح الصادقين على لسان رسوله وواعدهم بالخير في محكم تنزيله، والعالم بمجمل القول وتفصيله، والقائل ومن أصدق من الله في قيله، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨].

نحمده تعالى حبب الصدق إلى النفوس الكريمة، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كره الكذب على الطباع الصحيحة والأذواق السليمة، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب المقام الرفيع والمنزلة العظيمة، والصادق المصدوق في حديثه والمقبولة تعاليمه.

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد الأمر بكل فضيلة وكريمة، والناهي عن كل خليقة ذميمة، وعلى آله وأصحابه والتابعين لطريقته المستقيمة، ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨].

أيها المسلمون، تخلقوا بأخلاق الله عز وجل^(١)

(١) روي حديث بهذا اللفظ، قال شيخ الإسلام رحمه الله في «نقض التأسيس» (٣/ ٢٧١-٢٧٢): هذا

اللفظ لا يعرف عن النبي ق في شيء من كتب الحديث، ولا هو معروف عن أحد من أهل العلم، بل

هو من باب الموضوعات عندهم. اهـ

واتصفوا بصفاته ^(١)، واعلموا أن الصدق من صفاته العلية القائمة بذاته، وأنه من صفات المرسلين، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

وما بعث في أمة من نذير إلا كان أصدقهم في حديثه وسائر تصرفاته، وكان محمد ﷺ في قومه معروفاً بالصادق ^(٢) الأمين ^(٣)، قبل أن يأتيهم بكتاب الله وآياته، وعبره وعظاته. فلما جاءهم بالحق استحبوا العمى على الهدى واتبعوا الشيطان وخطواته ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣].

=

نقلًا من كتاب «شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه» (٤ / ٤٥١)، وهكذا قال العلامة الألباني رحمه الله في تعليقه على «شرح الطحاوية» ص (١٢٠).

(١) هذا الكلام يحتاج إلى تفصيل، فما كان من الصفات الخاصة بالله جل وعلا فلا يجوز أن نتصف بها، مثل: الكبرياء والبطش والألوهية والاستواء والأولية والبقاء والخلق، وغير ذلك من الصفات الخاصة بالله جل وعلا، وما كان لا تقيًا أن نتصف به، فهذا جائز، مثل: العفو والرحمة والكرم والعلم والصدق والصبر والعدل وغير ذلك مما هو لائق بنا.

(٢) لحديث: «ما جربنا عليك كذبًا قط»، أخرجه البخاري (١٣٩٤ و ٤٩٧١) ومسلم (٢٠٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وغير ذلك من الأدلة.

(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عبدالله بن السائب صححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح السيرة النبوية» ص (٤٥).

صدق الحديث، وحفظ الأمانة، وعفة النفس، والقناعة بالمقسوم من صفات المؤمنين، والكذب والخيانة والحرص والطمع الخبيث من علامات المنافقين، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

وهو من اتباع الشيطان، قد اشترى الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة والعاجل بالأجل، وأثر الحياة الدنيا على الآخرة فكان من المارقين، وبظلمه وافترائه الكذب قد خرج من المخاطبين بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

والفاجر الخبيث الكاذب في قوله وفعله محسوب من الذين يسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين، وبعيد عن الاتصاف بقوله تعالى في عباده المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢٠-٢١].

أليس من العار عليكم يا أهل القرآن، أن يصدق غيركم وأنتم تكذبون، أليس من الفضيحة أن يتخلق غيركم بالفضائل وأنتم عنها معرضون.

وكيف ترضى أيها المسلم نسبة الشر إلى دينك وأن يخوض فيه بالباطل الذين لا يؤمنون، ومن الذي أباح لك أن يأمنك الكافر أو يصدقك الفاجر ثم أنت بعد ذلك تكذب وتخون. وهل غير الدين إلا بنوه، وهل شوه سمعة الإسلام إلا المسلمون، إذا نظر الأعداء إلى ديننا رأوه ديناً حسناً، وإذا نظروا إلينا رأوا أننا عنه مائلون، وبضد تعاليمه متخلفون.

وقد شغلتنا عنه ديانا، وصرفنا عنه المال والنساء والبنون ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

لقد كذب الشيطان حين قال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، فقال له ربه تعالى: ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٤-٣٥].

وكذب اليهود والنصارى في قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، فأخزاهم الله ورد عليهم بقوله تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ [المائدة: ١٨].

وصدق الله رب العالمين ﴿وَقَالُوا لَنُ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

وجاء قوم يجادلون في عيسى بن مريم بغير علم فقال الله فيهم: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

وفي الحديث الشريف: «تحروا الصدق وإن رأيتم أن الهلكة فيه، فإن فيه النجاة»^(١)، فهنيئاً لكم أيها الصادقون وأهل اليقين، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ

(١) (ضعيف).

أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» رقم (٤٤٩) من طريق مجمع بن يحيى الأنصاري عن منصور بن المعتمر قال: قال رسول الله ق فذكره، وهذا إسناد ضعيف لإعضاله، فإن منصور بن المعتمر إنما يروي عن التابعين. اهـ وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٣٣٩١). وأخرجه هناد كما في «ضعيف الجامع» رقم (٢٣٩٩) عن مجمع بن يحيى مرسلاً، فالحديث لا يثبت، وبه قال شيخنا يحيى حفظه الله في «اللمع على إصلاح المجتمع» (١١٧).

اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ * الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٨﴾
[الرعد: ٢٨-٢٩].

إذا صدق العالم في تعليمه وأخلص في وعظه وإرشاده وأراد بذلك وجه الله، ظهر أثره وعم نفعه واستجيبت دعوته، ثم التوفيق والهداية بيد الله، وإذا صدق الحاكم والمدعي والشاهد، ساد الأمن وصلحت البلاد وقطع دابر الفساد، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩].

وإذا صدق الصانع في صنعته، والتاجر في معاملته، كان تقيًا ثقة شريفًا مأمونًا عند الخلق وعند الله، والبيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وهكذا قال رسول الله ﷺ^(١)، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

لو كنت أيها المسلم صادقًا في عبادتك لظهر أثرها عليك في محاربة العصاة والفساق ولو كنت صادقًا في أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر لكنت مثالًا صالحًا وقدوة حسنة للناس في معالي الأمور ومكارم الأخلاق.

(١) أخرجه البخاري (٢٠٧٩) ومسلم (١٥٣٢) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه.

ولو كنت صادقاً في معاملتك لكنت أميناً معتبراً، ولكانت سمعتك حسنة وشهرتك طيبة في البنوك^(١) والأسواق، ولو كنت صادقاً في بيعك وشرائك وأخذك وعطائك وفي جميع معاملتك لكنت كريم الطلعة ميمون الصفقة ومبارك الأرزاق.

فأين الصدق والصادقون، وأين الأمانة والأمناء، يا أهل الخيانة وافتراء الكذب والاختلاق ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

إذا ذهب الصدق من الناس اشتبه المسلم بالكافر، والبر بالفاجر، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس من الموبقات والكبائر، فالمرأة تخون زوجها وتدنس عرضه وتفعل في بيته المنكر والولد يعبث بهال أبيه يصرفه في اللهو واللعب والخمر والميسر، ويا شقاوة الخمار والقمار.

وإذا فشا الكذب وتخلق به الأكابر والأصاغر، تودع منهم ولم يبال الله بعالم منهم ولا جاهل، ولا مأمور ولا آمر ولا غني ولا فقير، ولا صانع ولا تاجر ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ * جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ [ص: ١٠-١١].

(١) يا سبحان الله! كيف تكون السمعة حسنة، والشهرة طيبة لمن يدخل فيها حرم الله، ومن ذلك الدخول في البنوك الربوية؛ لأن أكثر تعاملتها بالربا وهو محرم بل كبيرة من كبائر الذنوب، ولأن فيه تعاون معهم على الإثم والعدوان، قال الله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

«أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»^(١).

«وثلاثة لا ينظر الله إليهم غداً: شيخ زان ورجل اتخذ الأيمان بضاعة يحلف في كل حق وباطل، وفقير مختال يزهو»، كذلك قاله سيد البشر^(٢).

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٤) و٢٤٥٩ و٣١٧٨ ومسلم رقم (٥٨) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) (ضعيف جداً).

أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٧/رقم ٤٩٢) من حديث عصمة بن مالك الخطمي رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/٧٨): رواه الطبراني في «الكبير» بإسناد ضعيف.

قلت: فيه الفضل بن المختار أبوسهل البصري، ترجمه الذهبي في «الميزان» (٣/٣٥٨) وقال: قال أبو حاتم: أحاديثه منكرا يحدث بالأباطيل، وقال الأزدي: منكر الحديث جداً، وقال ابن عدي: أحاديثه منكرا عامتها لا يتابع عليها. اهـ

وفيه أحمد بن محمد بن الحجاج بن رشدين المصري، ترجمه الذهبي في «الميزان» (١/١٣٣) وقال: قال ابن عدي: كذبه، وأنكرت عليه أشياء، ومع هذا فقد حسن الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٣٠٧٠).

لكن يغني عنه حديث أبي ذر رضي الله عنه في مسلم (١٠٦)، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه في مسلم (١٠٧)، ولفظه: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب إليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر». وحديث سلمان الفارسي في «صحيح الجامع» (٣٠٧٢) وهو مخرج في تحقيقي لـ «كتاب التوحيد» للشيخ النجدي رحمه الله، يسر الله طبعه.

«فعليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً أبر، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»، وذلك في صحيح الخبر^(١).

وكما يكون العبد عند الله صادقاً أو كاذباً فكذلك يكون عند أهل السماء وأهل الأرض، وإنها لإحدى الكبر ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، جعلني الله وإياكم من الصادقين، وجنبنا وإياكم موارد الظالمين، وأجارني وإياكم من الكذب والخيانة وحث اليمين.

(الآية) قال الله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤) ومسلم (٢٦٠٧) (١٠٥) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

الخطبة الثانية والثلاثون

في مدح الأمانة وذم الخيانة

الحمد لله الذي جعل الأمانة حملاً ثقيلاً، لا يقوم به إلا الإنسان لأنه كان ظلوماً جهولاً، ومدح القائمين بأماناتهم والموفين بعهد الله، فأثنى عليهم ثناءً جميلاً، وذم الذين يشترون بعهد الله وآياته ثمناً قليلاً ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣].

نحمده تعالى ونسأله العفو والعافية وبره وإحسانه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أمرنا بحفظ الأمانة ونهانا عن الخيانة.

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بخير شريعة وأفضل ديانة، والقائل ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئس البطانة»^(١) وحاشا رسول الله ﷺ أن يظلم أو يخون.

(١) (حسن لغيره).

أخرجه أبو داود (١٥٤٧)، والنسائي في «المجتبى» (٢٦٣/٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو من رواية محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة، وفيها كلام كما تقدم الكلام عليها تحت الخطبة (٢٩).

وله طريق أخرى أخرجه ابن ماجه (٣٣٥٤)، وفي سندها ليث بن أبي سليم ضعيف مختلط، فالحديث بهاتين الطريقتين يصير حسناً لغيره، والله أعلم، وقد حسنه الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح =

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد المنجز وعده، والموفي بعهده، وعلى آله وأصحابه من بعده، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم يبعثون.

أيها الناس: إن أول ما يرفع من هذه الأمة الأمانة، وآخر ما يبقى فيهم الصلاة^(١)، ولا خير فيمن لا أمانة له وإن أقام الصلاة وآتى الزكاة، فالخائن مبغوض عند الله وملائكته والناس أجمعين، متهاون بدينه ودنياه، قبيح المعاشرة، سيء المعاملة، منزوع البركة في بيعه

=

الجامع» (١٢٨٣).

(١) يشير رحمه الله بهذا الكلام إلى حديث شداد بن أوس رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧/رقم ٧١٨٢)، ولفظه: «أول ما تفقدون من دينكم الأمانة»، وفي سننه عمران بن داود القطان مختلف فيه والراجح ضعفه، والحسن مدلس وقد عنعن، ومهلب بن العلاء، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/١٤٥): لم أجد من ترجمه.

وأخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» رقم (١٥٥)، والضياء في «المختارة» رقم (١٥٨٣) عن أنس مرفوعاً، ولفظه: «أول ما تفقدون من دينكم الصلاة، وآخره الأمانة»، وفي سننه ثواب بن حجيل الهدادي، ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/٤٧١) ولم يذكر من الرواة عنه سوى موسى بن إسماعيل ولم يذكر فيه جرْحاً ولا تعديلاً.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/٢٦٥)، وفي «أخبار أصبهان» (٢/٢١٣) عن أنس به، دون ذكر الأمانة، وفيه يزيد الرقاشي ضعيف.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٩/رقم ٨٦٩٩ و ٨٧٠٠) عن عبدالله بن مسعود موقوفاً عليه، وإسناده صحيح. فالحديث بهذه الطرق يصير حسناً لغيره، وقد صححه الإمام الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (١٧٣٩).

وشراه، حلاف مهين، مستخف باليمين، يقول في كل شيء: لا والله، وبلى والله، ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٢].

قال رسول الله ﷺ: «أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا، حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليفة، وعفة في طعمة»^(١).

فاعتبروا يا أهل الإيمان، «وآية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»^(٢).

ويوم القيامة ينصب لكل غادر لواء يعرف به، فيقال هذه غدرة فلان ابن فلان^(٣)، ومن غشنا فليس منا^(١)، ومن شهر علينا سلاح فليس منا وإن أكثر من التسييح والتهليل،

(١) (ضعيف مرفوعاً).

والحديث جاء مرفوعاً وموقوفاً، أما المرفوع فأخرجه أحمد (١٧٧/٢)، والحاكم (٣١٤/٤)، والبيهقي في «الشعب» (٤٨٧٨) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وفي سنده ابن لهيعة ضعيف خلط بعد احتراق كتبه.

والحارث بن يزيد الحضرمي ثقة ثبت إلا أنه لا يعرف له سماع من عبدالله بن عمرو، وإنما يروي عنه بواسطة عبدالرحمن بن حجيرة، كما جاء التصريح به عند الخرائطي في «مكارم الأخلاق» رقم (٢٧)، والبيهقي في «الشعب» (٤٤٦٣)، وفي الإسناد إليه ابن لهيعة، وهو ضعيف كما تقدم.

وأما الموقوف فأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٢٠٤) كما في «الصحيحة» عن ابن عمرو، وإسناده صحيح. وقد صحح الحديث مرفوعاً وموقوفاً الإمام الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٧٣٣).

(٢) يشير رحمه الله إلى ما أخرجه البخاري (٣٣) ومسلم (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) يشير رحمه الله إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري رقم (٣١٨٨ و٦١٧٧) ومسلم =

وتلاوة القرآن^(٢)، ﴿يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩].

المؤمن بالله واليوم الآخر لا يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل، والمسلم الصادق في إسلامه ليس بغشاش ولا خداع، وليس بخب^(٣) ولا بخيل، والتاجر الأمين يبارك له في رزقه ويصدقه السمسار والعميل.

والخائن لا يموت إلا فقيراً ذليلاً مديوناً، ولو كان ذا جاه عريض ومال جزيل، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهُوَ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢].

=

رقم (١٧٣٥)، وفي الباب عن ابن مسعود رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٣١٨٦ و ٣١٨٧) ومسلم رقم (١٧٣٦).

(١) أخرجه مسلم رقم (١٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) يشير رحمه الله إلى ما أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٨٧/٧) من حديث عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه، دون قوله: «وإن أكثر من التسبيح...»، وفي سنده كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف المزني ضعيف، بل قال الشافعي وأبوداود: ركن من أركان الكذب.

ويغني عنه حديث ابن عمر رضي الله عنه بلفظ: «من حمل علينا السلاح فليس منا» أخرجه البخاري (٦٨٧٤) ومسلم (٩٨)، وفي الباب عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أخرجه مسلم (٩٩)، وعن أبي موسى رضي الله عنه رواه مسلم (١٠٠).

(٣) الخب: هو بفتح الخاء الحَدَّاع، وهو الجُربز الذي يسعى بين الناس بالفساد، كما في «لسان العرب» مادة: خبب.

أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تحن من خانك^(١)، واتق الله وأد الأمانة إلى أهلها ولا تعامل بالخيانة أصحابك وإخوانك، ولا يحملنك حب دنياك على مخالفة القرآن وأن تغش مواطنيك وجيرانك.

وراقب الله في عدك وذرعك وتفقد مكيالك وميزانك، وعامل الناس بمثل ما تحب أن يعاملوك به، وكف عن الناس ظلمك وعدوانك، فالسارق والغاصب أشرف منك يا بائعًا بالخيانة شرفك وإيمانك، أو ما أقرت قول ربك في عباده المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

ثلاث متعلقات بالعرش «الرحم تقول: اللهم إني بك فلا أقطع، والأمانة تقول: اللهم إني بك فلا أخان، والنعمة تقول: اللهم إني بك فلا أكفر»^(٢).

(١) هذا الكلام صحيح، ومبناه على حديث ضعيف، أخرجه أبوداود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بإسناد ظاهره الحسن، لكن الحديث أنكره أبوحاتم على طلق بن غنام كما في «العلل» لابنه (٢/رقم ١١١٤).

وفي الباب عن صحابة آخرين، لا يرتقي الحديث بها إلى الحسن، انظر «التلخيص الحبير» (٣/٩٧)، وكتابي «فتح الرحمن في تحقيق مختصر شعب الإيمان» تحت باب (٣٥) من «شعب الإيمان» الأمانات وما يجب فيها من أدائها إلى أهلها.

(٢) (ضعيف جدًا).

أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» رقم (٧٥٦٤)، وفي «الأسماء والصفات» رقم (٧٨٨)، والبخاري في «كشف الأستار» (٢/٣٧٦) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/١٤٩): وفيه يزيد بن ربيعة الرحبي وهو متروك، قلت: ترجمته في =

وإذا كانت الأمانة تستعيز بربها من خيانتها فكيف تضيعها يا خائفًا من عذاب ربه الأكبر، وكل ذي أمانة مسئول عن أمانته محاسب عليها يوم يقول: ﴿أَيْنَ الْمَفْرُوكَ لَا وَزَرَ﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿[القيامة: ١٠-١٢]

فالمرأة في بيت زوجها أمانة، والولد في مال أبيه أمين وكذلك الأجير أمين مسئول بين يدي الله لمن استأجر، والحاكم عند القضاء أمين فيما قدم وأخر، والعالم والجندي وال كاتب والحارس أهل أمانات يسألون عنها يوم المحشر، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

هل تعرف أيها الحاكم مراد الله من قوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥].

وهل عرفت أيها المحامي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧].

وهل فهمت يا شاهد الزور وآكل الرشوة وخائن الأمة والحكومة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

وهلا امتثلت أيها الوديع الذي وثق به الناس قوله تعالى ولم يزل قائلاً علياً وآمراً حكيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِيَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

يا علماء الدين: أنتم أمناء الله في أرضه على شريعة سيد المرسلين، ويا أيها المعلمون أنتم أمناء الله وأمنكم على البنات والبنين، ويا أيها العمال والصناع أنتم الأمناء للرؤساء والييين. ويا ذوي الأموال أنتم الأمناء على ملك اليمين، ووكلاء الله على الفقراء والمساكين^(١)، ويا ذوي الطب أنتم الأمناء على المرضى والمصابين، وكلكم راع ومسئول عن رعيته^(٢) يوم الدين، ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: ١١١].

(١) لا أعلم دليلاً صحيحاً على أن الأغنياء وكلاء الله في الأرض على الفقراء والمساكين، فهذا اللفظ ينبغي اجتنابه.

(٢) يشير رحمه الله إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩).

جميع ما أمرك الله به أيها المسلم أو نهاك عنه من التكاليف فأنت عليه مأمون، والصلاة والزكاة والصيام والوضوء والغسل من الجنابة أمانات، يا مسلمون، فاتقوا الله في سركم وجهركم إنه يعلم ما تبدون وما تكتمون.

وما أشد غضب الله على الذين يراءون ويمنعون الماعون، والذين يقولون ما لا يفعلون، ويأمرون ولا يأثمرون، وينهون عن المنكر ولا ينتهون، وأعوذ بالله منهم أن أكون، فإنما يتقبل الله من المتقين ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

الحديث عن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يكون بعدهم أقوام يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن» رواه مسلم والبخاري^(١).

جعلني الله وإياكم من القائمين بأمره والممثلين لنهيه وأمره وأجارني وإياكم من فتنة المال وشره، آمين.^(٢)

(الآية) ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا * لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣].

(١) أخرجه البخاري في مواضع من «صحيحه» منها برقم (٢٦٥١) ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٢) لأعلم دليلاً صحيحاً على تأمين الداعي بعد دعائه إلا ما كان عقب سورة الفاتحة، والله أعلم.

الخطبة الثالثة والثلاثون

فضل العلم والحث على تحصيله

الحمد لله الذي وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤده حفظها، ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، وأحكم كل شيء وحكم فيه وتبارك الله أحكاماً وحكماً، سبحانه شرع الحلال والحرام: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

وأنزل الكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢].

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوَّلُو الْعِلْمَ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، و﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

نحمده تعالى وفضله كبير، ونشكره عز وجل وإحسانه كثير، ونسأله العفو والعافية والسلامة من التقصير.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله القمر المنير والموحى إليه بقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [سبا: ٤٤].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[الأنبياء: ٧].

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد الصادق الأمين، وسيد الخلق أجمعين، بعثه الله في
الأميين، ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، وقال لهم: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(١).

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وسائر المؤمنين و﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ
حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١].

عباد الله: طلب العلم فريضة كتبها الله على المسلمين والمسلمات^(٢)، وأمر بالعلم قبل
العمل، فقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾
[محمد: ١٩].

(١) أخرجه البخاري رقم (٧١) ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

(٢) هذا الكلام صحيح، ومبناه على حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وأحسن من جمع طرقه وتكلم
عليه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» رقم (٣٠-١٥) ثم قال: هذا حديث يروى عن
أنس بن مالك رضي الله عنه من وجوه كثيرة، كلها معلولة لا حجة في شيء منها عند أهل العلم
بالحديث من جهة الإسناد. اهـ

قلت: وفي الباب عن ابن مسعود وأبي سعيد الخدري وابن عباس والحسين بن علي وابن عمر وعلي بن
أبي طالب وجابر رضي الله عنهم، وكلها لا تخلو من مقال.

ومن أحسن من جمعها وتكلم عليها الشيخ الألباني رحمه الله في تخريج «أحاديث مشكلة الفقر» (٤٨) -
٦٢، وانظر «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٢٣-٥٢) / تحقيق أبي الأشبال الزهيري / .

بها حاصلة: أن الحديث حسن بشواهده، وقد حسنه الزركشي والمزي كما في «اللائئ المشورة» (٤٣)،

وقواه السخاوي في «المقاصد» رقم (٦٦٠)، وحسنه السيوطي في «الدرر المشورة» (١٣٠)، بل =

ومن لا علم عنده فلا دين له ولا عقل له، وإنما هو من جملة الحيوانات، وهو غير معدود من الناس إذا عاش، وغير مفقود فيهم إذا مات، والله يرفع الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات، ويضع الجهل وأهله ولا يبالي بهم في أي واد هلكوا، كما تدل على ذلك الأحاديث والآيات، وإن أعجبتك من الجاهل صورته وثيابه فإنه عند الله بأسوأ الحالات، لأنه تعالى لا ينظر إلى الصور والأجسام وإنما ينظر إلى الأعمال والقلوب^(١) والنيات، وكل عمل ونية بغير علم فهو رد على صاحبه ولو كان من أفضل القربات ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ آَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

=

صنف فيه تصنيفًا كما في «فيض القدير» للمناوي (٣٥٣/٤). وقال العلامة الذهبي في «تلخيص العلل المتناهية» رقم (٢٦): روي عن علي و... و... وبعض طرقه أوهى من بعض، وبعضها صالح، والله أعلم. وذهب المناوي في «التيسير» (١١٥/٢) إلى تقويته بكثرة طرقه، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٣٩١٣)، وشيخنا مقبل الوادعي رحمه الله كان على الاحتجاج به فيما استفدناه من دروسه المباركة، وحسنه شيخنا الفاضل أبو عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله، فيما استفدناه من دروسه المباركة، ومما ينبه عليه أنه ورد في نهاية الحديث زيادة: «ومسلمة...»، قال السخاوي: وليس لها ذكر في شيء من طرقه، وإن كان معناها صحيحًا، وأقره العلامة الألباني رحمه الله على ذلك في تخريج «مشكلة الفقر» رقم (٨٦)، والحمد لله.

(١) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه مسلم رقم (٢٥٦٤) (٣٣) (٣٤).

العالم لا يدين الله إلا بالحق ولا يعبد إلا بما شرع، والعالم لا يأخذ إلا بالدليل ولا يسير إلا على أوضح سبيل، ولذلك يقبل منه القليل، ويضاعف له أجر ما ترك وما صنع.

والجاهل يدين الله بالباطل، ويعبد بالأهواء والبدع، يجيب كل ناعق، ويتبع كل مارق، وإذا دعاه الشيطان إلى شيء استمع واتبع، والجاهل يعمل كثيرًا، ولا يستفيد إلا قليلًا، ويضع الأمور في غير مواضعها، ويضر نفسه وقليلًا ما ينفع.

وفضل العالم العابد على الجاهل العابد كفضل البدر على سائر الكواكب^(١) إذا طلع، وتم نوره وسطع.

وفي الحديث الشريف: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، إن الله عز وجل وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير»^(٢).

(١) يشير رحمه الله بهذا الكلام إلى حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، أخرجه أبونعيم في «الحلية» (٩/٤٥)، ولفظه: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»، وفي سنده عثمان بن عطاء الخراساني ضعيف كما في «التقريب»، وأبوه عطاء بن أبي مسلم الخراساني لم يسمع من معاذ بن جبل كما في «جامع التحصيل».

وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٤٢١٢).

وله شاهد من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وهو حديث حسن بشواهد كما بيته في تحقيقي «الواسطة بين الحق والخلق» لشيخ الإسلام رحمه الله، ص (٣٤-٣٧) ط / الآثار صنعاء.

(٢) (حسن لغيره).

أخرجه الترمذي (٢٦٨٥) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، وفي سنده سلمة بن رجاء التيمي =

فهنيئاً لك أيها العالم ما أعد الله لك من الخير، إذا كنت ذا عمل صالح وزهد وورع،
﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ
وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

لقد وصف الله نفسه بالعلم فقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقالت الملائكة: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾
[البقرة: ٣٢].

وقال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ
زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

=

ضعيف يعتبر به، كما في ترجمته من «التهذيب».

لكن له شاهد من حديث أبي الدرداء وهو حديث حسن بشواهد كما بينته في تحقيقي لرسالة «الواسطة
بين الحق والخلق» لشيخ الإسلام رحمه الله ط/ دار الآثار صنعاء.

وشاهد آخر من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً: «معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في
البحر»، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٢١٥) وإسناده حسن.

وشاهد آخر من حديث عائشة رضي الله عنه، أخرجه البزار، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في
«صحيح الترغيب» (١/ ١٤٤).

وقد حسن حديث أبي أمامة المشار إليه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» المصدر السابق.

وكذلك قيل لكل ملك كريم ورسول عظيم، والعلماء ورثة الأنبياء^(١) يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويدعون إلى الخير بحسن الاستقامة وحكمة التعليم. ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»، كما صح ذلك عن المرشد الحكيم^(٢)، عليه أفضل الصلاة والتسليم.

وقال ﷺ: «من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلمه كان له أجر حاج تام حجه»^(٣)، ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

(١) يشير رحمه الله بهذا الكلام إلى حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وهو حديث حسن بشواهده كما بيته في تحقيقي لرسالة «الواسطة بين الحق والخلق» ص (٣٤-٣٧) ط. دار الآثار، صنعاء.

(٢) أخرجه مسلم رقم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) (ظاهره الصحة).

أخرجه الطبراني في «مستند الشاميين» رق (٤٢٣)، وفي «الكبير» (٧٤٧٣)، ومن طريقه أبونعيم في «الحلية» (٩٧/٦)، والحاكم في «المستدرک» (٩١/١)، ومن طريقه البيهقي في «الآداب» رقم (١١٨٥) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

قال الحاكم: صحيح على شرطهما، وقال الذهبي في «تليخيه»: على شرط البخاري، وقال العراقي في «تخریج الإحياء» (١١٧٢/٢): وإسناده جيد، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب»: رواه الطبراني في «الكبير» بإسناد لا بأس به، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (١/١٤٥).

ومن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم^(١)، ومن ازداد علماً ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعداً^(٢)، ونعوذ بالله من ذي لسان وقلب أثيم، ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

(١) يشير رحمه الله بهذا الكلام إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠ / ١٤ - ١٥)، ولفظه: «من عمل بما يعلم، ورّثه الله علم ما لم يعلم». قال الإمام الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٤٢٢): موضوع، ثم قال: قال أبو نعيم: ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم عليه السلام، فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي ق، فوضع هذا الإسناد عليه لسهولة وقربه، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد أحمد بن حنبل. اهـ

ثم قال الشيخ الألباني رحمه الله: وفي الطريق إليه جماعة لم أعرفهم فلا أدري من وضعه منهم. اهـ (٢) يشير رحمه الله بهذا الكلام إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال الإمام الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٤٥٤١): ضعيف جداً، رواه أبو سعد عبد الرحمن بن حمدان البصري في جزء من «الأمالي» (١٤٨).

وفيه أبو سعيد أبان بن جعفر النجيري، قال الذهبي في «ذيل الضعفاء»: كذاب كان بالبصرة، وقال في «الميزان»: تالف متأخر، وفيه أحمد بن سعيد الثقفي مجهول.

والحديث أورده السيوطي في «الجامع» من رواية الديلمي عن علي، وهو ضعيف جداً، وفيه موسى بن إبراهيم، قال الدارقطني: متروك، وكذبه يحيى كما في «الميزان»، وساق له حديثين، قال: إنها من بلاياه. اهـ بتصرف من «الضعيفة».

وانظر «اللمع على إصلاح المجتمع» لشيخنا الفاضل أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله (٣٩٥).

كان المسلمون يطلبون العلم في الحضر والسفر وينفقون على جمعه ونشره المال الكثير، وكان أحدهم يشتري الكتاب أو يستنسخه بمئات الدراهم أو الدينار، وكانت المساجد والمدارس والأربطة تغص^(١) بالعلماء من صغير وكبير، ومبتدئ ونحير.

وكان لأهل العلم عند الملوك والأمراء غاية الاحترام والتقدير، لا يأخذون إلا برأيهم، ولا يبتون في الأمر إلا بعد مشاورتهم، فنعمة المستشار ونعمة المستشار.

ومهما يكن من خليفة أو وزير، أو قائد أو أمير، فعلى جانب عظيم من العلم الصحيح وسلامة التفكير، وإلا فكيف يدير الأمور ويتق المحذور بسد الثغور والإيقاع بكل فاجر وشرير.

فشأن الجاهل حقير، ونظره قصير، وهو سيء التدبير، وإن كان ثوبه والسرير من الذهب والحرير، وما ظهر الجهل في أمة شأنها خطر وأمرها كبير، إلا تهدم بنيانها، وترعزت أركانها، وحل بها الخراب والتدمير.

وكفى بما نشاهده دليلاً على صدق ما نقول والناقد بصير، ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١].

ليس العلم كله أن تعرف الطهارة والصلاة والحج والزكاة والصيام، ولكنه ذلك ومعرفة الحق والباطل والحسن والقبيح والحلال والحرام، وليس غرضنا من التعليم أن

(١) أي: تمتلئ كما في «لسان العرب» مادة: غصص.

يتخرج من مدارسنا ومساجدنا معلم الصبيان والمؤذن والإمام، ولكنه ذلك وأن يكون في علمائنا الصانع والطبيب، والتاجر والجندي، والقاضي والخطيب والشاعر المجيد، والناثر الأديب، والصالح لدينه ودنياه.

والعضو العامل في جسم أمته التي تعتز بكتابتها القرآن وتفتخر بدينها الإسلام، وذلك لا يكون إلا بمعرفة ما جاء به الكتاب والسنة من القوانين^(١) والأحكام، ومختلف العلوم التي بها تستقيم المدنية ويسود النظام.

وفي كتاب الله ما يرجع إليه الفقيه والفلكي، والمؤرخ واللغوي، والفيلسوف والمنطقي، والمهندس والجغرافي، والنباتي والقانوني، وعلماء النفس في الشرق والغرب من عرب وأعجام، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

الدين الصحيح يأمر أهله بالعلم ويحثهم عليه، ويجعله شرط العبادة وقوام الملك والعمران، ويرغب في العناية به والإنفاق عليه ومعاونة أهله في كل زمان، وقد يما كان المسلمون يبنون المعاهد والمدارس ويقفون عليه العقار والكتب وما تحتاج إليه، وذلك من أعظم الإحسان.

(١) إطلاق لفظة قوانين على أحكام الكتاب والسنة، لفظ محدث دخيل كان ينبغي للمؤلف رحمه الله اجتنابه، وقد تقدم التعليق عليه تحت الخطبة الرابعة.

وأوقفهم في مصر والشام واليمن والعراق والهند على العلم والعلماء لا تعد ولا تحصى بحسبان، وهذه الأمم العظيمة تخصص من مالية الدولة الملايين لنشر العلوم وتعميم العرفان.

ونحن لا نجود في سبيل ذلك بفلس ولا نتأثر بما نعانيه من ألم الجهل والمال عندنا كثير، ولكن بلينا بالغفلة والنسيان، وقلة الاهتمام وضعف الإيثار، وحاجتنا إلى العلم ماسة وأشد ما يكون إلى علوم الأديان^(١)، التي بها يعرف الحق من الباطل، والصحيح من الفاسد، وبها تقوم الأخلاق ويعم الأمان.

ونعوذ بالله من الاشتغال بالدنيا عن الآخرة، ومماثلة الذين يذمهم الله في محكم القرآن، بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٦-٧].

قال رسول الله ﷺ: «ما عبد الله بشيء أفضل من فقهه في دين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد»^(٢).

(١) لسنا بحاجة إلى تعلم علوم جميع الأديان؛ لأن تعلمها يعتبر تهوكًا، ولأنها قد نسخت بديننا الإسلامي الحنيف الذي جاء به نبينا محمد ق، قال الله: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وكان صواب العبارة أن يقول المؤلف: وحاجتنا إلى العلم ماسة وأشد ما تكون إلى تعاليم هذا الدين.

(٢) (ضعيف جدًا).

أخرجه الدارقطني (٧٩/٣)، وأبونعيم في «الحلية» (١٩٢/٢)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» =

(١/ ٣١-٣٢)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ رقم ٧٣)، والطبراني في «الأوسط» (٦١٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي سننه يزيد بن عياض بن جعدة الليثي، قال البخاري وغيره: منكر الحديث، وقال يحيى: ليس بثقة، ورماه مالك بالكذب، وقال النسائي وغيره: متروك، كما في «التهذيب».

وللحديث طريق أخرى عن أبي هريرة، أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٦٩)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٨٦)، وفي سننها أبو الربيع السمان أشعث بن سعيد البصري، قال الدارقطني والفلاس: متروك الحديث كما في «التهذيب».

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٩٢-١٩٣)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٨٧) عن أبي هريرة موقوفاً عليه، وفي سننه يزيد بن عياض سلف القول فيه.

قال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٩٤): لا يصح عن رسول الله ق.

وأخرجه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٧٤) عن أبي هريرة دون قوله: «ولفقيه واحد..»، وفي سننه أحمد بن الحسن بن إسماعيل ليس بالقوي، والحسن لم يسمع من أبي هريرة.

وأخرجه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» رقم (٧٠) عن ابن عمر، وفي سننه يوسف بن خالد كذاب، وقد تابعه عيسى بن زياد الدورقي عند البيهقي في «الشعب» (٢/ ٢٦٦)، قال البيهقي: تفرد به عيسى بن زياد، وروي من وجه آخر ضعيف، والمحفوظ هذا اللفظ من قول الزهري. اهـ

وفي الباب عن ابن عباس بلفظ: «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد»، أخرجه الترمذي (٢٦٨١)، وابن ماجه رقم (٢٢٢)، وأبوداود (٢٦٨٢)، والطبراني (٧٨/ ١١)، والبخاري في «تاريخه» (٣/ ٣٠٨).

وفي سننه الوليد بن مسلم مدلس تدليس التسوية، ولم يصرح في شيخه، وروح بن جناح الأموي ضعيف بل اتهمه ابن حبان كما في «التقريب»، وقد ذكروا هذا الحديث من مناكيره كما في «التهذيب» و«الميزان»، وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب» (١/ ٥١).

فالخاصل أن الحديث ضعيف جداً، وقد حكم عليه بالوضع العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم =

وقال عليه السلام: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(١).

وقال عليه السلام: «إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، إذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة»^(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «العالم والمتعلم شريكان في الخير ولا خير في سائر الناس»^(٣).

=

(٤٤٦١) والحمد لله.

(١) أخرجه مسلم رقم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه لكن بلفظ: «إذا مات الإنسان...».

(٢) (ضعيف جداً).

أخرجه أحمد (٣/ ١٥٧)، والخطيب في «الفتاوى والمفتحة» (٧٦٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي سنده رشدين بن سعد، قال أبو حاتم: منكر الحديث فيه غفلة، ويحدث بالمناكير عن الثقات ضعيف الحديث، ما أقربه من داود بن المحبر، وقال النسائي: متروك الحديث كما في «التهذيب». وفيه عبد الله بن الوليد التجيبي المصري لين الحديث، وفيه أبو حفص صاحب أنس ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح» (٩/ ٣٦١) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢١): مجهول. اهـ وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب» (١/ ٤٩).

(٣) (ضعيف).

والحديث ورد عن عدد من الصحابة، منهم:

١- أبوامامة رضي الله عنه، أخرجه ابن ماجه في المقدمة رقم (٢٢٨)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٢٠) رقم (٧٨٧٥)، والخطيب في «تاريخه» (٢/ ٢١٢)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٣٦) و(١٣٧).

=

=

وفي سنده علي بن يزيد الألحاني ضعيف كما في «التقريب»، وفيه عثمان بن أبي العاتكة ضعيف، وخاصة إذا روى عن علي بن يزيد كما في «التهذيب».

وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف ابن ماجه» (٢٢٧).

٢- حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» رقم (٢٧٩)، والطبراني في «الكبير» كما في «مجمع الزوائد» (١/١٢٢)، وفي «مسند الشاميين» رقم (٢٢١٨)، وفيه معاوية بن يحيى الصديقي، قال ابن معين: هالك ليس بشيء.

٣- حديث أبي سعيد رضي الله عنه، أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» رقم (١٣٣)، وفي سنده عبد الملك بن حبيب المصيصي، قال الشيخ الألباني رحمه الله في «الإرواء» (٢/١٤٢): مجهول حال روى عنه جماعة ولم يوثقه أحد. اهـ

وقد خالفه الثقات، فرواه عن أبي الدرداء موقوفاً وسيأتي تخريجه إن شاء الله.

٤- حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/٢٠١) رقم (١٠٤٦١)، وعنه أبونعيم في «الحلية» (١/٣٧٦)، وفي سنده الربيع بن بدر السعدي متروك كما في «التقريب»، وسليمان بن داود الشاذكوني كذبه غير واحد من الأئمة.

٥- حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه الباطرقاني في «مجلس من الأمالي» رقم (١٢) كما في «الإرواء» (٢/١٤٣)، وفي سنده انقطاع الضحاك لم يسمع من ابن عباس، وخالد بن عبد الله القسري أمير العراق لم يوثقه أحد غير ابن حبان، وله أخبار شهيرة وأقوال فظيعة، ذكرها ابن جرير وغيره، وفيه من لم يعرف.

أفاده العلامة الألباني رحمه الله في «الإرواء»، ثم قال: وجملة القول إن الحديث لا يصح لا موقوفاً ولا مرفوعاً. اهـ

قلت: أما المرفوع فطرقة كلها ضعيفة وبعضها واهية، وأما الموقوف فقد صح عن أبي الدرداء رضي الله عنه بمجموع طرقه.

وقال أيضًا: «من تعلم بابًا من العلم ليعلم الناس أعطي ثواب سبعين صديقًا»^(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٧-٥٨﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

(١) (موضوع).

أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» كما في «الضعيفة» تحت رقم (٦٨٠٣) عن ابن مسعود. قال المنذري في «الترغيب والترهيب»: فيه نكارة، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ١٨): سنده ضعيف، قال الشيخ الألباني رحمه الله: هو أسوأ من ذلك، فقد وقفت على إسناده في ذيل الأحاديث الموضوعة للسيوطي ص (٣٧): ساقه من طريق الحاكم وعنه الديلمي ... قال العراقي: وهو منكر، جعفر بن سهل المذكر، والجارود بن يزيد كذابان، ومحمد بن عبد الله بن عُلَّاثَة القاضي مختلف في الاحتجاج به، وقال السيوطي: الجارود بن يزيد قال أبو أسامة وأبو حاتم: كذاب، وقال أبو داود: غير ثقة، وقال يحيى: ليس بشيء، وقال النسائي والدارقطني: متروك الحديث. اهـ قال الشيخ الألباني رحمه الله: وجعفر بن سهل المذكر الذي ذكره العراقي لم أجده في كتب الرجال التي عندي، نعم في «الميزان» و«اللسان» جعفر بن سهل النيسابوري عن إسحاق بن راهويه قال الحاكم: حدث بمناكير، فهل هو هذا، ووهم العراقي في تكذيبه، أم هو غيره؟! الظاهري لي الأول. اهـ بتصرف من «الضعيفة».

وقد حكم بوضعه في «ضعيف الترغيب» (١/ ٤٧).

الخطبة الرابعة والثلاثون

في تعليم المرأة والعناية بها

الحمد لله الذي بين السبل، وأرشدنا بالرسل، ورفعنا بالقرآن إلى أعلى المثل ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١].

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل الرجال قوامين على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله إلى كافة أهل الأرض، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة، وبين الحلال والحرام والسنة والفرض، ودعا الناس إلى سبيل ربه بالحكمة وحسن الوعظ، ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٢-٢٦].

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد النبي المختار، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار والتابعين لهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار، ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

أيها الناس: إنكم لم تخلقوا في هذه الدنيا عبثاً، ولا لتعيشوا فيها عيشة الخبثاء ولكنكم خلفاء الله في الأرض^(١) وأنتم الورثاء، فسيروا إليه بأنفسكم وأهلكم سيراً حثيثاً، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

هيهات هيهات، ما خلق الله الجن والإنس إلا ليعبدوه، ولا جعل النار جزاء المشركين إلا لتوحدوه، ولا أسبغ عليكم نعمه الظاهرة والباطنة إلا لتشكروه وتحمده، ولا عرفكم آلاءه إلا لتعظموه وتُجدوه، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴿[الذاريات: ٥٦-٥٧].

ألا وإن من طاعة الله وحسن عبادته أن تحثوا عليها نساءكم وأن تلزموا بها بناتكم وأبناءكم، وأن تدعوا إليها أصهاركم وأقرباءكم، وتحرضوا عليها جيرانكم وأجراءكم، ولا تقروهم على المنكر إذا فعلوه فتشملكم هذه الآية ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿[المائدة: ٧٨-٧٩].

كل امرئ مسئول محاسب عن نفسه وابنه وابنته وزوجته وخادمه وأخته، وجميع من في ولايته، ألا وكلكم راع ومسئول عن رعيته^(٢)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ

(١) تقدم التنبيه على إطلاق لفظة خليفة الله في الأرض، تحت الخطبة (٢٢) فراجع إن شئت.

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري رقم (٨٩٣) ومسلم رقم

نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [التحریم: ٦].

يا عبد الله: كيف ترى نساءك يسرحن في الشر ويمرحن، ويغلطن أبواب المعروف ولأبواب المنكر يفتحن، ويغصن في مستنقعات الذنوب ويسبحن، وهن يضحكن لك ويفرحن، وأنت لا تبدي ولا تعيد، ولا تدري بما يكون وأهلك في طغيانهم يعمهون.

ماذا يكون من اختلاط النساء بالرجال؟ وحضورهن الحفلات ودور السينما ومسارح التمثيل، ماذا يصير من المرأة إذا ركبت رأسها واتبعت هواها فضلت عن سواء السبيل.

يا ويلها من هذه المدنية وما تدعو إليه من الأباطيل، والويل والثبور لمن يقرها على مخالفة التنزيل ومراعاة الجميل، ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ * وَقَفُوهُمْ إِتْمُهمْ مَسْئُولُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ * بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ [الصافات: ٢٢-٢٦].

من لصالح البيت وسعادة الزوج وتربية البنين، من يكون الفرد في المجتمع الصالح للعالم والدين، إذا فسدت أخلاق المرأة ولعبت بها الشياطين، فهي لا تهتم إلا بملبسها الرزين^(١)، وثوبها الثمين، ومختلف الأصباغ والتلوين ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

(١) الرزين: المراد به في كلام المؤلف الجميل، ولم تأت هذه الكلمة في «لسان العرب»، ولكن معنى الرزين: الثقيل من كل شيء، كما في «لسان العرب» مادة: رزن.

هتك الحجاب، ورفع النقاب، ووضع الجلباب، وافترست المرأة كلاب البشرية والذئاب، ودعاها إلى الشر كل خبيث دجال كذاب، لا يؤمن بيوم الحساب ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

كيف تسمع البنات والأمهات وهن يغنين في الشوارع والدور، بقصائد الفحش والخلاعة والفجور، وأنت يا مغرور، لا تتحرك لذلك ولا تثور، ولا تبالي بما يجر إليه من حب السفور، وشرب الخمر، وفساد المعمور، كأنك ميت أو فاقد الشعور، ﴿فَسْتَبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ * بِأَيْكُمُ الْمَفْتُونُ ﴿[القلم: ٥-٦].

ما لهذه المرأة لا تعرف شيئاً عن الإسلام، ولا تفهم معنى الصلاة والصيام، ولا أي شيء من الأحكام، وهمك منها نفسك وأن تجيد لك التصيين^(١) وطبخ الطعام. إن هذا لغاية الإجرام، وجماع الآثام، وخروج على قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

(١) التصيين: هو التغسيل في بعض لغات أهل اليمن، وهذه الكلمة قد اشتهرت على ألسنة كثير من الناس، وهي دارجة ودخيلة، ومعناها الحقيقي كما في «لسان العرب» مادة: صبن: خبأ شيئاً كالدرهم وغيره في كفه ولا يُفطن به ... قال الأصمعي: تأويل هذا الحرف صرف الهدية أو المعروف عن جيرانك ومعارفك إلى غيرهم، وصَبَنَ الفدحين يصبنهما صبناً سَوَّاهما في كفه ثم ضرب بهما، وإذا سوى مقامر الكعبيين تصبِن. اهـ

علموا هذه الجاهلة المسكينة وهذبوها، وبآداب القرآن والسنة أدبوها، وعلى الأخلاق الفاضلة وجميل الصفات دربوها، أما هذه العادات والتقاليد الأجنبية فحاربوها، وابتعدوا عنها ولا تقربوها، فإنما جاء بها الذين، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴿[البقرة: ١١-١٢].

الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً» رواه البخاري ومسلم^(١).

ربنا اجعلنا من الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً، والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

واجعلنا من الذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ * إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿[التغابن: ١٤-١٥].

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٣٣١ و ٥١٨٦)، ومسلم رقم (١٤٦٨)(٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الخطبة الخامسة والثلاثون

في الزار^(١)

الحمد لله الذي حفظ عباده المؤمنين، من همزات الشياطين، ونزغات المضلين، ولم يجعل لإبليس اللعين سلطاناً على عباده المخلصين، من اعتمد عليه كفاه، ومن سأل له أعطاه، ومن استعاذ به أعاده من مصائب الدنيا والدين.

﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ * حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ * وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٩].

نحمده تعالى وهو الرحمن الرحيم، ونشكره عز وجل وهو الجواد الحليم، ونسأله الإيثار والتسليم، ونعوذ به من الشيطان الرجيم، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك

(١) الزار: هو حفلة راقصة تقام لطرد الأرواح الخبيثة التي تمس أجسام بعض الناس في زعمهم. اهـ من «المعجم الوسيط» (٤٣١).

وقال شيخنا المحدث الفقيه أبو عبد الرحمن يحيى الحجوري حفظه الله: مرض الزار مرض يصاب به بعض العصاة من الجن فيؤمرونه، يعني المريض أن يذبح للجن، وهذا شرك وهو موجود في السودان، استفدت هذا الكلام من بعض دروسه الماتعة جزاه الله خيراً وجعله ذخراً للإسلام والمسلمين. وهكذا في بعض البلدان اليمنية لاسيما المناطق الساحلية، ولا يُشفى صاحب هذا المرض بزعمهم؛ حتى يُذبح كبشين أو نحوهما لغير الله جل وعلا، وهذا شرك أكبر مخرج من الملة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

له، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الكريم سيد المرسلين وخاتم النبيين والسيد
السند العظيم، والمنزل عليه من لدن حكيم عليم: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ *
تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣].
اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد القائل: «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى
الدم»^(١).

والقائل ﷺ: «الشيطان يلتقم قلب ابن آدم فإذا ذكر الله خنس عنده، وإذا نسي الله التقم
قلبه»^(٢)، فبئس اللاقم وبئس الملتقم.

(١) أخرجه البخاري في مواضع من «صحيحه» برقم (٢٠٣) و (٢٠٣٨) و (٢٠٣٩) و (٣١٠١) و (٣٢٨١)
و (٦٢١٩) ومسلم رقم (٢١٧٥) من حديث صفية بنت حيي رضي الله عنها.
(٢) (ضعيف).

أخرجه الحكيم الترمذي كما في «ضعيف الجامع» للعلامة الألباني رحمه الله رقم (٣٤٥٤) عن أنس رضي
الله عنه.

ثم أورده رحمه الله في «الضعيفة» رقم (١٣٦٧) بلفظ: «إن الشيطان وضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن
ذكر الله خنس، وإن نسي التقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس».

ثم قال: ضعيف، رواه ابن شاهين في «الترغيب» (٢/ ٢٨٤)، وأبونعيم في «الحلية» (٦/ ٢٦٨)، وأبو يعلى
واللفظ له (١/ ٢٠٤)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٣٢٦) / طبعة هندية /، عن أنس بن مالك رضي
الله عنه.

صلى الله وسلم عليك يا سيد العرب والعجم، وخير ناطق بالآيات والحكم، وعلى آلك وأصحابك السالكين منهج دينك الأقوم، وعلى التابعين لهم بإحسان في فعل الواجب وترك المحرم، ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ * وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١-٦٢].

عباد الله: مرض الزار منتشر في نساء البلاد ورجالها، والأوهام تعبت بعقول الناس وأموالها، والشياطين تلعب بفسقة الأمة وجهالها، فهي لا تفرق بين حرام الشريعة وحلالها. ولذلك نصب لهم الشيطان شباك الفتنة وأوقعهم في حبالها، واستعان عليهم بأهل الخرافات وضلالها، وكتاب الحروز والتائم ودعاة الشعوذة وعمالها، فحسنوا القبيح وقبحوا الحسن، وضللوا الأمة في عقائدها وأقوالها وأفعالها، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

بعض الناس يصاب بمرض عصبي خبيث، فيتوهم أنه الزار، وهو نتيجة الهموم والغموم وعدم الرياضة والانحباس في الدار.

=

وفيه عدي بن أبي عمارة ضعيف، وشيخه زياد النميري ضعيف أيضًا كما في «التقريب»، وضعفه ابن كثير في «تفسيره» (٣٠٧/٩)، والمنذري في «الترغيب والترهيب» (٢٣٠-٢٣١). اهـ بتصرف من «الضعيفة».

وبعضه ينشأ من المباهاة والمفاخرات التي تمكن الشياطين من النفوس الضعيفة والعقول السخيفة، فبُست المباهاة وبُس الافتخار، وللأطباء بعلاج هذا الداء العضال معرفة تامة ولهم به تمام الاختبار.

فليت شعري كيف يكون دواء المريض على يد امرأة جاهلة لا تعرف إلا الطبل والمزمار، ورفع عقيرتها بالأشعار، تستغيث بالشياطين والأرواح الخبيثة الشريرة، فلها ولمن تداويه وتناديه النار وبُس القرار، ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وإذا فتح الإنسان على نفسه باب الشكوك والأوهام والتخيلات تسلط عليه الشياطين وصار قاتل أوهامه والخرافات، فكل شيء يراه يحسبه جنياً، وكل شيء يصيبه في نفسه أو ماله أو البنين أو البنات، فهو لا يعده إلا من الشياطين والعفاريت والغيلان والقرينات.

وذا الزار تزعم أن صاحب رأسها يريد هذا ويغض هذا، وأنه لا يغيب عنها في سائر الأوقات، ولها نظام خاص بها في طعامها وشرابها ولباسها بل وفي الحركات والسكنات. وباردها تخوف الآباء والأمهات، ومعاريفها من الجارات الجاهلات، اللاتي لا يفرقن بين الصدق والكذب والحقائق والشعوذات، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿[الأعراف: ٢٠١-٢٠٢].

تقام حفلات الزار في أحد البيوت فيحل به الدمار والخراب وسوء العاقبة، وتتحكم المرأة في زوجها وأهلها وتكلفهم فوق ما يطيقون لحالتها الراهنة، وتتصنع البكاء والمرض، وتدعي أنها ترى ما لا يرون.

وهي والله فاجرة كاذبة، فتصرف الأموال لشراء الثياب وصوغ الحلي ورشوة العلقمة المختلسة والذئبة المفترسة الناهبة وغير خاف عليكم ما يكون من الذبح والقذح والطبخ والنفخ والتكاليف التي هي للشر جالبة وبالفقر والدين ضامنة وللنعمة سالبة.

والعجيب أنك لا ترى من بها الزار إلا وهي كاسفة البال، عابسة الوجه، نحيلة الجسم، قد أنفقت مالها، وأذهبت جمالها، وأصبحت بالشرعية والقانون ^(١) هازئة لاعبة، ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

في بيت الزار تذبح الأغنام، وتتضمخ المرأة بدماء الأنعام، وترقص حتى يصيبها الدوران ^(٢)، ويصرعها الغرام ^(٣)، وإذ ذاك تخرج عن الأدب والاحتشام، ويحيط بها شياطين الإنس يضربون لها الطبول، ويغنون بما يناسب عفريتها من التوقيع والأنعام، ثم يرتكبون المنكرات والآثام، ولا يبالون بمكروه ولا حرام.

(١) تقدم التعليق على كلمة قانون تحت الخطبة الرابعة فراجعه إن شئت.

(٢) الدوران: الطواف حول الشيء، والدوران: يأخذ في الرأس، كما في «المعجم الوسيط» (٣٢٦).

(٣) الغرام: من معانيه الحب، كما في «لسان العرب» مادة: غرم.

بل إنهم ليفعلون ما لا تقره يهودية ولا نصرانية ولا إسلام، ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠].

هذه المنكرات تفعل بمرأى ومسمع منكم أيها المسلمون، وأنتم عنها غافلون، وأعظمها الزار الذي لا يقره عرف ولا عادة، ولا عقل ولا علم، ولا ذوق سليم ولا شريعة ولا قانون^(١).

فما لكم لا تأمرون بمعروف ولا تنهون عن منكر، وأنتم تعلمون قول الله تعالى ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩].
وكانكم تريدون من العلماء أن يصنعوا لكم كل شيء، وأن يحافظوا لكم على الدين والأخلاق بألسنتهم وأيديهم، والحال إنهم عاجزون، وليس لهم حول ولا قوة إلا بالله الذي بيده كل شيء وإليه ترجعون.

وكيف يدخل العالم بيوت الناس، ويغير المنكر الذي فيها يصنعون، وماذا على علماء الدين أكثر من هذه الخطب والمواعظ التي تسمعون، ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجن: ٦].

قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها كانت في سخط الله حتى ترجع إلى بيتها أو يرضى عنها زوجها»^(١).

(١) تقدم التنبيه على كلمة قانون تحت الخطبة الرابعة فراجع إن شئت.

وقال ﷺ: «أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل»^(٢).

وقال ﷺ: «ما من صباح إلا وملكان يناديان ويل للرجال من النساء، وويل للنساء من الرجال»^(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: «إياك والخلوة بالنساء، والذي نفسي بيده ما خلا رجل وامرأة إلا دخل الشيطان بينهما»^(٢) أو كما قال.

=

(١) (موضوع).

أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٦/ ٢٠٠-٢٠١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي سنده إبراهيم بن هُدبة، ذكر الحديث الخطيب في ترجمته ثم قال: حدث عن أنس بالأباطيل، ثم ساق له أحاديث هذا أحدها، وقال: قال ابن معين فيه: كذاب خبيث، وعن علي بن ثابت أنه قال: هو أكذب من حماري هذا، وقال الذهبي: حدث ببغداد وغيرها بالبواطيل، قال أبو حاتم وغيره: كذاب. وفي «اللسان»: قال ابن حبان: دجال من الدجاجلة، وقال العقيلي والخليلي: يُرمى بالكذب. اهـ بتصرف من «الضعيفة»، للعلامة الألباني رحمه الله رقم (١٠٢٠) والحمد لله.

(٢) (صحيح).

أخرجه أحمد (٦/ ٤١، ١٧٣، ١٩٩)، والترمذي (٢٨٠٣)، والحاكم (٤/ ٢٨٨-٢٨٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» رقم (٢٧١٠)، وشيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٢/ ٥١٢-٥١٣)، والحمد لله.

ومعنى الحديث كما قال المناوي رحمه الله: والظاهر أن نزع الثياب عبارة عن تكشفها للأجنبي لينال منها الجماع أو مقدماته بخلاف ما لو نزعت ثيابها بين نساء مع المحافظة على ستر العورة، إذ لا وجه لدخولها في هذا الوعيد. اهـ

=

(١) (ضعيف جداً).

رواه عبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (١٠٦/٢)، وابن عدي (١٢١/١)، والحاكم (١٥٩/٢) و(٥٥٩/٤)، وابن أبي الدنيا في «الإشراف في منازل الأشراف» (١١٩/٣٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وفي سنده خارجة بن مصعب السرخسي متروك، وكان يدلّس عن الكذابين، ويقال: إن ابن معين كذبه كما في «التقريب»، وقد عنعن في هذا الحديث. اهـ بتصرف من «الضعيفة» تحت رقم (٢٠١٨). (٢) (ضعيف جداً).

أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠٥/٨) رقم (٧٨٣٠) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٢٦/٤): وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف جداً. اهـ قلت: وفيه أيضاً عبيد الله بن زحر الضمري الإفريقي ضعيف كما في «التقريب». ويغني عن هذا الحديث حديث جابر رضي الله عنهما، أخرجه أحمد (٣٣٩/٣)، والنسائي (١٩٨/١)، ولفظه: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلونّ بامرأة ليس معها ذو محرم منها، فإن ثالثهما الشيطان»، وفي سنده ابن لهيعة ضعيف وأبو الزبير مدلس وقد عنعن. وله شاهد آخر من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخرجه أحمد (١٨/١)، وظاهر إسناده الصحة، لكن رجح البخاري إرساله كما في «التاريخ الكبير» (١٠٢/١).

وشاهد آخر من حديث عامر بن ربيعة رضي الله عنه، أخرجه أحمد (٤٤٦/٣)، وفي سنده شريك ابن عبد الله النخعي سيء الحفظ، وعاصم بن عبيد الله ضعيف، فالحديث صحيح لغيره بمجموع طرقه وشواهده، وقد صححه العلامة الألباني رحمه الله في «غاية المرام» (١٣١). وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «لا يخلونّ رجل بامرأة إلا ومعهما ذو محرم» رواه البخاري (١٨٦٢) ومسلم (١٣٤١).

وهذا كله يقع في بيوت الزار التي تبيض فيه الشياطين وتفرخ، ويعبث فيها الرجل الفاجر بالمرأة المغرورة الجاهلة.

فنعوذ الله من الشيطان الرجيم، ومن همزه ونفخه ونفثه، ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨].

الخطبة السادسة والثلاثون

في زيارة القبور وتطهير ساحاتها من الآثام

الحمد لله العزيز الجانب، الملك القدوس القوي الغالب رب المشارق والمغارب،
والباعث الوارث، المانح السالب، أمرنا بزيارة القبور، وجعل ذلك من أفضل الرغائب،
ونهاننا عن المحدثات في كل مندوب وواجب.

وجعل الابتداع في الدين من أكبر الذنوب وأعظم المصائب، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ
تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١-٣٢].

نحمده تعالى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور،
ونشكره عز وجل جعل العاقبة للمتقين، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل
عمران: ١٨٥].

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾
[غافر: ١٩]، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

(١) ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله القائل: «لعن الله زوارات القبور».

(١) (ضعيف).

أخرجه أحمد (٣٣٧/٢، ٣٥٦)، والترمذي (١٠٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي سنده
عمر بن أبي سلمة ضعيف، وفي روايته عن أبيه مناكير كما في «الميزان» للذهبي، وهو هنا كذلك. =

أمرنا بالخير كله ونهانا عن الشرور، رغبتنا في كل مطلوب وزجرنا عن كل محذور، وخاطبه ربه بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد المبعوث بالآيات الظاهرة، والمؤيد بالمعجزات الباهرة، والقائل ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة»^(١).
صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه النجوم الزاهرة، والبحار الزاخرة، وعلى التابعين لهم بإحسان في الأعمال الصالحة والتمسك بالشرعية الظاهرة ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ

=

وفي الباب عن حسان بن ثابت رضي الله عنه، أخرجه أحمد (٤٤٣/٣)، وفي سنده عبدالرحمن بن بهمان مجهول عين، وشيخه عبدالرحمن بن حسان بن ثابت مجهول حال.
فالحديث ضعيف، وانظر «صحيح الجامع» (٤٩٨٥).
وفي الباب عن ابن عباس بلفظ: «لعن رسول الله ق زائرات القبور» أخرجه أبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، وابن ماجه (١٥٧٥)، وأحمد (١/٢٢٩، ٢٨٧، ٣٢٤).

وفي سنده أبو صالح باذام، ويقال: باذان مولى أم هانئ ضعيف، ومع ضعفه لم يسمع من ابن عباس كما قال ابن حبان في «المجروحين» (١/١٨٥)، وللمزيد راجع تحقيقي لـ «كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله تحت باب (٢٠).

(١) أخرجه مسلم رقم (٩٧٧) من حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه، دون قوله: «فإنها تذكركم الآخرة» فأخرجها الترمذي (١٠٥٤) بإسناد صحيح على شرط مسلم، والسياق الذي ذكره المؤلف هنا للترمذي رحمه الله.

إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ* إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ
قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٠﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣١].

عباد الله: زيارة القبور سنة مستحبة، ولا سيما قبور الصالحين فإنها تذكر بالموت وتزهد في الدنيا وترغب في الآخرة، ولذلك أمر بها سيد المرسلين.

وكان يزور أهل البقيع ^(١) ويقول إذا دخل المقابر: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنتم السابقون، ونحن إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية ^(٢).

وهكذا تنبغي زيارة القبور يا معشر المؤمنين، وليس لها وقت خاص إلا ما ورد في يوم الجمعة وليلتها وليلة السبت لما يقع من حضور أرواح الميتين ^(٣)، ويحرم وطء القبور تعمداً والجلوس عليها، والصلاة إليها ^(٤)، كما قرره علماء الدين وأئمة المسلمين.

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه مسلم رقم (٩٧٤).

(٢) أخرجه مسلم رقم (٩٧٥) من حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه.

(٣) قول المؤلف رحمه الله: (وليس لها وقت خاص)، هذا كلام صحيح.

وقوله: (إلا ما ورد في يوم الجمعة...) إلخ هذا الكلام ليس عليه دليل صحيح لا من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ق.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في «زاد المعاد» (١/ ٤١٥): أن من خصائص يوم الجمعة أن الموتى تدنو أرواحهم من قبورهم وتوافيها في الجمعة، فيعرفون زوارهم ومن يمر بهم. اهـ وكلامه هذا ليس عليه دليل صحيح.

(٤) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «لأن يجلس أحدكم على جرة فتحرق ثيابه =

وعنه عليه السلام قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» قالت عائشة رضي الله عنه: يحذر ما صنعوا^(١).

وقال عليه السلام: «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها»^(٢).

وغرض الشارع الحكيم من ذلك كله مخالفة المشركين، وأن لا يتشبه أهل التوحيد بالذين كانوا إذا مات فيهم العبد الصالح بنوا على قبره مسجدًا واتخذوا عليه الصور، أولئك هم شرار الخلق عند رب العالمين^(٣)، ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ * ثُمَّ نُنْجِي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٢-١٠٣].

=

فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر» رواه مسلم (٩٧١). وفي الباب عن أبي مرثد الغنوي مرفوعًا: «لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها» أخرجه مسلم رقم (٩٧٢).

وعن جابر رضي الله عنه مرفوعًا: «نهى رسول الله ق أن يجصص القبر وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه» رواه مسلم (٩٧٠).

(١) أخرجه البخاري رقم (٤٣٥ و ٤٣٦ و ١٣٣٠)، ومسلم رقم (٥٣١) من حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم رقم (٩٧٢) من حديث أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه.

(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري (٤٢٧ و ٤٣٤) ومسلم (٥٢٨).

يا عبد الله: إذا زرت قبور الصالحين، فتذكر ما كانوا عليه من صالح الأعمال وأنهم كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، وبالأسحار هم يستغفرون، وأنهم المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون، وللزكاة فاعلون، وعن اللغو معرضون، وبشهاداتهم قائمون، ولأماناتهم وعهدهم راعون، ولفروجهم عما حرم الله حافظون.

وطالب نفسك بالسير على منوالهم فيما يقولون ويفعلون، وما يأتون وما يذرون، فلعلك تكون من الذين يقول تعالى في وصفهم وهو العالم بما كان وما يكون، ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].
﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥-١٠٦].

إياك إياك، أيها الزائر الكريم أن تقبل قبراً أو تطوف به أو تسجد عليه أو تدعو أحداً من دون الله، فما يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، ولا يخفض ولا يرفع، ولا يرد ولا يدفع، ولا يقبض ولا ييسط إلا الله.

ولا تصدق من يقول لك: إن هذه محاربة لأولياء الله، أو بغض لمن اصطفاه ربه وتولاه، لا والذي قامت السماء والأرض بأمره، ولكن هكذا أمر القرآن، وهكذا قال رسول الله عليه صلوات الله.

وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه،

فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»^(١).

ويا خسارة من حاربه الله، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

إلا وإن من أعظم الذنوب وأكبر العيوب وأحبت الآفات، ما يقع عند قبور الصالحين من ارتكاب المنكرات، واستباحة المحرمات، ومما تمور له الجبال، وتغور منه المياه، وتضج من أجله الأرض والسموات، شرب الخمر ولعب القمار وارتكاب الفواحش بين قبور الأموات، فمن سفور إلى خنا، ومن لواط إلى زنا، ومن صعود إلى هبوط، وارتقاء إلى سقوط.

ويا لله ما تسمعه وما تراه من البنين والبنات، وطبل ومزمار، ودف وأوتار، وحانة وخمار، ورقص وتحريك وسكار، وكل ذلك محسوب على أولياء الرحمن من أولياء الشيطان. فقبح الله هذه الاجتماعات، فلقد أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والسنة بدعة والبدعة سنة في هذه الأوقات، وأهل العلم لا يبدون ولا يعيدون، وماذا عليهم لو أنهم

(١) أخرجه البخاري وانفرد به دون أصحاب الكتب الستة رقم (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد انتقد على البخاري إخراجه، ولكن لم يتم الانتقاد والحمد لله.

رفعوا بإنكارهم الأصوات، حتى يكونوا من أهل قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤].

لو قام ولي الله رضي الله عنه من قبره لفرق تلك الجموع بيده وقلمه ولسانه، ولحاربهم بسيفه ورمحه وسنانه، وكيف لا وقد آذوه وفعلوا ما حرم الله عند ضريحه وفي مكانه، والحب في الله والبغض في الله مما أمر الله به تعالى في محكم قرآنه.

ولا يقر العصاة وأهل الفساد على مخالفة أمر الله وعصيانه، إلا امرؤ ذهبت عنه حمية الإيمان، واتبع الشيطان، وأصبح من أعوانه، والله قد حفظ أوليائه الصالحين من الشيطان وأقرانه وأتباعه وإخوانه، ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٥].

أمر بين أيديكم العربات والسيارات، وعليهن القينات والمعازف، وعلى تلك المركبات رايات المومسات ^(١)، وهن يومئذ للرجال بالمناديل والمناشف، وقد رفعن الخمار، وهتكن الستار، وفتن الشباب بالأرداف والأكتاف والمعاطف.

(١) المؤلف رحمه الله تكلم عن شيء حصل في زمنه، وعلى هذا فلو أراد إنسان أن يخطب في أمثال هذه الخطب أن يكون متبهاً لما يليقه على السامعين، ولا يخطب بكل ما هب ودب، ولكل حادثة حديث، ولكل مقام مقال.

هذا إن كان ولا بد وإلا فالحمد لله لقد أصبح خطباء السنة منتشرين في أنحاء كثير من البلاد اليمنية، وهم يخطبون للناس فيما ينفعهم من أدلة الكتاب والسنة، فجزاهم الله خيراً ونفع بهم الإسلام والمسلمين.

وهناك محجبات خائئات كاذبات، وقد لبسن البراقع والشراشف^(١)، وتجردن عن الفضيلة وتحلين بكل رذيلة، وصرفن الرجال عن زوجاتهم الطاهرات العفائف.

ولاتسألوا عن الأراجيح أو الدراهين، وما يقع عندها من المهالك والمتالف، والآفات والمصائب والمخاوف، ففحش ومجون، وخلاعة وجنون، وكم وكم يصف الواصف.

أفيكون ذلك على حساب الدين، وفي بلاد المسلمين وأنتم صامتون، وأبغض الخلق إلى الله الجبان الخائف^(٢)، ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٥-٦].

قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»^(٣).

وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم»^(٤).

(١) الشراشف في بعض لغات أهل اليمن الدارجة، المراد به ما تغطي به المرأة جسدها بمثابة الجلباب، ولم أجد لها أصلاً في «لسان العرب»، انظر «لسان العرب» و«تاج العروس» للزبيدي.

(٢) هذا الكلام يحتاج إلى دليل، ولا أعلم دليلاً على ذلك.

(٣) أخرجه مسلم رقم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) (حسن).

أخرجه الترمذي رقم (٢١٦٩) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٢٣٣).

وقال عليه السلام: «وأمرٌ بمعروفٍ صدقة ونهيٌ عن منكرٍ صدقة»^(١).

وقال أبو ذر رضي الله عنه: (أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بخصالٍ من الخير، أوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأوصاني أن أقول الحق ولو كان مرًا)^(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا، ويأمر بالمعروف، وينه عن المنكر»^(٣).

(١) أخرجه مسلم رقم (١٠٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) (حسن).

أخرجه أحمد (٢٥٩/٥) من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، ولفظه: «أمرني رسول الله ق بسبع ... ومنها: وأن أقول بالحق ولو كان مرًا، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم».

وقد حسن الحديث شيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٢١٣/١)، لكن ذكره الدارقطني في «العلل» (٦/٢٦٠-٢٦١)، ورجح إرساله، والله أعلم.

(٣) (صحيح لغيره، دون قوله «ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر».

والحديث بهذا السياق أخرجه أحمد (٢٥٧/١)، والترمذي (١٩٢١)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفي سنده ليث بن أبي سليم ضعيف مختلط، وقد وقع اختلاف في سند هذا الحديث، فراجعة في تحقيق «مسند أحمد» (٤/١٧٠-١٧١)، وهو بهذا السياق في «الضعيفة» للشيخ الألباني رحمه الله رقم (٢١٠٨).

وفي الباب عن أنس رضي الله عنه، أخرجه الترمذي (١٩١٩) بنحو حديث ابن عباس دون آخره، وفي سنده عبيد بن واقد القيسي، وزري بن عبدالله الأزدي ضعيفان كما في «التقريب».

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أخرجه أحمد (١٨٥/٢)، وأبو داود (٤٩٤٣)،

والترمذي (١٩٢٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٥٥) بلفظ: «من لم يرحم صغيرنا، ويعرف =

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

=

حق كبيرنا فليس منا».

وهو حديث صحيح، صححه العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» تحت رقم (٢١٩٦)، وشيخنا
مقبل الوداعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (١/ ٦٠٩-٦١٠).

الخطبة السابعة والثلاثون

في الإرشاد والتذكير

الحمد لله الذي حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان وعرفنا بعيوبنا، نحمده تعالى ونشكره ونستغفره لسيئاتنا وذنوبنا، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير.

ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الصادق الأمين المبعوث رحمة للعالمين أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فأعرض عنه الكافرون، وأجابه الذين أنعم الله عليهم بالإيمان وصدق اليقين، ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها الناس: ما آمن بالقرآن من خالف أمره ونهيه^(١)، ولا صدق برسول الله ﷺ

(١) هذا كلام صحيح، وقد ورد معناه في حديث صهيب رضي الله عنه، أخرجه الترمذي (٢٩١٨)، ولفظه: «ما آمن بالقرآن من استحل محارمه»، قال الترمذي عقبه: هذا الحديث ليس إسناده بالقوي، وأبوالمبارك رجل مجهول.

قلت: ومع جهالته روايته عن صهيب مرسلة كما في «التقريب»، وفيه كذلك أبوفروة يزيد بن سنان الرهاوي ضعيف كما في «التقريب»، وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف =

من لم يتبع شريعته وهديه، ولا تم إيمان من لم يأمن الناس بوائقه وشره وبغيه^(١).
 ولا وقف عند حدود الله من اتبع نفسه هواها واتبع الشيطان وغيه، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ
 عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].
 ألا وإن الله تعالى قد فرض عليكم فرائض فلا تضيعوها، وحد لكم حدودًا فلا
 تعتدوها، وحرم عليكم أشياء فلا تنتهكوها^(٢)، ورجبكم في أمور من الخير فلا تهملوها،
 ونهاكم عن الخبائث والمكروهات فلا تفعلوها ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
 وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [المالك: ١٢].

﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].
 قد نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واستهوتهم الشياطين، فعبدوا الشهوات وغرقوا في
 اللذات، وتجردوا عن لباس التقوى وزينة الدين، ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ

=

الجامع» (٤٩٧٥). وفي الباب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أخرجه عبد بن حميد (١٠٠٣)،
 وفي سنده يزيد بن سنان ضعيف كما تقدم، وأبوالمبارك مجهول.
 (١) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٦٠١٦) تعليقاً، ووصله مسلم
 برقم (٤٦).
 (٢) يشير رحمه الله إلى حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه، وهو حديث حسن بمجموع طرقه
 وشواهده، كما بيته في تحقيقي لكتاب «الاعتصام» من المجلد الثالث عشر من «فتح الباري» يسر الله
 إتمامه تحت باب (٣).

عَظِيمٌ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤-٦﴾، ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٨-١٠].

من عرف الله معرفة صحيحة عبده عبادة صحيحة، ومن شرح الله صدره للإسلام ونور قلبه بالإيمان قبل الوعظ والنصيحة، ومن أمن مكر الله وتجراً عليه أذاقه الله لباس الخوف والفضيحة.

وعلى قدر جهل العبد بربه تكون أعماله القبيحة، ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ﴾ [العاديات: ٩-١١].

فاستعدوا بما شئتم من الأعمال ليوم المعاد، وكونوا كما شئتم فإن الله بصير بالعباد، من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها، والله لا يحب الفساد، أعد للمحسنين نعيماً ما له من نفاذ، وللمسيئين جهنم وبئس المهاد، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [العنكبوت: ٢٢].

أليس الحب في الله والبغض في الله من أوثق عرى الإيمان ^(١)، وأنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر بشهادة القرآن، فما لكم صامتون وقد انتهكت حرمان الله وفشا فيكم الفسوق والعصيان.

(١) يشير رحمه الله بهذا الكلام إلى حديث ابن عباس والبراء بن عازب وابن مسعود رضي الله عنهم، وأسانيدها لا تخلو من ضعف، وبعضها الضعف فيه شديد، وبمجموع طرقها حسناتها العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٩٩٨ و ١٧٢٨).

ألا تخافون أن يعمكم الله بعذاب من عنده وكل شيء عنده بحسبان، ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

هذه المساجد تشكو إلى الله فراغها من المصلين، والحانات مملوءة بالفساق مدبرين ومقبلين، وبيوت الدعارة مزحومة بالخارجين والداخلين، مقيمين وراجلين، وإذا ذكرهم الواعظ أيام الله تولوا عنه معرضين، ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦]، ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ﴾ [الملوك: ١٨].

شيوخ هائمون في أودية الضلال، وشباب غارقون في الأوحال، وفساد أخلاق في المربين والأطفال، ورجال يتشبهون بالنساء، ونساء يتشبهن بالرجال، ﴿أَأَمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ [الملوك: ١٦-١٧].

يا أمة محمد، كيف تكونون شهودًا على سائر الأمم، وقد ارتكبتم كبائر الإثم والفواحش واللمم، وكيف يكون شاهدًا عليكم يوم القيامة رسول الله ﷺ.

وقد اجتمع الخليل والكريم وابن مريم^(١)، فتجلى لفصل القضاء بين عباده الملك العدل الحكم ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الممتحنة: ٣].

(١) يشير رحمه الله إلى أحاديث الشفاعة، وقد جاء عن عدد من الصحابة، منهم:

١ - أبوهريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٣٣٤٠ و ٤٧١٢) ومسلم (١٩٤ و ١٩٥).

يوم يشهد القرآن وينصب الميزان ويحضر رقيب وعتيد، وتأتي كل نفس معها سائق وشهيد، ويقال لجهنم هل امتلأت فتقول هل من مزيد، وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد، ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم» رواه البخاري ومسلم^(١).

جعلني الله وإياكم من الذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياً، والذين إذا سقت إليهم المواعظ زادتهم إيماناً، ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى * وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى * أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى * أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى * وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: ٣٣-٤٢].

=

٢- حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٦٥٦٥) ومسلم (١٩٣).

(١) أخرجه البخاري رقم (٧١٠٨) ومسلم رقم (٢٨٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الخطبة الثامنة والثلاثون

في التحذير من الزنا

الحمد لله الذي شرع الأحكام فين الحلال والحرام، وأمر بالصالحات ونهى عن الآثام،
وشرف بالإسلام أولي النهى والأحلام من عرب وأعجم ❖ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ
يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ❖ [آل عمران: ٨٥].

نحمده تعالى على ما شرع وسن، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له حرم
الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله أعرف خلقه به وأنقاهم له في السر والعلن،
وأفضل داع إلى مكارم الأخلاق والخلق الحسن، ❖ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ
صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ❖ [فصلت: ٣٣].

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد النبي الكريم وصاحب الخلق العظيم والصراط
المستقيم، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان أفضل صلاة وتسليم.
أيها الناس: من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا، فكيف يجارب
الله بالمعاصي ولا يخاف ❖ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ❖ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ❖
[المزمل: ١٧-١٨].

وكيف يخالف القرآن ويتبع الشيطان، ❖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ❖ [الفرقان: ٢٩]
❖ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أَخْرَتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَخْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا
قَلِيلًا ❖ [الإسراء: ٦٢]، ❖ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ❖
[يس: ٦٠].

لقد استفزكم الخبيث بصوته وجلب عليكم بخيله ورجله، وزين لكم الإثم والعدوان وحب الفساد وأهله، ودعاكم إلى الزنا واللواط وشرب الخمر والتعامل بالربا وأكله، وحسن لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال في غير محله، فكان، ﴿كَمَثَلَ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر: ١٦-١٧].

ألا عظم الله أجر المسلمين والمسلمات في أخلاقهم العالية، وأحسن الله عزاء المؤمنين والمؤمنات في آدابهم السامية، فقد كثر الفساد وانتشر الإلحاد، وتدهدت البلاد إلى الهاوية. وحاول إخوان الشياطين أن يقضوا من الدين على البقية الباقية، ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

ذهب الحياء من الرجال والنساء، والصغار والكبار، وظهر الزنا، واستغنت النساء بالنساء، ورفع الستار، وضاعت الأموال في لعب القمار، وشرب الخمر والسكرار، واستماع الأوتار، ونفقات الزار.

وتفحشت المرأة في الشارع والدار، وجهر الناس بالسوء من القول وفشت الأسرار، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [يس: ٤٥]، ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الأنعام: ٤].

لو أقيمت حدود الله لكف المجرمون عن الجرائم، ولو حكم بكتاب الله ما استبيحت المحارم، ولا ارتكبت العظائم، ولو أنصف المسلم من نفسه لما وقع في هذه المآثم، فإنه من

زنى زني بأهله^(١)، ومن هتك عرض غيره هتك الله عرضه وأذله بالخزي الدائم والعار الملازم.

فيا مصرًا على الحنث العظيم غير نادم، ويا متهاونًا بعقاب الله الصارم ﴿أَلَمْ تُهْلِكِ
الْأَوَّلِينَ * ثُمَّ نُبْعِثُهُمُ الْآخِرِينَ * كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [المرسلات: ١٦-١٨].

والله لا يزني الزاني، ولا يسرق السارق، ولا يشرب الخمر شاربها، إلا وقد خرج منه
الإيمان^(٢)، ولا يقر أهله على الحنث إلا خبيث ديوث شيطان^(١).

(١) هذا الكلام باطل، ومبناه على أحاديث ضعيفة لا يثبت منها شيء، ذكر منها العلامة الألباني رحمه الله
في «الضعيفة» رقم (٧٢٤):

حديث أنس رضي الله عنه، ولفظه: «من زنى زني به، ولو بحيطان داره»، رواه ابن النجار، وفيه
القاسم بن إبراهيم الملطي كذاب، فهو موضوع.

ومنها: حديث ابن عباس رضي الله عنهما، برقم (٧٢٣) ولفظه: «ما زنى عبد قط فأدمن على الزنا إلا ابتلي
في أهل بيته»، قال الشيخ الألباني رحمه الله: موضوع، رواه ابن عدي (٢/ ١٥)، وأبونعيم في «الحلية»
(٢٧٨/ ١)، قال ابن عدي: وإسحاق بن نجيج بين الأمر في الضعفاء، وهو ممن يضع الحديث. اهـ
ومما يؤيد بطلان هذا الحديث أنه يؤكد وقوع الزنا في أهل الزاني، وهذا باطل يتنافى مع الأصل المقرر
في القرآن، ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩].

نعم، إن كان الرجل يجهر بالزنا ويفعله في بيته، ربما سرى ذلك إلى أهله، والعياذ بالله تعالى، ولكن ليس
ذلك بحتم كما أفاده هذا الحديث، فهو باطل. اهـ بتصرف من «الضعيفة» (٢/ ١٥٤-١٥٥).

(٢) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري (٥٥٧٨) ومسلم (٥٧).
وقول المصنف رحمه الله: (إلا وقد خرج منه الإيمان) المراد به كمال الإيمان لا أصله، إلا إذا كان مستحلًا
فيخرج منه الإيمان، كما هو مقرر في أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة.

وما ظهر الزنا والربا في قرية إلا ظهر بها الفقر والأمراض المعدية وظلم السلطان^(٢)، ولا يحل دم امرئ مسلم إلا قاتل أو تارك لدينه، أو ثيب زان^(٣)، ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

أي جان على دينه ونفسه وعرضه وأهله مثل من استبدل الخبائث بالطيبات، ويصبو إلى امرأة لا ترد عن نفسها كف لأمس، ولا تبالي بذهاب ولا آت، قد خرجت من الدين^(٤) والحياء، وصارت سبباً في انتشار هذه الأمراض والويلات.

=

(١) هذا الكلام مبني على أحاديث صحيحة تقدم تخريجها.

(٢) يشير رحمه الله بهذا الكلام إلى حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩)، والحاكم (٤/٥٤٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (١٠٦)، وحسنه شيخنا الإمام مقبل الوداعي رحمه الله في «الصحيح المسند من دلائل النبوة» (٥٣٥-٥٣٦). تنبيه الحديث لم يذكر فيه الربا.

(٣) يشير رحمه الله إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٦٨٧٨) ومسلم (١٦٧٦)، وفي الباب عن عثمان رضي الله عنه، أخرجه أبوداود (٤٥٠٢)، والترمذي (٢١٥٨)، والنسائي (٩١/٧)، وابن ماجه (٢٥٣٣)، وصححه شيخنا مقبل الوداعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٩/٢).

(٤) إذا كانت مستحلة كما هو مقرر في عقيدة أهل السنة والجماعة.

ومن أضل سبيلاً ممن يعاف زوجته الطاهرة الساهرة على مصالحه وخدمته وتربية البنين والبنات، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦].

قلوب قد ختم الله عليها بحبها الشهوات، وبطون بأكل الحرام ونطف الحرام مملوءات، ومومسات مائلات مميلات مريجات مستريجات، ومؤنات عفيفات جائعات عاريات، مخدرات طاهرات.

قد أصبحن بما ينقله إليهن أزواجهن من الأمراض المعدية مصابات، ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهِذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿[القلم: ٤٤-٤٥].

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾ [المائدة: ٥٠]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿[النور: ٣٠-٣١].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿[المؤمنون: ٥-٦].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: أي ذنب أعظم عند الله يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»، قال: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك؟» قال:

ثم أي؟ قال: «أن تزاني بحليلة جارك»، فقرأ قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨].^(١)

الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، ومملك كذاب وعائل مستكبر» رواه مسلم^(٢).

جعلني الله وإياكم ممن إذا ذكر بالله اذكر، وإذا زجر عن الشر انزجر، وإذا رغب في الخير أسرع إليه وشمر: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣].

(١) أخرجه البخاري رقم (٤٤٧٧ و ٦٨٦١)، ومسلم (٨٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الخطبة التاسعة والثلاثون

في التحذير من اللواط

الحمد لله الذي حرم الفواحش والخنأ، وحرم الذنوب كلها بلا استثناء، وشدد في اللواط والزنا، وإتيان البهائم والاستمناء، وقال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّنى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

نحمده تعالى ونسأله التوفيق والهداية، ونشكره عز وجل ونعوذ به من الخذلان والغواية، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أمرنا بمكارم الأخلاق ونهانا عن صفات الفساق وأهل العمية.

ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المبعوث بأشرف مقصد وأسمى غاية، والمخاطب في محكم التنزيل بهذه الآية، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ آتًا أَوْ كُفُورًا * وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣-٢٥].

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد القائل: «إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم

لوط»^(١).

(١) (ضعيف).

أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٢)، والترمذي (١٤٥٧)، وابن ماجه (٢٥٦٣)، وأبو يعلى رقم (٢١٢٨) والحاكم

(٤/ ٣٥٧)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه القائمين بنصرة دينه، والمترفعين عن الانحطاط والسقوط والمنزهة ألسنتهم عن القول المغلوط، وأفعالهم عن العمل المحبوط.

وعلى التابعين لهم بإحسان في التزام الشرط والمشروط، وعلى الراغبين فيما عند الله بلا كسل والراغبين مما لديه قنوط، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

عباد الله: ذنوب اللواط من أعظم الذنوب، تمنع غيث السماء^(١)، وتغضب الرب على المربوب، ويضيق بها الفضاء، وتعج لها السماء، وتنقطع بها العرى، ويحل بها البلاء ومدهمات الخطوب، فكشف حال، وسوء مآل، وداء عضال وقبح أفعال، وعيب دونه

=

وفي سننه القاسم بن عبدالواحد المكي روى عنه جمع ولم يوثقه سوى ابن حبان، وقال الحافظ في «التقريب» مقبول، يعني عند المتابعة وإلا فلين، فهو مجهول حال، وفيه عبدالله بن محمد بن عقيل مختلف فيه، والراجح ضعفه.

وله طريق أخرى أخرجهما عبدالرزاق في «مصنفه» رقم (١٣٤٩٣) عن عائشة رضي الله عنه، وهذه الرواية خطأ، قال الدارقطني في «العلل» كما نقله عنه محققو «مسند أحمد» (٣١٨/٢٣): الصواب حديث جابر، قلت: وقد رأيت من في سننه، وله شاهد عن ابن عباس أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥٩٦/٢) وفي سننه الجارود بن يزيد وهو ضعيف جداً كما في «الميزان» (١/٣٨٤-٣٨٥)، والحديث أورده الذهبي من أباطيله، فلا يفرح به أن يكون شاهداً.

فالحديث ضعيف، وقد ضعفه شيخنا أبو عبدالرحمن يحيى الحجوري حفظه الله في «اللمع على إصلاح المجتمع» (٢٢٤)، وانظر «صحيح الجامع» (١٥٥٢).

(١) لعموم الأدلة في ذلك، ومنها: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

سائر العيوب تموت به الفضيلة، وتحيا به الرذيلة، وتتفتت على أهله الأكباد، وتذوب من أجلهم حبات القلوب.

فعمل مسبوب، ووضع مقلوب، وفاعل ملعون، ومفعول به عليه مغضوب، وخلق فاسد وشرف مسلوب، وعرض ممزق وكرامة مفقودة، وزهري وسيلان ومال منهوب، ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١١].

كانت أمة قديم عصرها باق ذكرها كثير شرها تسكن بين الحجاز والشام، ترتكب هذه الجريمة علناً، وتحارب ربها باقتراف هذه الآثام، يأتون الرجال شهوة من دون النساء، ويذرون ما خلق الله لهم لا يبالون بعتب العاتبين، ولا يخافون لومة اللوام.

فبعث الله فيهم لوط بن هاران بن آزر^(١) عليه وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة والسلام، فدعاهم إلى التوحيد وترك عبادة الأصنام وحذرهم من اللواط أبلغ التحذير وتوعد عليه بعذاب الله، وأغلظ لهم فيه الكلام، ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْأَسُ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦].

وكذلك يفعل السفهاء بأولي الأحلام، فحسف الله بهم الأرض وأمطر عليهم حجارة من سجين، مسومة عند ربك للمسرفين، ولهم في الآخرة عذاب أليم، وأشد السخط

(١) ذكر الحافظ المؤرخ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ١٧٦) نسب لوط عليه السلام فقال: لوط بن هاران بن تارح، وهو آزر كما تقدم، ولوط ابن أخي إبراهيم الخليل، فإبراهيم وهاران إخوة. اهـ بتصرف. وما ذكره الحافظ في نسبه الله أعلم به.

والانتقام، ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا * يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَّهِيلًا ﴿[المزمل: ١٢-١٤].

ألا ترى أيها المسلم كيف فعل الله بأمة استغنت النساء فيها بالنساء، واقتصر الرجال منها على الرجال، لقد خبثت سرائرهم، وساءت مظاهرهم، وماتت ضمائرهم، وقبحت مناظرهم، وضربت بهم الأمثال، في سوء المقال وخبث الفعال. فصبحهم عذاب الله بكرة من فوقهم بالحجارة ومن تحتهم بالخسف، وملائكة العذاب يلطمون وجوههم من ذات اليمين وذات الشمال^(١)، والله شديد المحال.

وما ذكر الله أخبارهم في كتابه العظيم، وعلى لسان نبيه الكريم، إلا لنعبر بها أصحابهم، ونتجنب ما كانوا عليه من سوء الحال، وقبيح الخصال، ولو أن أمة جاءت بعدنا، وقص الله عليهم أخبارنا، وحدثهم عن فعالنا، لرأونا أشراّرا، وحسبونا فجاراّ.

ونعوذ بالله من شرار أنفسنا وسيئات الأعمال، وكما شهدنا على غيرنا فسيشهد علينا رسول الله محمد بن عبدالله ﷺ، يوم لا ينفع أهل ولا بنون ولا أموال، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٥-١٦].

(١) ظاهر القرآن يدل على غير هذا، قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ مَّنْصُودٍ * مَّسُومَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٢-٨٣]، وقال الله عز وجل: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]، وقال الله عز وجل: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤].

سبحان الله كيف يقع رجل على رجل وهو يعلم ما في ذلك من مخالفة العقل والدين، وما فيه من مرض خطير، وشر مستطير، وكيف يتشبه الرجال بالنساء وتتشبه النساء بالرجال، في أمة كتابها القرآن ونبيها المبعوث متممًا لمكارم الأخلاق، والموحى إليه بقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

هذا والله ما ترفع عنه طباع البغال والحمير، بل والكلاب والقردة والخنازير، وما ظهر اللواط في أمة إلا أذهاها الله وأخزاها وسلب عزها وأذاقها لباس الجوع والخوف، وما لهم من دون الله من ولي ولا نصير.

وكثرة الذنوب وفساد أخلاق الشعوب يرجع كله إلى الجهل أحيانًا، وإلى الفقر المدقع^(١) أحيانًا، وإلى كثرة المال عند السفهاء وأهل التبذير، وهذا هو الكثير.

وإذا أراد الله إهلاك قرية فسق فيها المترفون، فاستحقت الخراب والتدمير، ومن شغلته دنياه عن آخرته، وغاب الثواب والعقاب عن ذاكرته، حفظته أيدي المنون، وعنده المال والبنون، فما يملكون له من قطمير، ولا ينبئك مثل خبير، ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا * نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧-٢٨].

لقد بلغت بنا الحالة إلى أن أصبحنا نخاف على الصبيان، والأمرد من الغلمان، أكثر من خوفنا على البنات والشابات.

(١) المدقع: أي الشديد.

ولقد أصبح المترف عابثاً بمن يلوّط به، أو يزيّن بها، لما يدفعه من تلك الدريهمات، فلا دين يمنعه ولا وازع يردعه، ولا غيرة في مواطنيه الذين يعلمون ما فيه من الآفات والمصائب والويلات.

وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم، وإن يقولوا تسمع لقولهم، ولكنهم كالأموات، أو أعجاز نخل خاوية، أو خشب مسندات.

نبئني ماذا يكون في المخابى والمنعطفات، وعلى الشواطئ وفي المستحبات؟!، بل وماذا يكون من الفواحش على الطرق العامة، وبمرأى ومسمع من الآباء والأمهات?!.

فيا رجال الإصلاح، ويا أساتذة المدارس، ويا كتاب الجرائد والمجلات، ويا حملة الشريعة وحفاظ الأحاديث والآيات، اعلّموا أنكم عن أمتكم مسئولون، وعلى ما يكون منهم محاسبون، فأجر على الحسنات، ووزر على السيئات، ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا * السَّمَاءُ مَنْفُطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ [المزمل: ١٧-١٨].

كيف تغار على أهلك يا مرتكب الفاحشة إذا سمعت أنهم يزنون؟! وكيف يتغير مزاجك إذا بلغك عن أولادك أنهم في اللواطية واقعون؟! بمثل ما تفعل أنت يفعلون، ومن زنى زنى بأهله ولو على أعتاب داره^(١)، وكما يكون فيك من خير وشر ففي أهلك

(١) هذا الكلام فيه نظر كما تقدم التنبيه عليه في أوائل الخطبة (٣٨)؛ لأن الله جل وعلا يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، وغير ذلك من الأدلة.

يكون^(١)، وإذا فسد الراعي فسدت رعيته والمطرب أهله راقصون، وما جعل الله حد الزنا واللوواط الجلد والرجم إلا ليسلم المسلمون من فساد الزانية والمأبون^(٢) ولو أقيمت حدود الله ما كثر الخبث، ولا ظهر الملعون بالفاحشة والمجون.

وياللعجب من رجل يسد أنفه إذا شم رائحة الغائط وهو المفتون، يبحث عنه بقرنه وظلفه، فقبح الله تلك الأظلاف، ولعن الله تلك القرون، كيف يدخل عليه بابه، ويلوث به جسمه وثيابه، ويفضل ذلك على طهارة زوجته العفيفة.

فيا له محزون ومعتوه ومجنون، ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَنْ يُخَسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٨].

قال هشام بن عبد الملك: لولا أن الله ذكر اللوطية في كتابه ما صدقت أن رجلاً يقع على رجل^(٣)، وقد أحرق بالنار من يفعل هذه الفاحشة^(١)،

(١) هذا الكلام من المؤلف رحمه الله ليس على إطلاقه، بل ممكن أن يكون في الغالب، ولا شك أن صلاح الراعي يصلح الله عز وجل بسببه خلقاً كثيراً، وهكذا المربي في بيته يصلح الله به أهله وأولاده، والله هو الموفق والهادي من يشاء إلى صراط مستقيم.

(٢) المأبون: هو المتهم، كما في «المعجم الوسيط» (٢٣).

(٣) قول المؤلف رحمه الله: (قال هشام بن عبد الملك) هذا وهم منه رحمه الله تعالى، والصواب أن قائل هذه العبارة هو الوليد بن عبد الملك الأموي الدمشقي.

وهذا الخبر أسنده عنه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧٨/٦٣) من طريق الأحوص بن المفضل، حدثنا أبي، حدثنا نمير بن عبد الله السمعاني عن أبيه، قال: قال الوليد بن عبد الملك: لولا أن الله ذكر =

وقبله أحرق علي بن أبي طالب^(٢) وعبدالله بن الزبير^(١) رضي الله عنهم من يعمل عمل قوم لوط، وجاء كتاب من خالد بن الوليد إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما يذكر فيه أن

=

آل لوط في القرآن ما ظننت أن أحدًا يفعل هذا.

وهذا إسناد ضعيف، فيه الأحوص بن المفضل بن غسان الغلابي، قال الحافظ: أورد الخطيب له في «المؤتلف» حديثًا منكراً ليس في سنده من يتهم غيره، وقال الدارقطني: لا بأس به، انظر «اللسان» (٤٣٨/١)، «أسئلة حمزة» (٢٠٨)، و«تاريخ بغداد» (٥٠-٥١/٧)، ونمير ووالده لم أقف لهما على ترجمة، والخبر ذكره أيضاً الذهبي في «تاريخ الإسلام» حوادث سنة (٨١-١٠٠) ص (٤٩٩) لكن وقع في سنده مكان «نمير بن عبدالله السمعاني»: «نمير بن عبدالله الصنعاني»، وانظر «سير أعلام النبلاء» (٣٤٧/٤).

وقال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» أثناء ترجمته للوليد هذا (٧٠/٩): ومن جملة محاسنه ما صح عنه أنه قال: لولا أن الله قص لنا قصة قوم لوط في كتابه ما ظننا أن ذكراً كان يأتي ذكراً كما تؤتى النساء، وانظر (١٦١/٩، ١٦٢).

تنبيه: لعل عمدة المؤلف رحمه الله في نقله هذا القول عن هشام بن عبد الملك ما جاء في «شعب الإيثار» كما سيأتي أنه أمر بإحراق اللوطي، ولم يثبت ذلك إليه، ولم أر هذا القول الذي نسب إليه المؤلف رحمه الله في ترجمة هشام، والله أعلم.

(١) لا يثبت ذلك عنه كما سيأتي تخريجه إن شاء الله، ولو فعله لكان ذلك الفعل خطأ، لمخالفته لقول النبي ق: «لا يعذب بالنار إلا رب النار»، وانظر «إصلاح المجتمع» (٢٢٥) بتحقيق شيخنا الفاضل أبي عبدالرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله تعالى.

(٢) أثر علي رضي الله عنه أخرجه البيهقي في «الكبرى» (٢٣٢-٢٣٣) من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن علي رضي الله عنه، أنه قال: يرجم، يعني اللوطي ويحرق بالنار.

وهذا إسناد منقطع، علي بن الحسين زين العابدين لم يدرك جده علياً رضي الله عنه، قاله أبو زرعة كما في =

قد وجد رجل بضواحي العرب ينكح كما تنكح المرأة، فاجتمع لذلك الصحابة واستقر رأيهم على أن يحرقوه بالنار^(٢).

=

«جامع التحصيل» (٢٤٠)، وله طريق أخرى سيأتي ذكرها قريباً إن شاء الله.

(١) أثر عبدالله بن الزبير في تحريقه للوطي لا يثبت، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

(٢) (قصة إجماع الصحابة على إحراق اللوطي بالنار لا تثبت)

أخرجها البيهقي رحمه الله في «السنن الكبرى» (٢٣٢/٨)، وفي «الشعب» (٧/رقم ٥٠٠٥) من طريق عبدالعزيز بن أبي حازم، أنبا داود بن بكر، عن محمد بن المنكدر، عن صفوان بن سليم، أن خالد بن الوليد كتب إلى أبي بكر الصديق ...

فذكر القصة إلى قوله: فكان من أشدهم يومئذ قولاً علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إن هذا ذنب لم تعص به أمة من الأمم إلا أمة واحدة صنع الله بها ما قد علمتم، نرى أن نحرقه بالنار، فاجتمع رأي أصحاب رسول الله ق على أن يحرقوه بالنار، فكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد يأمره أن يحرقه بالنار.

ووقع في «الشعب» زيادة: وقد حرقه ابن الزبير وهشام بن عبد الملك، قال البيهقي عقبه: هذا مرسل. قلت: وجه إرساله أن صفوان بن سليم المدني ثقة من الرابعة، وهو يحكي قصة لم يدركها، فهي مرسلة، وقد ضعفها جداً الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الداية في تخريجه أحاديث الهداية» (١٠٣/٢) وقال: ولو صح لكان قاطعاً للحجة.

قال شيخنا أبو عبد الرحمن يحيى الحنجوري حفظه الله: ولعله رأى أن فيها نكارة من حيث المتن، فكيف يجمع الصحابة كلهم أو جلّهم على إحراق اللوطي، ولم يبلغهم الحديث الصحيح «لا يعذب بالنار إلا رب النار»، مع أن راوي الحديث موجود. اهـ «اللمع على إصلاح المجتمع» (٢٢٥).

ومع هذا كله فقد قال بشوت القصة العلامة ابن القيم رحمه الله في «الداء والدواء» (٢٦٢)، وجود

إسنادها المنذري في «الترغيب» (٢٥١/٣) ط: ابن كثير، وظاهر صنيع العلامة الألباني رحمه الله =

وقد اختلف أهل العلم في كيفية قتله ^(١)، مع إجماعهم على أنه من أعظم الذنوب بعد الكفر بالله ^(٢)، وأكثرهم على أنه يستحق الحريق ^(٣)، كما يفعل بالإباحي والزنديق، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-

=

أنه يصححها كما في «صحيح الترغيب» (٢/ ٦٢٤) والصواب أنها ضعيفة منكرة كما تقدم.

(١) قال ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» (٥/ ٣٧): وقال ابن القصار: قال شيخنا أجمعت الصحابة على قتله، وإنما اختلفوا في كيفية قتله، فقال أبوبكر الصديق: يُرمى من شاهق، وقال علي رضي الله عنه: يُهدم عليه حائط، وقال ابن عباس: يقتلان بالحجارة، فهذا اتفاق منهم على قتله، وإن اختلفوا في كيفية قتله. اهـ بتصرف.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: وأما اللواط، فمن العلماء من يقول: حده كحد الزنا، وقد قيل دون ذلك، والصحيح الذي اتفقت عليه الصحابة أن يقتل الاثنان الأعلى والأسفل، سواء كانا محصنين أو غير محصنين.

إلى قوله: ولم تختلف الصحابة في قتله، ولكن تنوعوا فيه، ثم ذكر الروايات عن الصحابة في ذلك، وذكر رواية ابن عباس أنه يرمم ثم قال: وعلى هذا أكثر السلف، قالوا: لأن الله رجم قوم لوط .. اهـ بتصرف من «السياسة الشرعية» (٢/ ٣٩٨-٤٠٣) / ت: سعود الشمرى وفقه الله / .

وللمزيد في المسألة انظر «المحلى» (١١/ ٣٨٠-٣٨٦)، و«فتح الباري» (١٢/ ١٦٠) كتاب الحدود، باب نفي أهل المعاصي والمخشين.

(٢) انظر «الداء والدواء» لابن القيم رحمه الله ص (٢٦١) / ت: علي الحلبي / .

(٣) ولكن ذلك لا يثبت عن الصحابة رضوان الله عليهم، وعلى فرض ثبوته فيحمل أنه لم يبلغهم حديث: «لا يعذب بالنار إلا رب النار»، والله أعلم.

[٢٩]، قال رسول الله ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»^(١).

(١) (ضعيف).

أخرجه أحمد (٢١٧/١)، وأبوداود (٤٤٦٢ و ٤٤٦٤)، والترمذي (١٤٥٦)، وابن ماجه (٢٥٦١)، والدارقطني (١٢٤/٣)، والبيهقي (٢٣٢/٨)، والحاكم (٣٥٥/٤)، وابن عدي (١٧٦٨/٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وفي سنده عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب، وهو وإن كان صدوقاً إلا أنه في روايته عن عكرمة مناكير وهو هنا كذلك، وقد أنكر عليه هذا الحديث ابن معين كما في «الكامل» لابن عدي المصدر السابق، والبخاري وأبوداود كما في «التهذيب»، والنسائي كما في «التلخيص» (١٠٢/٤).

وقد توبع عمرو بن أبي عمرو، تابعه داود بن الحصين عن عكرمة، أخرجه ابن ماجه (٢٥٦٤)، وأحمد (٣٠٠/١)، وداود وإن كان ثقة إلا أن روايته عن عكرمة منكرة، قاله ابن المديني وأبوداود.

وله متابع آخر، وهو عباد بن منصور يرويه عن عكرمة عن ابن عباس، أخرجه البيهقي في «الكبرى» (٢٣٢/٨)، وفيه عباد بن منصور ضعيف ومدلس وقد عنعن، قال الحافظ في «التلخيص»: ويقال إن حديثه عن عكرمة إنما سمعها من إبراهيم بن أبي يحيى، عن داود وهو ابن الحصين عن عكرمة، فكان يدلس بإسقاط رجلين، وإبراهيم بن أبي يحيى ضعيف عندهم. اهـ

قلت: وفي «التقريب» قال عنه: إنه متروك.

فتحصل من هذا أن الحديث ضعيف، ومع هذا صححه ابن القيم رحمه الله في «الداء والدواء» (٢٦٣)، وفي «زاد المعاد» (٤٠/٥)، واحتج به شيخ الإسلام رحمه الله في «السياسة الشرعية» المصدر السابق، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (٦٢٢-٦٢٣).

والحق أنه ضعيف بل منكر، كما قال الأئمة رحمهم الله.

وفي الباب عن جابر وعلي وأبي هريرة رضي الله عنهم، ولا يستشهد بها لضعفها الشديد، ولتأنيدها =

وقال عليه السلام: «إذا ظلم أهل الذمة كانت الدولة دولة العدو، وإذا كثر الزنا كثر السباء، وإذا كثرت اللوطية رفع الله عز وجل يده عن الخلق فلا يبالي في أي واد هلكوا»^(١).

وقال عليه السلام: «أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله: المشبهون من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال، والذي يأتي البهيمة، والذي يأتي الرجال»^(٢)، «أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا» [الفرقان: ٤٤].

=

راجع تحقيق «مسند أحمد» (٤/٤٥٨-٤٦١)، والله الموفق.

(١) (ضعيف جدًا).

أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢/١٨٤-١٨٥) رقم (١٧٥٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وفي سنده نعيم بن حماد رأس في السنة ضعيف في الحديث، وفيه عبد الخالق بن زيد بن واقد، قال النسائي: ليس بثقة، وقال البخاري: منكر الحديث كما في «الميزان» (٢/٥٤٣).

فالحديث ضعيف جدًا، وقد ضعف العلامة الألباني رحمه الله في «السلسلة الضعيفة» رقم (١٢٧٢).

(٢) (ضعيف).

أخرجه البخاري في «التاريخ» (١/١١٠)، وابن عدي في «الكامل» (٧/٤٦٢)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٥٠٠١)، والطبراني في «الأوسط» رقم (٦٨٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي سنده محمد بن سلام الخزاعي، أورد الحديث البخاري في ترجمته وقال: لا يتابع عليه، وقال ابن عدي: وهذا كما ذكره البخاري: منكر لا يتابع محمد بن سلام عليه، وعندي أن أنكر شيء لمحمد بن سلام هذا الحديث. اهـ

وقال أبو حاتم فيه: مجهول كما في «الجرح والتعديل» (٧/٢٧٨)، وقال الذهبي في «الميزان» (٣/٥٦٧): لا

يعرف. اهـ

=

الخطبة الأربعون

في التحذير من الخمر

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، وزينه بالعقل وشرفه بالإيمان، وميزه بالعقل واللسان، عن سائر الحيوان، نحمده تعالى أدبنا بالقرآن، وخاطبنا بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: ٩٠].

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أمرنا بالخير والإحسان، ونهانا عن الفسوق والعصيان، ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المبعوث بالحجة البالغة وحسن البيان، والقائل ﷺ: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان»^(١).

=

وأما أبوه سلام الخزاعي فقال الشيخ الألباني رحمه الله: فلعله سلام بن أبي مطيع، واسمه سعد الخزاعي ... فإن يكن هو فمعنى ذلك أن في الإسناد انقطاعاً؛ لأنه من أتباع التابعين، ولذلك لم يذكروا له رواية عن الصحابة. اهـ من «الضعيفة» برقم (٥٣٧٠).

(١) (صحيح).

أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» رقم (١٨٧٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفي سنده عمران القطان ضعيف يصلح بالشواهد، وهو هنا كذلك، وقد حسنه المحدث الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٣٠٩٩).

وأخرجه أحمد (١٣٤ / ٢)، والنسائي في «المجتبى» (٨٠ / ٥)، والطبراني في «الكبير» (١٣١٨٠) عن =

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد قائد الغر المحجلين إلى الجنان، والآخذ بحجز الناس وهم يتهافتون في النيران^(١)، صلى الله عليه وآله وأصحابه أولي العرفان، ما تعاقب الجديدان، وتتابع النيران، أيها المسلمون، ما حرم الله عليكم الخمر إلا لما فيها من الخطر، وما منعكم من شربها إلا لما يترتب على ذلك من الضرر، فشاربها ملعون على لسان سيد البشر، وبائعها وشاربها وعاصرها ومعتصرها وساقيتها كذلك ملعونون في صحيح الخبر^(٢)، وفي الحديث الشريف: «مدمن الخمر كعابد الأوثان»^(١).

=

ابن عمر رضي الله عنهما، وفي سنده عبدالله بن يسار المكي روى عنه جمع ولم يوثقه سوى ابن حبان. قال الشيخ الألباني رحمه الله: فهو حسن الحديث إن شاء الله. «الصحيحة» رقم (٦٧٤)، وللحديث شواهد يصح بها، انظرها في تحقيق «مسند أحمد» (١٠/٣٢٣-٣٢٥). تنبيه: لفظ الحديث عند أحمد والنسائي: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن الخمر، والمنان بما أعطى».

(١) يشير رحمه الله إلى حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، أخرجه مسلم رقم (٢٢٨٥). وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري رقم (٣٤٢٦) ومسلم (٢٢٨٤). (٢) يشير رحمه الله إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «لعن رسول الله ق في الخمر عشرة: عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيتها، وبائعها، وأكل ثمنها، والمشتري لها، والمشتراة له».

أخرجه الترمذي (١٢٩٥)، وابن ماجه (٣٣٨١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (٥٩٧/٢)، وحسنه شيخنا الإمام مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (١/٦٧-٦٨)، وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه أحمد (٢/٢٥، ٩٧)، وهو صحيح بشواهده، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (٥٩٧/٢).

=

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أخرجه البزار (٣٩/٥)، والطبراني في «الكبير» (١٠٠٥٦)، وفيه عيسى بن أبي عيسى الخياط، وبه أعل الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧٣-٧٢/٥).
وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه أحمد (٣١٦/١)، وهو صحيح بشواهده، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (٥٩٨/٢).
(١) (صحيح لغيره).

والحديث جاء عن عدد من الصحابة، منهم:

١- ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه أحمد (٢٧٢/١)، وعبد بن حميد في «المنتخب» رقم (٧٠٨)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١١٦)، ولفظه: «مُذْمَنُ الخمر إن مات لقي الله كعابد وثن». وفي سنده رجل مبهم، وفيه الحسن بن صالح، قال ابن حبان: ينفرد عن الثقات بما لا يشبه حديث الأثبات.

وله طريق أخرى أخرجه عبد الرزاق (٢٣٩/٩) عن ابن المنكدر عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي سندها نجيح بن عبد الرحمن السندي ضعيف كما في «التقريب»، وقد صحح حديث ابن عباس العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (٦٠٠/٢)، وانظر «الصحيحة» رقم (٦٧٧).
وله طريق أخرى أخرجه ابن حبان (١٦٧/١٢) رقم (٥٣٤٧)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١١١٨)، وابن عدي في «الكامل» (١٥٢٥/٤)، قال ابن الجوزي عقبه: وهذا لا يصح، العوام مجروح، قال البخاري: وعبد الله بن خراش منكر الحديث، وقال أبو زرعة: ليس بشيء.
وطريق أخرى أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤٥/١٢) رقم (١٢٤٢٨)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١١١٩)، وفيه ثوير بن أبي فاختة ضعيف.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٥٣/٩)، وابن أبي حاتم في «علل الحديث» (٢٦/٢)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١١١٩)، وفيه حكيم بن جبير ضعيف.

٢- عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢٥٤/١)، ولفظه: «شارب الخمر كعابد وثن»، وفي سنده الخليل بن زكريا العبدى أو الشيباني متروك كما في «التقريب».

=

وأخرجه أبو الحسن الحربي في «الفوائد المتنقاة» (٣/١٥٥/٢) كما في «الصحيحة» (٢/٢٨٨)، وفيه مؤمل بن إسماعيل سيء الحفظ، ولا سيما إذا روى عن الثوري، وهو هنا كذلك، وهذه الطريق حكم عليها بالخطأ أبو حاتم كما في «العلل» لابنه (٢/٣٧).

وأخرجه البزار كما في «كشف الأستار» رقم (٢٩٢٤)، و(٢٩٢٥) وقد اختلف في سنده على فطر بن خليفة بذكر يونس بن خباب وإسقاطه والراجح إسقاطه، فظاهر الإسناد الحسن، والله أعلم.

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه ابن ماجه (٣٣٧٥)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/١٢٩)، وابن الجوزي في «العلل» (١١١٧).

الحديث، قال البخاري بعد إirاده للحديث: ولا يصح حديث أبي هريرة هذا، وقال ابن الجوزي رحمه الله عقبه: وهذا لا يصح، تفرد به محمد بن سليمان، قال ابن عدي: محمد بن سليمان مضطرب الحديث، وقد أخطأ في غير أشياء منه، وقال أبو حاتم الرازي: لا نحتج به.

وقال الدارقطني: خالفه سليمان بن بلال فرواه عن سهيل عن محمد بن عبدالله عن أبيه، عن النبي ق، قال ابن مريم عنه، قال: ورواه حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي صالح عن عبدالله بن عمرو من قوله، قال ابن الجوزي: هذا هو الصحيح، والطريق قبله لا يثبت. اهـ

قلت: محمد بن عبدالله المتقدم مجهول، قاله أبو حاتم كما في «الجرح» لابنه (٧/٣٠٩)، وهذه الطريق المشار إليها أخرجه البيهقي في «الشعب» (٥٢٠٨).

٤- عن جابر رضي الله عنه، أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (١/٣٢٤)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١١٢٠) ثم قال: قال الدارقطني: تفرد به سعيد، يعني ابن خالد الخزائي عن ابن المنكدر، وقد ضعفه أبو حاتم وأبوزرعة. اهـ

وقال ابن حبان: كان ممن يخطئ حتى لا يعجبني الاحتجاج بخبره إذا انفرد.

٥- عن أنس رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٤٨١٠) ولفظه: «المقيم على الخمر كعابد وثن»، وفي سنده جنادة بن مروان الحمصي اتهمه أبو حاتم كما في «الميزان» (١/٤٢٤)، وبه

أعل الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/٧٥)، وبالجملته فالحديث صحيح لغيره بشواهده، =

شارب الخمر مفسد لدينه وصحته، وجان على نفسه وأقاربه وأهله، ومفرط في ماله وعابث بكرامته وفضله وساع إلى الشرك والفساد بيده ورجله، وصائل خبيث على الأخلاق والأديان.

شارب الخمر عضو مسموم في جسم مواطنيه، وإذا لم يعالجه أو يقطعوه أصابهم ما فيه، يزين الشر ويحسنه لبناته وبنيه، ويدعو إليه زملاءه وأقرانه ومن يواليه، وداعي الفساد مجاب في كل زمان ومكان، ونعوذ بالله من الافتتان.

إذا دبت الخمر في رأس شاربها وفقد الشعور، زنى ولواط وجاء بأنواع الفحش والفجور، وسب وشتم ولعن الدين والمسلمين، وكذلك يفعل المخمور، وربما اقترف الإثم مع إحدى محارمه وارتكب الموبقات بين القبور، وإنه ليكفر بالله ويترك الصلاة ويفطر رمضان ويسب القرآن ومن جاء بالقرآن.

وفي الحديث الشريف: «يبئ قوم من هذه الأمة على طعم وشرب وهو ولعب، فيصبحوا قد مسخوا قردة وخنازير»^(١).

=

وطرقه التي لم يشتد ضعفها.

ومعنى الحديث كما قال أبوحاتم وابن حبان في «صحيحه» (١/١٦٨): يشبه أن يكون معنى هذا الخبر: من لقي الله مُدمن خمر مستحلاً لشربه، لقيه كعابد وثن لاستوائيهما في حالة الكفر. اهـ (١) (ضعيف).

أخرجه أحمد (٢٥٩/٥) مختصراً، والطيالسي (١٥٥)، والحاكم (٤/٥١٥)، وأبونعيم في «الحلية» (٢٩٥/٦)، وابن أبي الدنيا في «ذم الملاحى» رقم (٢)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٥٢٢٦) مطولاً =

ولا أظن هذا الآن إلا الذي أخبر به البشير النذير، فإن كثيرًا من المسلمين يقلون ويسمرون على هذه المنكرات، وما ثم من نكير.

فهل نسي المسلمون دينهم؟! واستبدلوا النعيم اليسير بما أعدّه الله للمحسنين من الخير الكثير والفضل الكبير؟! وهل أمنت مكر الله وأن يخسف بك الأرض؟!، أو يرسل عليك صاعقة من السماء أيها السكران!!.

=

من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

وفي سنده فرق بن يعقوب السبخي ضعيف كما في ترجمته من «التهذيب»، وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب» (١١٠-١١١/٢)، ولتمام تخريج الحديث انظر تحقيق «مسند أحمد» (٥٦٥/٣٦).

وفي الباب عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، ولفظه مرفوعًا: «والذي نفس محمد بيده، ليبتن أناس من أمتي على أشربوط ولعب وهو، فيصبحوا قردة وخنازير باستحلالهم الخمر». أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائده على المسند» (٣٢٩/٥)، وفي سنده صدقة بن موسى الدقيقي ضعيف، وفرق السبخي ضعيف أيضًا، وأبوعطاء اليحوري الراوي عن عبادة مجهول، ومع ذلك حسن الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (٦٠٤/٢).

ويغني عن حديث الباب المذكور حديث أبي عامر أو أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، ولفظه: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر .. إلى قوله: والخمر .. ويمسح آخري قردة وخنازير إلى يوم القيامة». أخرجه أبوداود (٤٠٣٩)، وابن حبان (٦٧٥٤)، والطبراني (٣٤١٧)، وعلقه البخاري (٥٥٩٠) بصيغة الجزم، وإسناده حسن وقد صححه الشيخ الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٩١).

أما تستحي من وقوفك خاضعاً ذليلاً بين يدي الخمار، وهو يأخذ مالك ويستخف بك، حتى إذا أخذك السكر، صفع عنك القفا، وزجرك زجر الحمار، فتخرج بعد ذلك ثملاً نشواناً، مدنساً بالأقذار، تقهقه كالقرد، وتسبك النساء، ويسخر بك الصبيان.

من شرب الخمر فمات وهو يدمنها لم يشربها في الآخرة^(١)، وإن دخل الجنة مع المؤمنين، ومن تلذذ بها في الدنيا لم يتلذذ بها في الجنة مع المتقين، الذين وعدهم الله بأنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين.

فيا متشبهاً بالحيوانات، ويا متخلقاً بأخلاق المجانين، تب إلى الله الذي يقبل التوبة عن عباده، قبل أن تلقاه وهو عليك غضبان، وتدبر قول ربك تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

وتذكر قوله عز وجل في الخمر: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

ولا يخدعك الشيطان بأنها تزيد في الدم، وتنقي البشرة، وتريح أصحابها مما يعانون، ولا يغرنك أن أهلها هم العظماء القادة والمفكرون، فلو عقلوا لما فعلوا، ولو فكروا لما سكروا، ولكنه سول لهم، وأملى لهم الشيطان الملعون.

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان»^(١).

(١) يشير رحمه الله إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري رقم (٥٥٧٥)، ومسلم رقم (٢٠٠٣).

وقال عليه الصلاة والسلام: «أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن الخمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه»^(٢).

جعلني الله وإياك ممن إذا خوف بالله ندم وخاف، ورزقني وإياكم من الإنابة والإنصاف، وما يلحقنا بصالح الأسلاف. آمين^(٣).

=

(١) (ضعيف).

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه تقدم تخريجه تحت الخطبة الخامسة عشرة، فراجع إن شئت، وهو في «الضعيفة» للعلامة الألباني رحمه الله رقم (١٢٧٤).

(٢) (ضعيف جدًا).

أخرجه الحاكم (٣٧/٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: صحيح الإسناد، فتعقبه الذهبي بقوله: إبراهيم قال النسائي: متروك. قلت: وإبراهيم هذا هو ابن خثيم بن عراك بن مالك الغفاري ترجمه الذهبي في «الميزان» (٣٠/١) وقال: قال أبو إسحاق الجوزجاني: كان غير مقنع اختلط بأخرة، وقال النسائي: متروك. اهـ

وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب» (٥٧٠/١) و(٢/٢١٢ و٤٠٢).

(٣) لا أعلم دليلاً صحيحاً على شرعية تأمين الداعي عقب دعائه إلا ما كان بعد سورة الفاتحة، فهذا الفعل يجتنب.

الخطبة الحادية والأربعون

ظلم العباد وشهادة الزور

الحمد لله الذي له ملك السماوات والأرض وإليه تصير الأمور، له الملك وله الحمد، بيده الموت والحياة وإليه النشور، وهو الغفور الرحيم الخير العليم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

نحمده تعالى على كل حال، ونعوذ به من أحوال أهل الضلال، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له حرم الزور والحيلة والاحتيال، ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المبعوث بحفظ الحقوق واحترام الأعراض والأموال، ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]، اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد الكامل المكمل، وسيد الآخر والأول، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ أولي الشرف الرفيع والمجد المؤثل^(١).

(١) المؤثل: أي مجموع ذو أصل، وكل شيء قديم وجمع حتى يصير له أصل فهو مؤثل، قال لييد: لله نافلة والأجل الأفضل وله العلى وأثبت كل مؤثل

أهم من «لسان العرب» مادة: أثل.

أيها الناس: إن الله قد حرم عليكم دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، كحرمة البيت الحرام، في الشهر الحرام، في البلد الحرام^(١)، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ [البقرة: ١٨٨].

وقال رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه»^(٢).

والظلم ظلمات يوم القيامة^(٣)، ودعوة المظلوم ترفع على الغمام^(٤)، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

(١) يشير رحمه الله بهذا الكلام إلى حديث أبي بكرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٦٧)، ومسلم رقم (١٦٧٩).

وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري (١٧٤٢)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البخاري رقم (١٧٣٩).

(٢) أخرجه مسلم رقم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) يشير رحمه الله إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩)، وفي الباب عن جابر رضي الله عنه أخرجه مسلم رقم (٢٥٧٨).

(٤) يشير رحمه الله بهذا الكلام إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه أحمد (٣٠٤-٣٠٥)، وابن ماجه (١٧٥٢)، وحسنه شيخنا مقبل رحمه الله في «الصحیح المسند» (٣٦٦/٢)، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب» (٨١/٢) بناء على أن أبا المدلة مجهول، لكن وثقه وكيع كما في «سنن ابن ماجه» فصح الحديث والحمد لله.

ذنوب العباد مكتوبة عند الله في ثلاثة دواوين: ديوان لا يغفر، وهو الشرك بالله ذي القوة المتين، وديوان لا يترك، وفيه حقوق العالمين، وما للمظلومين على الظالمين، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، وديوان إلى الله يغفر ما فيه لمن يشاء ويعذب عليه من يشاء، وما ربك بظلام للعبيد^(١)، وهو الذي فيه ذنوبك مع الله وما يقع منك من الإهمال والتقصير في واجبات الدين، ولتعلمن نبأه بعد حين ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الإنفطار: ١٠-١١].

﴿إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧-١٨].

ألا وإن شهادة الزور لمن أعظم الذنوب وأكبر الفجور، وقد جمع الله بينها وبين عبادة الأوثان في محكم القرآن، فقال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

(١) يشير رحمه الله بهذا الكلام إلى حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه أحمد (٢٤٠ / ٦)، وفي سنده صدقة بن موسى الدقيقي ضعيف كما في ترجمته من «التهذيب»، وفيه يزيد بن بابنوس البصري، قال أبو حاتم: مجهول كما في «التهذيب»، وقال البخاري في «التاريخ» (٣٢٣ / ٨): كان من الشيعة الذين قاتلوا علياً، وأورده العقيلي في «الضعفاء» (٣٧٤ / ٤) وقال الحافظ في «التقريب»: مقبول، يعني عند المتابعة وإلا فلين، ولم يتابع.

وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الجامع» رقم (٣٠٢٢)، والحمد لله.

لما يترتب على ذلك من ضياع الحقوق، وظلم المساكين، والتغريب بالحكام وولاية الأمور،
فيا مستحلاً من أخيه ما حرمه الله، لقد بؤت بالخسران والويل والشبور.

ويا بائعاً دينه بدنياه غيره، دفعت الكثير، وأخذت القليل، وغرك الشيطان وحبك الدنيا،
وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ * وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ
لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿[العاديات: ٦-٨].

شاهد الزور غشاش مكار خداع كذاب، فاجر معتد أثيم، مريب مرتاب، مخالف
لأوامر الله، مستخف بوعيد السنة والكتاب، وإنه لمن الذين يفسدون في الأرض، ويقطعون
ما أمر الله به أن يوصل من الأسباب، وعماً قريب يحل عليه غضب الله، ويصب عليه ربك
سوط عذاب، ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ * إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ * وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ * ذُو
الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿[البروج: ١٢-١٦].

شاهد الزور يخون القريب والبعيد، والصاحب والصديق، ويمكر بالجار والجلس
والزميل والرفيق، ويحلف بالله كاذباً، ويجعل الحق باطلاً، وينقض العهود والمواثيق،
ويشترك في الفساد مع القاتل والسارق وقاطع الطريق، ويضر الناس أكثر من ضرر الكافر
والمنافق والزنديق، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ
وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠]، ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِلْجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾
[ق: ٣٠].

ذهاب النفوس وسفك الدماء وهتك الأعراض وضياع الأموال، واختلال الأمن
وانتشار الفوضى بالخصام والجدال، والنهب والسلب والقتال، وفساد الحال والمآل يجر إليه
جميعاً.

ويوقع الناس فيه شهادة الزور، وخلف الوعود، ونكث العهود، والاستخفاف بذي الجلال، وشارع الحرام والحلال، ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ*وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ*وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ﴾ [ق:١٢-١٤].

ألا وإن من الزور ظلم العباد بالغش والخداع في التجارة، ونهب أموالهم بالمطل، والحيل في البيع والرهن والإجارة، ورزق الحرام لا يذهب إلا كما جاء في الحرام والتبذير والخسارة.

يا رب، جامع الدنيا حريص على جمعها ليله ونهاره، قد فارقها، ولم يستلذ منها بشيء غير تعب الكسب والعمارة، وتركها لورثة أشرار، وأوصياء فجار، فبئست الوراثة، وبئست النظارة، ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق:١٩].

قد حرم الله على نفسه الظلم، وجعله بينكم محرماً، فلا تظالموا^(١)، يا أولي الأحلام، فمن أكل الحرام، وشرب الحرام، ولبس الحرام، وتمتع بالحرام، فإن الله يحاسبه على ذلك ويعذبه عذاباً نكراً.

(١) يشير رحمه الله بهذا الكلام إلى ما أخرجه الإمام مسلم برقم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

ويقتص للمظلوم من الظالم^(١)، ويأخذ منه بالحق والله عزيز ذو انتقام وكما تدين تدان والجزاء من جنس العمل وما ربك بظلام. قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٨-٢٩].

الحديث عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، ألا وشهادة الزور، وقول الزور» وكان متكئاً فجلس، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت. رواه البخاري ومسلم^(٢).

جلعني الله وإياكم من المؤمنين الصادقين، وجنبي وإياكم صفات المنافقين والفاستين، وأرشدنا جميعاً إلى متابعة المتقين.

(الآية) ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان: ٧٢-٧٣].

(١) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٢٤٤٩ و ٦٥٣٤).

(٢) أخرجه البخاري رقم (٢٦٥٤) ومسلم رقم (٨٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

الخطبة الثانية والأربعون

نداء الشباب

الحمد لله الذي جعل الشباب حماة الأوطان، ونصر بهم الشرائع والأديان، وأظهر بهم الحق في سائر البلدان، وجعل منهم رواة الحديث وحملة القرآن، ورفع بهم راية التوحيد على عبادة الأوثان، وحفظ بهم الآداب والأخلاق والأعراض والأنساب.

نحمده تعالى ونسأله إصلاح شبابنا الحاضر، وأن يعيد لنا بماضي عزيمتهم العز السالف والمجد الغابر، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الظاهر والباطن والأول والآخر، ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المؤيد بالقرآن وبالشباب الطاهر.

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه من أنصاري ومهاجري، وعلى التابعين لهم بإحسان في مكارم الأخلاق وجميل الآداب.

أيها المسلمون، إذا درستم التاريخ وسيرة صاحب الشريعة الإسلامية، وجدتم الذين اتبعوه بادي الرأي هم الشبيبة والفتية، أولي الهمم العلية، والنفوس الطاهرة الزكية.

وهم الأربعون السابقون إلى الشريعة المحمدية والتعاليم السماوية، وهم الذين زعزع الله بهم العروش القيصرية، والأسرة الكسروية، فحياكم الله يا شبان، وحي الله أعمال الشباب.

بماضي عزيمتكم تحقق الأعمال، وبهمتكم العالية تدرك الأطماع وتنال، وعلى كواهلهم المتينة تحمل الأثقال، وبسواعدكم القوية تكون الصناعة والأعمال، وأنتم التجار والزراع والعلماء والأبطال، وأنتم الشعراء والخطباء والصحافيون^(١) والكتاب.

فيا أسس المجدد ودعائم الشرف، ويا خير خلف لخير سلف، لا يجرفنكم سيل المدنية الخبيثة فيمن جرف، ولا تشغلوا عن الواجبات بأسباب الراحة والترف، ولا يصرفنكم الشيطان عن صفات الرجولة وتقاليدهم القومية فيمن صرف، فيذهب عزكم ويحل بكم الدمار والتلف، ولا تشبهوا بالنساء في تصفيف الشعور وتنسيق الثياب.

تراب العمل يا شباب خير من زعفران البطالة، وأبغض الناس إلى الله السبيل^(٢) الذي يضيع دينه ونفسه وعياله، وشر البلاد بلاد يصاب أهلها بالفقر والجهالة، وحالة

(١) لا نريد من شبابنا أن يكونوا صحافيين؛ لأن أكثر الصحافيين يخلطون الحق بالباطل، وليس لهم قيم أخلاقية كما قال شيخنا مقبل الوداعي رحمه الله ذلك، لكثرة ما يرتكبونه من المحرمات إلا من رحم الله، وللمصنف كلام جيد في ذمهم يراجع من «رباعياته».

(٢) السبيل هو الفارغ، وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: (إني لأرى أحدكم سبيلاً، لا في عمل دنيا، ولا في عمل آخرة) كما في «لسان العرب» مادة: سبيل. وانظر «المقاصد الحسنة» للسخاوي رحمه الله رقم (٢٤٦).

وقد جاء حديث بلفظ: «إن الله يكره الرجل البطال» قال الزركشي: لم أجده، ولفظ: «إن الله يبغض الشاب الفارغ» ذكرهما الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» (١٤٦-١٤٧).

كهذه التي ترون عليها بلادكم اليوم هي بئست الحالة، فجهل وذل وفقر ومسكنة وتقصير وإعجاب.

من للبيوت والعائلات إذا مات أصحابها؟ ومن لهذه الأموال يحفظها وينميها إذا مات أربابها؟ ومن يحل محل الشيوخ والرؤساء في الأوطان إلا شبابها؟ ومن للفضائل والفواصل والمراتب العلية إذا عز طلابها؟ ومن للمساجد والمعاهد والمراتب والمناصب إلا الشباب. إذا اجتمع الشيوخ والشبان في المساجد للجمع والجماعات، تبادلوا الآراء فيما يعود على الأمة بالخير والمسرات، وإذا عرف الأبناء حق آبائهم عليهم، وعرف الآباء ما يجب عليهم للبنين والبنات.

وتكاتف الجميع على الواجبات والمهمات، حصل المراد وصلحت البلاد واستقامت الأمور على أحسن الحالات، ألا فليوقر الصغير منكم الكبير، وليرحم الكبير منكم الصغير واتقوا الله واسمعوا يا أولي الألباب.

واتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم يا مسلمون، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم يا مؤمنون، ولا تكونوا من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون. واقطعوا دابر الفساد وحاربوا أهل الإلحاد وكونوا كالبنين أو كالبنان يشد بعضه بعضاً وقولوا آمنا واشهد بأننا مسلمون، فوحدوا الكلمة واجمعوا شمل الأمة واقضوا على ما ترونه في البلاد من أحزاب.

يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء^(١)، ومن تزوج فليعرف ما لزوجته عليه من الحقوق يا أهل الحجا، ولا تستبدلوا الخيـث بالطيب والقبـيح بالحسن، والحرام بالحلال وإذا غسق الليل أو سجا وعلموا نسائكم الدين وكيف يعيشن في هذه الحياة.

وهذه غاية الرجاء، ولا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، فيظهر ما تكرهون في وضـح النهار وغسق الدجى، ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. (الحديث) قال رسول الله ﷺ: «اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك» رواه الحاكم والبيهقي وغيرهما^(٢).

(١) يشير رحمه إلى حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (١٩٠٥)، ومسلم رقم (١٤٠٠).

(٢) (مرسل، والمرفوع غلط).

أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» رقم (١١١) ضمن «موسوعة ابن أبي الدنيا» (٣/٣٢٩)، والحاكم (٤/٣٠٦)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (٩٧٦٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وصححه الحاكم، وأقره الذهبي، ووافقه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (١٠٧٧)، و«صحيح الترغيب» (٣/٣١١).

وظاهر إسناده الحسن، لكن قال البيهقي عقبه: هكذا وجدته في كتاب «قصر الأمل»، وكذلك رواه غيره عن ابن أبي الدنيا وهو غلط، وإنما المعروف بهذا الإسناد، ثم ذكر حديث ابن عباس: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس».

جعلني الله وإياكم ممن عرف الحق وشهد به، وحبب إليه الخير فعمل به، ووفقنا جميعاً
لمتابعة رسله وكتبه.

(الآية) من سورة الأحزاب: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٣-٢٤].

=

فتبين من هذا أن المرفوع غلط، كما قال البيهقي رحمه الله، ثم أشار إلى المرسل، والمرسل أخرجه ابن المبارك في «الزهد» رقم (٢)، ووكيع في «الزهد» رقم (٧)، وعنه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٢٣/١٣)، والخطيب في «الفتاوى والمتفق» (٨٧/٢)، و«اقتضاء العلم والعمل» رقم (١٧٠)، وأبونعيم في «الحلية» (١٤٨/٤)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٩٧٦٩) عن عمرو بن ميمون الأودي مرسلًا، وإسناده حسن.

الخطبة الثالثة والأربعون

الهجرة واستقبال العام

الحمد لله الذي شرع الهجرة والجهاد، لحماية الدين ودرء الفساد ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

نحمده تعالى ونسأله أن يهدينا سبيل الرشاد، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا والد ولا أولاد.

ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المهاجر بدينه من بلاد إلى بلاد، والقائل ﷺ:

«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما حرم الله»^(١).

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد القمر الزاهر، والنور الباهر، وخير كل حامد وشاكر، وأثبت كل مجاهد وصابر، وسيد كل أول وآخر، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأكابر، وعلى التابعين لهم بإحسان في الآثار والمآثر، صلاة وسلامًا دائمين متلازمين بدوام ملك الله.

أيها المسلمون: نعم الله على عباده كثيرة جمّة، وأعظمها وأجلها نعمة الإسلام وكفى بها من نعمة، دين نبه محمد بن عبد الله سيد أهل العصمة، وكتابه القرآن كتاب النور والهدى والحكمة، ودستور^(١) العدل والمساواة^(٢) بين جميع أفراد الأمة.

(١) أخرجه البخاري (١١) ومسلم (٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

لا فضل لذي عربية على ذي عجمة، إلا بتقوى الله وطاعته في كل مهمة وملمة ففي الحديث الشريف: «يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعاضمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي إلا بتقوى الله»^(٣).

=

(١) إطلاق كلمة دستور على القرآن والسنة لفظ محدث دخيل، كان ينبغي للمؤلف رحمه الله أن يجتنبه، وقد تقدم التنبيه على ذلك.

(٢) قال شيخنا أبو عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله في «اللمع على إصلاح المجتمع» (٥٤٢) معلقاً على قول المؤلف «ولكن رسول الله المبعوث بالعدالة والمساواة»، قال شيخنا: هذا غير صحيح، فلفظ المساواة ورد نفيه في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [آل عمران: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وليس من العدالة التسوية بين العالم والسكران في الصوت والكلمة بين الرجل والمرأة، بل العدالة إنزال كل منزلته التي أنزله الله إياها في كتابه أو على لسان نبيه.

وكثيراً ما ينعق الملاحدة بلفظ المساواة بين الذكر والأنثى، وليس هذا مقصود من المؤلف قطعاً، ولكنه لم يتأمله رحمه الله، فديننا دين العدالة لا المساواة، وإن عُني المساواة في بعض العبادات مثل الصوم والصلاة ونحوها للرجال والنساء فالحكم واحد إلا ما خصه الدليل فهو صواب. اهـ كلامه حفظه الله.

(٣) أخرجه ابن هشام في «السيرة» (٤١٢/٣) فقال: قال ابن إسحاق: وحدثني بعض العلم ... فذكره مطولاً دون قوله: لا فضل لأبيض ... إلخ.

وإسناده معضل، لكن قوله: «إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها الآباء» يشهد له حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «لا تفتخروا بأبائكم الذين ماتوا في الجاهلية، فوالذي نفسي بيده، لما يدهده الجعل بمنخريه خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية».

أخرجه أحمد (٣٠١/١)، وصححه شيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (١/٥٥٤)، =

كان الناس على جانب عظيم من الضلال، يعيشون بالنهب والسلب، والهتك والفتك والقتل، ويعبدون الشجر والحجر والأصنام والأنصاب والرجال، ويتبعون كل ناعق من كاذب وكاهن وساحر ودجال.

فبعث الله فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم شريف الخصال ومكارم الأفعال، ويرفعهم من حضيض الجهالة والخمول وسوء الحال، إلى ذروة المجد وقمة الشرف والكمال، ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

فقام رسول الله ﷺ بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا، وأنذر الكافرين يوما عبوسا قمطريرا، وقرأ عليهم قول ربه تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤].

=

وحديث جابر في مسلم (١٢١٨)، ولفظه: «ألا كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي». وقوله: «لا فضل لأبيض...» إلخ لها شاهد أخرجه أحمد (٤١١ / ٥) من حديث رجل من أصحاب النبي ق، أنه سمع خطبة رسول الله ق في وسط أيام التشريق فقال: «يا أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على أعرابي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى ..» الحديث، صححه شيخنا مقبل الوداعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٢/ ٤٥٥-٤٥٦) والحمد لله.

وجاهد في الله حق جهاده لا يخاف دون الله صغيراً ولا كبيراً، مؤيداً بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِغْ مِنْهُمْ آتِيًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٣-٢٤].

فسب آلتهم، وسفه أحلامهم، وذم تقاليدهم، واحتقر شرفاءهم، ونصر ضعفاءهم، وهو لا يجد من دون الله ولياً ولا نصيراً، ورفع صوته بالتوحيد بين السهول والجبال، والأغوار والأنجاد، يقول: لا إله إلا الله.

فآذاه قومه المشركون، وقالوا: ساحر أو مجنون، وشاعر نتربص به ريب المنون، وقال له ربه تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٧-١٢٨].

وبلغ المشركون من أصحاب محمد بعض ما يريدون، حتى فتنوا بعضهم وثبت على الحق آخرون، فصاروا بدينهم يفرون إلى الله ويهاجرون حتى جمع الله شملهم في المدينة المنورة^(١) وظهر أمر الله.

فهاجر سيد المرسلين من البلد الأمين، إلى دار إخوانه وأنصاره في الدين، بعد أن جاءه الوحي من السماء على لسان جبريل الأمين، ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

(١) قال شيخنا الإمام مقبل الوداعي رحمه الله: لا يثبت تسمية المدينة بالمنورة. اهـ «فضائح ونصائح» ص(٢٤١).

وخرج من بيته مع صاحبه الصديق مستخلفاً لوصيه وابن عمه علي بن أبي طالب القوي الأمين^(١)، ليرد إلى الناس أماناتهم ويكون ظهيراً للضعفاء المؤمنين.

(١) قصة خروج أبي بكر الصديق رضي الله عنه مع النبي ق إلى المدينة أخرجها البخاري رقم (٣٩٠٥) و(٣٩٠٦) من حديث عائشة رضي الله عنها. وأما أنه استخلف علياً رضي الله عنه فذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في «السيرة النبوية» (١/٢٨٨-٣٠٠) ذلك من طريق ابن إسحاق معضلاً.

تنبيه: قول المؤلف رحمه الله: «لوصيه» هذا اللفظ باطل، كان ينبغي للمؤلف رحمه الله أن يجتنبه فهو من شعارات الشيعة، حيث يعتقدون أن النبي ق أوصى بالخلافة لعلي رضي الله عنه.

ويرد عليهم بما أخرجه البخاري (١١١) ومسلم (١٣٧٠) عن أبي جحيفة قال: قلت لعلي: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة، قال: قلت: فما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر.

وفي ربيع الأول وصل النبي ﷺ إلى المدينة ^(١) وتبعه الناس، مؤمنين ومهاجرين ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ [النساء: ١٠٠].
وهناك ظهر الحق وزهق الباطل وانتصر المسلمون، فتم المراد، وشرع الجهاد، وظهر الإسلام على الدين كله ولو كره المشركون، ودخل الناس في دين الله أفواجا.

وقال بعضهم لبعض: إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون، ودان لسلطان هذا الدين دأئون وقاصون، ورأوا فيه سعادة الدارين وأنه خير دستور وقانون ^(٢).
وأصبح العرب ملوك الأرض وسادتها وأهل الأرض لهم طائعون، ولسلطانهم خاضعون، حتى إذا تركوا دينهم وارتدوا على أعقابهم تودع منهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

لو نظر رسول الله ﷺ اليوم إلى المسلمين ورآهم من خلف ألف ومئات السنين، لقال لهم: أين ما تركتكم عليه من العز والتمكين والنصر والفتح المبين، ولقال لهم: بئس ما خلفتموني من بعدي، أفعجلتم أمر رب العالمين، وما له لا يقول ذلك ونحن نعد بالملايين، وقد تداعت علينا الأمم وأصبحنا طعمة للظالمين، نحب الحياة ونكره الموت ونحن في عداد الميتين، فمعدرة إلى الله وسلام عليك يا رسول الله.

(١) انظر «صحيح البخاري» حديث رقم (٣٩٠٦ و ٣٩٢٥)، و«السيرة النبوية» لابن كثير رحمه الله (١/٢٩٨-٣٠٥).

(٢) تقدم الكلام على لفظتي (دستور وقانون) تحت الخطبة الرابعة، بها أغنى عن إعادته هاهنا.

حالة المسلمين اليوم حالةٌ تبكي لها القلوب وتتفتت لها الأكباد، وتخرب لها الجبال هذًا، ويذوب من أجلها الجهاد، وكيف لا يكون ذلك وقد أذهم الاستعباد وصرعهم الاستبداد، بعد أن خضعت لهم رقاب العباد، ورفرت راياتهم على كل بلاد، فأين سلفنا الأجداد، وآباؤنا والأجداد، من أبنائهم والأحفاد، ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، وما ظلمهم الله.

(الحديث) قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، قيل: أمن قلة نحن يا رسول الله؟ قال: «لا، بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل»^(١) أو كما قال، أجارني الله وإياكم من الخذلان وجنبنا موارد الطغيان وختم لنا بالإيمان.

(الآية): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ *

(١) (حسن).

أخرجه أحمد (٢٧٨/٥)، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٥)، وأبونعيم في «الحلية» (١٨٢/١) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

وأخرجه أبو داود (٤٢٩٧)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٦٠٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٥٣٤/٦) من طريق أخرى عن ثوبان، وفيها أبو عبد السلام صالح بن رستم الهاشمي مجهول كما في «التقريب»، ولكنه متابع تابعه أبو أسماء الرحيبي كما في المصادر المتقدمة.

فالحديث حسن، وقد صحح الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٩٥٨).

يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ [الصف: ١٠-]

[١٣].

الخطبة الرابعة والأربعون

في التشاؤم والطيرة من صفر وغيره

الحمد لله الملك الجليل^(١)، الخالق المقدر، والرزاق المدبر، والهادي إلى سواء السبيل يقدم ويؤخر، ويأمر ويبشر، وينهى ويحذر، والله جميل ويحب كل جميل^(٢)، نحمده تعالى حمداً يملأ الأرض والسماء ويملاً ما بينهما، ونسأله الرزق الحلال والصحة الكاملة والعمر الطويل^(٣).

(١) لا أعلم دليلاً صحيحاً على أن من أساء الله عز وجل (الجليل)، لكن يجوز أن يخبر عن الله سبحانه وتعالى به، وكلام المؤلف من هذا الباب.

(٢) يشير رحمه الله إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أخرجه مسلم رقم (٩١).

(٣) لا بأس بسؤال الله سبحانه وتعالى العمر الطويل إذا كان على طاعة الله؛ لأن طول العمر قد يكون خيراً، وقد يكون شراً لقول النبي ق: «خير الناس من طال عمره وحسن عمله» عن عبدالله بن بسر رضي الله عنه، أخرجه الترمذي (٢٣٢٩)، وحسنه شيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٤٧٤/١).

وانظر «المناهي اللفظية» (٢٥) للشيخ ابن عثيمين، جمع أبي أنس أشرف بن يوسف، و«معجم المناهي =

ونشكره عز وجل شكراً جزيلاً، ونسبح بحمده بكرة وأصيلاً، ونعوذ به من التشاؤم والطيرة، وتصديق الكهان والسحرة، وأهل الدجل والشعوذة والتضليل، ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إيماناً بكتبه، وتصديقاً برسله إلى جميع البشر، وإرغاماً لمن جحد به وكفر.

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث من أشرف البيوت، وأكرم الأكرام، والقائل ﷺ: «لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر»^(١).

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد المنقذ من الخطر وعبادة الشجر والحجر، والأوهام والظنون وأكاذيب الخبر، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغرر.

وعلى التابعين لهم بإحسان وكل مؤمن بالقضاء والقدر، ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

=

اللفظية» (٥٧-٥٨) للشيخ بكر رحمه الله.

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٧٥٧) ومسلم رقم (٢٢٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي الباب عن أنس رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٥٧٥٦ و ٥٧٧٦)، ومسلم رقم

(٢٢٢٤) (١١٢)، وعن جابر رضي الله عنه، أخرجه مسلم (٢٢٢٢).

عباد الله: إن الذي خلق لكم كل شيء فقدره تقديراً، ودبر الأمور كما يشاء وتبارك الله إتقاناً وتديراً، هو الذي بيده الخير والشر والنفع والضر، وكُلُّ إله غيره لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

ولا سعد ولا نحس ولا توفيقاً ولا خذلاناً، ولا تقديماً ولا تأخيراً، إلا بيده تعالى وكان ربك قديراً، والساعات والشهور لا أثر لها في شيء ولا تأثيراً، والمؤمن حقاً لا يتشاءم ولا ترده الطيرة عن شيء ولا يعتقد إلا بالله، وكفى بالله هادياً ونصيراً.

ومن سلط الوهم على نفسه وتشبث بالحكايات والخرافات وتشاءم من البيوت والنساء فقد صار لعبة للشياطين وللتخيلات أسيراً، ﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

يتشاءم الناس بيوم الأربعاء وشهر صفر، ومن كل شهر بثالته وثامنه والثالث والثامن عشر، وبسعد السُّعود وسعد الذابح وسعد أخبياء^(١)، ويفرح الجاهل أو يتطير.

(١) سعود النجوم: هي الكواكب التي يقال: لكل واحد منها سعد كذا، وهي عشرة أنجم، كل واحد منها سعد أربعة منها منازل ينزل بها القمر، وهي سعد الذابح وسعد بُلُع وسعد السُّعود وسعد الأخبية ...

قال ابن كُناسة: سعد الذابح كوكبان متقاربان، سمي أحدهما ذابحاً؛ لأن معه كوكباً صغيراً غامضاً يكاد يلزق به، فكأنه مُكب عليه يذبحه ...

قال: وسعد السُّعود كوكبان، وهو أحمد السُّعود، ولذلك أضيف إليهما ... وقال الجوهري: هو كوكب نير منفرد، وسعد الأخبية ثلاثة كواكب على غير طريق السُّعود مائلة عنها ... وسميت سعد الأخبية؛ لأنها إذا طلعت خرجت حشرات الأرض وهوامها. اهـ بتصرف من «لسان العرب» مادة: سعد.

وما تملك الزهرة^(١) ولا زحل^(٢) للناس نفعًا ولا ضررًا، بل لا يعلم الغيب إلا الله، ولا أثر لاقتران العطارد^(٣) بالقمر، ولا تدل النجوم على حياة ولا موت ولا ارتفاع ولا هبوط ولا قحط ولا مطر.

وإنما جعلها الله ليهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وهي خلق من خلقه تعالى مسخرة بأمره، وليس لها في شيء من دون الله أي أثر.

فهل من قارئ يتدبر قول الله جل ذكره: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخُلُقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧].

كان المشركون يكفون عن الغارات والحروب وسفك الدم، ويحترمون بذلك الأشهر الحرم، ذا القعدة وذا الحجة والمحرم، فإذا حل صفر كثر القتال وهاج بعضهم على بعض وانتهكت الحرم، فيتشاءمون من هذا الشهر^(٤) ويعدونه شهر المأثم والمغرم.

(١) الزهرة: أحد كواكب المجموعة الشمسية التسعة، وهو ثاني كوكب في البعد عن الشمس يقع بين عطارد والأرض، وهو ألمع جرم سماوي باستثناء الشمس والقمر. «المعجم الوسيط» (٤٠٤).

(٢) زحل: أبعد الكواكب السيارة في النظام الشمسي. «المعجم الوسيط» (٣٩٠).

(٣) العطارد نجم من السيارات التسعة، وهو أقربها إلى الشمس، «المعجم الوسيط» (٦٠٨).

(٤) انظر «لطائف المعارف» لابن رجب (١٤٨)، و«سنن أبي داود» عقب حديث رقم (٣٩١٤) (٣٩١٥).

ومثل هذا لا يعد غريباً من ضعف الإرادة وعباد الصنم، وكل ما روي عن رسول الله ﷺ يدل على اختصاص هذا الشهر بشيء من الشر أو نزول البلاء فهو ضعيف أو موضوع^(١)، ومردود غير مقبول ولا مسلم.

وخروج الناس في الأربعاء الأخير من صفر إلى السواحل والبساتين ومختلف الجهات بالحاشية والخدم، وكتابة المحو واستخفاف المعلم بمن يتعلم، معدود من البدع والمحدثات وهو عمل محرم، وبه نعد في نظر الكفار والملحدين أمة لا تفهم ولا تشم ولا تطعم.

والإسلام لا يرضى لصاحبه أن يتطير أو يتشاءم، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٠-١٣﴾ [التغابن].

أمر غريب يا أهل الإسلام أن تعبت بكم الخيالات والأوهام، فكهانة وتنجيم، واستقسام بالأزلام، وتشاؤم وتطير بالشهور والأيام، وخوف من الشياطين وأضغاث الأحلام.

والله يحفظ عبده المؤمن في اليقضة والمنام، ويعيذه من كل شيطان وهامة وعين لامة، إذا ما استعاذ بكلماته التامة وذكر الله في القعود والقيام، وعلى الشراب والطعام.

(١) لم أقف على حديث في ذلك، والله أعلم.

أليس الله بكاف عبده، ويخوفونك بالذين من دونه من العفاريت والأصنام، سبحانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء والله عزيز ذو انتقام، ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

هيهات هيهات، لا شؤم في فرس ولا امرأة ولا دار^(١)، وإنما الشؤم في المرأة سوء أخلاقها، وشؤم الفرس في النفار، وشؤم الدار ضيق مرافقها، وكثرة سكانها، ومن الضغط يقع الانفجار.

وما يتشأم به الدَّهْمَاء من موت أولادهم وقلة أرزاقهم وسائر ما يلحق بهم من الأضرار، فليس للمرأة فيه إلا جهلها بأصول التربية والمحافظة على الصغار، وليس للدار في ذلك إلا امتلاؤها بالأوساخ والأقذار.

(١) ثبت في البخاري (٥٠٩٣ و ٥٧٧٢) ومسلم (٢٢٢٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ: «الشؤم في المرأة والدار والفرس».

واعلم رحمك الله أن العلماء قد اختلفوا في إثبات الشؤم في هذه الثلاثة الأشياء، فأثبتته البخاري في كتاب الجهاد باب (٤٧) ما يذكر من شؤم الفرس.

ونفاه غيره كالشيخ الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٤٤٢)، فقال رحمه الله بعد ذكره لحديث ابن عمر: «إن يك من الشؤم في شيء حق ففي المرأة والفرس والدار»، أخرجه أحمد (٨٥/٢) قال: والحديث يعطي بمفهومه أن لا شؤم في شيء؛ لأن معناه: لو كان الشؤم ثابتاً في شيء ما، لكان في هذه الثلاثة، لكنه ليس ثابتاً في شيء أصلاً، وعليه فما في بعض الروايات بلفظ: «الشؤم في ثلاثة» أو «إنما الشؤم في ثلاثة» فهو اختصار وتصرف من بعض الرواة والله أعلم. اهـ وانظر «الفتح» (٦/٧٦-٧٧).

وكل شيء خلاف العادة نسمعه أو نراه في البيوت، فمن حركة الجن وأرواح الأشرار، يستعان عليه بتلاوة القرآن، والصلاة والسلام على النبي ﷺ وكثرة الأذكار، ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦].

ولن يجعل الله للأشرار سبيلاً على الأخيار، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

وأعجب من ذا وذاك أن يدعي علم الغيب جماعة من المغفلين، وأن يتأثر العاقل بكلام الكهان والمضللين، فيزعم أنهم يظهرون السرائر ويخرجون المخبئات. وما أبعد ذلك عن المشعوذين والرمالين، ويتوهم أن العجائز وإخوان الشياطين، أهل الرِّزْق والسحر والزار وسائر المبطلين، يقدرون على شيء أو يعلمون شيئاً من الغيب ولا والله ما يكون ذلك إلا من رب العالمين.

وما يعلم البوم والغراب إذا نعق على دار ما يفعل الله بأهلها، ولكنها أوهام الجاهلين وأساطير الأولين، وأي عقل أو دين، يصدق أن الطَّوَارِق بالخصى على الرماد والطين، يعلمن حضور المسافر أو سفر الحاضر أو ما يفعله القرين بالأمهات والبنات والبنين.

أفيقوا أيها المسلمون من هذا السبات، ودعونا من الشؤم والطيرة والتخيلات، وتفضيل الشك على اليقين، ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

يصاب المرء بشيء من الأمراض فيلتمس الطب من غير طبيب، ويعرض نفسه على جاهل مثله لا يعرف إلا مجرد الأكاذيب، فيأخذ منه فتحة الكتاب، ويصف له المر^(١) والشذاب^(٢) والزنجبيل^(٣) والكباب^(٤).

وهو لا يعرف التحليل ولا يفهم الجمع والتركيب، ويخبره أن ماردًا من الجن أو الريح الأحمر قد مسه بنصب وتعذيب، فيكتب له الحروز، ويعلق عليه التهائم، ويصفعه^(٥) بالنعال تارة ويصق عليه أخرى ويقتله بالشد والتعصيب.

وإذا نهيته عن العمل الرهيب وهذه الأعاجيب، اتخذك عدوًا بعد الصداقة، واشتد عتبه عليك، وقال: هذا أمر غريب.

(١) المر: مادة تشبه اللبان، طعمها مر، موجودة في بلادنا اليمنية.

(٢) الشذاب: نبت صغير له رائحة، موجود في بلادنا اليمنية.

(٣) الزنجبيل: نبات من الفصيلة الزنجبارية، له عروق غلاظ تضرب في الأرض حريقة الطعم. اهـ من «المعجم الوسيط» (٤٠٢).

(٤) الكباب: ثمرة شجرة من الفصيلة الفُلفلية، تنبت في جزائر الهند الشرقية، وهذه الثمرة تشبه الفُلفل إلا أنَّ لها ذنبًا، وهي طيبة الريح حريقة الطعم، تستعمل في الطب مطهر للمجاري البولية، وهي ما تسمى بالكبابة الصيني. «المعجم الوسيط» (٧٧١-٧٧٢).

(٥) الصفع: هو أن يسط الرجل كفه فيضرب بها قفا الإنسان أو بدنه، وقيل: الصفع كلمة مؤلدة. اهـ «لسان العرب» مادة: صفع.

فيهاها من عقول وعادات لا تنتفع بالآيات ولا تعالج بالعظات، وليس لها من الخير أي نصيب، تدين الله بالظنون، وتعمل عمل المجنون، ويخدعها كذب التجاريب.

والمؤمن العاقل يلتمس الطب من أهله، ويطلب الصحة والعافية من ربه السميع القريب، ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣]، قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»^(١)، وقال ﷺ: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد برئ مما أنزل على محمد ﷺ»^(٢)، «ومن أتاه غير مصدق له لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»^(١).

(١) (إسناده ضعيف، وقوله: «ومن أتى كاهناً» صحيحة بشواهدا).

والحديث أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٣/ ٣٩٩-٤٠٠) رقم (٣٠٤٤) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، وفي سنده أبو حمزة العطار إسحاق بن الربيع ضعيف، والحسن البصري لم يسمع من عمران، وقوله: «ومن أتى كاهناً...» صحيحة لشواهدا كما بينت ذلك في تحقيقي لـ «كتاب التوحيد» يسر الله طبعه بمنه وكرمه.

(٢) (ضعيف).

أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧/ رقم ٦٦٦٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي سنده محمد بن أبي السري له مناكير منها هذا، ذكرها الذهبي في «الميزان»، وفيه رشدين بن سعد ضعيف. ولكن الحديث صحيح بلفظ: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ق»، جاء عن أبي هريرة وجابر وعن ابن مسعود موقوفاً عليه، وقد بينت ذلك كله بحمد الله في تحقيقي لـ «كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله يسر الله طبعه بمنه وكرمه.

وقال عليه السلام: «من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد» ^(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «العيافة، والطيرة، والطرق، من الجبت» ^(٣).

وقال أيضاً: «من ردته الطيرة عن شيء فقد أشرك» ^(٤)، وقال عليه السلام: «يدخل الجنة من

أمتي سبعون ألفاً بغير حساب، هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتون، وعلى

=

(١) يشير رحمه الله إلى ما رواه مسلم (٢٢٣٠) عن بعض أزواج النبي ق مرفوعاً: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً».

(٢) (صحيح).

أخرجه أحمد (١/ ٢٢٧، ٣١١)، وأبوداود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٧٩٣)، وشيخنا مقبل الوداعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (١/ ٥٣٦).

(٣) (ضعيف).

أخرجه أحمد (٣/ ٤٧٧) و(٥/ ٦٠)، وأبوداود (٣٩٠٧)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٠٨)، وابن حبان (٦١٣١) من حديث قبيصة بن المخارق الهلالي رضي الله عنه.

وفي سنده حيان، ويقال: حبان بن المخارق البصري، تفرد بالرواية عنه عوف الأعرابي ولم يوثقه معتبر، فهو مجهول، وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «غاية المرام» ص (١٨٤)، وشيخنا مقبل الوداعي رحمه الله في تحقيقه لـ «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٠٢)، والحمد لله.

(٤) (ضعيف).

أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٠)، وابن وهب في «جامعه» رقم (٦٥٨)، ومن طريقه ابن السني في «عمل اليوم

والليلة» (٢٩٢) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وفي سنده عبدالله بن لهيعة

ضعيف خلط بعد احتراق كتبه، وقد صحح الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» =

رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^(١)، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

=

(١٠٦٥)، وحسنه شيخنا محيي الحجوري حفظه الله في «اللمع على إصلاح المجتمع» (٤٤٣).

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٧٠٥)، ومسلم رقم (٢٢٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

الخطبة الخامسة والأربعون

في المولد الشريف

الحمد لله الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفی ضلال مبين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ناصر ولا معين، فتعالى الله الملك الحق المبین.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد الصادق الأمين وعلى آله الطاهرين وصحابته أجمعين: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يُلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ٣].

أيها الناس: لقد فضلكم الله على سائر الأمم كما فضل نبيكم على سائر النبيين، واشتق لكم اسمين من أسمائه الحسنی، فهو السلام المؤمن، وسماكم المسلمين المؤمنين.

وستدعون يوم القيامة بالغر المحجلين^(١)، وأئمة المتقين، إذا تمسكتم بالكتاب المبين وسنة سيد المرسلين، وتخلقتم بأخلاق من يمدحه ربه بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

(١) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٤٦).

كنتم أذلاء قبل الإسلام فعزكم الله بمتابعته، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم الله منها، بحكمة دعوته وحسن سياسته، وكنتم تهيمون في الظلمات فأخرجكم إلى النور بآيات ربه وجميل هدايته.

وإنكم لتذنبون وتطمعون يوم القيامة في شفاعته، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

كان الناس في الجاهلية يتنازعون ويتخاصمون، فيتلاعنون ويتشاقون، ولأقل شيء يقدعون ويقومون، فينهبون ويقتلون، وبالفساد في الأرض يعيشون، ويثدنون البنات ويعقون الأمهات وهم لا يستحون، وعن المعروف يعرضون وعلى المنكر يعكفون، ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢].

فطائفة منهم كانت تعبد النار والمياه والأشجار، وأخرى عاكفة على التماثيل من الأحجار، وأخرى تتقرب إلى الله بتعظيم الكواكب والأنوار، والأخيار يخافون من الأشرار.

وغالب من في الأرض فجار كفار، قد أضلهم الشيطان بمتابعة المضلين من الرهبان والأخبار، والكذابين من نقلة الأخبار ورواة الآثار، ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

وفي مثل هذا الشهر انبثق من مكة المكرمة^(١) نور ساطع يبدد الظلمات ويكشف المدلهمات، ويضيء السبيل للسالك المتابع، وانسل من غمد الزمان على رقاب أولي الطغيان سيف صارم قاطع، محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي^(٢) الجامع.

فشرت به البلاد واستبشرت به العباد، وتنافست به المراضع فيالك من مولود عظيم، وبوركت من رضيع وفطيم، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠].

فنشأ ﷺ متحلياً بمكارم الأخلاق، بعيداً عن الرذيلة ميالاً بفطرته إلى الفضيلة غير متأثر بيتم ولا إملاق، مبارك الطلعة في المجامع ميمون الصفقة في الأسواق.

فخطبته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد لنفسها^(٣)، وقد ساد قومه على الإطلاق، وإنه ليصل الرحم ويحمل الكل ويكسب المعدوم ويعين على نوائب الحق^(٤)، غير بخيل ولا

(١) المشهور عند جمهور العلماء أن النبي ق ولد يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل، انظر «السيرة النبوية» لابن كثير (١/ ٨١-٨٢)، و«لطائف المعارف» للحافظ ابن رجب (١٨٤-١٨٥).

(٢) انظر نسبه ق كاملاً في «زاد المعاد» (١/ ٧١).

(٣) انظر «السيرة النبوية» لابن كثير (١/ ١١٠-١١٣).

(٤) يشير رحمه الله بهذا إلى ما أخرجه البخاري في مواضع من «صحيحه» منها برقم (٣ و ٣٣٩٢)، ومسلم رقم (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

مبذر في الإنفاق، وحكّمته قريش في وضع الحجر الأسود^(١)، وقد احتدم بينهم النزاع والشقاق.

فلله درك من يتيم وحاكم وحكيم، ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ * وَمَا لَا تُبْصَرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٣٨-٤٠].

وعلى رأس أربعين سنة من عمره الشريف، بعثه الله للعالمين^(٢) بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله جهادًا كبيرًا، فأوذي وعودي^(٣)، وضرب^(٤) وشتم^(١)، ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا

(١) انظر «صحيح السيرة النبوية» للشيخ الألباني رحمه الله تعالى (ص ٤٥).

(٢) يشير رحمه الله إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «بعث رسول الله ق لأربعين سنة» أخرجه البخاري رقم (٣٩٠٢ و ٣٨٥١).

وفي لفظ: «أنزل عليه وهو ابن أربعين»، أخرجه البخاري رقم (٣٥٤٧ و ٣٥٤٨ و ٥٩٠٠) ومسلم (٢٣٤٧) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وانظر «زاد المعاد» (١/ ٧٧).

(٣) القصص في مؤاذاة المشركين لرسول الله ق وأصحابه كثيرة، انظر على سبيل المثال ما أخرجه البخاري رقم (٣٦٧٨ و ٤٨١٥).

وهو القائل عليه الصلاة والسلام: «لقد أوذيت في الله، وما يؤذى أحد، وأُخِفْتُ في الله وما يخاف أحد»، أخرجه أحمد (٣/ ١٢٠، ٢٨٦)، عن أنس رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح السيرة النبوية» (١٥٠)، وشيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (١/ ٧٦).

(٤) لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ق ذات يوم وهو جالس حزينًا، قد خضب بالدماء ضربه بعض أهل مكة .. الحديث =

مَسْحُورًا ﴿الفرقان: ٨﴾، ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿يس: ١٠-١١﴾.

ولقد وضعوا السلي^(٢) على ظهره في السجود^(٣)، وسفكوا دمه الزكي^(٤)، وأخرجوه من البلد الأمين^(٥)، فهاجر إلى المدينة المنورة^(٦) بمن معه من المؤمنين لنشر دعوة الدين^(١)، وتنفيذ أوامر رب العالمين.

=

أخرجه أحمد (١١٣/٣)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح السيرة النبوية» (١٣٨-١٣٩)، ولحديث طارق بن عبدالله المحاربي رضي الله عنه، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رحمه الله (٤٤١/١)، وغير ذلك من الأحاديث.

(١) الأحاديث في ذلك كثيرة، انظر «صحيح السيرة النبوية» (١٣٥، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٨).

(٢) السلي: هو الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه. اهـ من «النهاية» لابن الأثير (٣٩٦/٢) مادة: سلا.

(٣) يشير رحمه الله إلى حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أخرجه البخاري في مواضع من «صحيحه» منها برقم (٢٤٠، ٥٢٠، ٢٩٣٤)، ومسلم رقم (١٧٩٤).

(٤) تقدم الإشارة إلى بعض الأحاديث في ذلك، ومن ذلك ما أخرجه مسلم برقم (١٧٩١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وفي الباب عن ابن مسعود رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٣٤٧٧)، ومسلم رقم (١٧٩٢)، وعن جندب بن سفيان رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٢٨٠٢ و ٦١٤٦)، ومسلم رقم (١٧٩٦).

(٥) يشير رحمه الله إلى عدة أحاديث في ذلك، منها حديث عبدالله بن عدي بن حمراء رضي الله عنه، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رحمه الله (٥٧٤/١).

(٦) لا يثبت تسمية المدينة بالمنورة، كما تقدم التعليق على ذلك.

فنصره الله على المشركين وسائر المخالفين بعزة الجانب وكثرة الأتباع وحجج الذكر المبين، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١].

وما زال يتنزل عليه القرآن آية بعد آية، ويرشد الناس إلى أشرف مقصد وأسمى غاية، حتى ظهر الحق وزهق الباطل، وانتصر أهل الهداية على أهل الغواية، وثلت عروش الجبابرة.

وأصبح الناس سواسية من البداية والنهاية، لا فضل لأحد على أحد إلا بتقوى الله، وما منح من علم رواية أو دراية، ﴿لَيْتَ لَا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩]، فوالله ما فارق الدنيا إلا وقد ترك الناس على الشريعة البيضاء النقية^(٢)، والطريقة المثلثة المستقيمة المستوية، فجزاك الله عنا وعن سائر أتباعك خير الجزاء يا صاحب النفس الزكية والصفات العلية،

=

(١) انظر أخبار هجرة النبي ق مع أصحابه إلى المدينة في «السيرة النبوية» لابن كثير رحمه الله (١/ ٢٨٠ - ٢٩٨).

(٢) يشير رحمه الله بهذا إلى عدة أحاديث في الباب، منها حديث جابر رضي الله عنه في مسلم رقم (١٢١٨) في صفة حجة النبي ق، وأنه خطب فقال في ضمن خطبته: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله» الحديث.

وحديث العرباض بن سارية رضي الله عنه مرفوعاً: «لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك»، أخرجه ابن أبي عاصم في «كتاب السنة» رقم (٤٨ و ٤٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (١/ ١٣٢).

فلأنت أكرم البرية، وخير الورى سجية، وأمثلهم رجولة وعبقرية، وعليك منا ومنهم أفضل صلاة وأزكى تحية وتسليم.

(الحديث) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع» رواه مسلم وأبو داود^(١).
جعلني الله وإياكم من المتمسكين بسنته السالكين على طريقته الداخلين في شفاعته، آمين^(٢).

(الآية): ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ أَجْرٍ عَظِيمٍ ﴿[الفتح: ٩-١٠].

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٢٧٨)، وأبو داود رقم (٤٦٧٣).

(٢) لا أعلم دليلاً ثابتاً على تأمين الداعي عقب دعائه إلا ما كان بعد سورة الفاتحة، فهذا الفعل يجتنب.

الخطبة السادسة والأربعون

في الجمعة والأحد

الحمد لله الذي جعل يوم الجمعة من أشرف الأيام^(١)، وجعله عيد الأسبوع لأهل الإسلام^(٢)، وأمرنا فيه بذكره تعالى وكثرة الصلاة والسلام على سيد الأنام^(٣) وبدر التمام

(١) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه مسلم رقم (٨٥٤).

(٢) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «يوم الجمعة يوم عيد، فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صومكم، إلا أن تصوموا قبله أو بعده»، أخرجه أحمد (٣٠٣/٢) بإسناد حسن، وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه الترمذي (٣٠٤٤)، وحسنه شيخنا مقبل رحمه الله في «الصحيح المسند» (١/٥٢٦).

(٣) أما أمر الله بذكره، فلقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].
وأما الصلاة على النبي ق فقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة، منها:

١ - عن أوس بن أوس رضي الله عنه مرفوعاً: «من أفضل أيامكم يوم الجمعة، ... وفيه فأكثرُوا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ»، أخرجه أحمد (٨/٤)، وابن ماجه (١٠٨٥ و ١٦٣٦)، وأبوداود (١٠٤٧ و ١٥٣١)، والنسائي في «المجتبى» (٣/٩١)، وفي «الكبرى» (١٦٦٦).

والحديث قد اختلف العلماء في تصحيحه وتضعيفه، فصححه جماعة منهم ابن خزيمة وابن حبان والحاكم والنووي والمقدسي والمنذري وابن دحية وابن القيم في «جلاء الأفهام» ص (٨٤) / ط: عالم الفوائد/، ومن المتأخرين العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (١/٤٣٦).

وضعفه أبو حاتم الرازي والبخاري وقالوا: هو حديث منكر، انظر «جلاء الأفهام» (٧٧-٨٤) / تحقيق: =

زائد بن أحمد النشيري/ .

وعلى فرض ضعفه فله شواهد منها:

١ - حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، أخرجه ابن ماجه (١٦٣٧) وغيره، وفيه زيد بن أيمن مجهول، وروايته عن عبادة بن نسي مرسله، ورواية عبادة عن أبي الدرداء مرسله، كما في «جامع التحصيل». وله إسناد آخر، أخرجه الطبراني كما في «جلاء الأفهام» رقم (١٤٤)، وقد أخطأ فيها يحيى بن أيوب العلاف أو شيخه، والصواب في طريق هذا الحديث ما تقدم عند ابن ماجه وقد رأيت ما فيها من العلل.

٢ - حديث أبي أمامة رضي الله عنه، أخرجه البيهقي في «الكبرى» (٢٤٩/٣)، وفي «شعب الإيمان» (٢٧٧٠)، وسنده ضعيف فيه برد بن سنان الدمشقي مختلف فيه، والراجح أن حديثه من قبيل الحسن على أقل الأحوال، ولكن انحصرت العلة بالانقطاع بين مكحول وأبي أمامة، قال أبو حاتم: لا يصح له سماع من أبي أمامة، وقال مرة: لم يره، كما في «تحفة التحصيل» (٣١٤)، وقد أعل الحديث ابن القيم رحمه الله في «جلاء الأفهام» (٨٦) ببرد بن سنان وبالانقطاع.

٣ - حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه الطبراني كما في «جلاء الأفهام» رقم (٧٩)، وفي سنده النعمان بن عبد السلام، لم أفد له على ترجمة، ولعله النعمان بن عبد الله الحنفي فإنه يروي عن أبي ظلال، قال أبو حاتم: مجهول كما في «اللسان» (٢١٩/٦)، وفيه أبو ظلال مختلف في اسمه، ومشهور بكنيته ضعيف كما في «التقريب».

وله طريق أخرى ذكرها ابن القيم في «جلاء الأفهام» (٨٧)، وأخرجها ابن عدي في «الكامل» (٧٤/٣)، وفي سنده جبارة بن مغلس الحماني ضعيف، وأبو إسحاق خازم بن الحسين البصري ضعيف كما في «التقريب»، قال ابن عدي عن أحاديثه عن يزيد عن أنس: ليست بمحفوظة، وفيه يزيد بن أبان الرقاشي ضعيف زاهد.

قال ابن القيم: وهذان وإن كانا ضعيفين فيصلحان للاستشهاد.

وللحديث طريق أخرى ذكرها ابن القيم في «جلاء الأفهام» ص (٨٨) رقم (٨١) وفيها رواد بن الجراح =

وأشرف ناطق بأصدق الكلام، كلام الله العزيز العلام، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

=

العسقلاني صدوق اختلط بأخرة فترك كما في «التقريب»، وفيها سعيد بن بشير الأزدي ضعيف كما في «التقريب».

قال أبو حاتم الرازي في سنده: هذا حديث منكر بهذا الإسناد. «العلل» (٢٠٥ / ١).

وله طريق أخرى أخرجه البيهقي في «الكبرى» (٢٤٩ / ٣)، وفي سنده أبو إسحاق السبيعي عمرو بن عبدالله مدلس وقد عنعن، قال أبوزرعة: لا يصح له عن أنس رؤية ولا سماع، كما في «جامع التحصيل».

٤- حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، أخرجه الحاكم (٤٢١ / ٢)، والبيهقي في «حياة الأنبياء» رقم (١٢)، وهو حديث منكر تفرد به إسماعيل بن رافع وهو ضعيف، بل قال ابن عدي: وأحاديثه كلها مما فيه نظر، إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء. «الكامل» (٢٨٠-٢٨١ / ١).

٥- مرسل الحسن البصري رحمه الله، أخرجه إسماعيل القاضي في «فضل الصلاة» (٢٨)، وهو مع إرساله فيه مبارك بن فضالة مدلس وقد عنعن، لكن تابعه جرير عند إسماعيل القاضي (٤٠) فانحصرت العلة في أنه مرسل من مراسيل الحسن، وهي من أوهى المراسيل عند العلماء.

فالخلاصة: أن الحديث بمجموع طرقه التي لم يشتد ضعفها يصير حسناً لغيره على أقل أحواله، وقد صححه المحدث الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (١٥٢٧ و ١٤٠٧)، وأشار إلى تصحيح هذه الأحاديث ابن القيم في «جلاء الأفهام».

وذكر ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» (٣٦٤ / ١) للجمعة ثلاثاً وثلاثين خصيصة، منها: استحباب كثرة الصلاة على النبي ق.

وقال في «جلاء الأفهام» ص (٨٨): وكان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون إكثار الصلاة على النبي ق يوم الجمعة. وانظر «جلاء الأفهام» (٤٨١-٤٨٢).

نحمدك اللهم على نعمة الإسلام وهي النعمة الكبرى، ونشكرك اللهم في الشدة والرخاء وعلى السراء والضراء، ونشهد أن لا إله إلا الله أنت رب الشعري^(١)، ولك الأمر في الأولى والأخرى، ونشهد أن سيدنا محمدًا عبدك ورسولك الذي قلت له: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ [الأعلى: ٩].

وأنزلت عليه إرشادًا وتعليمًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد المخصوص بأفضل الخصائص والكمال المنزه عن جميع النقائص، نبيك محمد القانت الأواه، والقائل ﷺ: «إن يوم الجمعة أفضل الأيام وأعظمها عند الله»^(٢).

(١) الشعري: هو هذا النجم الوقاد الذي يقال له: مرزم الجوزاء، كانت طائفة من العرب يعبدونه، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد، كما في «تفسير ابن كثير» سورة النجم آية (٤٩).

(٢) الحديث لم أقف عليه بهذا اللفظ، والذي وقفت عليه ما أخرجه أحمد (٤٣٠/٣)، وابن ماجه (١٠٨٤)، وابن أبي شيبة (١٥٠/٢) من حديث أبي لبابة بن عبد المنذر البدرى مرفوعًا: «سيد الأيام يوم الجمعة، وأعظمها عنده...» الحديث.

وفي سنده عبدالله بن محمد بن عقيل مختلف فيه، والراجح ضعفه، وقد اضطرب في هذا الحديث كما في «الضعيفة» (٢٠٥-٢٠٤/٨) تحت رقم (٣٧٢٦).

ويغني عن هذا الحديث أحاديث أخرى في فضيلة يوم الجمعة.

صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين، وجميع الصحابة والتابعين والمتمسكين بشرائع الإسلام والقائمين بشعائر الدين.

عباد الله: يوم الجمعة يوم مبارك شاهد ومشهود^(١)، فمن حاضر يشهد له، ومتخلف

(١) سبق المؤلف رحمه الله إلى أن يوم الجمعة شاهد ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه العظيم «زاد المعاد» (١/ ٤١١) فعد من خصوصيات يوم الجمعة أنه هو الشاهد المذكور في «سورة البروج» في قول الله جل وعلا: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾، وبنى كلامه على حديثين ضعيفين:

١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه الترمذي (٣٣٣٦)، وفي سنده موسى بن عبيدة الربذي ضعيف جداً كما في ترجمته من «التهذيب»، وشيخه أيوب بن خالد بن صفوان الأنصاري فيه لين كما في «التقريب».

وقد ضعف الحديث الترمذي وابن كثير في أوائل تفسير «سورة البروج» وقال: قد روي موقوفاً وهو أشبه.

٢- حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، أخرجه الطبراني كما في «زاد المعاد» (١/ ٤١١)، وفي سنده محمد بن إسماعيل بن عياش الحمصي ضعيف، ومع ضعفه عابوا عليه أنه حدث عن أبيه بغير سماع كما في «التهذيب»، وبه أعل الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٥).

وصح عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (الشاهد محمد ق، والمشهود يوم القيامة)، رواه البزار كما في «كشف الأستار» (٣/ ٧٩)، وصححه شيخنا يحيى حفظه الله في «أحكام الجمعة» (ص ٦٢).

قال شيخنا حفظه الله: فتفسير ابن عباس تدعمه الأدلة من القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾ [النساء: ٤١]، ويقول عن يوم القيامة: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣].

بغير عذر يشهد عليه، والملائكة بعد ذلك شهود^(١)، وقد فضله الله على سائر الأيام، وجعله للمسلمين كما جعل الأحد للنصارى والسبت لليهود^(٢)، وكانت العرب تعظم هذا اليوم وتسميه يوم العروبة^(٣)، وقد توارث ذلك منهم الأبناء والأحفاد، عن الآباء والجدود.

وأول من جمع الناس لهذا اليوم كعب بن لؤي في زمان عيسى بن مريم^(٤)، بإلهام من الملك المعبود، وأول جمعة صليت في المدينة المنورة^(١) قبل أن يهاجر إليها صاحب المقام

(١) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة مرفوعاً: «من اغتسل يوم الجمعة، ثم راح في الساعة الأولى ... فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»، رواه البخاري رقم (٨٨١) ومسلم رقم (٨٥٠)، وغير ذلك من الأحاديث.

(٢) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في مواضع من «صحيحه» منها برقم (٨٧٦ و ٨٩٦) ومسلم (٨٥٥)، وأصرح من ذلك ما أخرجه مسلم برقم (٨٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (٢/ ٤٥٥) ط: دار السلام/: واختلف في تسمية اليوم بذلك -أي يوم الجمعة- مع الاتفاق على أنه كان يسمى في الجاهلية العروبة ... إلى قوله: وأخرجه عبد بن حميد عن ابن سيرين بسند صحيح إليه في قصة تجميع الأنصار مع أسعد بن زرارة، وكانوا يسمون يوم الجمعة يوم العروبة، فصلى بهم وذكرهم فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا إليه.

ذكره ابن أبي حاتم موقوفاً. اهـ

قلت: أثر سعيد بن المسيب أخرجه أيضاً عبدالرزاق (٣/ ١٥٩) وهو مرسل صحيح الإسناد.

(٤) رواه الزبير بن بكار في كتاب «النسب» عن أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف مقطوعاً، وبه جزم =

المحمود، وذلك أنها فرضت بمكة^(٢) فعجزوا عن إقامتها حتى أقامها في المدينة المهاجرون والأنصار^(٣)، الذين سيأهم في وجوههم من أثر السجود، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]، لقد فضل الله يوم الجمعة على سائر الأيام كما فضل الشمس على سائر النجوم، وفيه خلق آدم وأسكنه الجنة وأهبطه إلى الأرض، وفيه ينفخ في الصور، وفيه الساعة تقوم^(٤)، وفيه تتصل أرواح الميتين بالقبور^(١)، وترسل أشعتها

=

الفراء وغيره كما في «فتح الباري» (٢/ ٤٥٥)،

وكتاب «النسب» للزبير بن بكار غير مطبوع ولا مخطوط فيما نعلم حتى نقف على سنده، والله أعلم.

(١) لا يثبت دليل على تسمية المدينة بالمنورة، كما تقدم التنبيه على ذلك.

(٢) هذا موضع خلاف بين أهل العلم، هل فرضت الجمعة في مكة أم في المدينة؟ قال الحافظ ابن حجر: فالأكثر أنها فرضت بالمدينة، وهو مقتضى ما تقدم أنها فرضت بالآية المذكورة، وهي مدنية. اهـ من «فتح البخاري» (٢/ ٣٥٤).

والآية هي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ٩-١٠].

(٣) يشير رحمه الله إلى حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، أخرجه أبوداود (١٠٦٩)، وابن ماجه (١٠٨٢)، والحاكم (٢٨١/١)، والبيهقي (٣/ ١٧٦-١٧٧)، وابن هشام في «السيرة النبوية» (١/ ٤٣٥) بإسناد حسن. وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في «الإرواء» (٣/ رقم ٦٠٠)، وشيخنا يحيى الحجوري حفظه الله في «أحكام الجمعة وبدعها» (٢٠).

(٤) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه مسلم رقم (٨٥٤)(١٨).

وأما قوله: (فيه ينفخ في الصور) فجاءت في حديث أوس بن أوس رضي الله عنه، وفيه كلام وقد تقدم =

على تلك الجسوم، وفيه ينبغي المزيد من تلاوة القرآن، لا سيما «سورة الكهف»^(٢)،

=

تخريجه.

(١) سبق المؤلف رحمه الله تعالى إلى هذا القول ابن القيم رحمه الله تعالى في «زاد المعاد» (١/ ٤١٥)، فقال رحمه الله معدداً خصائص يوم الجمعة: ومنها أن الموتى تدنوا أرواحهم من قبورهم وتوافيها يوم الجمعة، فيعرفون زوارهم ومن يمر بهم ويسلم عليهم... إلخ كلامه. وما قاله ابن القيم وتبعه على ذلك المؤلف رحمه الله ليس عليه دليل صحيح من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ق.

(٢) سبق المؤلف رحمه الله إلى هذا القول ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» (١/ ٣٧٧)، والسيوطي في «اللمعة في خصائص الجمعة»، فجعل من خصائص يوم الجمعة قراءة سورة الكهف في يومها، ومبنى كلامهم على أحاديث رويت في ذلك، منها:

١- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء الله له ما بينه وبين البيت العتيق».

أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٩٥٢) والحاكم (٢/ ٣٦٨)، وعنه البيهقي في «شعب الإيمان» عقب رقم (٢٢٢٠ و ٢٢٢١) والسياق له، والطبراني في «الأوسط» (١٤٥٥)، بإسناد صحيح إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

لكن الصواب في هذا الحديث الوقف، وإليك ما قاله أئمة الشأن فيه:

قال النسائي عقبه كما في بعض نسخ «عمل اليوم والليلة»: الصواب في هذا الحديث موقوف، وقال البيهقي عقبه: هذا هو المحفوظ موقوف.

وقال ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» (١/ ٣٧٨): وذكره سعيد بن منصور من قول أبي سعيد الخدري، وهو أشبه.

=

والإكثار من ذكر الملك الحي القيوم، وفيه تسن الصلاة والسلام على رسول الله ^(١).
 وفضل ذلك معروف والثواب عليه معلوم، ومن غسل فيه واغتسل، وبكر وابتكر،
 ومشى ولم يركب، ودنا من الخطيب ولم يبلغ كان له بكل خطوة عبادة سنة لو كان في ليالها
 يقوم وفي نهارها يصوم ^(٢)، ﴿لَكِنَّ الرَّاْسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ

=

فالراجح في حديث أبي سعيد الخدري الوقف كما رجح ذلك الأئمة رحمهم الله، ومع ذلك فقد صححه
 مرفوعاً العلامة الألباني رحمه الله في «الإرواء» (٣/ رقم ٦٢٦).
 وأما الموقوف فأخرجه الدارمي في «سننه» رقم (٣٤٥٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٩٥٣)
 و(٩٥٤)، والبيهقي في «الشعب» (٢٢٢٠) بإسناد صحيح إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه موقوفاً
 عليه.

٢- حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه ابن مردويه في «تفسيره» كما في تفسير «سورة الكهف» لابن
 كثير، قال ابن كثير: هذا الحديث في رفعه نظر وأحسن أحواله الوقف وصدره بقوله غريب.
 والحافظ ابن كثير إذا أطلق الغرابة على حديث فالغالب أنه يريد بها الضعف، ففي سننه خالد بن
 سعيد بن أبي مريم ترجمه البخاري في «تاريخه» (٣/ ١٥٢)، وابن أبي حاتم في «الجرح» (٣/ ٣٣٣)
 ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

٣- حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أخرجه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة»
 (٢/ رقم ٤٢٩ و ٤٣٠)، وفي سننه عبدالله بن مصعب بن منصور بن زيد الجهني لم أقف له على
 ترجمه، فالحديث لا يرتقي للحجية بهذه الطرق، لكن عمل أهل العلم على ذلك والله أعلم.
 (١) يشير المؤلف رحمه الله إلى عدة أحاديث وردت في ذلك وهي صحيحة بمجموع طرقها وقد تقدم
 تخريجها في أوائل هذه الخطبة.

(٢) يشير رحمه الله بهذا الكلام إلى ما أخرجه أحمد (٤/ ٨، ٩، ١٠، ١٠٤)، والنسائي في «المجتبى» =

إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿النساء: ١٦٢﴾.

يحتفل اليهود والنصارى بسبتهم والأحد^(١)، وأنتم أيها المسلمون عن الجمعة غافلون،
ويدعوهم الشيطان إلى النار فيلبون، ويدعوكم الله إلى دار السلام فلا تجيبون، لقد زين لهم

=

(٩٧/٣)، وفي «الكبرى» رقم (١٧٢٩)، وأبوداود (٣٤٥ و ٣٤٦)، وابن ماجه (١٠٨٧)، والترمذي
(٤٩٦)، وابن خزيمة (١٧٥٨ و ١٧٦٧)، والحاكم (١/ ٢٨١)، والبيهقي (٣/ ٢٢٧) من طرق عن
أبي الأشعث عن أوس بن أوس رضي الله عنه.

وظاهر إسناده الصحة، وقد صحح الحديث الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح أبي داود» (٢/ ١٧٦ -
١٧٨)، وصححه شيخنا مقبل الوداعي رحمه الله على شرط مسلم كما في «تتبعه لأوهام الحاكم في
المستدرک» (١/ ٤٠٩)، وانظر «صحيح الترغيب» (١/ ٤٣٣).
وفي الباب عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، أخرجه أحمد (٢/ ٢٠٩)، وفي إسناده عثمان بن خالد
الشامي، تفرد بالرواية عنه ثور بن يزيد كما في «الجرح والتعديل» (٦/ ١٤٨)، ولم يوثقه سوى ابن
حبان في «الثقات» (٧/ ١٩٣).

وقد صحح الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (١/ ٤٣٥).
وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٤٤١٤)، وسنده ضعيف
جداً فيه عطاء بن عجلان الحنفي البصري متروك، بل أطلق عليه ابن معين والفلاس وغيرهما
الكذب، كما في «التقريب»، وبه أعل الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ١٧٢).

(١) ما لنا ولاحتفال اليهود والنصارى، فقد نهينا عن التشبه بهم، ولكن ينبغي أن نعظم ما عظم الله
سبحانه، ومن ذلك يوم الجمعة؛ قال الله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

الشیطان ما كانوا يعملون، وخاطبكم الله بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

يوم تجعلونه من سبعة أيام وتستريحون فيه مما تعانون، هو شيء قضت به الشرائع وحكم به العقل والقانون^(١)، وإذا تركتم الأعمال فيه وتفرغتم لطاعة الله وعملتكم بقوله تعالى: ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

صرتم بذلك للكفار مخالفين وبشريعتكم عاملين، ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحُمِيَّةَ حُمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦].

لماذا أيها المسلمون تعطلون أعمالكم يوم الأحد موافقة للنصارى وأنتم في عملكم أحرار، وفيه تمرحون وتفرحون وتقضون على القات واستماع الآلات سائر النهار. وقد ينهمك الفساق والفجار على الخمر والقمار، وما لا يحل فعله من خلاعة وفحش وسكار، وتمر عليكم الجمعة كسار الأيام لا تظهرون فيها لدين ولا عادة أي شعار، فلا تلاوة ولا أذكار، ولا توبة ولا استغفار.

وقد يفضل أحدكم الدرهم والدينار ومجالسة الأشرار على حضور الصلاة واستماع الخطبة والاجتماع في المساجد بالمسلمين الأخيار، ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَواً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الْهَوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١].

(١) تقدم التعليق على كلمة قانون بها أغنى عن إعادته هاهنا، تحت الخطبة الرابعة.

فتدبروا وتفكروا في كلام رب العالمين يا معشر التجار، وكونوا من الذين يقول تعالى في مدحهم: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧].

واستمعوا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذَّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٧]، إذا غربت شمس يوم الخميس تجلى ربنا برحمته ومغفرته وفضله العظيم لعباده المؤمنين^(١)، وفي صبح يوم الجمعة تستحب قراءة ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾، وقبلها: ﴿الْم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

ويستحب للمصلين المبادرة والتبكير إلى المساجد^(٣)، وعليهم السكينة والوقار في عزة الإسلام واستكانة أهل اليقين، وينبغي لهم الغسل والاستياك^(٤) ولبس البياض^(١)

(١) لا أعلم دليلاً على أنه إذا غربت شمس يوم الخميس تجلى ربنا برحمته ومغفرته لعباده، فكلام المؤلف رحمه الله هذا فيه نظر، والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم.

(٢) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٨٩١) ومسلم (٨٨٠).

وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه مسلم رقم (٨٧٩).

(٣) يشير رحمه الله إلى عدة أحاديث في الباب، منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٨٨١) ومسلم رقم (٨٥٠).

(٤) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٨٨٠) ومسلم رقم (٨٤٦)، وحديث سلمان رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٨٨٣).

والطيب^(٢)، والله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وقال جمهور أهل العلم بوجوب غسل الجمعة^(٣) لما ثبت في ذلك عن سيد المرسلين من قوله عليه الصلاة والسلام: «غسل الجمعة واجب على كل محتلم»^(٤)، وقوله ﷺ: «اغتسل يوم الجمعة ولو صاعًا بدينار»^(٥)

=

(١) يشير رحمه الله إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم»، رواه أحمد (٢٤٧/١)، وأبو داود (٣٨٧٨)، والترمذي (٩٩٤)، وابن ماجه (١٤٧٢) بإسناد حسن، وحسنه شيخنا مقبل رحمه الله في «الصحيح المسند» (١/٥٣٧)، ولبس البياض عام للجمعة وغيرها.

(٢) تقدمت الإشارة إلى أحاديث الطيب عند أحاديث الاستياك قبل.

(٣) هذا وهم من المؤلف رحمه الله في نسبته القول بالوجوب في غسل الجمعة للجمهور، والمشهور عنهم في هذه المسألة هو القول بالاستحباب، كما في «المغني» (٣/٢٢٤-٢٢٥) مسألة رقم (٢٩٥)، و«نيل الأوطار» (٢/٣٤٠-٣٤٦) / ت: حلاق/، و«شرح النووي لمسلم» عند حديث رقم (٨٤٧-٨٤٩).

وقد قدمت القول تحت الخطبة الثامنة أن الصحيح أن غسل الجمعة واجب على كل من أتى الجمعة من الرجال، لهذا الحديث الذي ذكره المؤلف رحمه الله وغيره من الأحاديث.

(٤) أخرجه البخاري رقم (٨٥٨ و ٨٧٩)، ومسلم رقم (٨٤٦) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، والسياق للبخاري والمراد بالمحتلم أي: البالغ، قاله النووي في شرحه لمسلم.

(٥) (موضوع).

والحديث قد جاء عن عدد من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم:

١ - عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً، ولفظه: «اغتسلوا يوم الجمعة ولو كأساً بدينار»، أخرجه ابن عدي في =

كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة^(١) عند الفقهاء والمحدثين.

=

«الكامل» (٢٨٧/٣)، وابن حبان في «المجروحين» (٢٥٩/١).

وفي سنده حفص بن عمر الأيلي، قال ابن حبان: يقلب الأخبار ويلزق بالأسانيد الصحيحة المتون الواهية، وقال ابن عدي: وأحاديثه كلها إما منكر المتن أو منكر الإسناد، وهو إلى الضعف أقرب. اهـ وقال أبو حاتم: كان شيخاً كذاب، كما في «الميزان» (٥٦١/١).

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أورده ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ رقم ٩٧٤) من رواية الأزدي بسنده إلى ابن حبان، قال ابن الجوزي: قال الأزدي: إبراهيم بن حيان هو ابن البَحْثَرِي ساقط زائغ لا يُحتج بحديثه. اهـ

قلت: ترجمه الذهبي في «الميزان» (٢٢/٢١/١) فقال: إبراهيم بن البراء بن النضر بن أنس، قال ابن عدي: ضعيف جداً حدث بالبواطيل، وقال العقيلي: يحدث عن الثقات بالبواطيل. اهـ بتصرف وقد حكم بالوضع على حديثي أبي هريرة وأنس العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (١٥٨). وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً عليه أخرجه ابن أبي شيبه (٩٥/٢)، وفيه زياد بن عبدالله النميري ضعيف كما في «التقريب».

وأخرجه الخطيب البغدادي كما في «اللائل المصنوعة» (٢٧/٢)، وفي سنده الربيع بن صبيح، ويزيد الرقاشي وهما ضعيفان.

وجملة القول أن الحديث موضوع مرفوعاً، وضعيف موقوفاً، ويغني عنه الأحاديث الصحيحة في الأمر بالغسل يوم الجمعة، ومن ذلك ما ذكره المؤلف رحمه الله هنا.

قال الشيخ الألباني رحمه الله في «الضعيفة» المصدر السابق: وقد تساهل أكثر الناس بهذا الواجب يوم الجمعة، فقل من يغتسل منهم لهذا اليوم، ومن اغتسل فيه فإنما هو للنظافة لا لأنه من حق الجمعة، فالله المستعان. اهـ

(١) إن كان يقصد المؤلف رحمه الله أن غسل يوم الجمعة ثابت بالأحاديث الصحيحة، فكلامه صحيح، =

وإذا كان صبح يوم الجمعة قعد الملائكة على أبواب المساجد يكتبون الناس الأول فالأول، حتى إذا دخل الإمام طويت الصحف وقعد الملائكة مع الحاضرين^(١) يستمعون

=

وإن كان يقصد به هذا الحديث، فكلامه غير صحيح لما رأيت فيه من الضعف الشديد، والله المستعان.

(١) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٢٢٩) و (٣٢١١) ومسلم رقم (٨٥٦) (٢٤) (٢٥).

الذكر ويؤمنون على الدعاء^(١)، ومن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه^(٢)، وما حسدكم اليهود على شيء ما حسدوكم على السلام والتأمين^(٣)، ﴿لِيُدْخَلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٥].

يا عبد الله: إذا دخلت المسجد للجمعة أو لأي صلاة فالتزم الآداب، وكن سامعاً مطيعاً لأوامر السنة والكتاب، فلا تؤذين أحداً برائحة كريهة نفوح من جسمك أو الثياب. ولا ترفعن صوتك، ولا تفرق بين اثنين، ولا تتخطى الرقاب^(٤)، ولا تقيمن أحداً من مجلسه^(٥)، ولا تمرن بين يدي مصل^(٦) فيفوتك الثواب وتستحق العقاب.

(١) لفظ الحديث أنهم يستمعون الذكر بدون تأمين على الدعاء، والله أعلم.

(٢) الواجب على من حضر خطبة الجمعة أن يسمع لها وينصت، وتأمين المستمعين على دعاء الإمام إذا عرض له دعاء من غير عمدٍ يعتبر من البدع، راجع «أحكام الجمعة وبدوها» لشيخنا الفاضل أبي عبدالرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله ص (٤٦٨).

(٣) يشير رحمه الله بهذا الكلام إلى حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه ابن ماجه (٨٥٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٨٨)، وصححه شيخنا مقبل الوداعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٢/ ٤٩٩ - ٥٠٠).

(٤) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث سلمان رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٨٨٣).

(٥) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري رقم (٦٢٦٩) ومسلم رقم (٢١٧٧)، وفي الباب عن جابر رضي الله عنه، أخرجه مسلم (٢١٧٨).

(٦) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي جهيم رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٥١٠) ومسلم رقم =

وإياك أن تقول: أنا خير من فلان وأحق منه بهذا المكان، أو تمس رءوس الناس بالنعال، أو تنثر منها عليهم التراب، ثم انو الاعتكاف^(١)، وصل ما كُتِبَ لك^(٢)، وأكثر من تلاوة القرآن، والصلاة والسلام على سيد الأحاب، ومجمع الأحساب، ومفخرة أهل الأنساب، محمد بن عبد الله القانت الأواب.

واعمل بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿[الأحزاب: ٧٠-٧١].

صعود الخطيب على المنبر يقطع الصلاة^(٣)، وكلامه يقطع الكلام، ومن تكلم فقد

=

(٥٠٧)، وفي الباب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٥٠٩) ومسلم (٥٠٥)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه مسلم (٥٠٦).

(١) لا دليل صحيح على عقد النية للاعتكاف عند دخول المسجد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: مبيناً أنه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عقد النية للاعتكاف عند دخول المسجد قال: ولا ينوون الاعتكاف كلما دخلوا مسجداً للصلاة. اهـ من «الإيمان الأوسط» (ص ١١٤).

قال شيخنا يحيى حفظه الله معلقاً على ذلك: هذا قول لبعض الشافعية، وهذا الفعل محدث.

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث سلمان رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٨٨٣).

(٣) يشير رحمه الله إلى حديث: «إذا صعد الخطيب المنبر فلا صلاة ولا كلام».

قال الشيخ الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (١/ ٨٧): باطل، قد اشتهر بهذا اللفظ على الألسنة، وعُلق على المنابر، ولا أصل له، وإنما رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ: «إذا دخل =

لغا^(١)، ومن لغا فلا جمعة له^(٢)، فاستمعوا وأنصتوا يا أهل النهى والأحلام.

=

أحدكم المسجد والإمام على المنبر فلا صلاة ولا كلام حتى يفرغ الإمام». وفيه أيوب بن نهيك قال أبوحاتم: ضعيف الحديث، وقال أبو زرعة: منكر الحديث كما في «الجرح والتعديل» (١/١/٢٥٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/١٨٤): وهو متروك ضعفه جماعة. وأخرجه البيهقي في «سننه» (٣/١٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «خروج الإمام يوم الجمعة للصلاة يقطع الكلام»، وقال: رفعه فاحش، وإنما هو من كلام سعيد بن المسيب أو الزهري، وأقره الزيلعي في «نصب الراية» (٢/٢٠١).

ثم قال الشيخ رحمه الله: وإنما حكمت على الحديث بالبطان لأنه مع ضعف سنده يخالف حديثين صحيحين:

الأول: قوله ق: «إذا جاء أحدكم يوم الجمعة وقد خرج الإمام فليصل ركعتين» أخرجه البخاري ومسلم عن جابر.

ثم أشار الشيخ رحمه الله إلى جواز الكلام إذا قعد الإمام على المنبر ما لم يشرع في الخطبة، وذكر عن ثعلبة بن أبي مالك: أنهم كانوا يتحدثون حين يجلس عمر بن الخطاب على المنبر حتى يسكت المؤذن، فإذا قام عمر على المنبر لم يتكلم حتى يقضي خطبته كليهما، أخرجه مالك في «موطئه» (١/١٢٦)، والطحاوي (١/٢١٧) والسياق له، وإسناده صحيح.

فثبت بهذا أن كلام الإمام هو الذي يقطع الكلام لا مجرد صعوده على المنبر، وأن خروجه عليه لا يمنع من تحية المسجد، فظهر بطلان حديث الباب، والله تعالى هو الهادي للصواب. اهـ بتصرف.

(١) هذا كلام صحيح لقول النبي ق: «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت، فقد لغوت»، أخرجه البخاري رقم (٩٣٤)، ومسلم رقم (٨٥١)، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) هذا الكلام صحيح ومبناه على عدة أحاديث في الباب، منها:

١ - حديث علي رضي الله عنه، وفيه: «ومن قال صه فقد تكلم، ومن تكلم فلا جمعة له»، أخرجه أحمد =

وإياكم أن يقتل الخطيب نفسه بإرشادكم وأنتم عنه متشاغلون بالنظرات واللفتات والابتسام، ولا تجعلوا حظكم من استماع الخطبة أن تعجبوا منها وتهزوا لها رءوسكم، وتقولوا: تبارك الله ما أحسن هذا الكلام، فإن ذلك لا يفيد.

ولا ينبغي لك أيها الرجل الرشيد أن يخاطبك الإمام وأنت لا تسمع ولا تعي ولا تعير الخطيب أي اهتمام، فالله الله عباد الله أن تتركوا عقولكم في البيوت ثم لا تحضرون إلا بالأجسام، ولكن توجهوا بقلوبكم وارهموا أسماعكم بكلام العزيز العلام، ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

قال رسول الله ﷺ: «ليتتهين أقوام عن ودعهم الجمعات، أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين»^(١).

وقال ﷺ: «من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها، طبع الله على قلبه»^(١).

=

(١/٩٣)، وأبوداود (١٠٥١)، وفيه مولى امرأة عطاء الخراساني مبهم ولا يدري ما حاله.

٢- حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعاً: «ومن لغا وتخطى رقاب الناس كانت له ظهراً»، أخرجه أبوداود (٣٤٧)، وابن خزيمة (١٥٦/٣)، وإسناده حسن.

٣- حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: «والذي يقول له: أنصت، ليست له جمعة» أخرجه أحمد (٢٣٠/١)، وفيه مجالد بن سعيد الهمداني ضعيف.

ومعنى «لا جمعة له» أي ليس له أجر الجمعة، ولا يغفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى، وأما صلاته فصحيحة لكن تكتب له ظهراً، وراجع «أحكام الجمعة وبدعها» لشيخنا الفاضل أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله (٣٢٣-٣٢٦).

(١) أخرجه مسلم رقم (٨٦٥) من حديث ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما.

وقال **عليه السلام**: «من سمع النداء يوم الجمعة فلم يأتها، ثم سمعه فلم يأتها، ثم سمعه فلم يأتها، ثم سمعه فلم يأتها، طبع الله على قلبه، وجعل قلبه قلب منافق»^(٢).

=

(١) (حسن).

أخرجه أحمد (٣/ ٤٢٤-٤٢٥)، وأبوداود (١٠٥٢)، والنسائي في «المجتبى» (٣/ ٨٨)، وفي «الكبرى» (١٦٥٦)، والترمذي (٥٠٠)، وابن ماجه (١١٢٥) من حديث أبي الجعد الضمري رضي الله عنه، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (١/ ٤٥٠-٤٥١).
وفي الباب عن أبي قتادة وأبي هريرة وجابر وكعب بن مالك وحارثة بن النعمان، صحيحها المحدث الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (١/ ٤٥١-٤٥٣).
(٢) (حسن بشواهده).

أخرجه أبويعلى (١٣/ رقم ٧١٦٧)، والبيهقي في «الشعب» (٢٧٤٥) من حديث يحيى بن أسعد بن زرارَةَ الأنصاري به، ويحيى بن أسعد بن زرارَةَ مختلف في صحبته، أثبتها ابن أبي عاصم والبغوي وابن حبان، ورجح ذلك ابن الأثير، وتبعهم على ذلك الحافظ ابن حجر راجع «الإصابة» (٦/ ٥٠٣)، و«أسد الغابة» لابن الأثير (٥/ ٤٣٥)، وقد حسن الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (١/ ٤٥٤).

وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما، من قوله ولفظه: «من ترك الجمعة ثلاث جمع متواليات فقد نبذ الإسلام وراء ظهره»، أخرجه أبويعلى (٢٧١٢)، وعبدالرزاق (٥١٦٩)، والبيهقي (٢٧٤٦)، بإسناد صحيح، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (١/ ٤٥٣)، وعن أسامة رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في «الكبير» (١/ رقم ٤٢٢)، ولفظه: «من ترك ثلاث جمعات من غير عذر كُتِبَ من المنافقين»، وهو من رواية جابر بن يزيد الجعفي ضعيف رافضي، بل قد كُذِّب، ومع ذلك صحح الحديث لغيره الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (١/ ٤٥١)، وفي الباب عن أبي الجعد الضمري في إحدى رواياته «من ترك الجمعة من غير عذر فهو منافق»، أخرجه ابن خزيمة (١٨٥٧)، =

وقال عليه الصلاة والسلام في خطبة له على المنبر: «يا أيها الناس، توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة في السر والعلانية، ترزقوا وتنصروا وتجبروا.

واعلموا أن الله افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا، في يومي هذا، في شهري هذا، من عامي هذا، إلى يوم القيامة، فمن تركها في حياتي، أو بعدي وله إمام عادل، أو جائر، استخفافاً بها، وجحوداً بها، فلا جمع الله شمله، ولا بارك له في أمره، ألا ولا صلاة له، ألا ولا حج له، ألا ولا صوم له، ألا ولا بر له، حتى يتوب، فمن تاب تاب الله عليه»^(١).

=

وابن حبان (٢٥٨)، وإسناده حسن.

(١) (موضوع بهذا السياق).

أخرجه ابن ماجه (١٠٨١)، وابن عدي في «الكامل» (٢٩٨/٥)، والبيهقي (٣/٩٠، ١٧١)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/٢٩٨) من حديث جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنهما، وفي سنده الوليد بن بكير التميمي لين الحديث كما في «التقريب»، وعبدالله بن محمد العدوي متروك رماه وكيع بالوضع كما في «التقريب»، وفيه علي بن زيد بن جدعان التيمي البصري ضعيف كما في «التقريب». وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «الإرواء» (٣/٥٩١)، ثم قال رحمه الله: وقد وجدت للحديث طريقاً أخرى عن جابر، وشاهدًا عن أبي سعيد، أما الطريق فأخرجها الضياء في «المنتقى من مسموعاته بمرو» (١/٥٠ق)، وإسناده وإي جَدًّا آفته نصر بن حماد، قال ابن معين: كذاب، وقال النسائي: ليس بثقة.

وأما الشاهد عن أبي سعيد الخدري فأخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٧٢٤٦)، وسنده مسلسل بالضعفاء، فيه فضيل بن مرزوق، وعطية بن سعد العوفي، وفيه موسى بن عطية لم أعرفه، وسبقه قبل ذلك الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/١٧٠). اهـ بتصرف من «الإرواء» المصدر السابق.

=

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

=

قلت: وقوله في آخر الحديث: «من تاب تاب الله عليه»، ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير هذه الطريق من حديث ابن عباس وغيره، وقد تقدم تخريجه.

الخطبة السابعة والأربعون

في الإسراء والمعراج

الحمد لله الذي أسرى بعبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك حوله من أرض فلسطين، وجمع فيه ليلتئذ أرواح النبيين والمرسلين ليؤمنهم سيد الأولين والآخرين^(١).

(١) يشير المؤلف رحمه الله بهذا الكلام إلى ما أخرجه مسلم رقم (١٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ... وفيه: «ولقد رأيتني في جماعة من الأنبياء ... فحانت الصلاة فأمتهم». وأصرح منه ما أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٤٢٢/١٤ - ٤٢٣)، والبيهقي في «الدلائل» (٣٦٢/٢) عن أنس رضي الله عنه، وفيه: «ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء، فأمرهم رسول الله ق تلك الليلة».

قال ابن كثير في تفسير «سورة الإسراء»: وفي بعض ألفاظه نكارة وغبابة. وقال العلامة الألباني رحمه الله: وعلته عبدالرحمن بن هاشم هذا فإني لم أجد من ترجمه. اهـ من «رسالة الإسراء والمعراج» (٤١).

وله طريق أخرى عن أنس رضي الله عنه أخرجه النسائي في «المجتبى» (٢٢١ - ٢٢٣)، وفيه: «فجمع لي الأنبياء عليهم السلام، فقدمني جبريل عليه السلام حتى أمتهم». قال ابن كثير في هذه الطريق: فيها غرابة ونكارة جدًا.

قال العلامة الألباني رحمه الله: فيه يزيد بن عبدالرحمن بن أبي مالك الدمشقي صدوق ربما وهم، يرويه عنه سعيد بن عبدالعزيز وهو التنوخي الدمشقي وهو ثقة إمام، ولكنه اختلط في آخر عمره كما في «التقريب».

حتى يعلم أن دينه ظاهر على كل دين، وأن شريعته الخالدة ناسخة لجميع الشرائع والقوانين^(١)، وقد علل الله إسرائه بقوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

نحمده تعالى على نعمة التصديق والإيمان بكلام الرسول ونصوص القرآن، ونشكره عز وجل وهو المتفضل المنان، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له بيده ملكوت كل شيء وما شاء الله كان.

=

وقد تابعه خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن أنس، وفيه: «فلم ألث حتى اجتمع ناس كثير»، وفيه: «أنه أمهم ق»، أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير»، وقال: هذا سياق فيه غرائب عجيبة. قال العلامة الألباني رحمه الله: وآفته خالد بن يزيد فإنه ضعيف مع كونه فقيهاً، وقد اتهمه ابن معين كما في «التقريب». اهـ من رسالة «الإسراء والمعراج» (٤٤، ٤٨)، والحمد لله.

فائدة: قال الحافظ ابن كثير في تفسير «سورة الإسراء»: والحق أنه عليه الصلاة والسلام أسري به يقظة لا مناماً، من مكة إلى بيت المقدس، ركباً البراق، فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب، ودخله فصل في قبلته تحية المسجد ركعتين، ثم أتي بالمعراج وهو كالسلم ذو درج يرقى فيها، فصعد فيه إلى السماء الدنيا، ثم إلى بقية السموات السبع، فتلقاه من كل سماء مقربوها، وسلم على الأنبياء الذين في السموات ...

ثم هبط إلى بيت المقدس، وهبط معه الأنبياء فصلى بهم فيه لما حانت الصلاة، ويحتمل أنها الصبح من يومئذ، ومن الناس من يزعم أنه أمهم في السماء، والذي تظاهرت به الروايات أنه ببيت المقدس، ولكن في بعضها أنه أول دخوله إليه، والظاهر أنه بعد رجوعه إليه. اهـ بتصرف.

(١) تقدم التنبيه على لفظة القوانين، وأنها كلمة محدثة أكثر المؤلف منها، فالأولى اجتنابها.

ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المؤيد بالقرآن، علمه البيان، فأرسله إلى الإنس والجان.

وأظهر على يديه من المعجزات الباهرات ما يرغب به أنف الشيطان، ويعجز عن

معارضته المنجمون والكهان، وتذل به الأنصاب والأزلام والسدنة^(١) والأوثان، ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد الذي رأى من آيات ربه الكبرى، ما يثبت فؤاده، وما كذب الفؤاد ما رأى، وعلى آله الشرفاء وأصحابه الحنفاء، وسلام على عباده الذين اصطفى سلفاً وخلفاً، ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن: ٨].

عباد الله: لقد أكرم الله كثيراً من النبيين والمرسلين بالآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة، فكانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم الذي كسر الأصنام، وغلب عبّادها بالحجة القاهرة. وكانت عصا موسى إذا ألقاها تصير ثعباناً مبيناً يلقف ما تأتي به الفئة الساحرة، وكان يسلك يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء للعيون الناضرة، وكان عيسى يخلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله وينفخ فيها فإذا الصورة بإذن الله طائرة، أما نبينا محمد بن عبد الله ﷺ فكان أكثرهم معجزات وأظهرهم آيات وأوسعهم دائرة، وله القرآن معجزة خالدة وحجة بالغة في الدنيا والآخرة، ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [فاطر: ٢٥].

(١) السادن: خادم الكعبة، وبيت الأصنام، والجمع سدنة، كما في «لسان العرب» مادة: سدن.

ألا وإن من معجزات هذا النبي الكريم والرسول السيد الجليل أن جاء ذات ليلة من ليالي رجب الحرام وهي السابعة والعشرين على المختار من الأقاويل^(١)، ملائكة الله جبريل وميكائيل وإسرافيل^(٢)،

(١) ما اختاره المؤلف رحمه الله تعالى أن ليلة الإسراء والمعراج في السابع والعشرين من ليلة رجب ليس عليه دليل صحيح يثبت، وإليك ما قاله أئمة العلم والدين في ذلك:
قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: وقد رُوي أنه كان في شهر رجب حوادث عظيمة ولم يصح شيء من ذلك، وروي بإسناد لا يصح عن القاسم بن محمد أن الإسراء بالنبي ق كان في سبع عشرين من رجب وأنكر ذلك إبراهيم الحري وغيره. اهـ من «لطائف المعارف» (٢٣٣).
وقال أبو أشامة: وذكر بعض القصاص أن الإسراء كان في رجب وذلك عند أهل التعديل والجرح عين الكذب. اهـ من «الباعث على إنكار البدع والحوادث» (٢٣٢) ط: دار الراجعية.
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: لم يبق دليل معلوم لا على شهرها ولا على عشرها ولا على عينها، بل النقول في ذلك منقطعة مختلفة ليس فيها ما يُقطع به. اهـ نقله عنه تلميذه ابن القيم في «زاد المعاد» (٥٧/١).

(٢) أما كون جبريل ممن أتاه فهذا ثابت في البخاري رقم (٣٤٩) ومسلم رقم (١٦٣) عن أبي ذر رضي الله عنه، وفي الباب عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه رواه البخاري رقم (٣٢٠٧) ومسلم رقم (١٦٤)، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه رواه البخاري رقم (٣٥٧٠ و ٧٥١٧) ومسلم رقم (١٦٢).

وأما كون مكائيل وإسرافيل معه فأخرج البخاري (٥٧١٧) (١٦٢) (٢٦٢) عن أنس رضي الله عنه يقول: ليلة أُسري برسول الله ق من مسجد الكعبة أنه جاء ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه .. الحديث =

=

قال الحافظ في «الفتح» تحت شرح هذا الحديث: والنفر الثلاثة لم أقف على تسميتهم صريحاً لكنهم من الملائكة، وأخلق بهم أن يكونوا من ذكر في حديث جابر الماضي في أوائل الاعتصام، بلفظ: «جاءت ملائكة إلى النبي ق وهو نائم...».

وبينت هناك أن منهم جبريل وميكائيل، ثم وجدت التصريح بتسميتهما في رواية ميمون بن سياه عند الطبراني، ولفظه: «فأتاه جبريل وميكائيل فقالا...» الحديث. اهـ
قلت: وقوله «في حديث أنس قبل أن يوحى إليه ..»، من أوهام شريك بن عبدالله بن أبي نمر، كما بين ذلك الحافظ في «الفتح» (١٣/٥٩٦).

والرواية المصرح بها عند الطبراني لم أقف عليها في «معجم الطبراني» لأنه غير مكتمل، ومنه مسند أنس بن مالك رضي الله عنه.

وفي الباب أن معه ميكائيل أحاديث منها حديث عبدالله بن قرط، أخرجه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» كما في «مجمع الزوائد» (١/٨٣)، وأبونعيم في «الحلية» (٢/٧)، والذهبي في «الميزان» (٤/١٠١)، وفي سنده مسكين بن ميمون مؤذن مسجد الرملة، قال عنه الذهبي: لا أعرفه وخبره منكر، وضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في كتابه «الإسراء والمعراج» (٧١-٧٢).

وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه بذكر ميكائيل مع جبريل، أخرجه ابن جرير في تفسير «سورة الإسراء» (١٤/٤٢٤-٤٢٥)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/٣٩٧-٤٠٣)، وفي سنده أبوجعفر الرازي.

قال الحافظ ابن كثير في تفسير «سورة الإسراء»: أبوجعفر الرازي قال فيه الحافظ أبوزرعة الرازي: بهم في الحديث كثيراً، وقد ضعفه غيره أيضاً ووثقه بعضهم، والأظهر أنه سيء الحفظ ففياً تفرد به نظر، وهذا الحديث في بعض ألفاظه غرابية ونكارة شديدة. اهـ

وأما ذكر إسرافيل فلم أره بعد البحث والتحري في أحاديث الإسراء، والله أعلم.

وهو نائم في بيته^(١) أو في المسجد الحرام بحجر إسماعيل^(٢)، فشقوا صدره وغسلوا قلبه بماء من زمزم^(٣).

ويا لله من غاسل و قلب غسيل، وأركبوه البراق^(٤) فسار به يقطع الآفاق، حتى بلغ المسجد الأقصى وصلى فيه ما كتب له^(٥)، وشاهد من عجائب الكون ما جاءت به السنة وأجمله التنزيل.

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في أوائل تفسير «سورة الإسراء»: والحق أنه عليه السلام أُسري به يقظة لا منامًا من مكة إلى بيت المقدس راكبًا البراق. اهـ
وفي رواية عن أنس رضي الله عنه في البخاري (٣٥٧٠): وهو نائم في المسجد الحرام، وأما قوله (أو في المسجد الحرام بحجر إسماعيل) فيشير به إلى حديث مالك بن صعصعة رواه البخاري (٣٨٨٧) ومسلم (١٦٤).

(٢) يشير رحمه الله إلى حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه رواه البخاري (٣٨٨٧) ومسلم (١٦٤).
(٣) يشير رحمه الله إلى حديث أبي ذر رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٣٤٩) و (٣٣٤٢)، ومسلم رقم (١٦٣)، وفي الباب عن أنس رضي الله عنه رواه البخاري رقم (٧٥١٧) ومسلم رقم (١٦٢)، وعن مالك بن صعصعة رضي الله عنه رواه البخاري رقم (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٤).
(٤) يشير رحمه الله إلى حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه، رواه البخاري (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٤).

(٥) روى مسلم في «صحيحه» رقم (١٦٢) عن أنس رضي الله عنه في حديث الإسراء: قال النبي ق: «ثم أتيت بيت المقدس، قال ... ثم دخلت المسجد فصليت ركعتين، ثم خرجت فأتاني جبريل ...» الحديث، وروى الترمذي كما في «تفسير ابن كثير» تفسير سورة الإسراء ولم أره في سننه، والبيهقي (٢/ ٣٥٥-٣٥٧) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه: أنه صلى في المسجد، يعني الأقصى، =

وصعد إلى السماوات العلى ثم دنى فتدلى، حتى كان قاب قوسين أو أدنى، وأوحى إليه ربه ما أوحى، وأعطاه من الخير ما ليس له مثيل، ولقي آدم وعيسى ويحيى ويوسف وإدريس وموسى وهارون وإبراهيم الخليل^(١).

وكلهم سلم عليه وهنأه بما أكرمه ربه من الفضل العظيم والعطاء الجزيل، ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وفي تلكم الليلة المباركة العظيمة، شاهد سيد الكائنات وصاحب الملة المستقيمة كثيرًا من الخير والشر؛ ليبشر المؤمنين بالجنة النعيمة، وما أعدّه الله فيها من الأنهار، والأشجار، والأنوار، والزوجات الطاهرة، والأسرة العالية، والقصور الفخيمة.

ولينذر الكافرين والفساقين عذاب الله وجحيمه، وما أعد فيها لأهل المخالفة من ضريع وزقوم وغسلين وسموم وحميم وظل من يحموم وحيات وآفات ومصائب عظيمة

=

حيث شاء الله، وصحح إسناده البيهقي.

قال العلامة الألباني رحمه الله: وفي تصحيح البيهقي لإسناده نظر عندي مع ما في متنه من النكارة، وذلك لأن مداره على إسحاق الزبيدي، وهو مختلف فيه، وبه أعله الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٧٤)، قال الحافظ في «التقريب»: صدوق يهتم كثيرًا، وأطلق محمد بن عوف أنه يكذب. اهـ من رسالة «الإسراء والمعراج» (٦٩).

فتلخص من هذا أن الثابت في صلاته في بيت المقدس أنه صلى ركعتين، والله أعلم.

(١) يشير رحمه الله إلى حديث أبي ذر وأنس ومالك بن صعصعة رضي الله عنهم، وقد تقدم تخريجها قبل.

وبعين اليقين شاهد الثواب والعقاب ومقر أعداء الله ودار كرامته التي ليست لها قيمة، إلا عبادة الله وتوحيده، ومن عبد الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومداخلها كريمة، ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٣].

يا مؤمناً بالإسراء والمعراج ومصدقاً بالمعجزات وخوارق العادات، هل تدري لماذا شرف الله نبيه محمداً ﷺ بهذه الرحلة إلى ما فوق سبع سموات؟ وهل تعلم سر ما يقوم به المسلمون لهذه الذكرى من الحفلات كل عام في مختلف الجهات^(١)؟

(١) ما ذهب إليه المؤلف رحمه الله وعفا عنه من الإشادة والتبجيل بإقامة الحفلات في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب إشادة باطلة من أساسها؛ لأنه لم يثبت أنه أسري بالنبي ق في هذه الليلة بالذات كما تقدم التنبيه على ذلك، فالاحتفال بليلة الإسراء والمعراج بدعة محدثة لم يفعلها الصحابة والتابعون ومن تبعهم من السلف الصالح، وهم أحرص الناس على الخير وعلى العمل الصالح، ولو كان في ذلك خير لسبقونا إليه.

وإليك ما قاله أئمة العلم والدين في ذلك:

قال ابن القيم الجوزية: قال شيخ الإسلام رحمه الله: ولا يعرف عن أحد من المسلمين أن جعل لليلة الإسراء فضيلة على غيرها، لا سيما ليلة القدر، ولا كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان يقصدون تخصيص ليلة الإسراء بأمر من الأمور، ولا يذكرونها، ولهذا لا يعرف أي ليلة كانت. اهـ من «زاد المعاد» (١/ ٥٨).

وقال ابن الحاج: ومن البدع التي أحدثوها فيه، يعني في شهر رجب ليلة السابع والعشرين منه التي هي ليلة المعراج ... «المدخل» (١/ ٢٩٤).

ثم ذكر كثيراً من البدع التي أحدثوها في تلك الليلة من الاجتماع في المساجد والاختلاط بين النساء =

ليس ذلك إلا ليكرمه ربه وليفرض عليه وعلى أمته كل يوم وليلة خمس صلوات، وهي صلاة ما بين العبد وربّه.

وقد فرضت خمسين ثم خففت إلى خمس^(١)، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها، ومن جاء بالحسنة كانت له عشر حسنات، ولو شاء الله لأوجبها عليه في الأرض ولما كان فرق بينها وبين سائر التكاليف من الواجبات والمحرمات ولكن شأنها عظيم.

=

والرجال، والخلط بين قراءة القرآن وقراءة الأشعار بألحان مختلفة. وقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله في رده على دعوة وجهت لرابطة العالم الإسلامي لحضور أحد الاحتفالات بذكرى الإسراء والمعراج بعد أن سئل عن ذلك: هذا ليس بمشروع لدلالة الكتاب والسنة ... ثم ذكر الأدلة إلى قوله: فتقريره لو كان هذا مشروعاً لكان أولى الناس بفعله محمد ...

ثم ساق رحمه الله كلام ابن النحاس: أن الاحتفال بهذه الليلة بدعة عظيمة في الدين ومحدثات أحدثها إخوان الشياطين. اهـ بتصريف من «فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم» (٣/ ٩٧-٣٠٠). ثم ذكر رحمه الله في فتوى أخرى: أن الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج أمر باطل، وشيء مبتدع، وهو تشبه باليهود والنصارى في تعظيم أيام لم يعظمها الشرع وصاحب المقام الأسمى رسول الهدى محمد ق هو شرع الشرائع ...

وأئمة الهدى من الصحابة والتابعين لم يعرف عن أحد منهم أنه احتفل بهذه الذكرى ... فلا يجوز ولا تجوز المشاركة فيه. اهـ من «فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ» (٣/ ١٠٣)، وانظر رسالة «التحذير من البدع» (٧-٩) للشيخ ابن باز رحمه الله تعالى.

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي ذر رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٣٤٩) ومسلم رقم (١٦٣)، وفي الباب عن أنس رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٧٥١٧) ومسلم رقم (١٦٢)، =

وهي رأس الإسلام^(١) وعموده، ولا دين لمن لا صلاة له^(٢)، ولو عبد الله وتقرب إليه

=

وعن مالك بن صعصعة رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٤).

(١) يشير رحمه الله إلى حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وهو حديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده، وقد تقدم تخريجه، تحت الخطبة (١٠).

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٢٩٢)، و«الصغير» (١١٣/١) رقم (١٦٢)، ولفظه: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا صلاة لمن لا طهور له، ولا دين لمن لا صلاة له».

وفي إسناده الحسين بن الحكم الجبّري، قال الشيخ الألباني رحمه الله في حاشية «ضعيف الترغيب» (١١٩/١): مجهول، قلت: وثقه الدارقطني في «سؤالات الحاكم» له رقم (٩٠)، فأنحصرت العلة في مندل بن علي العنزي يقال اسمه عمرو، ومندل لقب، ضعيف كما في «التقريب»، وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب» (١١٩/١).

وفي الباب عن علي رضي الله عنه، أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» رقم (٣٥٦١)، وفيه: «إنه لا دين لمن لا أمانة له، ولا صلاة له ولا زكاة له»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/٢٩٢): فيه أبو الجنب وهو ضعيف. اهـ

قلت: وهو كما قال، ترجمته في «التقريب» واسمه عقبة بن علقمة الشكري، وقد ضعف الحديث جدًّا العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب» (١/٥٣١)، وقال المنذري: رواه البزار وفيه نكارة.

اهـ

بجميع القربات، فلذلك أوجبها تعالى في حظيرة القدس ^(١) وجعل فيها الصيام والقيام والقعود والركوع والسجود والتسبيح والتلاوة والأدعية.

وهذه أفضل العبادات، فله عز وجل من عباده المؤمنين التحيات المباركات والصلوات الطيبات، ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

في طلب العلم يرحل أهل الأرض من بلاد إلى بلاد وينفقون أموالاً كثيرة، ويسافر أحدهم في مسألة واحدة الشهر والشهرين، والزاد قليل والمشقة كبيرة، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾، يطلب رجلاً ذا علم والقصة في القرآن وعند العلماء شهيرة.

وسيد العلماء وأفضل من تحت السماء صاحب الصراط المستقيم والداعي إلى الله على بصيرة يساهم في هذه الفضيلة ويقوم برحلته الجليلة وينال شهادة العالمية من جامعة العرش ^(٢) وحظيرة القدس في مدة قصيرة.

(١) هذا الكلام مخالف للأحاديث الصحيحة التي فيها أن الله سبحانه وتعالى فرض الصلاة في السموات العلا، على النبي ق وأمه بدون واسطة، وذلك لفضلها وشرفها عند الله سبحانه وتعالى.

(٢) لقد خانت المؤلف رحمه الله وعفا عنه بلاغته، فتكلم بهذه الكلمة التي تقشعر منها الجلود، وكان الواجب عليه أن يتعد عنها، فالمسألة هنا في باب الإسرائء والمعراج ليست مسألة نيل شهادات، ولا قيام برحلات بل مسألة اصطفاء واختيار واجتباء.

فالله اختار نبينا محمد ق، وفضله وأكرمه بهذه الليلة ليرفع قدره ومقامه، لا ليختبره، فإن الشهادات لا =

وإنه لقدوتنا وفيه أسوتنا وبسيرته نطالب أنفسنا، وإذا لم نعمل بها فما الفائدة من قراءة السيرة، ولا خير في الذكريات وما يقام لها من الحفلات ^(١)، إذا عرف القصد وطلب المجد

=

تنال إلا بعد تعب ونصب واختبار، والمقام هنا ليس كذلك، بل مقام شرف وإكرام. وقوله عفا الله عنه: (من جامعة العرش) من مدير هذه الجامعة؟! من نائبها من ؟! تعالى الله سبحانه وبحمده وتنزه عن ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فالعرش ليس عبارة عن جامعة بل هو ذلك السقف المحيط بالمخلوقات، ولا نعلم مادته، ومن أي شيء خلق، لكننا نعلم أنه أكبر المخلوقات التي خلقها الله، فهو سرير ذات قوائم تحمله الملائكة، والله عز وجل مستوٍ عليه استواءً يليق بجلاله، وليس هو عبارة عن جامعة، فالجامعة معروف ما فيها من الفساد والشر والفوضى والصخب واللغب، وعرش الله منزّه عن ذلك.

وليس مراد المؤلف ما ذكرته قطعاً، ولكن تعبيره بذلك يعتبر باطلاً، والله المستعان وعليه التكلان. (١) لا خير إلا في اتباع نبينا محمد ق، فإنه لا خير إلا ودل الأمة عليه، ولا شر إلا وحذر الأمة منه، فلم يشرع لأمته عند مرور الذكريات إقامة الحفلات، ولو كان في ذلك خير لفعله هو وصحابته الكرام رضوان الله عليهم.

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

قال شيخ الإسلام رحمه الله: ولا يُعرف عن أحد من المسلمين أنه جعل لليلة الإسراء فضيلة على غيرها لا سيما على ليلة القدر، ولا كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان يقصدون تخصيص ليلة الإسراء بأمر من الأمور، ولا يذكرونها ولهذا لا يعرف في أي ليلة كانت. وإن كان الإسراء من أعظم فضائله ق، ومع هذا فلم يُشرع تخصيص ذلك الزمان، ولا ذلك المكان بعبادة شرعية.

بل غار حراء الذي ابتدئ فيه بنزول الوحي، وكان يتحراه قبل النبوة، لم يقصده هو ولا أحد من أصحابه بعد النبوة مدة مُقامه بمكة، ولا خصّ اليوم الذي أنزل فيه الوحي بعبادة ولا غيرها، ولا خصّ =

وحصل الانتفاع بالمشاهدة والاستماع، وإلا فعادة هوجاء وطريقة عوجاء وأعمال حقيرة، ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

إذا احتفل المسلمون بليلة الإسراء^(١)، وشكروا الله على ما أولى به نبيهم الأعظم ﷺ فقد احتفل أهل الكتاب بيوم نجاة موسى، وهلاك فرعون، وصاموه شكراً لمن تفضل عليهم وأنعم^(٢)، وكذلك يحتفل النصارى بيوم ولادة عيسى بن مريم، وما أنكر عليهم

=

المكان الذي ابتدئ فيه بالوحي ولا الزمان بشيء.

ومن خصّ الأمكنة والأزمنة من عنده بعبادات لأجل هذا وأمثاله كان من جنس أهل الكتاب الذين جعلوا زمن أحوال المسيح مواسم وعبادات كيوم الميلاد ويوم التعميد وغير ذلك من أحواله ... اهـ نقله عن تلميذه ابن القيم في «زاد المعاد» (١/ ٥٨-٥٩).

(١) الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج بدعة محدثة ما أنزل الله بها من سلطان، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.
(٢) أهل الكتاب لم يحتفلوا بيوم نجاة موسى وهلاك فرعون، وإنما صاموه كما في البخاري رقم (٢٠٠٤) ومسلم (١١٣٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: قدم النبي ق المدينة، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: «ما هذا؟»، قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى، قال: «فأنا أحق بموسى منكم» فصامه وأمر بصيامه.

فليس في الحديث أن اليهود احتفلوا بذلك وإنما صاموه شكراً لله جل وعلا، وليس فيه أن النبي ق احتفل بمناسبة نجاة موسى ومن آمن معه، وإنما صامه وأمر الناس بصيامه.

ومجرد الصيام لا يعتبر احتفالاً، فقياس الاحتفال بليلة الإسراء على صيام عاشوراء قياس مع الفارق، وعلى فرض أنهم احتفلوا فهذا في شرع من قبلنا، وشرع من قبلنا ليس شرع لنا، إذا ورد شرعنا بخلافه، وهو هنا كذلك.

=

الإسلام شيئاً من ذلك^(١)، بل قال محمد عليه الصلاة والسلام: «نحن أولى بموسى منكم»

=

فلاحتفال بالإسراء والمعراج لم يفعله النبي ق ولا صحابته الكرام رضوان الله عليهم، ولو كان خيراً لسبقونا إليه.

(١) هذا الكلام من المؤلف رحمه الله تعالى وعفا عنه هو من هفواته وزلاته، في قياسه الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج تلك الليلة المجهولة العين والذات باحتفال النصارى بيوم ولادة عيسى، وأن الإسلام لم ينكر عليهم شيئاً من ذلك.

فالإسلام أنكر عليهم ذلك إما على سبيل العموم أو الخصوص، ونحن مأمورون بعدم التشبه باليهود والنصارى، سواء كان ذلك في أعيادهم أو غير ذلك، وقد قال النبي ق: «خالفوا اليهود»، وقال: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبدالله ورسوله».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: موافقتهم في أعيادهم لا تجوز، من طريقين:

١ - العام، وأن هذا موافقة لأهل الكتاب فيما ليس من ديننا، ولا عادة سلفنا ...

ومن جهة أنه من البدع المحدثه، وهذه الطريق لا ريب أنها تدل على كراهة التشبه بهم في ذلك، ويدل على تحريم التشبه بهم في العيد... فقله ق: «من تشبه بقوم فهو منهم» موجب تحريم التشبه بهم مطلقاً، وكذلك قوله: «خالفوا المشركين»، ودلالة الكتاب والسنة على تحريم سبيل المغضوب عليهم والضالين في أعيادهم ... وأعياد الكفار من الكتابيين والأُميين في دين الإسلام من جنس واحد، كما أن كفر الطائفتين سواء في التحريم.

بل أعياد الكتابيين التي تتخذ ديناً وعبادة أعظم تحريماً من عيد يتخذ لهواً ولعباً؛ لأن التعبد بما يسخطه الله ويكرهه أعظم من اقتضاء الشهوات مما حرمه ... وهذا ويوجب العلم اليقيني بأن إمام المتقين ق كان يمنع أمته منعاً قوياً من أعياد الكفار، ويسعى في دروسها وطمسها بكل سبيل.

وليس في إقرار أهل الكتاب دينهم إبقاء شيء من أعيادهم في حق أمته، بل قد بالغ ق في أمر مخالفتهم في =

فصام وأمر بصيام العاشر من محرم^(١).

وإنما الإفراط في التعظيم^(٢)، وما يقع من الإفراط الذميمة شيء لا تقره الأديان، ولا ترضى به التوراة والإنجيل والقرآن^(٣).

=

كثير من المباحات وصفات الطاعات لئلا يكون ذلك ذريعة إلى موافقتهم في غير ذلك من أمورهم

...

فإذا كان لليهود عيد، وللنصارى عيد، كانوا مختصين به فلا نشركهم فيه، كما لا نشركهم في قبلتهم وشرعتهم. اهـ بتصرف من «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٤٢٠-٤٤٦) ت: الدكتور ناصر العقل وفقه الله.

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٠٠٤)، ومسلم رقم (١١٣٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وأما حديث عاشوراء فقد ثبت أن رسول الله ق كان يصومه قبل استخباره لليهود وكانت قريش تصومه ...

فإذا كان أصل صومه لم يكن موافقة لأهل الكتاب، فيكون قوله: «فنحن أحق بموسى منكم»، تأكيداً لصومه وبياناً لليهود أن الذي يفعلونه من موافقة موسى نحن أيضاً نفعله فنكون أولى بموسى منكم. اهـ بتصرف من «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٤١٢-٤١٤).

(٢) هذا كلام شديد، وهكذا في التفريط وعدم اتباع سنة سيد المرسلين، ومن ذلك أنه لم ينقل عنه ولا عن أحد من أصحابه شمس الهداية وأوعية العلم وأنصار الدين القويم أنهم احتفلوا بليلة الإسراء والمعراج، والخير كل الخير في اتباع النبي ق وصحابته الكرام رضوان الله عليهم، الذين ساروا على نهجه واقتفوا أثره.

(٣) الصواب أن يقول المؤلف رحمه الله: ولا يرضى به القرآن، فلسنا بحاجة إلى ذكر التوراة والإنجيل؛ لأنها قد حرفت وبدلت، وعلى فرض أنها لم تحرف ولم تبدل، فعندنا ما يغني عنهما كما تقدم التنبيه على =

وليس من يعلم كمن لا يعلم، ألا وإنه لا يجوز ما يقع من المدح والإطراء من الذين يظنون أنهم يحبون رسول الله ﷺ وهم مخالفون لهديه^(١)، ومتساهلون بأمره ونهيه. فليت أحدهم لم يتكلم وليته كان أصم وأبكم، ومن أولئك من يدعون رسول الله في المهفات، ويجعله ندًا لفاطر الأرض والسموات، ويكذب عليه بنسبة السوء إليه، ولو كان بين يديه لأباح منه العرض والمال والدم، ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْثَقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢].

ذلك .

(١) هذا كلام جيد من المؤلف رحمه الله، وليته فقه ما يقول، فإن من مخالفة هديه في الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج والدعوة إليه والإشادة به، والله المستعان.

قال رسول ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوبًا الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر»^(١).

وقال ﷺ: «رأيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك السلام، وأخبرهم: أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، غرسها سبحانه الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله»^(٢).

(١) (ضعيف جدًا).

أخرجه ابن ماجه (٢٤٣١)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٣٢٨٨)، وابن عدي في «الكامل» (٨٨٣/٣)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/رقم ٩٩٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. قال ابن الجوزي: هذا لا يصح. قلت: فيه خالد بن يزيد بن أبي مالك الدمشقي ضعيف، وقد اتهمه ابن معين كما في «التقريب».

وقد ذكر الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٣٦٣٧) وقال: ضعيف جدًا.

(٢) (حسن لغيره).

أخرجه الترمذي (٣٤٦٢)، والطبراني في «الكبير» (١٧٣/١٠) رقم (١٠٣٦٣)، وفي «الأوسط» (٤١٧٠)، و«الصغير» رقم (٥٣٩) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وليس عند الترمذي زيادة: «ولا حول ولا قوة إلا بالله».

وفي سنده عبدالرحمن بن إسحاق أبوشيبه الكوفي وهو ضعيف اتفاقاً وبه أعل الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩١/١٠)، وفيه انقطاع بين عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود وأبيه، فلم يسمع منه إلا شيئاً يسيراً، كما قال الحافظ في «التقريب»، وهذه العلة أعل الحديث المنذري في «الترغيب» (٤٠٨/٢).

والحديث ذكره ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/رقم ٢٠٠٥)، ورجح إرساله.

وقال عليه السلام: «مررت ليلة أسري بي بالملأ الأعلى، وجبريل كالحلس البالي من خشية الله تعالى»^(١).

=

وفي الباب عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أخرجه أحمد (٤١٨/٥)، والطبراني في «الكبير» (٣٨٩٨) بنحوه، وفي سنده عبدالله بن عبد الرحمن بن عبدالله بن عمر، تفرد بالرواية عنه أبو صخر حميد بن زياد كما في «الجرح» (١١٩/٥) ولم يوثقه سوى ابن حبان في «الثقات» (١/٧). وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٣٣٥٤) بنحو حديث ابن مسعود، وفي سنده عقبه بن علي ترجمه الحافظ في «اللسان» (٢١٧/٤)، وقال: قال العقيلي: لا يتابع على حديثه وربما حدث بالمناكير عن الثقات. اهـ وبه أعل الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩٨/١٠). وفي الباب عن جابر رضي الله عنه أخرجه الترمذي (٣٤٦٤)، وصححه ابن حبان (٨٢٦)، وفي سنده أبو الزبير مدلس وقد عنعن.

وعن معاذ بن أنس الجهني، أخرجه أحمد (٤٤٠/٣)، وفي سنده ابن لهيعة ضعيف خلط بعد احتراق كتبه، وشيخه زبان بن فائد المصري ضعيف مع صلاحه وعبادته كما في «التقريب». وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٨٤٧٠)، وفي سنده عمران بن عبيد مولى عبيد الصيد، ترجمه البخاري في «تاريخه» (٤٢٧/٦) ثم قال: فيه نظر، وضعفه يحيى بن معين كما في «سؤالات الدارمي» (١٤٢)، وأورد الحديث ابن عدي في «الكامل» (١٧٣/٦) من مناكيره.

وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٧)، والحاكم (٥١٢/١)، وفيه: أبو سنان عيسى بن سنان الحنفي لين الحديث كما في «التقريب». وعلى كل فالحديث بمجموع طرقه وشواهده يرتقي للحسن لغيره، وقد صححه المحدث الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (١٠٥).

(١) (ضعيف).

=

﴿أَفْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ
الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ
الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٢-١٨].

=

أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٦٣٤)، والطبراني في «الأوسط» رقم (٤٦٧٩)، وفي سنده عمرو بن عثمان الكلابي ضعيف كما في «التقريب».

لكنه متابع تابعه عروة بن مروان العرقى عند ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٦٣٤)، وعروة بن مروان روى عنه جمع كما في «الميزان» (٦٤/٣)، و«اللسان» (١٩٤/٤)، وقال عنه الدارقطني: ليس بالقوي في الحديث.

قال العلامة الألباني رحمه الله: فهو ممن يستشهد به، «الصحيحة» (٣٦٣/٥).

فالحديث لا يرتقي للحجية، ومع ذلك فقد صححه العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٢٢٨٩).

الخطبة الثامنة والأربعون

في استقبال رمضان والاستعداد له

الحمد لله الذي شرفنا باتباع سيد الكائنات، وجعل الديانة الإسلامية فوق جميع الديانات، وهدانا إلى الحق بالآيات البينات، وشرع لنا من الدين ما فيه صلاح المعاش والمعاد، نحمده تعالى على نعمه الوافرة، ونشكره على آلائه المتكاثرة، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونسأله خير الدنيا والآخرة، ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى سبيل الرشاد.

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد الصائم القائم، وعلى آله وأصحابه الأكارم أولي المكارم، ما تعاقب الجديدان أو تكررت المواسم، وعلى التابعين لهم بإحسان قي الأقوال والأفعال والاعتقاد.

عباد الله: لقد أظلكم شهر الصيام والقيام، شهر تلاوة القرآن وإطعام الطعام، وشهر مواساة الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام، فشمروا لطاعة الله عن سواعدكم بجد واجتهاد، بالجوع والعطش تأخذون عن أحوال الفقراء والبؤساء خير دروس، وبالإمساك عن الطعام والشراب وفضول الكلام تنهذب النفوس.

وفائدة الصيام المطابق لأمر الشارع أمر ظاهر محسوس، فيه تطهر الأرواح من درن الذنوب وبه تصح الأجساد^(١)، كان رسول الله ﷺ أجود بالخير والإنفاق في سبيل الله من الريح، وكان أجود ما يكون في رمضان^(٢) شهر المتجر الريح، وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم يختم القرآن في صلاة التراويح، وكانوا يجودون بأموالهم في رمضان على ذوي الحاجة من مريض وصحيح، وما لأحد عندهم من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربهم الأعلى فيا نعم المراد.

ألا وإن لكم في رسول الله والذين آمنوا معه أسوة حسنة، ورحم الله قومًا يستمعون القول فيتبعون أحسنه، فعظموا بطاعة الله والإحسان إلى خلقه هذا الشهر من كل سنة، ﴿وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَحِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠].

اشغلوا قلوبكم وألستكم بحمد الله وشكره، واعمروا مساجد الله بحضور الصلوات فيها والاجتماع لتعظيم الله وذكره، ونوروا بيوتكم بتلاوة القرآن وعقولكم بتدبر نهيه

- (١) هذا الكلام صحيح، ومبناه على حديث ضعيف ذكره العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٢٥٣) وقال: أخرجه الطبراني في «الأوسط»، وأبونعيم في «الطب» من حديث أبي هريرة، ولفظه: «صوموا تصحوا»، وفي سنده زهير بن محمد وهو ضعيف في رواية الشاميين عنه، وهو هنا كذلك.
- وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢٥٢١/٧) عن ابن عباس ولفظه: «اغزوا تغنموا، وصوموا تصحوا...»، وفيه نهشل متروك، والضحاك لم يسمع من ابن عباس. اهـ بتصرف من «السلسلة الضعيفة».
- (٢) يشير رحمه الله إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البخاري (١٩٠٢) ومسلم (٢٣٠٨).

وأمره، وزينوا بواطنكم بحب بعضكم بعضًا، فإن الله يغفر في رمضان لأهل الذنوب غير ذنوب العداوة والأحقاد^(١).

في رمضان بعث الله محمدًا ﷺ بشيرًا ونذيرًا، وفيه نصر الله المسلمين ببدر وفتح لهم مكة^(٢)، وكفى بالله وليًا ونصيرًا، وفيه نزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فكان حجة على الكافرين، وللمؤمنين برهانًا ونورًا، ولهذا افترض الله صيامه وتعبدنا بقيامه ووعدنا على ذلك أجرًا عظيمًا وثوابًا جزيلاً، والله لا يخلف الميعاد.

لقد شرع الله للمسلمين في رمضان صلاة وزكاة وصيامًا، وأكرمهم فيه بليلة القدر هي خير من ثلاثة وثمانين عامًا^(٣)، فتعرضوا فيه لرحمات الله واتبعوا آثار الذين يجزون الغرفة بما

(١) يشير رحمه الله إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما مطولاً مرفوعاً، وفيه: «فما صنع الله في حوائج المؤمنين ... قال: فعفا عنهم إلا أربعة، فقلنا: يا رسول الله، من هم؟ قال: رجل مدمن الخمر، وعاق لوالديه، وقاطع رحم، ومشاحن».

أخرجه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب «الثواب»، والبيهقي واللفظ له كما في «الترغيب» (٢/ ٣١). قال الشيخ الألباني رحمه الله: منقطع بين الضحاك بن مزاحم وابن عباس، والراوي عنه لين، وآثار الوضع والصنع عليه لائحة، وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٩١). اهـ من «ضعيف الترغيب» (١/ ٣٠٠-٣٠٢).

(٢) انظر أخبار غزوة بدر في «السيرة النبوية» لابن كثير (١/ ٣٣٤) فما بعدها، و«زاد المعاد» (٣/ ١٧١) فما بعدها.

(٣) ذكر الحافظ ابن كثير في تفسير «سورة القدر» تحت قول الله: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أن الألف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر. اهـ

صبروا ويلقون فيها تحية وسلامًا، ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ [ص: ٥٣-٥٤].

إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار^(١)، وتجلي ربنا بالجود على عباده الأخيار، وباهى الله ملائكته بالمؤمنين الأبرار^(٢)، الصائمين بالنهار والمستغفرين بالأسحار، وضاعف لهم الحسنات^(٣)، وتجاوز عن السيئات، وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَأْبٍ﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ [ص: ٥٥-٥٦].

فيا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ويا مؤمنًا بالقرآن تقدم، ويا معرضًا عن موائد الإحسان أدبر، وإن شئت فصم معنا، وإن استحوذ عليك الشيطان فأفطر، فإن رحمة الله قريب من المحسن المستغفر، وعذابه شديد على المسيء المستكبر، ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧].

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى ما أخرجه البخاري رقم (١٨٩٩) ومسلم رقم (١٠٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) يشير رحمه الله إلى حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أخرجه الطبراني كما في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٨).

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: موضوع، فيه محمد بن سعيد الشامي المصلوب كذاب. اهـ من «ضعيف الترغيب» (١/ ٢٩٩-٣٠٠).

(٣) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم رقم (١١٥١) (١٦٤).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

[البقرة: ١٨٣].

وخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون، ففي الجنة باب يقال له: الريان، لا يدخل منه إلا الصائمون^(١)، يوم يقول الله لهم: كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون، ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

(الحديث) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد، أو قاتله، فليقل: إني صائم إني صائم. والذي نفس محمد بيده، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه» رواه البخاري ومسلم^(٢).

وفقني الله وإياكم لما فيه أسباب رحمته وجنبنا موارد سخطه ونقمته، ونسأله العفو والعافية وسوابغ نعمته.

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، أخرجه البخاري (١٨٩٦).

(٢) أخرجه البخاري في مواضع من «صحيحه»، منها برقم (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) (١٦٣).

(الآية) ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ
 فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ
 بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُمْ
 تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

الخطبة التاسعة والأربعون

في صيام رمضان وقيامه

الحمد لله الذي جعل الصيام جنة، وسبباً موصلاً إلى الجنة، ورياضة للنفوس المطمئنة، ولجامحات^(١) النفوس أعنة، وأرشدنا إلى خير طريقة وأقوم سنة تفضلاً ومنة، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

نحمده تعالى وهو الحميد المجيد، ونشكره عز وجل شكراً سيتوجب المزيد، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أعد للمتقين جنات النعيم، وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بالقول السديد، والفعل الحميد، والأمر الرشيد، فشريعته معقولة وتعاليمه مقبولة، فما أحسن ما جاء به من العبادة، وما أعظم ما جاء به من التوحيد.

ومن ذلك صوم رمضان، الذي أنزل فيه القرآن، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، والله على كل شيء شهيد، ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

(١) الجمع: من معانيه الإسراع، كما في «لسان العرب» مادة: جمع.

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد النبي المختار، إمام المتقين وسيد الأبرار، والقائل

ﷺ: «الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار»^(١).

صلى الله وسلم عليه وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار ما تعاقب الليل والنهار، وعلى التابعين لهم بإحسان في الصوم والإفطار، وعلينا ومعهم وفيهم برحمة منك يا عزيز يا غفار،
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ١٦].

عباد الله: فضيلة الصيام معروفة، والجزاء عليه عظيم، وثوابه جزيل، والحسنة بعشرة أمثالها إلا الصوم^(٢)، فإنه لله الملك الجليل يتقبله من الصائم، ويشبهه عليه، والله عنده حسن الثواب، وما ربك بظلام ولا بخيل.

(١) (صحيح بمجموع طرقه وشواهده).

أخرجه أحمد (٢٣١/٥)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والترمذي (٢٦١٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله، وقد سلف الكلام عليه تحت الخطبة (١٠).

وقوله في الحديث: «الصوم جنة» يشهد لها حديث أبي هريرة المتقدم تخريجه.

وقوله: «الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار» يشهد لها حديث جابر رضي الله عنه، أخرجه أحمد (٣/٣٢١)، ولفظه: «يا كعب بن عجرة، الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة»، وإسناده حسن،

وحسنه شيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (١/١٩٥-١٩٦).

(٢) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (١٩٠٤)، ومسلم رقم (١١٥١) (١٦٣) والسياق له.

يدع الإنسان طعامه وشرابه لله فيطعمه من ثمار الجنة ويسقيه من السلسيل، ويمنع نفسه من شهواتها ويكف نفسه عن القال والقليل، ويزوجه ربه من الحور ويخاطبه في مقعد صدق.

والذي عنده كثير والذي تعلمونه قليل، ولخلاف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك^(١)، والله جميل ويحب الجميل^(٢)، وفي الجنة باب يقال له: الريان لا يدخل منه إلا الصائمون^(٣)، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ * وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المرسلات: ٤١-٤٣].

بالصوم تزكى النفوس وتصح أجسام الصائمين، والإنسان وسط بين الملائكة المقربين، والبهائم التي يطعمونها للحمل عليها أو التسمين، وعلى قدر عبادته يكون التحاقه بالروحانيين^(٤)، لا هم له بعد ذلك إلا رضا الله ومرافقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وكلما اعتنى ببطنه وفرجه واتبع نفسه هواها تحكمته فيه الشياطين، وصار بهيمًا لا يصلح إلا طعمة للآكلين، ومتاعًا للمقوين^(٥).

(١) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رواه البخاري (١٩٠٤) ومسلم (١١٥١).

(٢) يشير رحمه الله إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أخرجه مسلم رقم (٩١).

(٣) يشير رحمه الله إلى حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، أخرجه البخاري (١٨٩٦).

(٤) الروحاني: ما فيه الروح، وكذلك النسبة إلى الملك والجن، كما في «القاموس المحيط»، و«لسان العرب» مادة: روح، والمراد بالروحانيين في كلام المؤلف الملائكة.

(٥) أي: المستمتعين.

فاختر لنفسك يا ابن آدم أي الحالتين شئت، فإما لهذه الدنيا الفانية ومتاعها، وإما لعظيم الجزاء يوم الدين، ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

أي صابر هو عند الله أعظم أجراً من الذي يدع طعامه وشرابه طيلة النهار، في البلد الحار، والزمن الحار، وليست لأحد عليه دون الله مسئولية ولا رقابة، وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر، وإذا لقي الله فوفاه حسابه^(١)، ودعوتك أيها الصائم مقبولة مستجابة^(٢).

فعليك الدعاء وعلى الله الإجابة، فإنه تعالى كريم لا يمنع من فضله أحبابه ولا يغلق في وجوه السائلين بابه، بل أمر سبحانه وتعالى عباده بالدعاء وتوعدهم على تركه ورتب على ذلك ثوابه وعقابه، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (١٩٠٤) ومسلم رقم (١١٥١).

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله دون الغمام..» أخرجه ابن ماجه (١٧٥٢)، وأحمد (٣٠٤/٢-٣٠٥) مطولاً، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» تحت رقم (١٧٩٧)، وشيخنا الإمام مقبل الوداعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٣٦٦-٣٦٧/٢).

يا عبد الله، لا تحسبن الصيام في الإمساك عن المفطرات الحسية، ولكنه ذلك والإمساك عن المفطرات المعنوية، ومنها: الكذب والغيبة والنميمة وشهادة الزور والنظر بشهوة إلى امرأتك أو إلى الأجنبية.

ورب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش كما ثبت ذلك عن سيد البرية^(١)، ومن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه^(٢)، والطيبات الشرعية، ومن لم يحفظ لسانه عن فضول الكلام ويغض بصره عن الحرام، ويدع الفواحش والآثام فما أفطر ولا صام، ولكنه أتعب نفسه وفاته الأجر، وسر هذه العبادة المرضية. وفي الحديث الشريف: «الصوم جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يفسق، فإن امرؤ سابه أو قاتله، فليقل: إني صائم، إني صائم»^(٣).

وذلك حيث لا عجب ولا رياء ولا شيء مما يفسد الأعمال التعبدية، ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧].

(١) (حسن).

أخرجه أحمد (٣٧٣/٢)، وأبو يعلى (٦٥٥١)، وابن خزيمة (١٩٩٧)، والحاكم (٤٣١/١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٣٤٨٨)، وحسنه شيخنا العلامة مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٣٧٣/٢-٣٧٤).

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري (١٩٠٣ و٦٠٥٧).

(٣) أخرجه البخاري رقم (١٩٠٤) ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه^(١)، ومن قام ليلة ابتغاء مرضاة الله وتعرض لرحماته فاز بالخير العظيم ومرضاة ربه، وليس من القيام هذه المجالس والسمرات التي تكون على الشاي والقات وغيبة المسلم وشتمه وسبه، واستباحة عرضه وثلبه.

وإنما قيام الليل بالصلاة وتلاوة القرآن وحزبه، ومذاكرة العلم والتفكير في مخلوقات الله وذكره وشكره بلسان العابد وقلبه، وفي رمضان ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإيجاب كل أمر وسلبه، ومن قامها وسأل الله فيها شيئًا غفر له^(٢)، واستجاب دعوته^(٣)، وقربه إليه وفاز بصادق حبه وفي مثله يقول جل ذكره:

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٣٨)، ومسلم رقم (٧٦٠).

(٢) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (١٩٠١) ومسلم رقم (٧٥٩ و٧٦٠).

(٣) يشير رحمه الله إلى حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «إن الله تبارك وتعالى عتقاء في كل يوم وليلة، يعني في رمضان، وإن لكل مسلم في كل يوم وليلة دعوة مستجابة»، رواه البزار كما في «كشف الأستار» رقم (٩٦٢)، وفي سنده أبان بن أبي عياش البصري متروك كما في «التقريب».

وقوله في الحديث: «إن الله تبارك وتعالى عتقاء في كل يوم وليلة» لها شاهد من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، أخرجه أحمد (٢٥٦/٥)، وحسنه شيخنا مقبل الوداعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٤٢٠/١)، وقد صحح حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (٥٨٦/١).

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ * فَلَا تَعْلَمُ
نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿[السجدة: ١٦-١٧].

كان أصحاب محمد ﷺ يعمرون المسجد في ليالي رمضان بذكر الله والصلاة وتلاوة القرآن، ولهم بذلك دوي كدوي النحل، وتراهم ركعاً سجداً يبتغون من الله الفضل والرضوان، وكان بعضهم يختم القرآن في ليلة^(١)، قانتاً لله يحذر الآخرة ويرجو رحمة

(١) لم أقف على من فعل ذلك من الصحابة رضي الله عنهم، لكن صح عن عثمان رضي الله عنه، أنه قرأ القرآن في ركعة، كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في «الفتح» تحت شرح حديث رقم (٩٩٠)، وانظر «لطائف المعارف» لابن رجب (٣١٦-٣١٩)، لكن هذا الفعل من عثمان رضي الله عنه، وأنه ختم القرآن في ركعة، استنكره العلامة الألباني رحمه الله فقال في «ضعيف سنن الترمذي» (٣٥٧): أحسن الإمام الترمذي برواية هذا الخبر، والذي بعده بصيغة التضعيف؛ لأن الركعة مهمل طالت لا يمكن أن يقرأ فيها بالقرآن الكريم كاملاً، فضلاً عما في ذلك من مخالفة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود والقيام، وحاشا لسيدنا عثمان أن يفعل مثل ذلك. اهـ

ربه الرحيم الرحمن، وعلى طول القيام بالحبل والعصا قد استعان^(١).

وفي عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه جمع الناس على أبي بن كعب ليصلي بهم التراويح^(٢) إحياءً لسنة سيد الأكوان ونبي آخر الزمان، وفي حياته الشريفة صلاها جماعة بأصحابه ثلاث ليال أو ليلتين والمسجد ملان، ثم تركها خشية أن تفرض عليهم^(٣) فيعجز عنها ضعفاء العزائم والأبدان، فإيا أهل التراويح وصلاة الوتر والتسبيح، وعمارة المساجد

(١) أما اعتمادهم على العصي من طول القيام، فصحيح أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ رقم ٢٧١) والسياق له، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/ ٣٩١-٣٩٢)، وعبدالرزاق (٤/ ٢٦٠-٢٦١) رقم (٧٧٣٠)، والبيهقي في «الكبرى» (٢/ ٤٩٦)

وغيرهم من طريق السائب بن يزيد قال: أمر عمر بن الخطاب أبي بن كعب وتميماً الداري أن يقوموا للناس بإحدى عشرة ركعة، وقد كان القارئ يقرأ بالمئين حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام، وما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر.

وإسناده صحيح، وقد صححه العلامة الألباني رحمه الله في كتابه «صلاة التراويح» (٤٥-٤٦).

وأما اعتمادهم على الحبال، فجاء في بعض روايات هذا الأثر عند عمر بن شبة في «أخبار المدينة النبوية» (٢/ ٢٨١) (ويتنوط أحدهم بالحبل المربوط بالسقف من طول القيام)، وإسناده صحيح، وهذا العمل غير مشروع؛ لأن النبي ق دخل المسجد فإذا جبل ممدود بين الساريتين فقال: «ما هذا الجبل؟»، قالوا: هذا جبل لزينب فإذا فترت تعلقت به، فقال النبي ق: «ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد» رواه البخاري (١١٥٠) ومسلم (٧٨٤) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٢٠١٠) وانظر ما قبله.

(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى ما أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٩٢٤ و ٢٠١٢) ومسلم رقم (٧٦١) (١٧٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

بالتلاوة وإنارتها بالمصابيح، أنتم الذين يقول الله فيكم، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ * كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿ [الذاريات: ١٦-١٨]، فجدوا يا عباد الله في طاعة الله ولا تقصروا، واذكروا الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبكم وفي ملكوت الله تفكروا، وإذا دعيتم إلى الخير فلبوا وبادروا، ولا تكونوا من الذين إذا قيل لهم: لا إله إلا الله يستكبرون، وولوا على أدبارهم نفورًا ولم يستغفروا.

وصوموا نهار رمضان وقوموا ليلاليه واتلوا كتاب الله وتدبروا، ولا يغرنكم الذين تهاونوا بالدين فأفطروا وجهروا بالسوء من القول وبالجرأة على الله تظاهروا، وكونوا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

واتقوا الله، ورابطوا، واصبروا، وصابروا، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

قال رسول الله ﷺ: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»^(١)، وقال ﷺ: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين»^(٢)، وقال ﷺ: «ذاكر الله في رمضان مغفور له، وسائل الله فيه لا يخيب»^(٣).

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٣٣)(١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٩٩) ومسلم (١٠٧٩) والسياق له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) (موضوع).

وقال ﷺ: «لو يعلم العباد ما رمضان، لتمنت أمتي أن تكون السنة كلها رمضان»^(١).
 وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله،
 وأنتك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأديت الزكاة، وصمت رمضان وقمته،

=

أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٧٣٤١)، وابن عدي في «الكامل» (١٦٠١/٤)، والبيهقي في
 «الشعب» (٣٣٥٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وفي سنده عبدالرحمن بن قيس الضبي الزعفراني متروك، كذبه أبوزرعة وغيره كما في «التقريب»، وفيه
 هلال بن عبدالرحمن الحنفي ترجمه الذهبي في «الميزان» (٣١٥/٤) وقال: قال العقيلي: منكر الحديث
 ... ثم قال الذهبي: الضعف لائح على أحاديثه فليترك. اهـ.

وفيه علي بن زيد بن جدعان ضعيف كما في «التقريب»، وسعيد بن المسيب مختلف في سماعه من عمر
 رضي الله عنه.

وقد حكم بنكارة الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٣٦٢١).

(١) (موضوع).

أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (١٨٨٦)، والبيهقي في «الشعب» من طريقه (٢٣٦١)، وابن الجوزي
 في «الموضوعات» (٢/رقم ١١١٩) من حديث أبي مسعود الغفاري رضي الله عنه.

قال ابن الجوزي عقبه: هذا حديث موضوع على رسول الله ق، والمتهم به جرير بن أيوب، قال يحيى:
 ليس بشيء، وقال الفضل بن دكين: كان يضع الحديث، وقال النسائي والدارقطني: متروك. اهـ.

وقال البيهقي عقبه: وجرير بن أيوب ضعيف عند أهل النقل. قلت: ترجمته في «الميزان» (١/٣٩١).

وقد حكم بالوضع على الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب» (٣٠٣/١)، تنبيه: وقع
 في «الموضوعات» لابن الجوزي مكان «عن أبي مسعود»: «عن ابن مسعود».

فممن أنا؟ قال: «من الصديقين والشهداء» ^(١)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ
كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

الخطبة الخمسون

في العشر الأواخر من رمضان

الحمد لله المحمود على كل حال، المعبود بالغدو والآصال، وفق للخير من اصطفاه من
النساء والرجال، وتعبدنا بالصيام والقيام وزكاة الفطر وزكاة المال.
وجعل الجنة للقادمين عليه بصالح الأعمال، والنار لأهل الزيغ والضلال، الذين لا
يعرفون الله ولا يعبدونه ولا يقابلون أوامره بالامتثال، فلا يستجيبون داعي الله في رمضان
ولا شوال، ﴿وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ
أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٣٢].

(١) (صحيح).

أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٢٥)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٣/٥)، وابن خزيمة
(٢٢١٢)، وابن حبان رقم (٣٤٣٨) من حديث عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه، وصححه
العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (٥٨٧/١) وشيخنا الإمام مقبل الوادعي رحمه الله في
«الصحيح المسند» (٩٣/٢) والحمد لله.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أمر بالخير، ولا تنفعه طاعة المتعبدين ونهى عن الشر ولا تضره معصية المقصرين ولا الجاحدين، ولكنه من عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعاملين.

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الناصح الأمين، القائل ﷺ: «من صام رمضان وقامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(١)، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد المنزل عليه من رب العالمين، واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين وصحابته أجمعين وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

ونسأله تعالى أن يجعلنا من الذين ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾ [الصفات: ٤٥-٤٨].

عباد الله: من أدرك رمضان ولم يغفر له فيه فقد فاته ربح العام، ومن أدرك العشر الأواخر منه ولم يصل الصيام فيها بالقيام، ويلذذ نفسه فيها بتلاوة أفضل الكلام، كلام الملك العلام، فقد حرم الخير ولم تكن له أسوة حسنة بخير الأنام، محمد عليه الصلاة والسلام، فلقد كان أجود بالخير من الريح، وكان أجود ما يكون في هذه الأيام، يدارس

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٨) ومسلم رقم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

جبريل كتاب الله^(١)، هذا الشهر على التمام، فنعم السفير ونعم البشير وأكرم بالاثنين من مأموم وإمام، وفي العشر الأواخر من رمضان كان رسول الله ﷺ يطوي فراشه ويشد مئزره ويوقظ أهله^(٢)، لمناجاة ذي الجلال والإكرام.

في هذه الليالي المباركة التي ينال فيه القصد والمرام، ويتجلى الكريم فيها على عباده بمضاعفة الأجور ومغفرة الآثام، ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦].

يعتق ربنا في كل ليلة من رمضان مائة ألف عتيق من النار، وفي الليلة الأخيرة يعتق مثل ذلك كله^(٣)، وهو العزيز الغفار، وإذا كان هذا دأبه في الليل فأى شيء يكون في النهار.

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البخاري رقم (١٩٠٢)، ومسلم رقم (٢٣٠٨).

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري رقم (٢٠٢٤) ومسلم رقم (١١٧٤).

(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ولفظه مرفوعاً: «ولله عز وجل في كل يوم من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار، كلهم قد استوجبوا النار، فإذا كان آخر يوم من شهر رمضان أعتق الله في ذلك اليوم بقدر ما أعتق في أول الشهر إلى آخره» الحديث. وقد تقدم تحريجه تحت الخطبة (٤٨)، وفيه انقطاع بين الضحاك بن مزاحم وابن عباس، والراوي عنه لين، وأثار الوضع والصنع عليه لائحة، قاله العلامة الألباني رحمه الله في حاشية «ضعيف الترغيب» (٣٠٢/١)، وبنحوه حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وهو في «ضعيف الترغيب» للعلامة الألباني =

وإذا كان هذا صنيعه بالأشرار والعصاة والفجار، فأى شيء يعده للأخيار والمتقين الأبرار، هو والله جنات تجري من تحتها الأنهار في مقعد صدق بخير جوار.

فهنيئاً لكم أيها الصائمون عن المفطرات والأوزار، فإنكم لمن الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار، وأنتم الذين يقول الله فيكم: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿آل عمران: ١١٤-١١٥﴾.

ما أكرم الله أمة بمثل ما أكرم به الأمة المحمدية في هذا الشهر فذنوب مغفورة وعيوب مستورة، ودعوات مستجابة ومضاعفة للأجر، وقد أكرمنا فيه بإنزال كتابه العزيز في ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر، سلام هي حتى مطلع الفجر.

ما صادفها عبد من عباد الله وسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه إياه^(١) وكفاه مهمات الدهر، فالتمسوها أيها المؤمنون في الأوتار من هذه العشر^(٢)، وقولوا: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وأجرنا من فتنة المحيا والممات وعذاب القبر.

=

رحمه الله (١/ ٣٠٥).

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وهو حديث ضعيف جداً، أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٩٦٢)، وفي سنده أبان بن أبي عياش البصري متروك كما في «التقريب»، وقد سلف الكلام على الحديث تحت الخطبة (٤٩).

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري رقم (٢٠١٧).

واسألوا الله فيها أن يجمع شتات المسلمين ويؤلف بين قلوبهم، ويصرف عنهم الأحقاد والإحن والاختلاف والمحن وما يقاسونه من الجهل والفقر، والله تعالى يقول: ﴿حَمَّ* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ* أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان: ١-٥].

التاجر الكبير يغتنم فرصة الأسواق ويجد في البيع والشراء ويحرص على معاملة التجار، ويتحمل في سبيل تجارته الأذى، ويصبر من أجلها على البلاء، ويقاسي مشقة العمل وتكاليف الأسفار.

ولا شيء سوى أنه طعم لذة الاكتساب وحصل على الدرهم والدينار، وللآخرة أسواق يربح فيها قوم ويخسر فيها آخرون، ونعوذ بالله من الخسار، وللطاعة مواسم وأوقات يفوز فيها العاملون بالربح الكثير والفضل الكبير وما عند الله خير للأبرار، ومن تلکم الأوقات شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، وفيه تفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النار^(١)، وقد أوشك أن ينقضي وقارب الانتهاء، فإما شاهدًا لكم بالصيام والقيام، وإما شاهدًا عليكم بالغفلة والإعراض والإفطار، ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [القصص: ٨٥].

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (١٨٩٩)، ومسلم رقم (١٠٧٩).

حاسب نفسك يا عبد الله آخر الشهر قبل أن يحاسبك الله، وانظر إلى صحيفة أعمالك وماذا كتب لك فيها من صيام وصلاة وبر ونفقة وإحسان وصدقة ورحمة ومواساة ولو بإخراج الزكاة، واعلم أن المرء ليس له من دنياه إلا ما تمتع به فأفناه أو قدمه فاستبقاه^(١)، واسأل ضميرك هل هذب الصوم نفسك؟ وهل كنت تريد به وجه الله؟ وهل سلم لك ما يحبط العمل من فضول المقال وقبيح الفعال ومنة على الله وأذية لعباد الله، وعاتب نفسك واتهمها بالتقصير، وقم لربك أوقات المناجاة من آخر الليل وأدبار الصلاة، ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

آه على رمضان وقد انقضت أيامه، وذهبت ليلاليه وتم صيامه وقيامه، وعما قريب يزول تعب وآلامه، ويسوء المختبين القانتين تمامه، وتجف صحائفه وترفع أعلامه، فعليه من المؤمنين تحية الله وسلامه.

ونسأله تعالى أن يعود علينا عامه ونحن بخير وعافية وقد رفعت للدين أعلامه، وساد دستوره ونظامه، والله يخلصنا فيه من النار قبل أن يحل ختامه، ويشملنا من الكريم تفضله وإنعامه، آمين، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عبدالله بن الشخير رضي الله عنه، أخرجه مسلم رقم (٢٩٥٨)، وجاء بنحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه مسلم رقم (٢٩٥٩).

في ذمة الله يا شهر التلاوة والتسبيح، وفي دعة الله يا شهر القيام بالتراويح، وفي أمان الله يا شهر المصاييح والمتجر الربيع، يا شهر البر والإحسان واليمن والبركة والرضوان والإيمان الصحيح.

ففيك يحى النشاط لكل عمل مليح^(١)، وتقصر فيك الإرادة عن كل قبيح، وفيك يجود الشحيح، ويغنى الفقير ويستريح، ويعمرون المساجد ويظهرون شعائر الدين، ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩-٤٠].

قال رسول الله ﷺ: «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان»^(٢)، وقال ﷺ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» أو كما قال^(٣).

(١) مليح: بمعنى حسن، كما في «القاموس المحيط» مادة: ملح.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٢٠٢٠)، ومسلم رقم (١١٦٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري رقم (١٩٠١)، ومسلم رقم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الخطبة الحادية والخمسون

في الحث على الزكاة وإخراجها

الحمد لله الأمر بكل مبرة، والناهي عن كل مضرة، وشارع الزكاة في كل عام مرة، فإما زكاة مال وإما الفطرة، وجاعل الحسنة بعشرة أمثالها إلى ما لا يحصى من الكثرة، والسيئة بمثلها والله لا يظلم مثقال ذرة، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩].

نحمده تعالى وهو الحي القيوم، ونشكره عز وجل على كل مقدر ومقسوم، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فرض على الغني في ماله الحق المعلوم، للسائل والمحروم. ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المعصوم، من الشح المذموم والبخل المشئوم، المنزل عليه، ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ * وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ [الذريات: ٥٤-٥٧].

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد القانت الأواه والزاهد في دنياه، والمنفق في سبيل الله والقاتل ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة»^(١).

والقاتل أيضًا: «ما تلف مال في بر ولا بحر إلا بحبس الزكاة»^(٢).

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه، وعلى التابعين لهم بإحسان في أوامر الله، ونعوذ به من الذين ظهرت لهم الصلاة فقبلوها، وخفيت لهم الزكاة فأكلوها، أولئك هم المنافقون^(٣)، ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [فصلت: ٦-٧].

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٥) ومسلم رقم (٢٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) (ضعيف جدًا).

أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «مجمع الزوائد» (٦٣/٣) من حديث عمر، قال الهيثمي: وفيه عمر بن هارون وهو ضعيف، قلت: بل هو متروك كما في «التقريب».
والحديث لم أقف عليه في «الأوسط» من النسخ التي بين أيدينا، وقد ذكر الحديث ابن أبي حاتم في «العلل» (١/٢٢٠-٢٢١) رقم (٦٤٠) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، ثم قال: قال أبي: هذا حديث منكر، وإبراهيم يعني ابن أبي عبله لم يدرك عبادة، وعراك يعني ابن خالد منكر الحديث. اهـ

وقد ضعف الحديث وحكم ببنكارته العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٥٧٥).

(٣) هذا الكلام مبناه على حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» رقم (٨٨٣)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦٤/٣): وفيه عبدالله بن إبراهيم الغفاري وهو ضعيف، =

عباد الله: إخراج الزكاة ركن من أركان الإسلام كما تعلمون، ومن لا زكاة له لا إسلام له.

أيها المسلمون: ومانع الزكاة من الذين يراءون ويمنعون الماعون، وجاحدها كافر مرتد ملعون، بخيل بما آتاه الله من فضله، مناع للخير حريص مفتون وسيئ مثل له ماله شجاعاً أقرع يطوقه يوم القيامة كما أخبر بذلك الأمين المأمون^(١).

وأشار إليه الكتاب المكنون: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿[التوبة: ٧٥-٧٦].

لقد شرع الله هذا الدين فجعله معاملة بين العبد ومولاه، ومن ذلك الحج والصوم والصلاة، وجعله معاملة بين العباد أفراداً وأسرّاً وجماعات، فتبارك الله. ومن ذلك بر الوالدين وصلة الأرحام ومواساة ذوي الحاجة بالإحسان إليهم وبالزكاة، والأعمال البدنية يقوم بها الغني والفقير، والمأمور والأمير، لا تسقط عن فقير لفقره ولا عن غني لغناه.

=

قلت: بل هو متروك، ونسبه ابن حبان إلى الوضع كما في «التقريب»، وقد حكم بالوضع على الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب» (١/ ٢٤١).

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (١٤٠٣).

وكل عبادة مالية فهي على الغني ومن وسع عليه الله، وذلك مما شرعه الله في جميع كتبه وعلى السنة أنبياءه، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣].

لو أدرك الناس حكمة الزكاة وأدى الغني ما عليه للفقير لطابت نفوسهم واثقلت قلوبهم، ولم يحسد البائس نعمة الله وفضله الكبير، على الغني القائم بحقوق الله المتصدق بهاله والمنصف من نفسه الشريك والأجير.

ولو أخرج المسلمون من أموالهم الزكاة والفدية والنذر والتكفير، لكان في ذلك ما يغني عن الاشتراكية والشيوعية، وتحكم المفاليس في ثروة المياسير، ولكن كثيرًا من الأغنياء يجود بالألوف في غير معروف ويهلك ماله بالتبذير، ويبخل على الله بربع العشر عن عروض تجارته^(١) وما لديه من الدراهم والدنانير.

(١) ما ذهب إليه المؤلف رحمه الله تعالى من إخراج ربع العشر من عروض التجارة هو مذهب جمهور العلماء، واستدلوا بأدلة صريحها غير صحيح، وصحيحها غير صريح. والصحيح أنه لا زكاة في معروضات التجارة، وهو مذهب عطاء وداود الظاهري ونصره ابن حزم، وهو ترجيح الشوكاني وصديق حسن والشيخ الألباني وشيخنا مقبل رحمهم الله أجمعين، واستدلوا على ذلك بأن الأصل حرمة أموال المسلمين ولا توجب الزكاة فيها إلا بدليل صحيح صريح، والله أعلم. انظر «المحلى» مسألة (٦٤١)، و«المجموع» (٦/ ٤٧)، و«المغني» (٤/ ٢٤٩).

وهو شيء يؤخذ من الأغنياء ويرد على الفقراء في العام مرة، فهو قليل من كثير، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١١٠].

والمؤمن الكريم على الله من، ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

يملك بعض المسلمين من النقود مئات الألوف بل عشرات الملايين، ويكبر على نفسه أن يخرج ما فرض الله عليه للفقراء والمساكين.

ولو جمعت زكاة المسلمين وقسموها كما أمرهم الله في الكتاب المبين، لاستغنى الفقير، وتعلم الجاهل، وتزوج الأرملة، وتربى اليتيم، ولسعد كل من الآباء والبنين، ولعمرت المساجد، وفتحت المدارس والملاجئ، وقامت المستشفيات، ولم يبق سارق ولا بغي ولم تعرف المعوزين^(١) البائسين.

ولأصبح الناس يدخلون في دين الله أفواجا معجبين بهذا الدين، دين الرحمة والشفقة والمواساة والمساواة^(٢) بين المؤمنين، ولكنها أموال تذهب في أيدي المسرفين، لا يقومون

(١) أي: المحتاجين كما في «لسان العرب» مادة: عوز.

(٢) تقدم التعليق على لفظة المساواة مرارا.

فيها بواجب ولا يعرفون فيها حقاً لمستحقين، ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: ١٣].

قد يخرج بعض الناس الزكاة طيبةً بها نفسه غير منان بها ولا بخيل، شاكراً لأنعم الله لا يريد بذلك إلا وجه الملك الجليل^(١)، ولكنه لا يعلم كيف يفرقها ولا يعرف كيف ينفقها فيأخذها من لا يستحقها من الأغنياء والموظفين وقطاع السبيل، وينالها قاطع الصلاة ومفطر رمضان.

ومن يستعين بها على الفساد في الغداة والأصيل، ويصل إليها قوم آخرون بالدجل والتضليل، ويحرم منها الضعفاء والمنقطعون في البيوت الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف لا يسألون الناس إلحافاً، لا يطغيهم الكثير ولا يسخطهم القليل.

فتنبهوا لهم يا عباد الله في هذا الشهر الفضيل، فثواب النافلة فيه كثواب الفريضة في غيره، والفريضة فيه بسبعين فريضة في غيره^(٢)، والله على كل شيء وكيل، وكونوا من الذين

(١) لا أعلم دليلاً صحيحاً على إثبات اسم الجليل لله عز وجل، ولكن يجوز أن يخبر عن الله به، وكلام المؤلف من هذا الباب.

(٢) هذا الكلام لا دليل عليه، وقد جاء في حديث سلمان مرفوعاً: «ومن تقرب فيه بخصلة يعني شهر رمضان، كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه».

أخرجه ابن خزيمة رقم (١٨٨٧)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» رقم (٣٣٣٦)، وغمزه ابن خزيمة =

يقول الله فيهم: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

يا عبد الله: للزكاة أحكام وشروط وأركان، ومسائل مستفادة من السنة والقرآن وعليك أن تعلم ذلك حتى تكون على بصيرة من الأمر وبيان، ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

يا أهل الإيمان، ومن عبد الله بشيء فلا يعبد إلا بما يرجح في الميزان، وهو لا يكون إلا بما شرع الرحمن لعباده على لسان خير إنسان، فقد يحسن المرء إلى غيره ولكن لا يثاب على ذلك الإحسان، وقد يمنع الواجب ظناً منه أنه ليس بواجب عليه فيستزله الشيطان، وما أعظم حاجتنا إلى تعليم الصلاة والزكاة لكثير من الرجال والنسوان، الذين يمنعهم الحياء عن السؤال في الدين، والله لا يستحي من الحق فاتبع الحق حيث كان، ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ * فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون [البقرة: ١٥١-١٥٢].

=

بقوله: إن صح الخبر، قلت: الحديث في سنده يوسف بن زياد أبو عبد الله البصري، ترجمه الذهبي في «الميزان» (٤/ ٤٦٥) وقال: قال البخاري: منكر الحديث، وقال الدارقطني: هو مشهور بالأباطيل، وقال أبو حاتم: منكر الحديث. اهـ

وفيه علي بن زيد بن جدعان ضعيف.

وقد حكم بالنكارة على الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب» (١/ ٢٩٦).

إلا وإن زكاة الفطرة آخر هذا الشهر واجبة على المسلمين^(١) كزكاة المال، وهي عن نفسك وعن من تلزمك نفقته من الأجراء والأقرباء والزوجات والعيال.

إذا كان ذلك فاضلاً عن قوت يوم العيد وليلته، ما تحتاج إليه من ملابس وخادم ومنزل وأثاث ولو من الغال، ولا تلزم المسلم إلا بإدراك جزء من رمضان وجزء من شوال.

والحكمة فيها مساعدة الفقراء وأهل ضيق الحال في تلکم الأيام والليالي، والصوم معلق بين السماء والأرض لا يقبله الله إلا بزكاة الفطر^(٢)، وهي من صالح الأعمال، وهي صاع من القوت الغالب في بلد المزكي^(٣) أو قيمته^(٤) على خلاف في ذلك بين العلماء من المجتهدين والنقال، فأخرجوها طيبة بها أنفسكم من أفضل المال، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون يا أهل الكمال، فالله تعالى يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

-
- (١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري رقم (١٥٠٤)، ومسلم رقم (٩٨٤).
- (٢) هذا الكلام غير صحيح، ومبناه على حديث ضعيف سيأتي تخريجه إن شاء الله جل وعلا، تحت الخطبة (٥٨).
- (٣) سيأتي التنبيه على ذلك تحت الخطبة (٥٢) إن شاء الله عز وجل.
- (٤) لا يجزئ إخراج القيمة في زكاة الفطر، كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله عز وجل تحت الخطبة (٥٢).

قال رسول الله ﷺ: «من أقام الصلاة، وآتى الزكاة، وحج البيت، وصام رمضان، وقرأ الضيف دخل الجنة»^(١).

قال ﷺ: «ما من عبد يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويخرج الزكاة ويحج البيت إلا فتحت له أبواب الجنة وقيل له: ادخل بسلام»^(٢).

(١) (ضعيف).

أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/١٣٦-١٣٧) رقم (١٢٦٩٢)، وابن عدي في «الكامل» (٣/٣٣٠)، وابن أبي حاتم في «العلل» (٢/٢٠٤٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال أبو زرعة كما في «العلل» لابن أبي حاتم: هذا حديث منكر، إنما هو عن ابن عباس موقوف. اهـ قلت: في سنده حبيب بن حبيب، أخو حمزة الزيات، ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح» (٣/٣٠٧) ط: دار الكتب/، ثم ساق بسنده عن أبي زرعة أنه قال: واهي الحديث، وقال ابن معين: لا أعرفه. اهـ وفيه أبو إسحاق السبيعي مدلس وقد عنعن.

وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب» (١/٢٣٦).

والموقوف الذي أشار إليه أبو زرعة أخرجه عبدالرزاق (١١/٢٧٤)، والبيهقي في «الشعب» (٩٥٩٣)، وفيه أبو إسحاق مدلس وقد عنعن، ويغني عنه حديث جابر في مسلم رقم (١٥).

(٢) (ضعيف).

أخرجه النسائي (٥/٨-٩) رقم (٢٤٣٨)، وابن خزيمة (٣١٥)، وابن حبان (١٧٤٨) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما.

وفي سنده صهيب مولى مولى العتارين تفرد بالرواية عنه نعيم المجرم، وقال الذهبي: لا يكاد يعرف، وقال الحافظ في «التقريب»: مقبول، يعني عند المتابعة وإلا فلين ولم يتابع، فهو مجهول، وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب» (١/٢٣٤).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «أمرنا بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ومن لم يزك فلا صلاة له»^(١)، وكان يقول إذا أخذ زكاة قوم: «اللهم فصل على آل فلان»^(٢)، وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا أعطيتم الزكاة فلا تنسوا ثوابها أن تقولوا: اللهم اجعلها مغنماً ولا تجعلها مغرمًا»^(٣)، «وفرض ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين»^(٤)، والله تعالى يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ

(١) (ضعيف).

أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٣/١٠) رقم (١٠٠٩٥) والسياق له، والأصبهاني في «الترغيب» رقم (١٤٤٩)، وصححه إسناده المنذري في «الترغيب» (٢٦٩/١)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦٢/٣) لكن الحق أنه ضعيف.

في سنده أبو إسحاق عمرو بن عبدالله السبيعي مدلس وقد عنعن، وقد ضعف الأثر الشيخ الألباني رحمه الله في «تخريج أحاديث مشكلة الفقر» رقم (٥٨).

(٢) أخرجه البخاري رقم (١٤٩٧) ومسلم (١٠٧٨) من حديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه. (٣) (موضوع).

أخرجه ابن ماجه (١٧٩٧)، وابن عساكر في «تاريخه» (٢٢/٩-١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي سنده البخري بن عبيد الطابخي ضعيف متروك، كما في «التقريب». وقد حكم بالوضع على الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (١٠٩٦)، والحديث الذي قبله يغني عنه.

(٤) أخرجه البخاري رقم (١٥٠٤)، ومسلم رقم (٩٨٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ
لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤١﴾ [المؤمنون: ٤١-٤٤].

الخطبة الثانية والخمسون

خطبة عيد الفطر

الله أكبر (تسعا)^(١): الله أكبر يرفع بالطاعات أقوامًا ويضع بالمعصية آخرين، الله أكبر يثيب الصائمين ويعاقب الفاطرين^(٢)، الله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، والذلة والهوان والصغار والدون للشيطان وأتباعه الكافرين والعصاة الفاجرين.

(١) افتتاح خطبة العيدين بالتكبير لم يثبت عن النبي ق أنه فعله، وإنما هو من قول الفقهاء. قال ابن القيم رحمه الله تعالى في هدي النبي ق في خطبه: وكان لا يخطب خطبة إلا افتتحها بحمد الله، وأما قول كثير من الفقهاء: إنه يفتتح خطبة الاستسقاء بالاستغفار، وخطبة العيدين بالتكبير، فليس معهم فيه سنة عن النبي ق البتة، وسنته تقتضي خلافه، وهو افتتاح جميع الخطب بالحمد لله، وهو أحد الوجوه الثلاثة لأصحاب أحمد، وهو اختيار شيخنا قدس الله سره. اهـ من «زاد المعاد» (١/ ١٧٩). وقال رحمه الله: وكان يفتتح خطبه كلها بالحمد لله، ولم يُحفظ عنه في حديث واحد أنه كان يفتتح خطبتي العيدين بالتكبير، وإنما روى ابن ماجه في «سننه» عن سعد القرظ مؤذن النبي ق أنه كان يُكثر التكبير بين أضعاف الخطبة، ويكثر التكبير في خطبتي العيدين.

وهذا لا يدل على أنه كان يفتتحها به ... إلى قوله: وكان يفتتح خطبه كلها بالحمد لله. اهـ من «زاد المعاد» (١/ ٤٣١-٤٣٢).

قلت: الحديث المشار إليه أخرجه ابن ماجه (١٢٨٧)، وفي سننه عبدالرحمن بن سعد بن عمار بن سعد المؤذن ضعيف كما في «التقريب»، وسعد بن عمار القرظ المؤذن روى عنه اثنان، وقال ابن القطان: لا يعرف حاله، وقال الذهبي في «الميزان»: لا يكاد يعرف، وعبارة الحافظ في «التقريب»: مستور.

(٢) الصواب أن يقول المؤلف رحمه الله: ويعاقب المفطرين، يعني الذين أفطروا في نهار رمضان عمدًا، =

الله أكبر ما صامت الأمة المحمدية شهر رمضان مخبتين وصابرين، الله أكبر ما قرأوا القرآن وباتوا لربهم سجداً وقياماً ساهرين، الله أكبر ما ازدحمت بهم المساجد مصلين وذاكرين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ولفضله سائلين وعلى نعمته شاكرين.

الله أكبر ما ذكروا بصيامهم أحوال البائسين، وواسوا بزكاتهم الفقراء والمساكين، وخرجوا يوم العيد مسرورين، يحمدون الله ويهنئ بعضهم بعضاً بما ناله من الأجر العظيم والفضل الكبير.

الله أكبر ما صام صائم وأفطر، وتذكر مؤمن فتقدم وأعرض فاسق فتأخر، الله أكبر (ثلاثاً).

الحمد لله الذي جعل العيد يوم جزاء وثواب، يخلع فيه على العابدين حلل الرضاء ويلبسهم فيه من إحسانه جميل الثياب، ويكرمهم فيه بأجر الكسب ويغفر لهم فيه سيئات الاكتساب^(١).

نحمده تعالى على التوفيق لما أمرنا به في نهار رمضان من ترك الطعام والشراب، ونشكره عز وجل يسر علينا قيام رمضان بصلاة التراويح وتلاوة الكتاب، ونسأله المزيد من فضله وأن يفتح لنا من الخير كل باب.

=

ولا يقال: الفاطرين؛ لأن الفاطر معناه الموجد للشيء والمبدع والخالق له، وهذا لا يكون إلا الله جل وعلا. انظر تفسير «سورة فاطر» لابن كثير، و«مفردات الراغب الأصبهاني» مادة: فطر.

(١) لعل المؤلف رحمه الله يشير بهذا الكلام إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو حديث ضعيف تقدم تخريجه تحت (٤٨)، وهو في «ضعيف الترغيب» (١/ ٣٠٠-٣٠٢).

ويعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يسلك بنا في سائر الأوقات سبيل الصواب، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل العيد يوم أكل وشرب وبعال^(١)، وأمر فيه المسلم بالتوسيع على نفسه والأهل والعيال، وحرم صومه^(٢) وندب فيه المؤمنين إلى التصديق بالمال الحلال. ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المنعوت بأشرف الخصال، وأعلى بني الإنسان في درجات الكمال، يرغب في صالح الأعمال ويدعو إلى الله بلسان الحال والمقال، ويعدل صيام الدهر بصيام رمضان وست من شوال^(٣).

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه خير صحب وآل، ما تعاقبت الأيام وتوالت الليالي وعلى التابعين لهم بإحسان في اكتساب الخير وترك الشر، ومن أحسن

(١) البعال: النكاح وملاعبة الرجل أهله، والمباعدة المباشرة، كما في «النهاية» لابن الأثير (١/ ١٤١) مادة: بعل.

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (١٩٩١) ومسلم رقم (٨٢٧)(١٤١)، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه مسلم رقم (١١٣٨)، وعن عمر رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (١٩٩٠) ومسلم (١١٣٧).

(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أخرجه مسلم رقم (١١٦٤)، وقد أعل بما لا يقدر فيه، انظر «لطائف المعارف» (٣٨٩).

قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً، وبالنار أنذر، وبالجنة وما أعدّه الله فيها من النعيم بشر، الله أكبر (ثلاثاً).

عباد الله: هذا يوم يوفى الصابرون فيه أجورهم بأحسن ما كانوا يعلمون، ويكرم الرحمن فيه عباده بالفضل العظيم على ما كانوا يصنعون، ويباهي بكم أيها المؤمنون ملائكة السماء. وأنتم في الصلاة خاشعون^(١)، وعن اللغو معرضون وللزكاة فاعلون، ومن الصيام خارجون، تمتثلون قوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فالله أكبر ما أعظم فرحة الصائمين حين يفطرون، وحين يخاف الناس وهم آمنون، ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ * لا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٢-١٠٣].

(١) يشير المؤلف رحمه الله بهذا الكلام إلى عدة أحاديث وردت في الباب، منها: حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو حديث ضعيف تقدم تخريجه تحت الخطبة (٤٨). وحديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه الأصبهاني في «الترغيب» رقم (١٧٣٩)، وفي سنده عثمان بن عبدالله الشامي متهم في روايته كما في «الميزان» (٣/ ٤١-٤٢). والحديث أورده ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٩٠) ثم قال: هذا حديث موضوع لا يصح عن رسول الله ق، وفيه مجاهيل، والمتهم به عثمان بن عبدالله، قال ابن عدي: حدث بمنكير عن الثقات، وله أحاديث موضوعة، وقال ابن حبان: يضع على الثقات. اهـ وقال الشيخ الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (٢٩٩): موضوع.

﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ * مُتَكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ *
بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ *
وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ١٥-٢١].

ومن «سورة الرحمن»: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].
وفي «سورة القمر» يقول الله جل ذكره: ﴿نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾
[القمر: ٣٥].

يوم العيد تكون وجوه الصائمين مسفرة، ضاحكة مستبشرة، وعلى وجوه العصاة غبرة،
ترهقها قفرة، وهل مسلم طائع هداه الله وللسبيل يسره، كفاجر أمره ربه بصيام رمضان
فأفطره، فحق عليه قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرُهُ﴾ [عبس: ٢٣].
وقاتله الله ما أكفره وما أشد أشره وبطره، ومن قدمه الله ليس كمن أخره، فذاك
بمرضاته فائز، وللخير حائز، وعلى الصراط جائز، وهذا مجاهر بالسوء ومبارز لحدود الله
متجاوز، وقد عرف الحق فأنكره.

وجاء يوم العيد فاستقبله وقدره، وشارك أهله فيه وحضره، وليته غاب وما حضر،
واختبأ في بيته وما ظهر، لئلا يخسف الله به الأرض أو يرميه من السماء بحجر، ﴿إِنَّ
الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾
[القمر: ٤٧-٤٨].

وما شرع الله عيد الفطر إلا ليفرح الصائمون بتمام أعمالهم الصالحة، وما نديهم فيه إلى
الصلاة إلا ليجتمعوا بين يديه فيوفيهم أجورهم، ومن تاجر لله فتجارته رابحة، فعمل
يسير، وثواب كثير.

وكذلك يفعل السيد الكريم بالعبد المستقيم، فيقبل منه القليل ويحط عنه الثقيل وكرم الله واسع وحجته واضحة، في هذا اليوم يجتمع المسلمون بقلوب متحابية وأجسام متعانقة، ووجوه باشة وأيد متصافحة.

ويذكر بالخير بعضهم بعضًا وكل يرى كفة أخيه بما كان يصنع في رمضان من جلائل الأعمال وقد أصبحت يوم العيد راجحة، أما الذين لا يعرفون من العيد إلا الطعام والشراب اللذيذ والثوب الجديد.

ولا يفقهون منه إلا المفاخرة بأقبح العادات وأساء التقاليد ولا يفرقون بين الليلة القادمة والليلة الرابعة، فليس لهم من العيد إلا مظاهره، وليس لهم من الحظ إلا عوائره. وقد فاتهم من الخير أوله وآخره، وضئائرهم تؤنبهم على فوات الفرصة السانحة والشیطان يقول لهم: ما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم الجاحمة.

فتوبوا عباد الله عما فات واستعدوا لطاعة الله في سائر الأوقات، وبادروا بالخير قبل أن يأتي أمر الله، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٤٩-٥٠].

بعض الناس يشمر في طاعة الله طيلة رمضان، ويقيم الصلاة ويذكر الله كثيرًا ويقرأ القرآن، ويقطع عن الشر وما كان عليه من الفسوق والعصيان، يطيل الجلوس في المساجد ويحضر الجمعة والجماعة ويقبل مسرعًا إذا سمع الأذان.

فإذا كان ليلة العيد ترك الخير وأعطى نفسه من الشر ما تريد، وعقد حلفًا مع الشيطان معاهدة على السوء باليد والقلب واللسان، ثم يوقع الفريقان الخبيثان المتعاقدان على محاربة الله بالمعاصي في سائر الزمان.

وصدق سيد الأكوان في قوله: «إذا دخل شهر رمضان، فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفد الشيطان»^(١).

ولكن نبئوني أيها العصاة من الذي تعبدونه في رمضان وتعصونه في شوال، أليس هو الكريم المنان؟ ومسبغ نعمه عليكم والإحسان، في كل لحظة وأوان.

فطوبى لمن أقبل على الله وشمر وخالف الشيطان، وأقصر عن الاسترسال في الشر، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ [القمر: ٤].

صيامك أيها المسلم معلق بين السماء والأرض لا يقبله الله إلا بزكاة الفطر^(٢) تدفعها إلى الفقير، صاعاً من تمر أو زبيب أو بر أو ذرة أو أرز أو شعير^(٣)، وتجزئ القيمة عند

(١) أخرجه البخاري رقم (١٨٩٩) ومسلم رقم (١٠٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) هذا الكلام باطل، ومبناه على حديث ضعيف ذكره العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» برقم (٤٣) بلفظ: «شهر رمضان معلق بين السماء والأرض، ولا يرفع إلى الله إلا بزكاة الفطر».

ثم قال: أخرجه ابن شاهين في «ترغيبه»، والضياء من حديث جرير رضي الله عنه، ونقل عن المناوي أن ابن الجوزي أروده في «الواحيات» وقال: لا يصح، فيه محمد بن عبيد مجهول.

وروي من حديث أنس رضي الله عنه، أخرجه الخطيب (١٢١/٩)، وعنه ابن الجوزي في «العلل» (٨٢٣٠)، وابن عساكر، وفيه عبدالرحمن بن عمر لم أعرفه، والظاهر أنه من شيوخ بقية المجهولين.

قال الشيخ الألباني رحمه الله: ثم إن الحديث لو صح لكان ظاهر الدلالة على أن قبول صوم رمضان متوقف على إخراج صدقة الفطر، فمن لم يخرجها لم يقبل صومه، ولا أعلم أحداً من أهل العلم يقول

أبي حنيفة رحمه الله وعليه من الفقهاء والمحدثين جمع كثير^(٢).

=

واعلم أن بعض المفتين ينشر هذا الحديث على الناس كلما أتى شهر رمضان، وذلك من التساهل الذي كنا نطمح في أن يحذر الناس منه، فضلاً عن أن يقعوا فيه هم أنفسهم. اهـ بتصرف من «الضعيفة» المصدر السابق.

(١) اعلم رحمك الله أن الأصناف التي تخرج منها زكاة الفطر، هي: التمر، والزبيب، والبر، والشعير، والأقط (اللبن المجفف)، وهذا هو ظاهر مذهب الحنابلة، وعند أكثرهم لا يجوز العدول عن هذه الأصناف مع القدرة عليها، سواء كان المعدول إليه قوت البلد أو لم يكن. وأما البر فوردت أحاديث بمجموعها تكون صحيحة، ويخرج منه نصف صاع على الراجح، راجع «المغني» (٤/٢٩٢)، و«المجموع» (٦/١٤٤)، و«المحلى» مسألة (٧٠٤)، و«شرح سنن النسائي» (٢٢٢/٢٩٦).

(٢) ما قاله المؤلف هنا قد قاله في كتابه «زوبعة في قارورة» (١١) وعلل ذلك بحاجة الفقراء وعدم انتفاعهم بزكاة الفطر من قوت البلد، وأن فتواه هذه قلد فيها أبا حنيفة رحمه الله. والصحيح في مسألة إخراج القيمة في زكاة الفطر أن ذلك لا يجزئ، لحديث ابن عمر وأبي سعيد رضي الله عنهما: فرض رسول الله ق زكاة الفطر صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، أو صاعاً من زبيب، أو صاعاً من أقط.

الحديث رواه البخاري (١٥٠٣)، ومسلم (٩٨٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما، ورواه البخاري (١٥٠٨) ومسلم (٩٨٥) عن أبي سعيد الخدري.

وأحب أن أنقل للقراء الكرام كلاماً نفيساً للعلامة الفقيه محمد بن صالح العثيمين رحمه الله عن مسألة إخراج القيمة في زكاة الفطر، قال رحمه الله:

ولا يجزئ إخراج قيمة الطعام -يعني في زكاة الفطر-، لأن ذلك خلاف ما أمر به رسول الله ق، وقد ثبت عنه ق أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، بمعنى مردود.

=

ويجزئ عندنا إخراجها من أول رمضان^(١)، ولا تجب إلا بغروب شمس اليوم الأخير، ويستحب إخراجها قبل الصلاة^(٢)، ولذلك يشرع التأخير كما يشرع التبكير من أجل الأضحية في العيد الكبير.

=

ولأن إخراج القيمة مخالف لعمل الصحابة رضي الله عنهم، حيث كانوا يخرجونها صاعاً من طعام، وقد قال النبي ق: «عليكم بستتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي». ولأن زكاة الفطر عبادة مفروضة من جنس معين، فلا يجزئ إخراجها من غير الجنس المعين، كما لا يجزئ إخراجها في غير الوقت المعين. ولأن النبي ق عينها من أجناس مختلفة، وأقيامها غالباً مختلفة، فلو كانت القيمة معتبرة لكان الواجب صاعاً من جنس ما يقابل قيمته من الأجناس الأخرى. ولأن إخراج القيمة يخرج الفطرة عن كونها شعيرة ظاهرة إلى كونها صدقة خفية، فإن إخراجها صاعاً من طعام يجعلها ظاهرة بين المسلمين، معلومة للصغير والكبير، يشاهدون كيلها وتوزيعها ويتبادلونها بينهم، بخلاف ما لو كانت دراهم يخرجها الإنسان خفية بينه وبين الآخذ. اهـ من «مجالس شهر رمضان» (٢٧٣-٢٧٤)، وبالله التوفيق.

(١) ما ذهب إليه المؤلف رحمه الله تعالى في إخراج زكاة الفطر من أول رمضان تبع فيه في ذلك الشافعي وأصحابه، والصواب في مسألة تقديم زكاة الفطر أنه لا يجوز تقديمها قبل وقتها؛ لأنها عبادة مؤقتة، ولا تجب على الإنسان حتى يأتي وقتها ووقت وجوبها بغروب شمس ليلة عيد الفطر. راجع «المغني» (٣٠٠/٤)، و«المجموع» (١٤٢/٦)، و«الفتح» تحت شرح حديث (١٥١١)، و«المحلى» رقم المسألة (٧١٨).

(٢) يشير رحمه الله إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري رقم (١٥٠٩).

وليت إخواننا يجمعون صدقة الفطر وينظمون إخراجها مطابقة للشرع المنير، فيأخذها المستحقون ويصرف عنها المرتزقون بالشحت والسؤال النكير، من اللوماء والأخدام وأشباه الأنعام وهم الأغنياء المياسير.

والصاع أربعة أمداد والمد حفنة بكفي الإنسان المعتدل الخلقة لا بالكبير ولا بالصغير، وهو بكيل هذه البلدة ثمين أو قريب منه فيأخذ القانع والمعتز^(١)، ومتى دفعت يا عباد الله ما عليك وأنفقت من طيب ما لديك فالله يقبل منك ما تيسر، ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ [الغاشية: ٢٣-٢٤].

هل تدرون يا عباد الله كيف تقضون هذا اليوم السعيد؟ وهل تعلمون ما يباح للمسلم من الانبساط يوم العيد؟ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير قول الله جل وعلا: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦]: اختلفوا في المراد بالقانع والمعتز، فقال العوفي عن ابن عباس: القانع بما أعطيته وهو في بيته، والمعتز الذي يعترض لك ويلم بك أن تعطيه من اللحم ولا يسأل، وكذا قال مجاهد ومحمد بن كعب القرظي.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: القانع المتعفف، والمعتز السائل، وهذا قول قتادة وإبراهيم النخعي، وقال ابن عباس وعكرمة وزيد بن أسلم... القانع هو الذي يقنع إليك ويسألك، والمعتز الذي يعتريك يتضرع ولا يسألك...

إلى قوله: واختار ابن جرير: أن القانع هو السائل؛ لأنه من أقنع بيده إذا رفعها للسؤال، والمعتز من الاعتراء وهو الذي يتعرض لأكل اللحم. اهـ

وقابلوا ربكم بكل نظيف من الثياب وجديد، ولا تلبسوا الذهب ولا الحرير ولا يتشبه الرجال بالنساء ولا النساء بالرجال يا أهل التوحيد، ولا بأس بشيء من اللهو واللعب والمزاح الذي لا يخل بالآداب ولا يصرف عن الأمر الرشيد.

وأظهروا نعمة الله عليكم واشكروه عليها وشكر النعمة يستوجب المزيد، ولا تجعلوا مقيلكم اليوم على الغيبة والنميمة ومجون المغنين وأخبث الأناشيد، واستقيموا كما أمرتم وعظموا الله بالتسبيح والتهليل والتحميد.

واسألوه تعالى صلاح المسلمين وتوفيق المؤمنين لما يحبه ويرضاه من أمور الدنيا والدين، وقالوا باللسنة صادقة وقلوب أهل اليقين، ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٨٥].
﴿وَبَتَّ أَقْدَامَنَا وَانْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

وخلص فلسطين وسائر بلاد المسلمين من أيدي البغاة الأثمين فإنك لا تهدي كيد الخائنين، وما يبدل القول لديك وما أنت بظلام للعبيد، وفي الظالمين تقول وقولك الحق المبين: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرُونَ﴾ * سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ ﴿[القمر: ٤٤-٤٦]، (الله أكبر ثلاثاً).

كان رسول الله ﷺ لا يغدوا يوم الفطر حتى يأكل تمرات ويأكلهن وتراً^(١)، وكان ﷺ إذا خرج إلى العيد يرجع في غير الطريق الذي خرج فيه^(١)، وكان ﷺ يقرأ في العيدين بـ

(١) أخرجه البخاري رقم (٩٥٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وأما رواية: «ويأكلهن وتراً» فأخرجها البخاري معلقة بإثر الرقم السابق، ووصلها أحمد (١٢٦/٣) =

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ و ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾^(٢) ، وكان ﷺ إذا خرج إلى المصلى يوم العيد^(٣) يبدأ بالصلاة^(٤) بغير أذان ولا إقامة^(٥) ، ثم يقوم فيخطب، يأمر بتقوى الله ويحث على طاعته ويعظ الناس ويذكرهم ثم يمضي إلى النساء فيعظهن ويذكرهن^(٦) .

=

بإسناد حسن.

(١) أخرجه البخاري رقم (٩٨٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وقد اختلف في صحابه، فقليل: عن جابر، وقيل: عن أبي هريرة، ورجح البخاري أنه عن جابر، ورجح أبو مسعود الدمشقي والبيهقي وابن الترمذاني وابن رجب والشيخ الألباني رحمهم الله أنه عن أبي هريرة، انظر «الإرواء» (٣/ ١٠٤-١٠٥)، و«الفتح» لابن رجب وابن حجر.

(٢) أخرجه مسلم رقم (٨٧٨) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٣) يشير رحمه الله إلى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٩٥٦) ومسلم رقم (٨٨٩).

(٤) لحديث أبي سعيد الخدري المتقدم، وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري رقم (٩٦٣)، ومسلم (٨٨٨)، وعن جابر رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٩٦١) ومسلم رقم (٨٨٥).

(٥) يشير رحمه الله إلى حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه، أخرجه مسلم رقم (٨٨٧)، وفي الباب نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البخاري (٩٥٩) ومسلم (٨٨٦).

(٦) يشير رحمه الله إلى حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أخرجه البخاري رقم (٩٦١ و ٩٧٨).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات»^(١).

والله تعالى يقول: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ٩-١٠].

(١) (حسن).

أخرجه أبوداود (١٦٠٩)، وابن ماجه (١٨٢٧)، والدارقطني (١٣٨/٢)، والحاكم (٤٠٩/١)، وقد حسن الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «الإرواء» (٣/ رقم ٨٤٣).

الخطبة الثانية^(١)

(١) السنة في خطبة العيدين أنها خطبة واحدة، والمتأمل للأحاديث الواردة في خطبة العيدين يرى أنها خطبة واحدة فقط، وما جاء أن النبي ق خطب في العيد خطبتين فإن ذلك لا يثبت عنه، فقد جاء ذلك صريحاً من حديث جابر بن سمرة، ولفظه: «خرج رسول الله ق يوم فطرٍ أو أضحى، فخطب قائماً ثم قعد، ثم قام».

أخرجه ابن ماجه (١٢٨٩)، وفي سنده إسماعيل بن مسلم المكي، أجمعوا على ضعفه كما في «التهذيب»، وفيه أبو بجر عبدالله بن عثمان، قال ابن المديني: ذهب حديثه، وقال أحمد: طرح الناس حديثه، وضعفه ابن معين كما في «التهذيب»، وفيه أبو الزبير مدلس وقد عنعن.

قال العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف سنن ابن ماجه»: منكر سنداً ومتناً، والمحفوظ أن ذلك في خطبة الجمعة كما في مسلم.

وجاء من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البيهقي (٢٩٩/٣)، وفي سنده الحسين بن عبدالله بن عبيدالله الهاشمي، قال ابن المديني: تركت حديثه كما في «الجرح والتعديل» (٥٧/٣). وعن سعد رضي الله عنه، أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٣١٥/١)، وفي سنده عبدالله بن شبيب الربيعي، قال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث، وقال ابن حبان: يقلب الأخبار ويسرقها، كما في «الميزان» (٤٣٨/٢).

وأثر عبيدالله بن عبدالله بن عتبة قال: السنة أن يخطب الإمام في العيدين خطبتين، يفصل بينهما بجلوس. أخرجه البيهقي في «الكبرى» (٢٩٩/٣) وغيره، وفي سنده إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي متروك كما في «التقريب»، ومع ذلك فالأثر مضطرب.

فالخاص: أن السنة في خطبة العيدين أنها خطبة واحدة لا غير، وهو ما ذهب إليه الصنعاني رحمه الله في «السبل» (١٤٠/٢) تحت شرح حديث أبي سعيد الخدري: كان النبي ق يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى.

الله أكبر (سبعًا)^(١).

الله أكبر ما تقرب عبد إلى ربه بالفريضة وتحبب إليه بالمندوب، الله أكبر ما فرغ الصائم القائم من عبادته وقد غفرت له الذنوب، الله أكبر ما ندم المقصرون على ما فاتهم من الخير المطلوب وما فيه مرغوب.

الله أكبر ما أشرقت وجوه الصائمين يوم العيد واكفهرت وجوه الفاطرين^(٢) عند الغروب، الله أكبر ما دفع الأغنياء وأخذ الفقراء هذا اليوم من هدية أو صدقة أو موهوب. الله أكبر ما أقيمت الصلاة وأكثر المؤمنون من ذكر الله وتذكر أهل القرآن قول الله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

=

وذهب إليه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في «الشرح الممتع» (١٤٦/٥)، والشيخ الألباني رحمه الله في «تمام المنة» (٣٤٨)، وشيخنا مقبل الوداعي رحمه الله فيما استفدناه من دروسه المباركة، وكذا شيخنا المحدث يحيى بن علي الحجوري حفظه الله.

وراجع ما كتبه أخونا الفاضل عبد الحميد الحجوري في رسالته «فتح الحميد المجيد في بيان الراجح في خطبة العيد» والله التوفيق.

(١) لم يحفظ عن النبي ق أنه كان يفتتح خطبة العيدين بالتكبير كما تقدم التنبيه على ذلك في أوائل هذه الخطبة.

(٢) تقدم التنبيه على هذه الكلمة، وصواب العبارة أن يقول المؤلف رحمه الله: المفطرين، لأن الفاطر هو الخالق والمبدع ولا يكون ذلك إلا لله عز وجل.

الحمد لله الذي هدانا للإسلام والإيمان، وفضل ديننا على سائر الأديان، وهذب أخلاقنا بالقرآن وسنة سيد الأكوان، وأمرنا بصالح الأعمال في كل زمان، ونهانا عن الإفراط والتفريط في كل شأن.

والله لا يأمر بالفحشاء ولكنه تعالى يأمر بالعدل والإحسان. نحمده تعالى كتب

الإحسان على كل شيء^(١)، وتبارك الله فيما نهى عنه وأمر (الله أكبر).

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فيما خلق وقدر، ولا منازع له فيما حكم أو دبر، ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله إلى الأبيض والأسود والأحمر والأصفر.

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد خير من بشر وأنذر، ورغب في الشيء أو حذر صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه من أغر ومطهر، ما خرج المسلمون يوم العيد وعليهم شعار الدين، وكلهم قد أسر بالشئاء على الله أو جهر (الله أكبر).

عباد الله: في موقفكم هذا يتجلى عليكم الرحمن بالفضل^(٢) والامتنان والرحمة والرضوان، وقد خرجتم من رمضان، وبرزتم إلى هذا المكان مستعدين لعبادة الله في كل أوان، لا تشغلکم الأفراح ولا تبطركم النعمة فتحملكم على التقصير في الطاعة أو الوقوع في المخالفة والعصيان.

لبستم الجديد فشكرتم الحميد المجيد، وتلذذتم بالطيبات من الطعام والشراب والنكاح فحمدتم الله بالغدو والرواح، وطوبى لمن حمد الله وشكر، ودعى إلى الخير فشمّر، وأسرف على نفسه فتاب وندم واستغفر.

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث شداد بن أوس رضي الله عنه أخرجه مسلم رقم (١٩٥٥).

(٢) يشير المؤلف رحمه الله بهذا الكلام إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه الأصبهاني في

«الترغيب»، وقال العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب» (١/ ٢٩٩): موضوع.

وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو حديث ضعيف، تقدم تخريجه، تحت الخطبة (٥١).

كان للجاهلية قبل الإسلام أعياد كثيرة، يعبدون الأصنام ويفعلون من الأعمال النكيرة ما يتنافى مع العقل ولا تقره الشريعة المنيرة، فكانوا يشربون الخمر ويلعبون القمار ويزنون ويرتكبون كل كبيرة، حتى بعث الله نبيه وأظهر دينه وأرشد الخلق إلى مكارم الأخلاق وأفضل سيرة، فأبدلكم بما كانوا عليه من مواسم الضلال عيد ذي الحجة وعيد شوال^(١)، وأباح لكم الطيبات من الحلال وحرم الفواحش الكبيرة منها والصغيرة.

وجعل صلاة العيد وما تسمعون بعدها بمثابة ما كان لهم من المجالس التي يعقدون فيها المؤتمر لمبادلة الرأي والمحادثات في الخوف والخطر والأمن والحذر فلکم الخير ولهم الشر، فالآن وقد قضيت الواجب وأديتم الفريضة وخرجتم من شهر الصيام والقيام فاجمعوا شملكم ولموا شعثكم وأصلحوا ذات بينكم وطهروا قلوبكم من الآثام كما تطهرون من النجاسات والأقذار ثيابكم والأجسام.

وتصافحوا وتسامحوا وتناصحوا وأرونا عليكم من جلال الإسلام ما يذكركمنا بقول العزيز العلام: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فهيا إلى الوحدة والاعتصام وكل لما خلقه الله ميسر، والأعمال تدل على الجزاء وفضل الله أوسع وأكبر، والصلاة والسلام على سيد الأنام الذي حياه ربه في أطيب الكلام، فقال

(١) يشير المؤلف رحمه الله بهذا الكلام إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه أبو داود (١١٣٤)، والنسائي (٣/ ١٧٩-١٨٠) بإسناد صحيح، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٣١١/١).

تعالى ولم يزل قائلاً عليهما: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].^(١)

(١) قال شيخنا المحدث أبو عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله: ملازمة ختم الخطبة بآية من القرآن أو تحري ختمها بحديث نبوي، كل ذلك بدعة. اهـ «من أحكام الجمعة وأحكامها وبدعها» ص (٣١٩) ط: دار شرقين.

الخطبة الثالثة والخمسون

في الحث على الحج والترغيب فيه

الحمد لله الذي ندبنا إلى حج بيته الحرام، وشوقنا إليه بالآيات القرآنية وأحاديث سيد الأنام، ثم جعله ركنًا أساسيًا من أركان الإسلام^(١)، فهو على الغني المستطيع فريضة كفريضة الصلاة والصيام.

فمن أجاب داعي الله إليه فقد فاز بالأجر العظيم ومغفرة الآثام، ومن أعرض فقد فاته الخير والوقوف بين يدي الملك العلام، في أشرف مقام، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

نحمده تعالى وهو القائل: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو القائل: ﴿إِنَّ الصَّافَّاءِ وَالْمُرَوَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨].

ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وهو القائل: «الحجاج والعمار وفد الله، يعطيهم ما سألوا، ويستجيب لهم ما دعوا، ويخلف عليهم ما أنفقوا»^(٢).

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري رقم (٨)، ومسلم رقم (١٦) وغير ذلك من الأحاديث.

(٢) (ضعيف).

أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في «أحاديث بكر بن بكار» (٢/٣)، وتمام في «الفوائد» (٢/٢٥٢)، وابن =

فهيا إلى الحج يا عباد الله، اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد بن عبدالله أفضل قانت وأواه وخير من تقرب إلى الله بالحج والعمرة والصلاة والإنفاق في سبيل الله.

=

عدي في «الكامل» (١/ ٣٠١)، كما في «الصحيحة» للعلامة الألباني رحمه الله (٤/ ٤٣٥) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وفي سنده محمد بن أبي حميد المدني الملقب بحماد ضعيف كما في «التقريب»، قال ابن أبي حاتم في «العلل» رقم (٨٩٤): سمعت أبي يقول: هذا حديث منكر. اهـ.

وفي الباب عن جابر رضي الله عنه، أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» رقم (١١٥٣)، وفيه محمد بن أبي حميد المدني ضعيف كما تقدم، وقد ذكر البزار له متابعا وهو طلحة بن عمرو المكي، وطلحة هذا متروك كما في «التقريب» فلا يفرح بمتابعته.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه ابن ماجه (٢٨٩٣)، وابن حبان (٤٦١٣)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٤٢٢) رقم (١٣٥٥٦)، وفي سنده عمران بن عيينة الهلالي ضعيف على الراجح، وعطاء بن السائب ثقة مختلط، ولا ندري هل سمع منه عمران قبل الاختلاط أم بعده.

وللحديث طريق أخرى منقطعة، أوردها ابن أبي حاتم في «العلل» رقم (٨٨٧) ثم قال: قال أبي: هذا حديث خطأ، إنما هو أبوبكر بن حفص عن عمر مرسل، وقد أدرك أبوبكر بن حفص ابن عمر ولم يدرك عمر. اهـ.

وله شاهد آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه ابن ماجه (٢٨٩٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٥/ ٢٦٢)، وفي سنده صالح بن عبدالله بن صالح العامري، قال البخاري: منكر الحديث.

فالحديث بمجموع طرقه لا يرتقي للحجية، ومع هذا فقد صححه المحدث الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (١٨٢٠)، والله المستعان.

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين له بإحسان ما عظم الحاج ربه بالتكبير ولباه، ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح: ٢٧].

عباد الله: لقد فرض الله عليكم الحج والعمرة إذا استطعتم الزاد والراحلة^(١)، ودعاكم إلى ضيافته في البيت العتيق حيث تنزل رحماته الشاملة وتتابع بركاته النازلة.

وقال لإبراهيم عليه السلام بعد أن فرغ من بناء الكعبة التي يؤمها الناس للفريضة والنافلة: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

فمرحبًا بالموحدين والقافلة، وما من نبي إلا وقد حج بيت الله^(١)، وزار البقاع المقدسة وأدى المناسك فيها كاملة، وكان العرب قبل الإسلام يعظمون البيت ويحجون، ويتقربون

(١) أما فريضة الحج فبدلالة القرآن العظيم، قال الله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وغير ذلك من الأدلة.

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه في مسلم (١٣٣٧)، وفيه: «أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا»، ولحديث ابن عمر: «بني الإسلام على خمس...» الحديث وغير ذلك من الأحاديث.

وأما العمرة فلما أخرجه أحمد (١٠/٤، ١١)، وأبو داود (١٨١٠)، والترمذي (٩٣٠)، والنسائي (١١١/٥، ١١٧)، وابن ماجه (٢٩٠٦) من حديث أبي رزين العقيلي، ولفظه مرفوعًا: «احجج عن

أبيك واعتمر» الحديث صححه شيخنا مقبل رحمه الله في «الصحيح المسند» (٢/٢٧٣).

(١) يشير رحمه الله إلى عدة أحاديث وردت في الباب، منها:

حديث ابن عباس في «صحيح مسلم» رقم (١٦٦) أن رسول الله ق قال: «كأني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطاً من الثنية وله جوار إلى الله بالتلبية»، ثم قال: «كأني أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة عليه جبة من صوف، خطام ناقته خلبة وهو يليق».

وفي «صحيح البخاري» (٥٩٠٢) ومسلم (١٦٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ق رأى المسيح ابن مريم يطوف بالبيت. فالله أعلم.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٥٢٣/٣) ط: السلام/ تحت شرح (١٥٥٥): وفي الحديث أن التلبية في بطون الأودية من سنن المرسلين، وأنها تتأكد عند الهبوط كما تتأكد عند الصعود. اهـ

وفي الباب عن عبدالله بن عمرو من قوله: (وكان الأنبياء يحجونه، يعني البيت، ولا يعلمون مكانه)، رواه الطبراني في «الكبير» كما في «ضعيف الترغيب» (٣٤٧/١)، قال الشيخ الألباني رحمه الله: ضعيف، وهو من رواية أبي قلابة عن عبدالله بن عمرو، وأبو قلابة مدلس وقد أرسله في رواية عند الطبري.

وعن ابن عباس مرفوعاً: «في مسجد الخيف سبعون نبياً، منهم موسى ﷺ وهو محرم»، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥/رقم ٥٤٠٧)، وفي «الكبير» (١١/٤٥٢-٤٥٣)، والفاكهي في «أخبار مكة» (٢٦٦/٤).

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/٢٢١): فيه عطاء بن السائب وهو مختلط. قلت: والراوي عنه محمد بن فضيل، قال أبو حاتم: وما روى عنه ابن فضيل بلغني فيه غلط واضطراب. اهـ من «الكواكب النيرات» (٣٣١).

ومع ذلك فقد حسن الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «تحذير الساجد» (١٠٦).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً: «لقد مرّ بالصخرة من الروحاء سبعون نبياً حفاة عليهم العباء، يؤمون بيت الله العتيق، منهم موسى نبي الله ﷺ»، أخرجه أبو يعلى رقم (٧٢٣١ و٧٢٧١).

وفي سنده إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع الأنصاري ضعيف كما في «التقريب»، وفيه يزيد بن أبان الرقاشي زاهد ضعيف، وأبوه أبان بن عبدالله الرقاشي، قال ابن معين والدارقطني: ضعيف، وقال ابن عدي: =

إلى الله عنده بأعمالهم الباطلة^(١).

فأرشدنا القرآن في مناسك الحج إلى الطريقة المستقيمة وحذرنا من الطريقة المائلة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوا كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِينَ﴾ [البقرة: ١٩٨].

=

حدث عنه ابنه بأحاديث مخارجها ظلمة. «الميزان» (١٠ / ١). وعن أنس بن مالك رضي الله عنه بنحو حديث أبي موسى رضي الله عنه، أخرجه أبو يعلى رقم (٤٢٧٥)، وفي سنده سعيد بن مسيرة، قال البخاري: عنده منكر الحديث، وقال الحاكم: روى عن أنس موضوعات، وكذبه يحيى بن معين، وقال ابن حبان: يقال إنه لم ير أنس بن مالك، وكان يروي عنه الموضوعات التي لا تشبه أحاديثه ... ترجمته في «المجروحين» (٣١٦ / ١)، و«الميزان» (٢ / ١٦٠ - ١٦١).

وروى أحمد في «مسنده» (٢٣٢ / ١) عن ابن عباس، وفيه تلبية هود وصالح يحجون البيت العتيق، وفي سنده زمعة بن صالح الجندي ضعيف، ويزداد ضعفاً إذا روى عن سلمة بن وهرام، قاله أحمد وابن عدي، وهو هنا كذلك، هذا ما وقفت عليه في مسألة حج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمسألة تحتاج إلى مزيد نظر أكثر والله أعلم.

وللمزيد راجع «فضائل مكة» (٢ / ٥٨٨-٥٩٥) تأليف / د/ محمد بن عبد الله الغبان، و«القرى لقاصد أم القرى» لأبي العباس الطبري المكي (٥١-٥٦)، و«مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» (٢ / ١٢٦-١٢٨)، والله أعلم.

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه مسلم رقم (١١٨٥)، وفي الباب عن عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري رقم (١٧٩٠) ومسلم (١٢٧٧)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري (١٦٢٢) ومسلم (١٣٤٧).

فبادروا أيها المسلمون إلى حج بيت الله قبل أن تعرض لكم العوارض^(١)، وتمنعكم الموانع، وجودوا بأموالكم في أداء هذه الفريضة ومهما تنفقوا من الخير فإنه لكم محفوظ وليس عند الله بضائع، وكونوا من الذين قال فيهم الخليل عليه السلام: ﴿فَجَعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وعساه يدفعكم إلى باب ربكم الكريم هذا الدافع، وسيروا إلى الله عرجًا ومكاسير، ولا تنتظروا الصحة، فإن انتظار الصحة بطالة، ونعم المسير إلى تلکم المربع، وكونوا من الطائفين والعاكفين والركع السجود بين يدي واسع الجود، فنعم الساجد ثمة والراكم، واعلموا أن الحسنة في مكة المكرمة بمائة ألف حسنة في غيرها، والسيئة كذلك^(٢)؛ لأنها حرم الله ومقر كل طائع، ومهبط الوحي ومبعث الحبيب

(١) هذا الكلام صحيح، ومبناه على حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «تعجلوا الحج، يعني الفريضة، فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له»، أخرجه أحمد (٣١٤ / ١) بإسناد حسن في المتابعات، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في «الإرواء» رقم (٩٩٠).

(٢) هذا الكلام مبناه على حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: «وما حسنة الحرم؟ قال: بكل حسنة مائة ألف حسنة»، أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٢ / ٢٥)، وابن خزيمة (٤ / ٢٤٤)، والطبراني في «الكبير» (١٢ / ١٠٥)، وفي «الأوسط» (٢٦٧٥)، والحاكم (١ / ٤٦٠-٤٦١)، والبيهقي في «الكبرى» (٤ / ٣٣١) و(١٠ / ٧٨).

وفي سنده عيسى بن سودة، ويقال له: عيسى بن سواء، ترجمه الذهبي في «الميزان» (٣ / ٣١٢-٣١٣) وقال: قال أبو حاتم: منكر الحديث، وقال ابن معين: كذاب رأيته، وقال البخاري في «الضعفاء الكبير»: منكر الحديث. اهـ

وقال العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» بعد إيراد الحديث رقم (٤٩٥): ضعيف جدًا، وانظر رقم =

الشافع، يوم تضع الحوامل وتذهل المراضع، وحسبك يا مكة أن الله قد أقسم بك في محكم الذكر المبين بقوله تعالى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ١-٣].

إذا خرج الحاج من بيته وأدركه الموت قبل الوصول فقد وقع أجره على الله^(١)، والحاج في ضمان الله من حين يخرج من بيته إلى أن يردّه أو يتوفاه^(٢)، ودعوته مستجابة^(٣)، وأعماله مقبولة وحسناته مضاعفة^(٤)، مادام يريد بذلك وجه الله، ﴿الْحَجُّ

=

(٣٤٩٩).

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي هريرة مرفوعاً: «من خرج حاجاً فمات كُتِبَ له أجر الحاج إلى يوم القيامة»، أخرجه أبويعلى رقم (٦٣٥٧)، وفي سننه محمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن، وجميل بن أبي ميمونة ترجمه البخاري في «تاريخه» (٢/٢١٦) وتبعه على ذلك ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/٥١٩) ولم يرو عنه سوى اثنين ولم يذكر فيه جرّحاً ولا تعديلاً. وقد صحح الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (٢/١٢).

(٢) هذا الكلام مبناه على حديث أبي أمامة رضي الله عنه، ولفظه مرفوعاً: «الحاج في ضمان الله مقبلاً ومدبراً...» الحديث.

قال العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٣٥٠٠): موضوع، أخرجه الديلمي (٢/٩٨)، وآفته: عبدالله بن محمد بن يعقوب وهو الحارثي، قال أبو سعيد الرواس: يتهم بوضع الحديث، وشيخه العباس بن عبدالعزيز لم أعرفه، وكذا سليمان بن عبدالله، والحديث لوائح الوضع ظاهرة عليه. اهـ بتصرف

(٣) يشير رحمه الله إلى أحاديث وردت في ذلك، وهي ضعيفة تقدم تخريجها في أوائل هذه الخطبة.

(٤) الأحاديث الواردة في ذلك ضعيفة كما تقدم تخريجها في أوائل هذه الخطبة.

أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ﴿البقرة: ١٩٧﴾، والنفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله ^(١) يضاعفها الله لصاحبها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وما أكرم الله، وسبحانه ما أعظم فضله وما أكثر عطاءه، ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، تحف ملائكة الله بعرشه العظيم فوق السماء السابعة وتحج بيته المعمور في السماء الرابعة ^(٢)، وتقف بين يديه خاشعة لجلاله ولعظيم سلطانه خاضعة، ولما أسكن الأرض آدم وذريته وحكم عليهم بالبقاء فيها إلى أن تقع الواقعة.

(١) يشير رحمه الله إلى عدة أحاديث في الباب، منها حديث ابن عباس رضي الله عنهما، مرفوعاً: «أما إنك لو أحججتها عليه، يعني على الجمل، لكان في سبيل الله»، أخرجه أبو داود (١٩٩٠)، وابن خزيمة (٣٠٧٧)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (١٤/٢)، وشيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (١/٥٥٩).

وفي الباب عن أم معقل رضي الله عنها، مرفوعاً: «فها خرجت عليه، يعني على الجمل، فإن الحج في سبيل الله»، أخرجه أبو داود (١٩٨٩)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (١٥/٢).

(٢) أما كون البيت المعمور في السماء، فهذا ثابت في البخاري (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٤) من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه، وهو حديث الإسراء، وفيه قال رسول الله ق بعد مجاوزته إلى السماء السابعة: «ثم رفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم».

وأما كون الملائكة تحجه فهذا الكلام مبني على أحاديث ضعيفة، منها ما أخرجه ابن عدي في «الكامل» =

وعلم سبحانه أنهم يذنبون ثم يتوبون، فوضع لهم الكعبة في بقعة من الأرض جامعة، ثم دعاهم إلى طاعته وأن يستغفروا لذنوبهم عند بيته المعظم بين الركن والملتزم^(١) والمقام وزمزم.

فجاء المسلمون من البلاد البعيدة والأقطار الشاسعة، يتغون فضلاً من الله ورضوان وأن ينظر إليهم بعين رحمته، ويفيض عليهم من أنواره الساطعة، قالوا: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ

=

(٢٥٩/٥) من حديث أبي هريرة مرفوعاً، وفيه: «في السماء بيت يقال له المعمور، بحذاء بيت الله، يحجه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون فيه إلى يوم القيامة».

قال ابن عدي عقبه: وهذا منكر عن قتادة بهذا الإسناد ...

قلت: الحديث ذكره ابن عدي في ترجمة عيسى بن عبدالله العسقلاني، وقال فيه: ضعيف يسرق الحديث، وفي الباب عن ليث بن معاذ، أخرجه أبو الوليد الأزرق في «أخبار مكة» (٣٥/١)، والفاكهي في «أخبار مكة» كما في «الإصابة في تمييز الصحابة» (٥١٦/٥)، وهو حديث موضوع، والواضع له عباد بن كثير الثقفي، قال الحافظ في «التقريب» متروك، قال أحمد: روى أحاديث كذب.

ومع كونه موضوعاً فهو مرسل؛ لأن ليث بن معاذ ليس من الصحابة، قال الحافظ: ذكره بعضهم يعني في الصحابة، ولا يصح إنما هو تابعي أرسل حديثاً. اهـ من «الإصابة» المصدر السابق، وفيه عثمان بن عمرو بن ساج فيه ضعف كما في «التقريب».

فالحديث ضعيف هذا الذي وقفت عليه من الأحاديث في ذلك والله أعلم.

(١) الملتزم: هو ما بين الركن والباب، وهو مقدار أربع أذرع، راجع «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» (٩٠/٢).

ولم يثبت عن النبي ق أنه كان يلتزم بين الركن والباب، أي يلصق صدره ووجهه ويدعو، ولكن قد جاء عن بعض التابعين أنهم كانوا يفعلون ذلك، وخير الهدي هدي رسول الله ق.

أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿البقرة: ١٢٧-١٢٨﴾.

فذنبنوا كثيرة ورحمتك واسعة، ولو ترى أيها المسلم إخوانك وهم في المطاف يدعون ربهم باللسنة طاهرة وقلوب خاشعة ونفوس متواضعة فتصعد منهم الزفرات ويسكبون العبرات ويطأطئون إلى الأرض رقابهم العاصية، ويرفعون إلى السماء أبصارهم وأعينهم دامعة، ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧-١٤٨].

هنيئاً لكم أيها الحجاج وأنتم ترفعون أصواتكم بالتهليل والتكبير والتلبية، لبيك اللهم لبيك لا شريك لك، لبيك إن الحمد والنعمة لك لا شريك لك، لبيك يا باسط اليدين بالعطية وصاحب المواهب السنية.

هنيئاً لكم وقد لبستم البياض ما بين ضيق وفضفاض، وتركتم الإعراض وأقبلتم على عبادة الله في تلكم الأراض، ورفعتم أصواتكم لله من المواقيت الزمانية^(١)

(١) المواقيت الزمانية: هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿الْحُجَّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾، وقد أجمعوا على أن شوال وذا القعدة من أشهر الحج، واختلفوا في شهر ذي الحجة، هل يدخل ذلك بتمامه أم بعضه، والصحيح أنه يدخل بتمامه وهو قول مالك، ورجحه ابن حزم واختاره ابن عثيمين، واستدلوا على ذلك بأدلة منها قوله تعالى: ﴿الْحُجَّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾، وغير ذلك من الأدلة وللمزيد راجع «المحلى» =

والمكانية^(١) بالإحرام والنية، هنيئاً لكم وأنتم داخلون في حرم الله متمتعين بالنظر إلى الكعبة المبنية بأيدي الملائكة^(٢) والأنبياء، وعليها جلال الله ومنها تشع أنواره القدسية فأنتم

=

(٨٢١)، و«المغني» (١١٠ / ٥)، و«الشرح الممتع» (٧ / ٤٤-٥٧).

(١) المواقيت المكانية: وهي مجمع الزوائد عليها جاءت في حديث ابن عباس في البخاري (١٥٢٤) ومسلم (١١٨١) أن النبي ق وَّت لأهل المدينة ذا الخليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم.

وهناك ميقات خاص وهو ذات عرق، قال ابن قدامة: فأما ذات عرق فميقات أهل المشرق في قول أكثر أهل العلم، راجع «المغني» (٥ / ٥٦-٥٧)، و«المجموع» (٧ / ١٩٧).

(٢) الصواب أن الكعبة بناها خليل الله إبراهيم بمساعدة ابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، وهو الذي دل عليه القرآن، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وما ورد أنها بنيت قبل ذلك فغير صحيح، أو ليس بمرفوع، وقد ذكر الحافظ ابن جرير رحمه الله في «تفسير سورة البقرة» آية (١٢٧) (٢ / ٥٥٦) ت: التركي / بعض الآثار في هذا المعنى، ثم قال: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن إبراهيم خليله أنه وابنه إسماعيل رفعوا القواعد من البيت الحرام...

ثم ذكر أقوالاً أخرى، وقال: لا علم عندي بأي ذلك كان؛ لأن حقيقة ذلك لا تدرك إلا بخبر عن الله وعن رسوله ق بالنقل المستفيض، ولا خبر بذلك تقوم به الحجة، فلا قول في ذلك أولى بالصواب مما قلناه. اهـ

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ولم يجيء في خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنياً قبل الخليل، ومن تمسك في هذا بقوله: (مكان البيت) فليس بناهض ولا ظاهر؛ لأن المراد مكانه المقدر في علم الله المقرر في قدرته...

=

بها طائفون وفي المسجد عاكفون وراكعون وساجدون والله حامدون على ما حضيتم به من السعادة الأبدية والكرامة السرمدية.

ويا ليتني كنت معكم فأفوز فوزًا عظيمًا وأنتم ذاهبون إلى عرفات خاشعين لله رب البرية، وقد اجتمعتم هناك سواسية وبحالة مرضية لا فرق بين قوي وضعيف، ودني وشريف، وكأنكم واقفون لفصل القضاء في عرصات القيامة بين باك وداع ومستغفر لما أسلف من ذنب وخطيئة، يباهي بكم ربكم الملائكة في السماوات العلية^(١)، والقرآن يناديكم بقوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾* وَلَا تُفْسِدُوا فِي

=

وقد ذكرنا أن آدم نصب عليه قبة، وأن الملائكة قالوا له: قد طفنا قبلك بهذا البيت ... أو نحو ذلك، ولكن كل هذه الأخبار عن بني إسرائيل، وقد قررنا أنها لا تصدق ولا تكذب، فلا يحتج بها، فإما إن ردها الحق فهي مردودة. «البداية والنهاية» (١/ ٣٧٨-٣٧٩) ت/ التركي.

وقال في موضع آخر: ظاهر القرآن يقتضي أن إبراهيم أول من بناه مبتدأً، وأول من أسسه، وكانت بقعته قبل ذلك معتنى بها مشرفة في سائر الأعصار والأوقات، قال الله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]. المصدر السابق (٣/ ٤٧٥).

فالخاصل: أن ظاهر القرآن كما تقدم يدل على أن الباني إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، وقد أشار تقي الدين الفاسي إلى عدم ثبوت بناء الملائكة وآدم للكعبة، وأنه على فرض صحة ذلك، فالمراد به التأسيس. انظر «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام» لأبي الطيب محمد بن أحمد بن علي الفاسي المالكي (١/ ٩١) ط/ دار الكتب العلمية.

(١) يشير رحمه الله إلى حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه مسلم (١٣٤٨) مرفوعاً ولفظه: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء».

الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٥﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦]، وقبل الغروب تفيضون من عرفات، كأنكم الجراد المنتشر إلى البيت ورمي الجمرات، وهناك تخلقون رؤوسكم وتذكرون الله في أيام معدودات، ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

بترك السيئات وفعل ما أمرتم به من الحسنات وهناك تخرجون من ذنوبكم كيوم ولدتكم الأمهات^(١)، إلا ذنوب المظالم فإنه لا يكفرها إلا المسامحة أو ردها إلى صاحبها إن كان حيًّا أو إلى ورثته إن كان قد مات.

وفي تلكم الأيام تتقربون إلى الله بالضحايا والهدايا والفدايا ومختلف أنواع التبرعات وأطيب الصدقات، فإذا قضيت مناسكتكم ورجعتم إلى مكة لطواف الإفاضة والسعي بين الصفا والمروة.

فاذكروا الله كذكركم للآباء والأمهات، والبنين والبنات، ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤].

فيا عباد الله من اشتاق إلى الحج وهو مستطيع فليبادر بالذهاب، ومن كان عاجز فقير فلا يكلف نفسه المشاق والأتعاب، ومن عزم على الرحيل فليستعد بما يحتاج إليه من طعام

(١) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه» أخرجه البخاري (١٨١٩ و ١٨٢٠) ومسلم (١٣٥٠).

وشراب ومركوب وثياب، ممتثلاً قول الله جل ذكره: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وما ينبغي لعبد يريد الوقوف بذلكم الباب، أن يحتاج إلى أحد من الناس وهو بين يدي رب الأرباب، ومن وسع الله عليه رزقه فلا ينبغي له الإعراض والتشاغل عن هذه العبادة التي دعي إليها بآيات الكتاب، وبها يتعارف المسلمون.

ويتصل بعضهم ببعض ليشهدوا منافع لهم وتتوثق بينهم روابط الدين والآداب. أما أنت أيها الفقير فحجك أن تتوجه إلى الله بالإجابة وتسأله الرزق والمعونة والتوفيق للصواب، فإنه يجيب دعوة الداعي حيث كان.

فأعظم به من محبب وأكرم بدعوة المستجاب وجهادك في سبيل الله أن تسعى على نفسك وعلى من تعوله بالكد والاكْتِسَاب، ورب فقير يريد الحج فلا يستطيع يكتبه الله من الواقفين الفائزين ويعظم له الأجر والثواب، ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

قال رسول الله ﷺ: «من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه»^(١).

(١) أخرجه البخاري رقم (١٨١٩ و ١٨٢٠) والسياق له، ومسلم (١٣٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال عليه السلام: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»^(١)،
وقال عليه السلام: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث
الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة»^(٢).
وقال عليه السلام: «يغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج»^(٣).

(١) أخرجه البخاري رقم (١٧٧٣) ومسلم (١٣٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) (حسن).

أخرجه أحمد (٣٨٧/١)، والترمذي (٨١٠)، والنسائي في «المجتبى» (١١٥-١١٦/٥)، وفي «الكبرى»
(٣٦١٠)، وأبو يعلى (٤٩٧٦ و ٥٢٣٦) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.
وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» تحت رقم (١٢٠٠)، وشيخنا العلامة مقبل الوداعي
رحمه الله في «الصحيح المسند» (٦٦٧-٦٦٨).

وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه النسائي في «المجتبى» (١١٥/٥)، والطبراني في
«الكبير» (١١٩٦ و ١١٤٢٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» المصدر السابق،
وحسنه شيخنا العلامة مقبل الوداعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٥٦١/١).
وعن عامر بن ربيعة، أخرجه أحمد (٤٤٦/٣، ٤٤٧)، وفي سنده عاصم بن عبيد الله ضعيف، وقد
اضطرب في هذا الحديث كما في تحقيق «مسند أحمد» (٤٦٠/٢٤).

وعن جابر وابن عمر وعمر رضي الله عنهم، انظر الكلام عليها في «الصحيحة» المصدر السابق، بما
حاصله أن الحديث صحيح.

وقوله: «ليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة» ثابتة في «الصحيحين» كما تقدم.
(٣) (ضعيف).

أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٤٠/٢) رقم (١١٥٥)، والطبراني في «الصغير» رقم (١٠٨٩)، =

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

=

وابن خزيمة (٤/١٣٢) رقم (٢٥١٦)، والحاكم (١/٤٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ولفظ الحاكم والطبراني وابن خزيمة: «اللهم اغفر للحاج، ولمن استغفر له الحاج»، وفي سنده شريك بن عبدالله النخعي القاضي ضعيف. وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب» (١/٣٤٦)، وشيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في «تبعه لأوهام الحاكم في المستدرک» (١/٦٠٩).

الخطبة الرابعة والخمسون

لعشر ذي الحجة

الحمد لله المحمود بكل لسان المعبود في كل زمان، المقصود من كل مكان، يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن، جعل عدة الشهور اثني عشر شهراً منها أربعة حرم في السنة^(١) والقرآن.

وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

نحمده تعالى ونشهد أن لا إله إلا الله إيماناً وتسليماً، بقوله تعالى: ﴿أَمَنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢].

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق فيما أخبر به عن الله، المخاطب بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

(١) يشير رحمه الله إلى عدة أحاديث، منها حديث أبي بكرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٣١٩٧)، ومسلم (١٦٧٩).

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد التقي الأواه، وعلى آله وصحبه ومن والاه،
 ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعِتْنَمَ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ
 الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧].

عباد الله: إن الذي فرض عليكم الطاعة في الشهر الحرام، هو الذي فرضها عليكم في
 سائر الأيام، فاعبدوه على كل حال وفي كل زمان ليزحزحكم بطاعته عن النار ويدخلكم
 دار السلام.

وقد أضلكم شهر حرام وفيه تسن كثرة الصيام والقيام^(١)، ومنه عشر ليال أقسم الله بها
 في كلامه الذي هو أصدق الكلام^(٢)، وبها أتم الله الموعد لموسى بن عمران^(٣) عليه وعلى
 سائر الأنبياء أفضل الصلاة والسلام.

(١) لعموم الأدلة، ومن ذلك ما أخرجه البخاري رقم (٩٦٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر
 «لطائف المعارف» لابن رجب (٤٦١-٤٦٢).

(٢) هذه العشر الليالي هي المشار إليها في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالْفَجْرِ*وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١-٢].
 قال الحافظ ابن كثير في تفسير «سورة الفجر»: والليالي الشعر المراد بها عشر ذي الحجة، كما قاله ابن
 عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف. اهـ
 وذهب إلى هذا القول الحافظ ابن رجب في «لطائف المعارف» (٤٧٠).

(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسير آية (١٤٢) من «سورة الأعراف» ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً
 وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾: اختلف المفسرون في هذه العشر ما هي؟ فلا أكثر من على أن الثلاثين ذو القعدة،
 والعشر عشر ذي الحجة، قاله مجاهد ومسروق وابن جريج، وروي عن ابن عباس، فعلى هذا يكون
 قد كمل الميقات يوم النحر. اهـ

وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] ^(١).

فله الحمد على الكمال وله الشكر على التمام، ومن أحسن فيها العمل أحسن الله له الجزاء، كما يقول تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٦٠-٦١]، قال رسول الله ﷺ: «من صام يوم عرفة غفر له ذنب ستين متتابعين» ^(٢)، وسئل ابن عمر رضي الله عنهما عن صوم يوم عرفة فقال: كنا ونحن مع رسول الله ﷺ نعدله بصوم ستين ^(٣).

=

وذكر الحافظ ابن رجب من فضائل عشر ذي الحجة أنه من جملة الأربعين التي واعدتها الله عز وجل موسى عليه السلام. اهـ من «لطائف المعارف» (٤٧٠).
قلت: وهذا القول مبناه على كثير من الآثار عن الصحابة رضوان الله عليهم فالله أعلم بذلك. راجع «الدر المنثور» (٥٣٩-٥٤١/٦)، و«تفسير ابن جرير» (١٠/٤١٤-٤١٧)، و«تفسير ابن كثير» سورة البقرة آية (٥١). والله أعلم.

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عمر رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٤٥) ومسلم (٣٠١٧).
(٢) (حسن).

أخرجه أبو يعلى (١٣/٧٥٤٨)، والطبراني في «الكبير» (٦/٥٩٢٣) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، وقد صحح الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (٥٩٠/١).

(٣) (ضعيف).

أخرجه النسائي في «الكبرى» رقم (٢٨٢٨)، والطبراني في «الأوسط» رقم (٧٥١) من حديث ابن عمر =

وقال رجل من أهل الكتاب لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين، إن في كتابكم آية لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا يوم نزولها عيداً، فقال له: وأي آية هذه؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فقال رضي الله عنه: قد والله علمنا يوم نزولها، وفي أي مكان نزلت، كان ذلك يوم الجمعة، ويوم عرفة، ورسول الله ﷺ يخطب الناس^(١)، فيا لهما من عيدين ويا لهما من مزيتين، فاحترموا ذلك اليوم واغتنموا فيه اجتماع النعمتين، ودائنوا فيه ربكم بالعمل الصالح الذي يثيب على الخير ويوفي لعبده قضاء الدين، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٤٧].

=

رضي الله عنهما، وحسنه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٩٠)، والشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (١/ ٥٩١).

ولفظ النسائي: «نعدله بصوم سنة»، قال النسائي عقبه: هذا حديث منكر. قلت: في سنده أبو حريز عبد الله بن حسين الأزدي ضعيف كما في ترجمته من «التهذيب»، والراوي عنه فضيل بن ميسرة الأزدي وهو وإن كان ثقة إلا أن ابن المديني قال: سمعت يحيى بن سعيد يقول: قلت للفضيل بن ميسرة: أحاديث أبي حريز، قال: سمعتها فذهب كتابي، فأخذته بعد ذلك من إنسان. اهـ من «التهذيب».

ففي روايته عنه ضعف؛ لأنه أخذها من إنسان آخر، والله أعلم بحال هذا الإنسان.

(١) أخرجه البخاري رقم (٤٥) ومسلم (٣٠١٧) من حديث عمر رضي الله عنه.

ومن السنة في هذه الأيام كثرة التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير^(١)، وتفقد أحوال الأرامل والأيتام ومواساة المساكين وإطعام البائس الفقير، ومن أراد أن يضحى فلا يخلق

(١) يشير رحمه الله إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه أحمد (٢/ ٧٥، ١٣١)، وفي سنده يزيد بن أبي زياد الهاشمي ضعيف.

وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه الطبراني في «الكبير»، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب» (١/ ٣٦٤)، فالأحاديث الواردة في ذلك ضعيفة، لكن التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير يندرج تحت العمل الصالح المرغب فيه في عشر ذي الحجة، وداخل تحت قول الله عز وجل: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٢٨]. وجمهور العلماء على أن هذه الأيام المعلومات عشر ذي الحجة، وراجع «لطائف المعارف» لابن رجب (٤٧١-٤٧٦).

الشعر ولا يقلم الأظافر^(١).

وإذا كان يوم العيد استحب له الإمساك حتى يأكل من أضحيته^(٢)، وينبغي للمصلين المسارعة والتكبير فلا تقولوا إلا خيرًا، ولا تعملوا إلا عملاً صالحًا فإن الله سميع لما تقولون، وبما تعملون بصير، ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

واسألوه تعالى أن يغفر لكم ما يكون وما قد كان، واعلموا أن العيد ليس لمن لبس الحديد، وتلذذ بالطعام والشراب ومعانقة الغيد^(٣)، ولكنه لمن عرف حق الله على العبيد، فاستعدوا ليوم الوعيد والعيد لمن ظفر بقوله تعالى: ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ * لَهُمْ مَا

(١) يشير المؤلف رحمه الله تعالى إلى حديث أم سلمة رضي الله عنها، أخرجه مسلم رقم (١٩٧٧)، قال الدارقطني كما في «زاد المعاد» (٢/ ٣٢٠): الصحيح عندي موقوف على أم سلمة.

(٢) يشير رحمه الله إلى حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه، أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٢)، (٣٥٣)، والترمذي (٥٤٢)، وابن ماجه (١٧٥٦)، وابن حبان (٢٨١٢)، والبيهقي (٣/ ٢٨٣)، والحاكم (١/ ٢٩٤)، وإسناده حسن وقد صحح الحديث الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (١/ ١٦٨)، وقال الحاكم بعد أن صحح حديثه: وهذه سنة عزيزة من طريق الرواية مستفيضة في بلاد المسلمين.

(٣) الغيد: هي المرأة المثنية من اللين، كما في «لسان العرب» مادة: غيد.

يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٢﴾ [ق: ٣٢-٣٥]، ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٥٤-٥٥].

فإذا حل بكم اليوم المبارك فاتقوا الله فيه، وتمتعوا بالطيبات من الطعام والشراب والبعال، ووسعوا فيه على أنفسكم وأهليكم وجيرانكم وأقاربكم وعلى العيال.

واعتبروا ضحاياكم مطاياكم إلى الله العظيم المتعال، وتصافحوا وتعانقوا وتزاوروا وتبادلوا طيب الكلام، وأفشوا بينكم السلام، وطيبوا لإخوانكم في الأقوال والأفعال، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١].

أيها المسلمون: لا تصرفوا أموالكم أيام العيد فيما حرم الله ولا يشغلنكم القات واستماع الآلات عن ذكر الله وعن الصلاة ولا يتجلى عليكم الله بفضله وأنتم في الحانات وبيوت الدعارات يا عباد الله، فيسحتكم بعذاب من عنده، وما أشد غضب الله.

ويا ندامة من يأتيه عذاب الله، ولا تجعلوا مبارزكم للغيبة والنميمة والسب والشتم وألفاظ البذاءة إن كنتم تؤمنون بالله، وتدبروا قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥].

يا مؤمناً بالله، لا تشتري بهالك الطيب عذاب النار، ولا تجعل العيد موسماً للخمر والزنا والواط ولعب القمار، ولا تذهب إلى السينما ومجتمعات الفساق والفجار.

ولا تمكن امرأتك أو ابتك أو من يهلك أمره من الحضور في دار السينما فلبئس الحضور ولبئس الدار، فإنما جعلت لمحاربة الفضيلة والإشادة بعمل الأشرار، وإن أبيت إلا ذلك فتهيئ لقوله تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿فَبَايَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٤٣-٤٥].

فتوبوا إلى الله عباد الله، واستغفروه واستعينوا به تعالى واذكروه واشكروه على نعمائه ولا تكفروه، وسبحوا بحمده في هذه الأيام وكبروه، واسألوه من فضله فإنه الذي يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

(الحديث) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام» - يعني أيام العشر -، قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع بشيء من ذلك» رواه البخاري وغيره ^(١).

جعلني الله وإياكم من خيار خلقه ومتعنا بالطيبات من رزقه ووفقنا لشكره والاعتراف بحقه، آمين.

(١) أخرجه البخاري رقم (٩٦٩)، وأحمد (٢٢٤/١)، وابن ماجه (١٧٢٧)، والترمذي (٧٥٧)، والسياق المذكور لهم دون البخاري.

الخطبة الخامسة والخمسون

عيد الأضحى

الله أكبر (تسعا) ^(١).

الله أكبر ما تحركت قلوب الحجاج إلى بيت الله الحرام، الله أكبر ما كبروا ولبوا ولبسوا ثياب الإحرام، الله أكبر ما طافوا بالكعبة واستلموا الحجر الأسود ففازوا بالطواف والاستلام.

الله أكبر ما سعوا بين الصفا والمروة وشربوا ماء زمزم وصلوا خلف المقام، الله أكبر ما وفقوا بعرفة وباتوا بمزدلفة ورموا ونحروا وحلقوا بمنى وذكروا الله عند المشاعر العظام.

الله أكبر ما اهتزت النفوس شوقاً إلى المدينة المنورة ^(٢) على ساكنها الصلاة والسلام، الله أكبر ما اجتمع المسلمون في هذا اليوم وهو أشرف الأيام ^(٣)، الله أكبر ما صلوا ونحروا وشكروا الله على نعمة الإسلام.

(١) افتتاح خطبة العيدين بالتكبير ليس من السنة كما تقدم التنبيه على ذلك تحت الخطبة (٥٢).

(٢) لا يثبت تسمية المدينة بالمنورة ما سبق التنبيه على ذلك مراراً.

(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث جابر رضي الله عنهما، أخرجه أبويعلى (٢٠٩٠)، والبزار كما في «كشف الأستار» رقم (١١٢٨)، وابن حبان (٣٨٥٣)، وفي سنده أبو الزبير مدلس وقد عنعن.

وقد صحح الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (٣٢/٢)، ويغني عنه حديث عبدالله بن قرط رضي الله عنه مرفوعاً: «أعظم الأيام عند الله يوم النحر» أخرجه أحمد (٣٥٠/٤)، =

الله أكبر ما قرأ الناس، قول الله عز وجل: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ﴾ [الفجر: ١-٥]، الله أكبر (ثلاثاً).

الحمد لله الثابت وجوده، العظيم جوده، الكثير موجوده، متجه العالم ومقصوده وربّه ومعبوده، فله صلاة عبده وركوعه وسجوده، وتسبيحه وتهليله وتحميده، واستغفاره وتكبيره وتمجيده، وصومه وفطره وحجه وعيده وعبادته كلها وتوحيده فهو العظيم الأكبر، وكل شيء دونه حقير وأصغر.

وهو الغني عما عداه وكل شيء سواه فقير إلى رحمته الواسعة وفضله الأكبر الله أكبر (ثلاثاً)، نحمده تعالى جعلنا مسلمين، وهدنا بسنة سيد المرسلين وكتابه المبين، إلى خير شريعة وأشرف دين، ونشكره عز وجل صيرنا مؤمنين، وبالحق قائمين وعن الباطل مائلين، وسيجزى الله الشاكرين، فهنئاً لمن شكر وويل لمن كفر، والله غني عن العالمين، وإليه المصير والمستقر. الله أكبر.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل الأعياد مواسم أفراح الطائعين وأيام سرور المتعبدين، فما أعظم فرحة الصائم إذا أفطر وما أكبر سرور الحاج إذا طاف ونحر ولبا وكبر، وجاء من عرفة وبات بالمزدلفة ورمى جمرة العقبة وحلق أو قصر الله أكبر، (ثلاثاً).

=

ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المفضل، السيد العظيم المبجل، القائل ﷺ: «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل»^(١).

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد النبي المرسل، بخير كتاب منزل نبي الهدى وبحر الندى، وأعظم الخلق جودًا وأكرمهم يدًا، وخير من حج وعج^(٢) وثج^(٣) وسبحل ومحمدل وهلل، وضحي وعق وفدى وأهدى ونحر.

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان في كل أثر ما قرأ الناس في هذا اليوم السعيد الأزهر: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ* إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١-٣]، الله أكبر (ثلاثًا).

عباد الله: شرع الله للمسلمين في كل عام عيدين عظيمين^(٤)، يظهران فيهما شعائر دينهم الحنيف وأمرهم يوم الفطر أن يخرجوا زكاة أبدانهم صاعًا من غالب قوت البلد^(٥)، يواسى به الفقير والمسكين والبائس الضعيف، ويوم النحر أمرهم بالأضاحي وحثهم

(١) أخرجه مسلم رقم (١١٤١) من حديث نبيشة الهذلي رضي الله عنه.

(٢) العج: هو رفع الصوت بالتلبية، كما في «لسان العرب» مادة: عجع.

(٣) الثج: هو سيلان دماء الهدي والأضاحي، كما في «لسان العرب» مادة: ثجج.

(٤) يشير رحمه الله إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقد تقدم تخريجه تحت الخطبة (٥٢).

(٥) تقدم التنبيه على ذلك تحت الخطبة (٥٢).

عليها^(١) وندبهم إليها وجعل ذلك من أفضل ما يتقرب به العبد إلى ربه الخير اللطيف،
وشرع الصلاة^(٢) والخطبة التي يجتمعون لها فيشهدون الخير ويتعلمون الأحكام
والتكاليف.

ويسن الحضور للرجال والنساء، والصغار والكبار والعبيد والأحرار، والصحيح
والمريض إذا استطاع ولكل صعلوك^(٣) وشريف، يرفعون أصواتهم بالتكبير ويسارعون في
التكبير، ممسكين عن الطعام والشراب^(٤)، حتى يصلوا وعليهم السكينة والوقار، وقد
لبسوا من الثياب كل جديد ونظيف، بمظهر العز والعظمة يبرزون لأعدائهم أدلة على

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى عدة أحاديث في الحث على الأضاحي، منها: حديث جندب بن سفيان
رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٥٥٦٢) ومسلم (١٩٦٠)(٢)، وحديث أبي هريرة رضي الله
عنه، أخرجه أحمد (٣٢١/٢)، وابن ماجه (٣١٢٣)، وفيه عبدالله بن عياش القتباني ضعيف.
والراجح وقف الحديث، رجح وقفه ابن عبدالمهدي في «التنقيح» كما في «نصب الراية» (٢٠٧/٤)،
والطحاوي كما في «الفتح» تحت باب (١) من كتاب الأضاحي.

(٢) الصحيح أن صلاة العيد فرض عين على كل مسلم، وهذا قول أبي حنيفة وأحمد في رواية، وهو
اختيار شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم والشوكاني والسعدي وابن عثيمين، لحديث أم عطية رضي
الله عنها: أمرنا أن نخرج العواتق والحیض في العيدين يشهدن الخير ودعوة المسلمين. أخرجه
البخاري رقم (٣٢٤) ومسلم رقم (٨٩٠).

(٣) الصعلوك: هو الفقير الذي لا مال له، زاد الأزهري: ولا اعتماد، كما في «لسان العرب» مادة:
صعلك.

(٤) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث بريدة رضي الله عنه، وهو حديث حسن تقدم تخريجه.

المؤمنين أعزة على الكافرين، رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ [القمر: ٥٣].

فمن أدرك العيد وفهم حكمة التشريع بادر إلى الخير ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وأكثر من ذكر الله والصلاة والسلام على رسول الله وكبر الله دبر كل صلاة بكرة وأصيلاً. والتكبير من صبح يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق ^(١)، وهي ثلاث بعد النحر عند الشافعي، ويومان عند أبي حنيفة، وقد أقام كل من الإمامين على قوله نصّاً ودليلاً ^(٢).

(١) لم يثبت عن النبي ق تحديد التكبير في يوم النحر والفطر، وهذا القول الذي ذهب إليه المصنف رحمه الله من اختيار التكبير من صبح يوم عرفة صح عن علي وابن مسعود وابن عباس، وهو قول أحمد والشافعي في رواية وأصحاب الرأي وغيرهم. وهو الصواب لحديث أنس رضي الله عنه في «الصحيحين» وابن عمر في مسلم: أنهم كانوا يوم عرفة يغدون إلى عرفة منهم الملبّي ومنهم المكبر، ولا ينكر أحدهم على صاحبه. وأما نهاية وقت التكبير في عيد الأضحى ففي صلاة العصر من آخر أيام التشريق، وهو قول أكثر العلماء كما في «الفتح» لابن رجب (٩/٢٣)، وراجع «الأوسط» (٤/٣٠٠-٣٠٣)، و«المجموع» (٥/٣١)، و«المغني» (٣/٢٨٨).

(٢) هذا هو الصواب الذي عليه أكثر العلماء، أن أيام التشريق ثلاثة أيام بعد يوم النحر، راجع «تفسير ابن كثير» سورة البقرة آية (٢٠٣)، و«الفتح» شرح حديث (١٩٩٧ و ١٩٩٨)، و«لطائف المعارف» لابن رجب (٥٠٠)، و«زاد المعاد» (٢/٣١٩) ط: الرسالة.

ومن أراد أن يضحي فاقتداء بسيد الخلق محمد ﷺ واتباعاً لإبراهيم الذي أراد أن يذبح ولده إسحاق أو إسماعيل^(١)، وفداه ربه بذبح عظيم، وجعل ذلك ملة لإبراهيم، ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].
 ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

(١) هذا التردد من المؤلف رحمه الله في كون الذبيح إسحاق أو إسماعيل فيه نظر، والجزم بأنه إسماعيل أولى.

قال ابن القيم رحمه الله: وإسماعيل هو الذبيح، على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم ...

وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجهًا، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب، مع أنه باطل بنص كتابهم، فإن فيه أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بكر، وفي لفظ: وحيد، ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده ...

وكيف يسوغ أن يقال: إن الذبيح إسحاق والله تعالى قد بشر أم إسحاق به وبابنه يعقوب، فقال تعالى عن الملائكة أنهم قالوا لإبراهيم لما أتوه بالبشرى: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ وَامْرَأَتَهُ قَائِمَةً فَفَضَحَكْتَ فَبَسَّرْنَاَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧٠-٧١].

فمحال أن يبشرها بأن يكون له ولد ثم يأمر بذبحه، ثم ذكر وجوهاً أخرى في إبطال أنه إسحاق، وتصويب إسماعيل، فليراجعها من شاء من «زاد المعاد» (١/ ٧١-٧٢).

ورجع هذا القول الحافظ ابن كثير في تفسير آية (١٠٢) من «سورة الصافات»، والشيخ الألباني رحمه الله في «الضعيفة» تحت حديث رقم (٣٣٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]، كفى به تعالى ولياً وكفى به وكيلاً.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢].

واعلم أيها المسلم أنه ينبغي لك إذا ضحيت أن تأكل ثلث الضحية وتهدي ثلثها وتتصدق بثلثها^(١)، وذلك أفضل ما يكون، ولا بأس أن تأكل الكثير وتخرج القليل إذا لم

(١) هذا من مستحبات الأضحية أن يأكل منها ويتصدق، قال الله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعُمُوا﴾، وروى مسلم (١٩٧١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ق: «ادخروا -ثلاثاً- ثم تصدقوا بما بقي»، وفي الباب عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، رواه البخاري (٥٥٦٩) ومسلم (١٩٧٤)، وعن أبي سعيد رضي الله عنه أخرجه مسلم (١٩٧٣).
وأما الهدية من الأضاحي فهي من باب جلب المودة والمحبة بين الناس، راجع «الشرح الممتع» (٧/ ٤٨١-٤٨٣)، و«المغني» (١٣/ ٣٧٩).

تكن ضحيتك مندورة^(١) أو معينة.

والمؤمن جواد كريم متصدق بالمفروض والمسنون وشرطها أن تكون جذعة من الضأن أو ثنية من المعز^(٢)، سليمة من العيوب غير ناقصة الأطراف كالأذان والعيون^(٣).

(١) الصحيح أن الأضحية المندورة يجوز الأكل منها؛ لأن النذر بالأضحية محمول على ما عهد منها، والمعهود من الأضحية الشرعية ذبحها والأكل منها، وهذا مذهب أحمد ومالك، راجع «المجموع» (٤١٨/٨).

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث جابر رضي الله عنه: «لا تذبحوا إلا مسنة، إلا أن يعسر عليكم الجذعة: هو ما قوي من الحيوان ولم يصير ثنيًا» أخرجه مسلم (١٩٦٣).

الجذعة: هو ما قوي من الحيوان ولم يصير ثنيًا. فالثني من الإبل ما استكمل خمس سنين ودخل في السادسة، والجذع منه ما استكمل أربع سنوات ودخل في الخامسة.

والثني من البقر ما استكمل ستين ودخل في الثالثة، والجذعة منها ما استكمل سنة ودخل في الثانية. والثني من المعز: قيل ما تمت له سنة ودخل في الثانية، وهو الأشهر عند الحنابلة، وقيل: الثني من المعز ما تمت له ستان، والجذع سنة.

والثني من الضأن والجذع كالثني من المعز وجذعه، وقيل غير ذلك. والمسنة: ويقال لها الثنية، هي التي سقطت ثناياها وطلعت أخرى، راجع «المغني» (٣٦٨-٣٦٩/١٣)، و«المجموع» (٣٨٤، ٣٩٧، ٤١٦)، و«المحلى» مسألة رقم (٩٧٥)، و«شرح مسلم» و«الشرح الممتع» (٤٢٥-٤٢٦/٧).

(٣) يشير رحمه الله إلى حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، أخرجه أحمد (٢٨٤، ٢٨٩)، وأبوداود (٢٨٠٢)، والنسائي (٢١٤-٢١٥)، والترمذي (١٤٩٧)، وابن ماجه (٣١٤٤)، وإسناده صحيح، وصححه البخاري وأحمد والعلامة الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٨٩/٢).

ويجزئ الخصي^(١)، ومكسورة القرن^(٢)، ومشروخة الأذن^(٣)، ويكره ذبح الحامل واللبون^(٤)، والشاة عن بيت واحد ولو كثر أهله^(٥)، والبقرة والبدنة عن سبعة^(١)، كما قرر الفقهاء ورواه المحدثون.

(١) قال ابن قدامة في «المغني» (٣٧١ / ١٣): ويجزئ الخصي؛ لأن النبي ق ضحى بكبشين موجوءين، والوجأ رض الخصيتين ... ولأن الخصاء إذهب عضو غير مستطاب، يطيب اللحم بذهابه، ويكثر ويسمن. اهـ بتصرف.

(٢) هذا هو الصحيح، وهو ما ذهب إليه الشافعي وأبو حنيفة، وروي عن علي وعمار وابن المسيب والحسن، راجع «المغني» (٣٧٠ / ١٣).

(٣) قال ابن قدامة رحمه الله: وتكره مشقوقة الأذن ... ثم ذكر الحديث الوارد في ذلك، وهو حديث ضعيف أخرجه أحمد (٨٠ / ١)، وأبوداود (٢٨٠٤)، والترمذي (١٤٩٨)، وقد رجح الدارقطني في «العلل» (٢٣٩ / ٣) وقفه، وكذا البخاري في «التاريخ الكبير» (٢٣٠ / ٤).

ثم قال ابن قدامة: وهذا نهي تنزيه، ويحصل الإجزاء بها، لا نعلم فيه خلافاً. اهـ من «المغني» بتصرف. (٣٧٣-٣٧٢ / ١٣) ط: هجر / .

(٤) لا دليل على كراهية ذبح الحامل واللبون في الأضحية، وأما حديث: «نهي عن ذبح ذوات الدر» فأخرجه ابن ماجه (٢٢٠٦)، والحاكم (٢٣٤ / ٤) عن علي رضي الله عنه، وفي سننه الربيع بن حبيب الملاح ضعيف، وأحاديثه عن نوفل مناكير وهو هنا كذلك، ونوفل بن عبد الملك ضعيف، وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٤٧١٩).

ويغني عنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم رقم (٢٠٣٨)، بلفظ: «إياك والحلوب» فالحامل واللبون لا تذبحان من باب الأفضلية، وراجع «المغني» (٣٧٥-٣٧٦).

(٥) يشير رحمه الله إلى حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أخرجه الترمذي (١٥٠٥)، وابن ماجه (٣١٤٧)، وإسناده صحيح، وقد صحح الحديث الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح سنن =

ولا يصح أن يأخذ الجزار شيء من اللحم إلا إذا كان صدقة عليه وأجرته غير ذلك^(٢)،
فتنبهوا لهذا الحكم أيها الغافلون، ويستحب أن يذبح الرجل ضحيته بيده^(٣)، وأن يجد
شفرته ويريح ذبيحته^(٤)، والله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

وحبذا لو تجمع الجلود فتباع وتصرف أثمانها في وجوه الخير^(٥) أو يأخذها المستحقون،
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا

=

الترمذي» (٩٠ / ٢).

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى ما أخرجه مسلم (١٣١٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أخرجه البخاري (١٧١٧) ومسلم رقم (١٣١٧) (٣٤٩).

(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أنس رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٥٥٦٥) ومسلم رقم (١٩٦٦).

(٤) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث شداد بن أوس رضي الله عنه، أخرجه مسلم رقم (١٩٥٥).

(٥) ما ذهب إليه المؤلف رحمه الله من بيع جلود الأصاحي ودفع أثمانها للمستحقين فيه نظر، لما رواه البخاري (١٧١٧) ومسلم (١٣١٧) عن علي رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله ق أن أقوم على بدنه، وأن أتصدق بلحومها وجلودها وأجلتها، ولا أعطي الجازر منها شيئاً، وقال: نحن نعطيها عندنا.

قال النووي في شرحه لهذا الحديث: لا يجوز بيع جلد الهدي ولا الأضحية ولا شيء من أجزائها... سواء كانا تطوعاً أو واجبين، قال أحمد رحمه الله: لا يبيعها ولا يبيع شيئاً منها، قال: سبحانه الله كيف يبيعها وقد جعلها الله تبارك وتعالى. اهـ راجع «المغني» (٣٨٢ / ١٣)، و«الشرح الممتع» (٤٧٣ - ٤٧٤).

أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿[الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، فبورك المأمور وتبارك من أمر، في هذا اليوم يلبس فاخر الثياب إلا الحرير، ويكره المعصفر والمزعفر والمورس^(١) والأحمر^(٢)، ويحرم

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث علي رضي الله عنه في مسلم (٢٠٧٨) مرفوعاً: «نهى عن لبس القسي والمعصفر».

والمعصفر: هو المصبوغ بنبات العصفر، كما في «لسان العرب» مادة: عصفر. والقسي: هو من ثياب الحرير.

وفي الباب عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، أخرجه مسلم (٢٠٧٧). وأما المزعفر فلما رواه البخاري (٥٨٤٦)، ومسلم (٢١٠١) عن أنس رضي الله عنه قال: نهى النبي ق أن يتزعفر الرجل».

والذي يظهر أن النهي على إطلاقه، راجع «الفتح» (٣٧٥ / ١٠)، و«شرح سنن النسائي» للأثيري (١١١ / ٢٤-١١٥).

والزعفران: هذا الصبغ المعروف، وهو من الطيب.

وأما المورس: ففي البخاري (١٥٤٢) ومسلم (١١٧٧) عن ابن عمر: نهى النبي ق أن يلبس المحرم ثوباً مصبوغاً بورس أو زعفران.

وبعض أهل العلم حمله أنه خاص بالمحرم، وبعضهم قال: بالعموم، راجع «الفتح» (٣٧٦ / ١٠)، و(٥٠٩ / ٣).

والورس: قال في «القاموس» نبات كالسمسم ليس إلا باليمن يزرع فيبقى عشرين سنة، نافع للكلف طلاء والبهق شرباً، وقال الجوهري: الورس نبت أصفر يكون باليمن، وقال الحافظ: «نبت أصفر طيب الريح يصبغ به. اهـ من «شرح سنن النسائي» (٤٧ / ٢٤).

(٢) قال ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» (١٣٢ / ١-١٣٤): فالأحمر البحت منهى عنه أشد النهي، ففي =

الصيام^(١)، ويوسع فيه على العيال ويشبع الجائع ويطعم القانع والمعتز^(٢).

وتسن فيه المصافحة، وتبادل الزيارات وطيب الكلام وإفشاء السلام بين المسلمين إرغامًا لمن جحد بالله وكفر، ويتناسى الخصام والشقاق، والاختلاف والافتراق، ويقع الاختلاط والتلاق.

=

«صحيح البخاري» (٥٨٤٩) عن البراء أن النبي ق نهى عن المياثر الحمراء...

إلى قوله: وفي جواز لبس الأحمر من الثياب والجوخ وغيرها نظر، وأما كراهته فشديدة جدًا. اهـ بتصرف قلت: وأما ما فيه لون آخر مع الأحمر من بياض وسواد فيجوز لبسه، لما رواه البخاري (٥٨٤٨) عن البراء بن عازب رضي الله عنه، أنه رأى النبي ق في حلة حمراء. وراجع تفاصيل العلماء عن لبس الثوب الأحمر في «فتح الباري» (١٠/٣٧٦-٣٧٨) ط: السلام، وبالله التوفيق.

(١) تقدمت الإشارة إلى الأحاديث الواردة في ذلك تحت الخطبة (٥٢).

(٢) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير قول الله جل وعلا: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦]: اختلفوا في المراد بالقانع والمعتز، فقال العوفي عن ابن عباس: القانع بما أعطيته وهو في بيته، والمعتز الذي يعترض لك ويلم بك أن تعطيه من اللحم ولا يسأل، وكذا قال مجاهد ومحمد بن كعب القرظي.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: القانع المتعفف، والمعتز السائل، وهذا قول قتادة وإبراهيم النخعي، وقال ابن عباس وعكرمة وزيد بن أسلم ... القانع هو الذي يقنع إليك ويسألك، والمعتز الذي يعتربك يتضرع ولا يسألك ...

إلى قوله: واختار ابن جرير: أن القانع هو السائل؛ لأنه من أقنع بيده إذا رفعها للسؤال، والمعتز من الاعتراء وهو الذي يتعرض لأكل اللحم. اهـ

وإذا لقي المسلم أخاه هش له وبش، ورحب وأهل، وسهل وبشر، ولكل قوم عيد وهذا عيدنا، فلا بأس بإدخال السرور على الأهل والإخوان بشيء من اللهو واللعب لا يشغل عن ذكر الله وعن الصلاة.

ولا يخل بالآداب أو يخالف الشرع المطهر المنور ويستحب لمن وسع الله عليه أن يظهر نعمة الله عليه ولا يخرج وهو أشعث أو أغبر بل يدهن ويتبخر ويتعطر، ويشكر الله ولا يتكبر.

ولا يصعر خده للناس ولا يمشي في الأرض مرحًا ولا يتبختر، متذكرًا قول الله في المتكبر: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَاحَةٌ لِّلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿[المدر: ٢٦-٣٠].

إياك إياك أيها المسلم الفقير أن تحزن على ما فاتك من المال أو تكلف نفسك ما لا تطيق ولا تبال بما أنت فيه من ضيق الحال وقلة المال، فالله ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر ويفرج الأمر بعد الشدة ويوسع بعد الضيق.

ولا تذهب نفسك حسرات على عيالك إذا ما رأيت عيال الناس يوم العيد في فرح ومرح وضحك وتصفيق وأسأل الله من فضله عيش الآخرة، وتذكر ما كان عليه رسول الله ﷺ وأهل بيته وكبار الصحابة كالفاروق والصديق.

ولو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما جعلها في يد الكافر^(١) والفاجر والمنافق والزنديق، وإذا عجزت عن الأضحية فاعلم أن رسول الله ﷺ قد ضحى بكبشين أملحين أقرنين، أحدهما عن نفسه وأهله، والآخر عن فقراء أمته^(٢)، وهو الوالد الحنون والمعلم الرحيم الشفيق، ومن خرج إلى الصلاة في طريق فيرجع إلى بيته من غير تلك الطريق^(٣) لكي يلاقي إخوانه ويكرم المساكين إذا رآهم، والمسلم بالإنفاق في هذا اليوم جدير وخليق، ﴿كَلاَّ وَالْقَمَرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ * وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ * إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ * نَذِيرًا لِلْبَشَرِ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدر: ٣٢-٣٧].

أما أنت أيها الغني فلا تجعل العيد موسماً لمعصية الله والفساد في الأرض فالله لا يحب المفسدين، ولا تصرف المال في الخمر والقمار ومرافقة الأشرار وأعوان الشياطين.

ولا تكن متعرضاً لسخط الله والحجاج واقفون بين يديه يؤدون واجبات الدين ويتعرضون لنفحاته في أقدس بقعه وأشرف حين، ولا يكن حظك من العمل في هذه الأيام أن تمضغ القات مشتغلاً بالغيبة والنميمة وتمزيق أعراض المؤمنين، ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ

(١) هذا الكلام صحيح، وهو مبني على حديث صحيح، سبق تخريجه، تحت الخطبة (١٦).

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى ما أخرجه البخاري رقم (٥٥٦٥) ومسلم (١٩٦٦) من حديث أنس رضي الله عنه، وفي الباب عن عائشة رضي الله عنها أخرجه مسلم (١٩٦٧).

(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث جابر رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٩٨٦)، وقد تقدم الكلام عليه في أواخر الخطبة (٥٢).

أَشْكُرُ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي
إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ [الأحقاف: ١٥]، ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ
تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، ويا لهول المحشر، يوم ينصب الميزان ويعرض الكتاب وينشر، وينبأ
كل إنسان بما قدم وأخر، قال رسول الله ﷺ: «أربع لا يجوز في الأضاحي: العوراء البين
عورها، والمريضة البين مرضها، والعرجاء البين ضلعها، والكسيرة التي لا تنقي»^(١) .

وقال ﷺ: «نعم أو نعمة الأضحية الجذع من الضأن»^(٢)، وسئل ﷺ عن الأضاحي
فقال: «سنة أبيكم إبراهيم»، قالوا: ما لنا منها؟ قال: «بكل شعرة حسنة»، قالوا: فالصوف؟

(١) وقع في المطبوع «تبقى» والصواب المثبت، كما في المصادر المذكورة.

(٢) (صحيح).

أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٤، ٢٨٩)، وأبوداود (٢٨٠٢)، والنسائي (٧/ ٢١٤-٢١٥)، والترمذي (١٤٩٧)،

وابن حبان (٥٩١٩، ٥٩٢١، ٥٩٢٢)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

وإسناده صحيح، وقد صححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٨٩)، وانظر

«أحاديث معلقة» لشيخنا الإمام مقبل الوادعي رحمه الله (٦٧-٦٨).

(٣) (ضعيف).

أخرجه أحمد (٢/ ٤٤٤-٤٤٥)، والترمذي (١٤٩٩)، والبيهقي (٩/ ٢٧١) من حديث أبي هريرة رضي

الله عنه، وفي سننه كدام بن عبدالرحمن السلمى، روى عنه اثنان ولم يوثقه أحد، وعبارة الحافظ في

«التقريب»: مجهول. وفيه أبوكباش السلمى أو العبسي مجهول كما في «التقريب»، وللحديث علة

أخرى وهي الوقف، كما أشار إليها الترمذي عقب الحديث.

قال: «بكل شعرة من الصوف حسنة»^(١)، وقال ﷺ: «من قام ليلتي العيدين محتسباً لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»^(٢).

=

وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٦٤)، ويغني عنه ما أخرجه أحمد (١٥٢/٤)، والنسائي (٢١٩/٧) والسياق له، من حديث عقبة بن عامر قال: ضحينا مع رسول الله ق بجذع من الضأن. وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح سنن النسائي» (١٧٩/٣). وفي الباب عن رجل من مزينة، أخرجه أحمد (٣٦٨/٥)، والنسائي (٢١٩/٧)، وإسناده صحيح، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح سنن النسائي» (٣/١٧٩-١٨٠)، وانظر «الضعيفة» تحت رقم (٦٥).

(١) (موضوع).

أخرجه ابن ماجه (٣١٢٧)، والحاكم (٣٨٩/٢)، والبيهقي (٢٦١/٩) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه، وفي سنده عائد الله المجاشعي ضعيف كما في «التقريب»، وأبوداود الأعمى مشهور بكنيته، واسمه نفع بن الحارث متروك وقد كذبه ابن معين كما في «التقريب»، وقد حكم بالوضع على الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (٣/رقم ١٠٥٠).

(٢) (ضعيف جداً). أخرجه ابن ماجه (١٧٨٢) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

قال العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٥٢١): فيه بقية بن الوليد سيء التدليس، فإنه يروي عن الكذابين عن الثقات، ثم يسقطهم من بينه وبين الثقات، ويدلس عنهم، فلا يبعد أن يكون شيخه الذي أسقطه في هذا الحديث من أولئك الكذابين، فقد قال ابن القيم في هديه ق ليلة النحر من المناسك (٢١٢/١): ثم نام حتى أصبح، ولم يحج تلك الليلة، ولا صح عنه في إحياء ليلتي العيدين شيء، ثم رأيت الحديث من رواية عمر بن هارون الكذاب، والمذكور في الحديث السابق يرويه عن ثور بن يزيد به فلا أستبعد أن يكون هو الذي تلقاه بقية عنه، ثم دلسه وأسقطه. اهـ

ثم ذكر طريق عمر بن هارون في «الضعيفة» برقم (٥١٦٣).

=

وقال أيضًا: «زينوا أعيادكم بالتكبير»^(١) (فالله أكبر)، ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧].

=

وفي الباب عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أخرجه الأصبهاني في «الترغيب» رقم (٣٦٧)، ولفظه: «من أحيأ الليالي الخمس وجبت له الجنة ... ومنها ليلتي النحر والفطر».

وفي سنده سويد بن سعيد الحدثاني ضعيف، وعبدالرحيم بن زيد العمي متروك وكذبه ابن معين كما في «التقريب»، وقد حكم بالوضع على الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٥٢٢).

وفي الباب عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه بنحو حديث أبي أمامة رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» كما في «مجمع الزوائد» (١٩٨/٢)، وفي سنده عمر بن هارون البلخي متروك كما في «التقريب»، والحديث في «الضعيفة» للشيخ الألباني رحمه الله (٥٢٠).

(١) (منكر).

أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٤٣٧٣)، وفي «الصغير» رقم (٥٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال المنذري في «الترغيب» (٢٩/٢): فيه نكارة، وتبعه على ذلك العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب» (٣٣٥/١).

قلت: فيه شيخ الطبراني عبدالله بن وهب الغزي مجهول حال كما في ترجمته من «إرشاد القاصي والداني إلى تراجم شيوخ الطبراني» (٣٩٩)، وعمر بن راشد اليمامي ضعيف كما في «التقريب»، وبه أعل الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٩٧/٢).

وفي الباب عن أنس مرفوعاً بلفظ: «زينوا العيدين بالتهليل والتقديس والتحميد والتكبير»، قال العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٣٦٧٢): موضوع، أخرجه أبونعيم في «الحلية» (٢٨٨/٢)، وفيه علي بن الحسن الشامي، قال الدارقطني: يكذب يروي عن الثقات بواطيل، وقال الحاكم وأبوسعيد النقاش: روى أحاديث موضوعة. اهـ بتصرف

الخطبة الثانية^(١)

الله أكبر (سبعاً)^(٢)

الله أكبر! ما ذبح المسلم الضحية، وجاد في هذه الأيام بالصدقة والهدية، وتقدم إلى الله بصالح الأعمال وخلوص النية.

الله أكبر! ما تلاقى المسلمان فتعانقا وتصافحا، ونسيا ما كان بينهما من الخصام فتسامحا أو تصافحا.

الله أكبر! ما تذكر المسلمون جامعة الإسلام وتوثقت بينهم روابط الدين بصدق الفعال وطيب الكلام، فتوادوا وتراحموا، والمؤمنون كالبنان أو كالبنيان يشد بعضه بعضاً^(٣) ويحفظه من الانهدام، ومثل المؤمنين مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والاحتمام^(٤).

(١) السنة أن يخطب في العيد خطبة واحدة كما تقدم التنبيه على ذلك تحت الخطبة (٥٢).

(٢) لم يثبت عن النبي ق أنه افتتح خطبة العيدين بالتكبير وإنما هو رأي للفقهاء والصواب خلافه كما تقدم التنبيه عليه تحت الخطبة (٥٢) فراجع إن شئت.

(٣) يشير رحمه الله إلى حديث أبي موسى رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٤٨١) ومسلم (٢٥٨٥).

(٤) يشير رحمه الله إلى حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، رواه البخاري رقم (٦٠١١) ومسلم رقم (٢٥٨٦).

الله أكبر ما نظر الله إلى عباده وهم واقفون بين يديه، وتجلي عليهم بفضله وإحسانه وأعطاهم مما لديه، وباهى بهم الملائكة وبشرهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر: ٥٤]، الله أكبر (ثلاثاً).

الحمد لله الذي جعلنا من أمة سيدنا محمد وفضل ديننا على سائر الأديان، وأرشدنا بالقرآن إلى خير مقصد، ونحن شهداؤه على سائر الأمم، وما نال من الخير مثلنا من أحد، نحمده تعالى أبلغ الحمد، ونشكره عز وجل وهو العظيم الأجدد، له الملك وله الحمد وبيده الخير والشر، الله أكبر (ثلاثاً).

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شرع لنا في كل عام عباده، وسن لنا من الخير ما فيه منتهى السعادة ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب السيادة قوم به الدين وأشاده، وثبت به أركانه وأوتاده.

اللهم فصل وسلم على سيدنا البالغ من جوده ربه عليه قصده ومراده، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان فيما خفي من الأمر وظهر، الله أكبر (ثلاثاً)
 عباد الله: ما فضل الله نبيكم ﷺ على سائر النبيين والمرسلين، إلا بما كان عليه من مكارم الأخلاق وصدق اليقين، والثقة العظيمة برب العالمين، فكان يصل الرحم ويحمل الكل ويكسب المعدوم ويعين على نوائب الحق^(١).

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري (٣) ومسلم (١٦٠).

وأعظم به ﷺ من ناصر ومعين، للفقراء والمساكين، ويخفض جناحه للمؤمنين، ويقول له الله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ويقول لأهل الأرض أجمعين: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥١].

وما فضلكم الله على الأولين والآخرين، إلا بأن جعلكم إخواناً متحابين على الخير متعاونين وعن الشر ناهين ومنتهين، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر طوراً بشدة وطوراً بلين، ومن تولى وكفر فسوف يعذبه الله العذاب الأكبر، الخير كثيرة أسبابه، مفتحة للعاملين أبوابه، والفائزون طلابه، والعاجزون من أعيامهم اكتسابه، وفي العيد يتقرب بالصالحات إلى الله أحبابه، وينالهم أجره وثوابه وفيه تقع الذنوب من الذين لا يخيفهم من الله عقابه، ولا يبالون أن يقع عليهم في الدنيا والآخرة مقت الله وعذابه.

وكل لما خلق له ميسر أقل منه أو أكثر فليتقدم الإنسان أو يتأخر، هنيئاً لمن أشبع اليوم جائعاً أو كسى عرياناً، أو زار مريضاً أو ساعد بائساً أو أرشد حيراناً أو بر آباءه وبناته أو ذكر الله قلباً ولساناً، تسبيحاً وتهليلاً وقرآناً.

وصلاة وسلاماً على أعظم الناس شأنًا وأرفعهم مكانًا، ومرشدهم إلى الله زرافات ووحدانًا، سيد البشر وأكرم البدو والحضر، والمنزل عليه في محكم الآيات والصور، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ

أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿[الفتح: ١٠]﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿[الأحزاب: ٥٦]﴾^(١).

(١) قال شيخنا المحدث أبو عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري وفقه الله: تحري ختم الخطبة بآية أو حديث نبوي من البدع. اهـ «أحكام الجمعة وبدعها» (٣١٩).

الخطبة السادسة والخمسون

لتوديع العام

الحمد لله النافذ أمره، الدائم بره، الشديد بطشه وقهره، الواجب حمده وشكره لا يرجى إلا نفعه ولا يخاف إلا ضره، فتبارك اسمه وجل ذكره، وسبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته.

تسبحه سماءه وأرضه وبره وبحره، وجنه وإنسه وأملاكه وأفلاكه ودهره، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصفات: ١٨٠-١٨٢].

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل الليل والنهار آيتين، فمبصرة وممحوة، لتعلموا عدد السنين والحساب، وآياته مفصلة مبينة مجلوة، فالشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان، فيا لها من قدرة وأعظم بها من قوة. ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله سيد الخليقة ومسك ختام النبوة، شرح صدره ورفع ذكره وعز مواليه وأذل عدوه.

اللهم فصل وسلم على سيدنا الموصوف بأشرف الصفات الإنسانية والمروءة، والمعروف بماضي عزمته وكمال الفتوة.

صلى الله عليه وعلى آله الذين اعتزت بهم الأبوة، وشرفت بهم النبوة، وعلى التابعين لهم بإحسان في صادق الإيمان ومحاسن الإخوة، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [العنكبوت: ٥٨].

عباد الله: تمر الشهور بعد الشهور وتمضي السنون خلف السنين، وأنتم في سبات غافلون عن الممات، ونسيانه ضلال مبين، ومهما عشت يا ابن آدم فإلى الثمانين أو التسعين وهبك بلغت المئين فما أقصرها من مدة وما أقله من حين.

وقيل لنوح عليه السلام وقد لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين، كيف رأيت هذه الدنيا؟ فقال عليه السلام: «كداخل من باب، وخارج من آخر، ومضى مثل الأولين»^(١).
ومن علم أن الموت سنة الله في العالمين، فكيف يطمع في البقاء وهو يرى كثرة الراجلين، وما لك لا تستعد للرحيل أيها المسكين، وأنت تعلم قول رسول الله ﷺ لبعض المؤمنين:
«كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»^(٢).

وكذلك شأن أهل اليقين، ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ * إِنَّ مَا تُوْعَدُونَ لَأَتِ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٤]، يعضك يا ابن آدم الدهر بلهزمته عَصًا، وتقرض عمرك الأيام قرضًا، وأملك يمتد طولًا وأجلك يأتيك عرضًا، وأنت تركض في دنياك ركضًا، فلا بقليل تقنع ولا بكثير ترضى، وإن فاتك الشيء سخطت القضاء، وإن نلت شيئًا نسيت الله وقلت:

(١) هذا القول عن نوح عليه الصلاة والسلام، ذكر نحوه ابن الأثير رحمه الله في كتابه «الكامل في التاريخ» (٤٢/١)، ولم يذكر له سنداً، والله أعلم بثبوت هذا القول إليه، وقد سئل عنه شيخنا يحيى حفظه في أحد دروسه فقال: يشبه أن يكون من الاسرائيليات، والله أعلم.
(٢) أخرجه البخاري رقم (٦٤١٦) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

أنا أرجح الناس عقلاً وأسعدهم حظاً، وأسدهم رأياً وأكثرهم علماً وتجربة وأثبتهم عزيمة وأمضى.

ولو أنك جمعت المال كله وقبضت ناصية الدهر قبضاً، لم يكن لك منه إلا ملء بطنك وستر جلدك، وأفقر الناس ينال ذلك ولو أدفأ بالفضاء، وافترش الرمضاء^(١)، فلا شك أن عقولاً كثيرة لمرضى، لا تسمع وعظاً ولا بقبول نصح تحظى، ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ * إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦-١٣٩].

نحن في هذه الأيام على تمام العام، وبما كان فيه من عمل صالح وآثام، قد جفت الصحف ورفعت الأعلام، والملائكة الكرام، هم الكتاب والشهود على الأنام، والحسنة بعشر أمثالها والسيئة بواحدة.

فهنيئاً لمن أحسن واستقام، وويل لمن أساء وارتكب الإجرام، والمجرمون معروفون بسيماهم موعودون بالانتقام، يوم يؤخذون بالنواصي والأقدام، وكل لحظة ولمحة من عمر ابن آدم تمر عليه فهي جوهرة لا قيمة لها ولا تثمن بالدنيا وما فيها من الحطام.

ولو اجتمع الناس كلهم على أن يردوا عليك نفساً مضى من حياتك ما استطاعوا، فلا تفرط فيما بقي لك من أيام، ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا

(١) الرمضاء: شدة الحر، كما في «لسان العرب» مادة: رمض.

وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾
[القصص: ٧٧].

هلم نتساءل عن هذا العام وكيف قضيناه، وتعال نتباحث عما سلف من العمر وكيف أمضيناه، ولنفتش كتاب أعمالنا وكيف طويناه، وفيه نرى ما أسلفناه، ونتذكر ما قدمناه، فإن كان خيراً حمدنا الله وشكرناه، وإن كان شراً تبنا إلى الله واستغفرناه، وعملنا من الحسنات ما يأتي على السيئات فيمحوها.

وربك يمحو ما يشاء ويثبت وأم الكتاب عند الله، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»^(١).

ومصدق ذلك من كتاب الله قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

فتبارك الله: وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ يسأله عن من قبل امرأة أجنبية ونال منها كل شيء إلا الزنا، فأمره بالتوبة والوضوء والصلاة، وقد نزل قول الله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]^(٢).

(١) (حسن لغيره).

من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وقد تقدم تخريجه تحت الخطبة (١٢).

(٢) (ضعيف بهذا السياق).

أخرجه عبد بن حميد في «مسنده» رقم (١١٠)، وأحمد (٢٤٤/٥)، والترمذي (٣١١٣)، والنسائي في «الكبرى» (٣١٨/٤)، والبيهقي (١٢٥/١) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال الترمذي =

كم ولد في هذا العام من عظيم، وكم مات فيه من عظيم، وكم ولي فيه وعزل من كريم ولثيم، وكم غني فيه من فقير معدم وافقر فيه من غني كبير وسقط من زعيم وكم عز من ذليل وذل من عزيز، وتقدم من زعيم^(١)، وتأخر من قديم في الشرف وصميم، وحوادث الزمان لا تحصى بحسبان، وربك الرحمن كل يوم هو في شأن فعال لما يريد وهو الحكيم العليم، يرفع قومًا ويضع آخرين، فيؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويبيده الموت والحياة والتأخير والتقديم، ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ * وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ * ذَكَرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٩].

حوادث الدهر كثيرة والناس عنها مشغولون، وعبر الأيام جمّة ونحن عنها غافلون فطلوع وفول، وممالك تبني وأخرى تزول، ومدائن تعمر وأخرى تدمر، وإذا أراد الله أمرا

=

عقبه: هذا حديث ليس إسناده بمتصل، وعبدالرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ.

وقال البيهقي: فيه إرسال عبدالرحمن بن أبي ليلى لم يدرك معاذ بن جبل.

وفي الحديث علة أخرى وهي الإرسال كما أشار إليها الترمذي رحمه الله، فقد روى الحديث شعبة عن عبدالملك بن عمير عن عبدالرحمن بن أبي ليلى مرسلًا، وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الترمذي» (٣٨٣)، ويغني عنه حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن رجلاً أصاب من امرأة قبله، فأتى رسول الله ق، فذكر ذلك له، فأنزلت عليه ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]، قال الرجل: أي هذه؟ قال: «لن عمل بها من أمتي» رواه البخاري رقم (٤٦٨٧)، ومسلم رقم (٢٧٦٣).

(١) الزعيم: ولد العيهرة والشرير، كما في «لسان العرب» مادة: زعم.

فإنما يقول له كن فيكون، وهذه الدار للفناء، وسكانها للموت والبلاء، ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

والعاقل بما يشاهد متعب وممحون، وحياة بالآفات مملوءة لا يستريح بها إلا جاهل أو مجنون، أو ميت الضمير لا يبال بما عليه غيره من الشئون وموت هذا خير من حياته وما أحد عليه بمحزون، ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذريات: ٢٠-٢١]، ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قُرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠-١١].

كيف ينتظر المرء ما أقبل من دهره ويتمنى لقبض المرتب تمام شهره وهو يعلم أن ذلك ينقص من عمره، وأنها مراحل يقطعها من سفره وصفحات يطويها من دفتره.

فهل يسر أحد بوصوله إلى قبره، ومفارقه لماله وأهله ومعشره، إلا عبداً استعد للقُدوم على الله بامتثال أمره واتخذ الدنيا طريقاً إلى مقره، فأحسن فيما آتاه الله من صحة ومال، وعلم وعقل ومكانة عالية في أهل عصره وراقب الله في فعله وتركه، وسره وجهه.

وإذا فعل شيئاً يحل فعله ذكر الله واستغفر لذنبه ووزره، وكف نفسه عن الحرام، وقال: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الكَافِرِينَ ﴿البقرة: ٢٨٦﴾، قال رسول الله ﷺ: «ما من عام إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم»^(١)، وقال ﷺ: «ما من عام إلا وينقص الخير فيه ويزيد الشر»^(٢).

وقال ﷺ: «ما من ساعة تمر بآدم لم يذكر الله فيها إلا حسر عليها يوم القيامة»^(٣).

(١) أخرجه البخاري رقم (٧٠٦٨)، والترمذي (٢٢٠٦) والسياق له من حديث أنس رضي الله عنه، ولفظ البخاري: «لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم».

(٢) أخرجه الطبري في «الكبير»، كما في (كنز العمال) (٢٥٣/١٤)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وقال العجلوني في «كشف الخفاء» (٢/٢٤٩): سنده جيد.

قلت: الحديث لم أفق عليه في «المعجم الكبير» لأنه غير مكتمل، وهو في «موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة» (٨/٥٨٣)، وعزاه أصحاب الموسوعة لـ «الأسرار المرفوعة» (٣٤٩)، وأخرج أحمد في مسنده (٦/٤٤١) عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً: كل شيء ينقص إلا الشر، فإنه يزداد فيه.

وفي سنده أبو بكر بن أبي مريم ضعيف، وفيه: رجل لم يسم وقد ضعف الحديث الشيخ الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (١٥٠٩)، والله أعلم.

(٣) (ضعيف جداً).

أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (٥٠٨)، والطبراني في «الأوسط» رقم (٨٣١٦)، وأبونعيم في «الحلية» (٥/٣٦٢) من حديث عائشة رضي الله عنها، وفي سنده عمرو بن الحصين العقيلي متروك كما في «التقريب»، وبه أعل الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/٨٠).

وفيه محمد بن عبدالله بن عثالة العقيلي ضعيف، ومع هذا فقد حسن الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٥٧٢٠).

وفي الباب عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، ولفظه: «ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعات مرت بهم لم يذكروا الله فيها».

وقال عليه الصلاة والسلام: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز

ذلك»^(١)، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْثِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

=

أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٠ / رقم ١٨٢)، والبيهقي في «الشعب» (٥٠٩ و ٥١٠)، وإسناده ضعيف، سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي وإن كان حسن الحديث لكن قال أبو حاتم: أروى الناس عن الضعفاء والمجهولين. وشيخه يزيد بن يحيى أبو خالد الرقاشي ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح» (٩ / ٢٩٧) وقال: سألت أبي عنه فقال: ليس بقوي الحديث. وانظر «صحيح الجامع» رقم (٥٣٢٢). (١) (حسن).

أخرجه الترمذي (٣٥٥٠)، وابن ماجه (٤٢٣٦)، وأبو يعلى رقم (٥٩٩٠)، وابن حبان (٢٩٨٠)، والحاكم (٤٢٧ / ٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الإمامان الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٧٥٧) وشيخنا المصلح الكبير مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله وطيب ثراه في «الصحيح المسند» (٢ / ٣٢٤-٣٢٥).

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «عمر أمتي من ستين سنة إلى سبعين» أخرجه الترمذي (٢٣٣١)، وأبو يعلى (٦٦٥٦) وهو صحيح، وهو في «الصحيحة» و«الصحيح المسند» المصدران السابقان، والحمد لله.

الخطبة السابعة والخمسون

في الاستعداد للموت وما بعده

الحمد لله العالم المريد^(١)، الخالق الرازق الغني الحميد، ذو العرش المجيد، فعال لما يريد، عفوه عظيم وبطشه شديد، وهو الله الباعث^(٢) الوارث المبدئ المعيد، ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥]، ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * مِنْ نُطْقَةٍ إِذَا تُمْنَى * وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم: ٤٥-٤٧].

نحمده تعالى حمداً يليق بجلاله، ونشكره عز وجل على أفضاله، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عم الوجود جوده وشمل العالمين بنواله، وجعل الحياة لابن آدم مزرعة لأعماله، يحصد ما زرع فيها عند مآله.

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المعروف بكماله، القائل ﷺ: «أنا أعرفكم بالله، وأتقاكم له»^(٣)، لما شاهد من جلال ربه وجهاله، ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ * أَفَتُهَارُونَ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم: ١٠-١٢].

-
- (١) لا أعلم دليلاً صحيحاً على أن المريد من أسماء الله عز وجل، وقد تقدم التنبيه على ذلك.
- (٢) لا أعلم دليلاً صحيحاً على إثبات اسم الباعث لله جل وعلا، ولكن يجوز أن يخبر عن الله به.
- (٣) أخرجه البخاري رقم (٢٠) عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: «إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا». قال الحافظ في «الفتح» (١/ ٩٦) / ط: السلام / قوله: «أنا أعلمكم»: كذا في رواية أبي ذر، وهو لفظ الحديث الذي أورده في جميع طرقه، وفي رواية الأصيلي: «أعرفكم» وكأنه مذكور بالمعنى حملاً على =

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد بن عبدالله، سيد خلق الله، وخاتم رسل الله، والقائل ﷺ: «عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»^(١)، ﷺ عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه، وعلى التابعين لهم بإحسان في شرائع الله، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

=

ترادفها هنا، وهو ظاهر هنا، وعليه عمل المصنف. اهـ
فتبين من هذا أن المصنف رحمه الله نقل الحديث بالمعنى، والله أعلم.
وفي «صحيح مسلم» رقم (١١١٠) عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: «والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي».
وأخرجه أحمد في «مسنده» (٤٣٤/٥) عن امرأة من الأنصار مرفوعاً: «أنا أتقاكم لله وأعلمكم بحدود الله»، وإسناده صحيح، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيح» رقم (٣٢٩)، وشيخنا العلامة مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٥٤٨/٢).
(١) (صحيح).

أخرجه الترمذي (١٦٣٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده حسن، وقد صحح الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٣٩٩١).
وفي الباب عن أنس رضي الله عنه، أخرجه أبو يعلى (١٠/٤٣٤٦)، والضياء في «المختارة» (٢١٩٨)، والطبراني في «الأوسط» رقم (٥٧٧٩)، وفي سنده شيب بن بشر البجلي مختلف فيه، والراجح ضعفه، قال فيه البخاري: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: لين الحديث، ولم يوثقه سوى ابن معين كما في «التقريب». وقد تابع شيب بن بشر قتادة عند الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٦٠/٢)، وفي الإسناد إليه من لا يعرف. وقد صحح حديث أنس العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٣٩٩٠ و ٣٩٩٢) والحمد لله.

عباد الله: شغلتكم الدنيا عن الآخرة وصرفكم العاجل عن الآجل، وغرتكم الحياة الدنيا وما ينبغي ذلك لعاقل، فكم ترون من هالك بعد هالك، وراحل بعد راحل، وكم تشاهدون من ملك عظيم وملكه عنه زائل، ولم تغن عنه من الله شيئاً معداته والجحافل.

وكم من غني كبير ذهب عنه ماله الكثير الطائل، وأقبل كل على الله بما هو عامل، والتحق الأواخر بالأوائل، ولقيت خزاعة بكر بن وائل، وسيحكم الله بين عباده ويجازي كل بما عمل وهو الكريم العادل، ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَكِّرْ مَنْ يَحْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ [الأعلى: ٩-١٢].

هذه الدار خداعة مكاراة، ساخرة بأهلها غرارة، ونفسك أيها الإنسان بالسوء أماراة، والشيطان يأتيك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك، ويأمرك بالسوء والفحشاء ويدعوك إلى الخسارة.

فيا لك من ثلاثة أعداء تأمروا عليك وبحسن العبارة قد صرفوك عن كل بشارة ونذارة، وزينوا لك الشر وأطواره، وحسنوا لك الذنوب بكل مهارة، ودعوك إلى الفساد بالتصريح والتلميح والإشارة.

وأنت بهم واثق وإليهم رакن، لا تنفعك الموعظة ولا تسمع من الخطيب إنكاره، وإسهابه في التحذير وإكثاره، فاتقوا الله وقوا أنفسكم وأهليكم ناراً، وقودها الناس والحجارة، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢-٣].

تمكن والله حب الدنيا من قلوب الكفار والمسلمين، فأصبحوا لا يباليون في سبيلها بمروءة ولا دين، وتحكمت في بني آدم الشياطين، فزينوا لهم ما كانوا يعملون، وقالوا لهم ما أنتم بميتين إلا الموتة الأولى وما أنتم بمعزيين.

وما هذه الآيات والمواعظ إلا أساطير الأولين، فأصبح الناس بالأديان ^(١) مستهزئين، وبالتعاليم السماوية ^(٢) مستخفين وقال الآباء للبنين: كونوا كما شئتم فما نحن عنكم بمسئولين.

وقال الصغار للكبار: لولا أنتم أيها الجامدون لكنا قومًا صالحين، فخلوا سبيلنا وامضوا حيث تؤمرون، وتمنوا الموت إن كنتم صادقين، فليتهم يسمعون الكتاب المبين، وهو يتحدث عن القرون الغابرين بقوله عز وجل: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ * وَنَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ * وَقَوْمِ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَىٰ * وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ * فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ [النجم: ٥٠-٥٥].

أملك يا ابن آدم طويل وأجلك قصير، وخير هذه الحياة قليل وشرها كثير، فأنت تبني وتهدم، وتنقض وتبرم، وتقدر فتخطي التقدير، وتقول وتفعل وتترك وتدبر.

فتأتي الأمور مخالفة للتدبير، وتسيء الاكتساب وتسوف بالمتاب، وتستبعد الموت لأنك صحيح وصغير، وإنما يموت المريض والكبير، فهلا تذكرت من مات فجأة وأخذ بغتة واستسلم كالأسير، فأمسى أميرًا وأصبح غير أمير، وتم أجله وانقطع عمله، وأسلمه إلى

(١) الصواب أن يقول المؤلف رحمه الله: فأصبح الناس بتعاليم الدين مستهزئين؛ لأن بقية الأديان قد نسخت كما تقدم التنبيه على ذلك مرارًا.

(٢) تقدم التعليق على مثل هذه الألفاظ.

الله أهله وانقطعت عنه المعاذير، وفي القبر يسأله منكر ونكير^(١)، وإذ ذاك يعلم المصير، أفي الجنة أم في السعير، ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا*يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ [طه: ١٠٢-١٠٣].

إذا وقف الناس بين يدي الله، ونظر كل امرئ ما قدمت يداه، واجتمع الناس في عرصات القيامة وهم حفاة عراة^(٢)، يسمعون الصيت ويبصرهم الناظر من أبعد الموقف وأدناه^(٣).

فثم تذهل العقول وتبلبل الألسنة ويستغرق الإنسان في بكاه، وقد أجمه العرق وتغشاه^(١)، وخشعت الأصوات للرحمن فلا يتكلم إلا من أذن له الله من ملائكته وأنبيائه، وتطايرت الصحف ونصب الميزان.

(١) يشير المؤلف رحمه الله بهذا الكلام إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الترمذي رقم (١٠٧١) وابن حبان (٣١١٧)، ولفظه: «إذا قبر الميت أو قال أحدهم، أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، والآخر: النكير» الحديث.

قال العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (١٣٩١): إسناده جيد، رجاله كلهم ثقات، رجال مسلم، وعبدالرحمن بن إسحاق هو العامري القرشي مولاهم فيه كلام لا يضر. اهـ

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري رقم (٦٥٢٧) ومسلم رقم (٢٨٥٩).

(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري رقم (٣٣٤٠) ومسلم رقم (١٩٤).

وتجلى الله لفصل القضاء بين عباده الطائعين والعصاة، فظهرت الجرائم، وأنصف الحاكم وأمر بالظالم إلى مقره ومثواه فكيف الخلاص وأين النجاة، ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الأنفطار: ١٩]، ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٧-٨٨].

فهل ينبغي لمن آمن بالله واليوم الآخر، وهل يليق بمن عرف مصير الأوائل والأواخر، ورأى أن الموت يأخذ الأصاغر والأكابر، أن يطمئن إلى هذه الحياة أو يركن إلى دنياه وقد امتلأت المقابر بالمأمور والآمر.

فيا من بهاله وولده يفاخر، ويا من بملكه يباهي وبعلمه يناظر، ويا مترفعًا عن التراب الثائر أن يمس جسمك أو ثوبك النظيف الطاهر، كيف بك إذا دُس أنفك بالتراب وعافتك العشائر وفارقك الأنيس والصاحب والجليس، ولم يبق معك إلا عملك فأنت الراح أو الخاسر، فالله يمن علينا بحسن الختام ويتوفانا جميعًا على ملة الإسلام ويقبل العاثر، ونسأله عز وجل أن يرزقنا التقوى وأن يوفقنا للحسنى وهو الكريم القادر، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠].

=

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه أخرجه مسلم رقم (٢٨٦٤)، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري رقم (٦٥٣٢) ومسلم (٢٨٦٣).

قال رسول الله ﷺ: «كفى بالموت واعظاً، وكفى باليقين غنى»^(١).

وجلس ﷺ على شفير قبر فبكى حتى بل الثرى ثم قال: «يا إخواني لمثل هذا فأعدوا»^(٢)، وقال ﷺ: «أربعة من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وطول الأمل، والحرص على الدنيا»^(٣).

(١) (ضعيف جداً).

قال العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٥٠٢): رواه أبو سعيد بن الأعرابي في «معجمه» (٩٧/١)، وابن بشران في «مجلس يوم الجمعة من الأمالي» ورقة (٢/٢٠٨)، وأبو الفتح الأزدي في «المواعظ» (٧/١)، والقضاعي (١١٤/١) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه. وإسناد ضعيف جداً، فيه الربيع بن بدر متروك، ثم إنه روي موقوفاً، فقد أخرجه أحمد في «الزهد» (١٧٦)، وابن أبي الدنيا في كتاب «اليقين» رقم (٣١) بسند صحيح عن عمار بن ياسر موقوفاً غير مرفوع، وكذلك رواه نعيم بن حماد في «زوائد زهد ابن المبارك» رقم (١٤٨) عن ابن مسعود موقوفاً، وهو الصواب إن شاء الله. اهـ

(٢) (ضعيف).

أخرجه أحمد (٢٩٤/٤)، وابن ماجه (٤١٩٥) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وفي سنده محمد بن مالك الجوزجاني قال ابن حبان: كان يخطئ كثيراً لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد، وقال الذهبي: فيه لين، وقال أبو حاتم: لا بأس به، كما في ترجمته من «التهذيب»، ومع ذلك فقد حسن الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (١٧٥١).

(٣) (ضعيف).

أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢٢٥/٤)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢٤٦/١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال ابن عدي عقب الحديث: وضعه سليمان بن عمرو على إسحاق بن =

قال عليه السلام: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ماذا عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه»^(١).

=

عبدالله بن أبي طلحة. اهـ

قلت: سليمان بن عمرو هو ابن عبدالله أبوداود النخعي كذاب، قال أحمد بن حنبل: كان يضع الحديث، وقال يحيى: معروف بوضع الحديث، وقال البخاري: متروك رماه قتيبة وإسحاق بالكذب، وقال يزيد بن هارون: لا يحل لأحد أن يروي عنه. اهـ بتصرف من «الميزان» (٢/٢١٦).

وأخرجه أبونعيم في «الحلية» (٦/١٧٥) من طريق أخرى فيها صالح بن بشير المري ضعيف كما في «التقريب»، وفيه يزيد بن أبان الرقاشي ضعيف أيضًا.

وأخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٤/رقم ٣٢٣٠) من طريق أخرى عن أنس رضي الله عنه، وفيها هانئ بن المتوكل الإسكندراني ترجمه الذهبي في «الميزان» (٤/٢٩١) وقال: قال ابن حبان: كان تدخل عليه المناكير، وكثرت، فلا يجوز الاحتجاج به بحال، ثم ساق له الذهبي من مناكيره هذا الحديث، وبه أعله الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/٢٢٦).

وفيه أيضًا أبان بن أبي عياش العبدي متروك كما في «التقريب»، فالحديث ضعيف، وقد ضعف الحديث ذهبي عصره وفريد دهره الإمام الألباني رحمه الله في «الضعيفة» برقم (١٥٢٢)، والحمد لله.

(١) (حسن لغيره).

والحديث جاء عن جمع من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم:

١- عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه، أخرجه الدارمي (٥٥٤)، والترمذي (٢٤١٧)، والآجري في «أخلاق العلماء» (٥٩)، وأبويعلى في «مسنده» (٧٤٣٤)، وفي سنده سعيد بن عبدالله بن جريج، روى عنه جمع ولم يوثقه سوى ابن حبان، وقال أبو حاتم: مجهول كما في «التهذيب»، وعبارة الحافظ في «التقريب»: صدوق له أوهام، فهو في الشواهد.

٢- عن ابن مسعود رضي الله عنه، أخرجه الترمذي (٢٤١٦)، وأبويعلى (٥٢٧١)، والطبراني في «الكبير» =

=

(١٠/ رقم ٩٧٧٢)، و«الصغير» (٧٦٠)، وفي سنده حسين بن قيس الرحي الملقب بحنش متروك كما في «التقريب» فلا يصلح للاستشهاد به.

٣- عن معاذ رضي الله عنه، أخرجه الآجري في «أخلاق العلماء» (٥٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ رقم ١١١)، ومن طريقه البيهقي في «المدخل» (٣١٧)، وفي «الشعب» (١٦٤٨)، وفي سنده صامت بن معاذ الجندي، ذكره ابن حبان في «الثقات» (٨/ ٣٢٤) وقال: كان يهم ويغرب.

قال الدارقطني في «العلل» (٦/ ٤٧): وهم يعني عبدالمجيد بن أبي رواد في قوله عن صفوان، وإنما روى الثوري هذا الحديث عن ليث عن عدي عن الصنابحي عن معاذ موقوفاً، إلى قوله: وهو الصحيح عن الثوري. اهـ.

فأنت ترى أن الدارقطني رحمه الله رجح في حديث معاذ رضي الله عنه أنه موقوف من قوله. والموقوف أخرجه هناد في «الزهد» (٧٢٤)، وابن أبي شيبه (١٣/ ٣٤٦)، ومن طريقه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٢٠٨)، وفي سنده ليث بن أبي سليم ضعيف مختلط. وله طريق أخرى أخرجه الدارمي في «سننه» (٥٥٥)، والبيهقي في «المدخل» (٣١٦-٣١٧)، وفي سنده رجل مبهم.

٤- عن ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ رقم ١١١٧٧)، وفي «الأوسط» رقم (٤٩٠٦)، وفيه زيادة «وعن حنينا لأهل البيت»، وفي سنده حسين بن الحسن الأشقر رافضي خبيث كان شتاً للسلف، وكذبه أبو معمر الهذلي، وقال أبو زرعة: منكر الحديث، كما في ترجمته من «التهذيب».

وبه أعل الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٤٦).

٥- عن أبي الدرداء رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٤٧١٠)، وفي سنده أبو بكر الداهري عبد الله بن حكيم متروك، وكذبه الجوزجاني، ومحمد بن سعيد الشامي المصلوب قتله المنصور على الزندقة وصلبه، كذاب مشهور.

فالخلاصة أن الحديث حسن بطرقه التي لم يشتد ضعفها، كطريق أبي برزة ومعاذ، وبقية الشواهد تالفة لا =

وقال ﷺ: «يا أمة محمد، والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو أمته، يا أمة

محمد، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»^(١).

﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ [النجم: ٥٩ -

٦١]. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الطلاق: ١٠].

=

تصلح للاستشهاد، وقد صحح الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٩٤٦) وشيخنا مقبل الوادعي رحمه الله، فيما استفدناه من دروسه المباركة، وكما هو مدون في بعض كتبه، وكذا شيخنا المفصال يحيى بن علي الحجوري حفظه الله، والحمد لله.

(١) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه، منها برقم (١٠٤٤) ومسلم رقم (٩٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

الخطبة الثامنة والخمسون

لكسوف الشمس وخسوف القمر

الحمد لله باعث الرسل بآياته، ومظهر الحق بكلماته، والله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الكفر وظلماته، ويهديهم سبل الخير وطرقاته، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت وإمامهم الشيطان يتبعون خطواته، يزين لهم سوء أعمالهم بضلالاته، ويوقعهم في الشر وآفاته.

ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فسعيه مشكور، وعمل مبرور، ولن يضيع الله حسناته، ومن اتبع نفسه هواها، وأحاطت به خطيئته وتمادى في شهواته، ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١-٨٢].

نحمده تعالى جعل الشمس والقمر من آياته، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته^(١)؛ ولكن يخوف الله بهما عباده^(٢) إذا تركوا الدين وواجباته، وجاوزوا حدود الله وانتهكوا

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (١٠٤٣)، ومسلم رقم (٩١٥)، وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري رقم (١٠٤٢) ومسلم رقم (٩١٤)، وعن أبي بكرة رضي الله عنه أخرجه البخاري (١٠٤٠).

(٢) يشير رحمه الله إلى حديث أبي موسى رضي الله عنه أخرجه البخاري (١٠٥٩) ومسلم (٩١٢).

حرماته، فإذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا وتصدقوا حتى ينكشف ما بكم^(١)، وأقرب

(١) يشير رحمه الله إلى حديث المغيرة وقد تقدم تخريجه. وأما قوله: (وتصدقوا) فجاءت هذه الزيادة في حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري رقم (١٠٤٤) ومسلم رقم (٩٠١).

ما يكون العبد من ربه في صلاته^(١)، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو الذي يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن العبد إذا تاب وأقلع عن سيئاته، ومن تاب وآمن وعمل صالحًا فذلك ممن يبدل الله سيئاته بحسناته.

ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المؤيد بمعجزاته، والدال على الله بمخلوقاته، وما أكثر الأدلة على أنه لا إله إلا الله في أرضه وسماواته، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد البليغ وعظه، الفصيح لفظه، القائل ﷺ: «بادروا بالأعمال ستًّا: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، ودابة الأرض، والدجال، وخويصة أحدكم، وأمر العامة»^(٢).

صلى الله عليه وآله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان في الإسلام والإيمان تسليًا كثيرًا. عباد الله: لا يتصرف في هذا الوجود ولا يدبر أمره إلا الله اللطيف الخبير، هو الذي خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير، تسبح له السماوات السبع والأرض وما فيهن وهو العلي الكبير، سبحانه جعل الشمس ضياء والقمر

(١) يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم رقم (٤٨٢).

(٢) أخرجه مسلم رقم (٢٩٤٧) (١٢٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

نورًا، فزين الكون بالإضاءة والتنوير، ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢]، وتعالى السميع البصير.

والشمس والقمر من أظهر آياته الدالة أنه على كل شيء قدير، فبهما تعرف السنون والحساب وأوقات العبادة، ولهما بإذن الله في حياة النبات والحيوان الأثر الكبير، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

أمة من الناس يتخذون من دون الله إلهين اثنين وهما النور والظلام، ويقولون: هذا إله الخير وذاك إله الشر، وكذلك تفعل الشياطين بالاتباع إذا ضلت الأحلام، فلنور الشمس والقمر يركعون ويسجدون طوال الليالي والأيام، وإنهم ليرون الخسوف والكسوف يصاب به النيران في كل عام.

وهل يعبد من لا يرد عن نفسه المكروه من ظلام الليل إذا جن وظلمة الآبار والبيوت والآطام، لا شيء والله إلا التخيلات والأوهام!!

فاحمدوا الله أيها المسلمون على نعمة الإسلام، واعبدوه تعالى كأنكم ترونه وإن لم تكونوا ترونه فإنه يراكم بعينه التي لا تنام^(١)، وتذكروا قول الهدهد لسليمان عليه وعلى سائر النبيين أفضل الصلاة والسلام، ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمْ

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أخرجه مسلم (١٧٩).

الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ [النمل: ٢٥].

يوم تقوم الساعة يتغير الكون، فتتكور الشمس وينخسف القمر، وتنفطر السماء، وتشقق بالغيام وينقلب هذا النظام ويتغير فتحشر الوحوش وتزوج النفوس وتفتح القبور وتتبعثر وتطمس النجوم وتنسف الجبال وتفجر البحار ثم تسجر ويومئذ يقول الإنسان أين المفر كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر وينبأ الإنسان بما قدم وأخر.

فاستعدوا لهذه الأهوال، ولا تغرنكم الأيام والليالي، ولا تتخذوا آيات الله هزواً فإن الساعة آتية وما أمرنا إلا واحدة كلمح البصر، وإذا رأيتم الخسوف والكسوف فكونوا من الأمر على حذر قبل أن يدهمكم الخطر.

فلقد جاءكم من الأنباء ما فيه مزدجر، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ * وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ [الزمر: ٦٩].

ذنوب العباد ترد الدعاء وتمنع غيث السماء وتغضب الله وفي خطبة الكسوف يقول رسول الله عليه صلوات الله: «يا أمة محمد والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو

تزني أمته»^(١)، ونعوذ بالله من أحوال الزناة وإن من المعاصي لما تتحرك منه السماء حتى يأخذ الملائكة بأطرافها خشية أن تقع على الأرض^(٢) من سخط الله.

وفي الكسوفين من التخويف ما لو أدركه العصاة لفزعوا إلى الصلاة ولبادروا بالتوبة والندم والاستغفار قبل أن يحل بهم عذاب الله.

وما تركت أوامر الدين في قرية وخالف أهلها ما حكم به الله وقضاه إلا وحق عليها القول فذاقت وبال أمرها فلا تأمنوا مكر الله.

ومن ارتكب الآثام واستخف بعقاب الله، ظهر سواد المعصية على وجهه بعد الموت وفي الحياة، كما يسود وجه القمر عند الخسوف وما كان أبهجه وأضواه، ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، إذا كشف أحد القمرين استحباب كثرة الصلاة^(٣) والدعاء

(١) أخرجه البخاري في مواضع من «صحيحه» منها برقم (١٠٤٤) ومسلم برقم (٩٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) هذا الكلام لا أعلم دليلاً على ثبوته، وهو مخالف لقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

(٣) ما ذهب إليه المؤلف رحمه الله من استحباب صلاة الكسوف هو قول جمهور العلماء، والصواب هو وجوب صلاة الكسوف، وهو قول أبي عوانة في «صحيحه»، وحكي عن أبي حنيفة، وقال به بعض الحنابلة، لقول النبي ق: «إذا رأيتموا ذلك فادعوا الله وصلوا حتى تنكشف».

راجع «المغني» (٣/ ٣٣٠)، و«الفتح» (٢/ ٦٧٩)، و«صحيح أبي عوانة» (٢/ ٩٢)، و«الشرح الممتع» =

والصدقة والعتاقة^(١)، ولا يكلف أحد من الخير إلا ما قدر عليه وأطاقه، ولا يرد البلاء ويدفع الأذى ويستجاب به الدعاء مثل الإنفاق من الحلال.

وما أحسن كسب المال من حله وإنفاقه، وكان رسول الله ﷺ يرغب في التوبة^(٢) ويحث عليها عند ظهور الآيات، ويخوف من زلزلة الأرض وزوابع الريح، وتغير الأفلاك أمته ورفاقه، ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ﴾ [الإسراء: ٥٩].

وإذا فسد الزمان^(٣) وتظاهر بالسوء أهل العصيان، ووضع الشيطان على الناس كله^(٤) ورواقه^(٥)، انهمكوا في مخالفة الدين، واستخفوا بتعاليم النبيين^(٦)، وخرجوا عن الشرائع

=

(٢٣٧/٥).

(١) يشير رحمه الله إلى حديث أسماء رضي الله عنها قالت: لقد أمر رسول الله ق بالعتاقة في كسوف الشمس. أخرجه البخاري رقم (١٠٥٤).

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي موسى رضي الله عنه أخرجه البخاري (١٠٥٩) ومسلم رقم (٩١٢) ولفظه: «فإذا رأيتم شيئاً من ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره».

(٣) تقدم التنبيه على إطلاق هذا الكلام فسد الزمان، تحت الخطبة (١٥) فراجع إن شئت.

(٤) الكلل هو اسم يجمع الأجزاء، وقيل: المكلل الذي يحمل فلا يرجع حتى يقع يقرنه، «لسان العرب» مادة: كلل.

(٥) أي: حربه الشديدة كما في «لسان العرب» مادة: روق.

(٦) نحن مأمورون بتعاليم نبينا محمد ق الكريم، قال الله: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، وقال الله: ﴿وَاتَّبِعُوا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

والقوانين^(١) بل وعن الأدب واللياقة وحينئذ لا يبالى بهم الله باله ولا يعاملهم إلا بما يستحق من نقض عهد الله وميثاقه.

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

من فضل الله على خلقه تخويفهم بالآيات التي تهتز لها المشاعر والأبدان كالرعد والبرق والصواعق والفيضات، وكذلك الزلازل وما يسقط بها من كبار الشجر وشوامخ البنيان.

وما يقع في بعض الأماكن من انفجار البركان، وسيلان الأودية بالنيران، وما ذاك إلا ليخوف الله به الإنسان، إذا تمادى في الطغيان، ولعذاب الآخرة أكبر ولأمر الله أعظم.

فإذا انشقت السماء فكانت كالدهان، فبأي آلاء ربكما تكذبان، ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣١-٣٣].

صلاة الكسوف ركعتان في كل واحدة منهما قيامان وركوعان^(٢)، ويسن تطويلهما بكثرة التسبيح وتلاوة القرآن.

(١) الصواب أن يقول المؤلف رحمه الله: وخرجوا عن الشرع والدين، كما تقدم التنبيه على ذلك مرارًا.

(٢) هذا هو الصواب في صلاة الكسوف أن تصلى ركعتين في كل ركعة ركوعان، وهذا هو قول جمهور العلماء، واختيار شيخ الإسلام وابن القيم والصنعاني والشوكاني، وعليه العمل لأنه هو الثابت عن النبي ق، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البخاري (١٠٥٢) ومسلم (٩٠٧) وغير ذلك من الأحاديث.

قال العلماء: ويندب أن يقرأ في القيام الأول بمقدار سورة البقرة، وفي الثاني بمقدار سورة آل عمران، وفي الثالث قدر سورة النساء، وفي الرابع قدر سورة المائدة كما ثبت ذلك من فعل سيد بني الإنسان^(٢)، وتكون القراءة جهراً في الخسوف^(٣)، وسراً في الكسوف^(٤).

=

(١) استحب أهل العلم إطالة صلاة الكسوف فيطيل قيامها وركوعها وسجودها لحديث ابن عباس رضي الله عنهما المتقدم، وحديث جابر رضي الله عنه في مسلم (٩٠٤) «ثم ركع فأطال، ثم قام فأطال، ثم سجد».

(٢) الذي ثبت عن النبي ق في البخاري (١٠٥٢) ومسلم (٩٠٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «انخسفت الشمس على عهد رسول الله ق، فصلى فقام قياماً طويلاً نحواً من قراءة سورة البقرة، ثم ركع ركوعاً طويلاً...» الحديث.

وروى أبو داود (١١٨٧) عن عائشة رضي الله عنها قالت: حذرت قراءة رسول الله ق، فرأيت أنه قرأ في الركعة الأولى سورة البقرة، وفي الثانية آل عمران، وإسناده حسن. وأما قراءة سورة النساء في الثالثة، وفي الرابعة سورة المائدة، فاستحبه بعض العلماء كما في «المغني» (٣/٣٢٣).

(٣) هذا هو الصواب أن صلاة خسوف القمر يجهر في القراءة بها، لأنها صلاة ليلية، هذا لا نزاع فيه بين العلماء والدليل حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري (١٠٦٥) ومسلم (٩٠١) (٥) ولفظه: «جهر النبي ق في صلاة الخسوف بقراءته».

(٤) ما ذهب إليه المؤلف رحمه الله إلى أن صلاة الكسوف يسر فيها بالقراءة هو مذهب الشافعي ومالك وأبي حنيفة والليث واستدلوا على ذلك بأدلة صحيحتها غير صريحة، وصرحها ضعيف.

والصواب في هذه المسألة أنه يجهر في صلاة كسوف الشمس بالقراءة، لعموم حديث عائشة رضي الله عنها المتقدم، وهذا مذهب أحمد وإسحاق وأبي يوسف وغيرهم.

راجع «المغني» (٣/٣٢٤-٣٢٦)، و«المجموع» (٥/٥٧)، و«شرح السنة» (٤/٣٨٢).

وكون الصلاة في المسجد جماعة أفضل منها في البيوت^(١)، وليحضرها النساء^(٢) والصبيان، وبعد الصلاة تلقى على الناس خطبتان^(٣)، ويؤمرون فيها بالتوبة وكثرة البر والإحسان، ومن البدعة ضرب الطبول والصراخ في الطرق والأسواق.

جل جلالك يا رحمن عجل بالتوبة والغفران، ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٨-٤٠].

(الأحاديث) عن عائشة رضي الله عنهما، «أن النبي ﷺ جهر في صلاة الكسوف بقراءته، فصل أربع ركعات في ركعتين وأربع سجعات». متفق عليه^(٤)، وفي رواية لمسلم:

-
- (١) هذا هو الصواب في الجماعة في صلاة الكسوف أنها مستحبة، وهو قول جمهور العلماء لفعل النبي ق، راجع «المغني» (٣/٣٢٢).
- (٢) لأن عائشة وأسماء رضي الله عنهما، صلتا مع رسول الله ق، كما في «البخاري» (١٠٥٣) ومسلم (٩٠٥)، وانظر «المغني» (٣/٣٢٢).
- (٣) ما ذهب إليه المؤلف رحمه الله إلى أن خطبة الكسوف خطبتان هو مذهب الجمهور كما في «شرح المذهب» (٥/٥٨). والصواب أنها خطبة واحدة مقصودة بحمد وثناء وموعظة وتذكير، ولا دليل على كونها خطبتين، فإن النبي ق لم يخطب إلا خطبة واحدة، وهو الذي اختاره العلامة الفقيه ابن عثيمين رحمه الله في «الشرح الممتع» (٥/١٨٨).
- (٤) أخرجه البخاري رقم (١٠٦٥) ومسلم رقم (٩٠١) (٥) والسياق له.

«فبعث منادياً ينادي الصلاة جامعة»^(١)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما هبت الريح قط إلا وجثا النبي ﷺ على ركبتيه وقال: «اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً»^(٢)، وعنه رضي الله عنه، أن النبي ﷺ صلى في زلزلة ست ركعات وأربع سجعات، وقال: «هكذا صلاة الآيات»^(٣)، وروي عنه رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾، قال: بحساب ومنازل يرسلان^(٤)، والله تعالى يقول: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ

(١) هذه الرواية أخرجه مسلم رقم (٩٠١)(٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) (ضعيف جداً).

أخرجه الشافعي كما في «المسند» (١/١٧٥)، وفي إسناده إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي متروك، كما في «التقريب». وله طريق أخرى أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/٢١٣-٢١٤) رقم (١١٥٣٣)، وفي سندها الحسين بن قيس الرحيبي الملقب بحنش متروك كما في «التقريب»، وبه أعل الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٣٦).

(٣) (صحيح). أخرجه عبدالرزاق في «مصنفه» (٣/١٠١)، والبيهقي في «الكبرى» (٣/٣٤٣)، وقال البيهقي: هو عن ابن عباس ثابت.

(٤) (ضعيف موقوف).

أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٢/١٧٠)، وإبراهيم الحربي في «غريبه» كما في «تغليق التعليق» (٣/٤٩٢)، والحاكم (٢/٤٧٤)، وهو من رواية سمالك بن حرب عن عكرمة، وهي مضطربة كما في «التهذيب». والأثر عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/١٤٠) إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

قال ابن جرير رحمه الله في تفسير الآية المذكورة: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال معناه: الشمس والقمر يجريان بحساب ومنازل.

وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾

[النحل: ١٢].

الخطبة التاسعة والخمسون

في خطبة الاستسقاء

أستغفر الله العظيم (تسْعاً) ^(١) (وفي الأخيرة) الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه.

الحمد لله غفار الذنوب، وستار ^(٢) العيوب، وكشاف الكروب وعلام الغيوب، يعلم خائنة الأعين وما تخفي القلوب، شديد العقاب قابل التوبة ممن يتوب، نحمده تعالى يجود بأعظم موهوب.

ونشكره عز وجل شمل بإحسانه كل مربوب، ونسأله العفو والعافية ونيل كل مطلوب، ونستغفره لذنوبنا وسيئات أعمالنا، ونعوذ برضاه من سخطه، وبمعافاته من

(١) افتتاح خطبة الاستسقاء بالاستغفار ليس عليه دليل، وإنما هو استحسان من الفقهاء والصواب خلافه، قال ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» (١/١٨٦) في هدي النبي ق في خطبه: وكان لا يخطب خطبة إلا افتتحها بحمد الله، وأما قول كثير من الفقهاء إنه يفتتح خطبة الاستسقاء بالاستغفار، وخطبة العيدين بالتكبير، فليس معهم فيه سنة عن النبي ق البتة، وسنته تقتضي خلافه، وهو افتتاح جميع الخطب بالحمد لله. اهـ وانظر ما تقدم تحت الخطبة (٥٢).

(٢) لا أعلم دليلاً صحيحاً على أن (الستار) من أسمائه سبحانه وتعالى؛ لأنه لم يرد دليل على ذلك من كتاب الله عز وجل ولا من سنة رسوله ق، وراجع «صفات الله عز وجل» للأخ علوي السقاف (١٤١).

عقوبته، وبه منه لا نحصي ثناء عليه، خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسه من لغوب، ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الموحى إليه بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ * ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٨-٢٠٩].

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد المأمور مع عصمته بالاستغفار لذنبه وللمؤمنين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين وأصحابه الذاكرين الله ذكرًا كثيرًا والمستغفرين، وعلى التابعين لهم بإحسان من أصحاب اليمين، ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩-٤٠]، ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

عباد الله: ذنوبكم كثيرة ورحمة الله قريب من المحسنين، وأعمالكم سيئة والله لا يصلح عمل المفسدين، وما نزل بلاء إلا بذنب ولا كشف إلا بتوبة^(١).

(١) هذا الكلام مبناه على أثر علي رضي الله عنه، ولفظه: (ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع بلاء إلا بتوبة)، ذكره ابن القيم رحمه الله في كتابه العظيم «الداء والدواء» (١١٨) ت/ الشيخ علي الحلبي وفقه الله. وأخرجه الزبير بن بكار في «كتاب الأنساب» كما في «الفتح» (٢/ ٦٤١) ط: السلام، أن العباس لما استسقى به عمر، قال: ... فذكره، والله أعلم، بسنده فكتاب «الأنساب» للزبير بن بكار مطبوع كما =

فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون فإنه يحب التوابين ويحب المتطهرين، وادعوه قائلين:
 اللهم إن هذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة وأنت أرحم الراحمين.
 وما نزل بأهل الأرض من شدة، ولا أصابتهم المحنة إلا ليعلم الله الذين صدقوا ويعلم
 الكاذبين، فمرة يختبر بالمصائب عباده المؤمنين، وتارة يعاقبهم على ما وقع منهم.
 وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين، ﴿وَلَتَبْلُؤَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ
 مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، فلا تصرفنكم عن الله
 محنته، ولا تشغلنكم عن طاعته نعمته.
 ولا تكونوا كما قال نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ
 إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح: ٢١-٢٢].
 من حكمة الله عز وجل أنه لا يديم لعباده حالة واحدة، بل يتعهدهم بالشدة والرخاء
 ويبلوهم بالشر والخير فتنة وإن لهم في ذلك لأعظم فائدة.
 فإذا شبعوا شكروه وإذا جاعوا ذكروه، فهم له حامدون ولفضله قاصدون، وقلوبهم
 إليه متجهة ووجوههم له ساجدة، يتوبون من كل معصية صادرة منهم، ويسألونه تعالى من
 كل نعمة واردة لهم.

=

في «معجم المصنفات الواردة في فتح الباري» (٨٤)، لكن لم يقع بين يدي الآن، فالله أعلم.

فتعرفوا إلى الله في الرخاء يعرفكم في الشدة، واعلموا أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً^(١)، وإنما يخوفكم الله بالقحط والجذب ومختلف أنواع البلاء لئلا تستمروا في ذنوبكم المتزايدة.

ومن اقتصرت إثما أو ارتكبت ذنباً وعلم أن له رباً يقبل التوبة من عبده ويتعهد بفضله إذا ندم على ما سلف واستغفر مما اقتصرت فليشرب توبة الله عليه، والله أرحم بعبده من الوالد والوالدة^(٢)، ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣-١٤].

إذا مرض العبد دعا الطبيب والتمس الدواء رغبة في الشفاء وطلباً للعافية، وإذا جاع أو عري اجتهد في تحصيل الطعام وما لا بد منه من الثياب الواقية والملابس الكافية ومن الحاجات ما ينال وإن جل.

ومن الأمور ما يدرك وإن عظم والدنيا كلها فانية ولكنه لا يعلم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام ويقدر الأرزاق والآجال إلا الله الذي لا تخفى عليه خافية. فاطلبوا كل شيء من الله ولا تسألوا الخير إلا منه ولا تستعينوا إلا به، فمواهبه عظيمة جليلة، وعطاياه كثيرة جليلة، وألطافه سارية وكما خلق وله الحمد فأرزاقه جارية.

(١) هذا الكلام مبناه على حديث صحيح تقدم تخريجه تحت الخطبة الأولى.

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري رقم (٥٩٩٩) ومسلم رقم (٢٧٥٤).

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ٩-١١]، يوم يحيا الرميم وتبعث الأجسام البالية.

فمن يرسل الرياح مبشرا بين يدي رحمته وينزل المطر بقدر معلوم ويصرف عنكم الثلج والبرد والبرق والصواعق، ومن ينبت الزرع ويدبر الضرع إلا الله الحي القيوم فسبحانه ما أعظم فضله وما أكثر نعمه المتوالية.

فاشكروه على ما أعطى وارجعوا عن الأخطاء واحذروا قوله تعالى: ﴿يَمَّا خَطَيَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَذْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: ٢٥].

وتوجهوا إليه تعالى تائبين مستغفرين، وردوا المظالم إلى أهلها فإن الله قد حرم الظلم على نفسه وجعله بينكم محرما فلا تظالموا^(١)، ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩-٢٨٠]، والله لا يضيع أجر المحسنين.

ومن اغتاب مسلما أو بهته أو نم عليه أو اغتصب ماله فقد ظلم وسوف يقتص له ربه يوم الدين فتحللوا من إخوانكم ولا تمزقوا بالغيبة أعراضكم، وتصافحوا وتسامحوا وتراحوا يرحمكم الله، وقولوا: ﴿ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، «ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي ذر رضي الله عنه، أخرجه مسلم رقم (٢٥٧٧).

بعض، وكونوا عباد الله إخواناً»^(١)، وعلى الخير متعاونين، ولا تكونوا من الذين إذا سمعوا الحق، ﴿ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا ﴾ استَكْبَارًا ﴿[نوح:٧]، ما شرع الله الصيام قبل الاستسقاء^(٢) إلا ليتذكر به الغني الفقير، وما استحب لكم الخروج في ثيابكم البذلة، وبحالكم المتواضعة^(٣)، إلا لتظهروا حاجتكم بين

- (١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه مسلم رقم (٢٥٦٤).
- (٢) ما ذهب إليه المؤلف رحمه الله من مشروعية الصيام قبل صلاة الاستسقاء فيه نظر؛ لأن النبي ق حين خرج إلى الاستسقاء لم يأمر أصحابه أن يصوموا.
- وأما ما ذكره المؤلف رحمه الله في خطبته هذه من التوبة من المعاصي والخروج من المظالم فهذه مناسبة لكن الصيام طاعة يحتاج إلى إثباتها بدليل، وإذا كان الأمر قد وقع في عهد النبي ق ولم يأمر أصحابه بالصيام فلا وجه لمشروعيته.
- لكن لو اختار يوم الإثنين ولم يجعله سنة راتبة دائماً من أجل أن يصادف صيام بعض الناس، لو قيل بهذا لم يكن فيه بأس، لكن كوننا نقول: إنه مشروع قبل الاستسقاء فهذا فيه نظر. اهـ بتصرف وزيادة من «الشرح الممتع» للشيخ ابن عثيمين (٥/٢٠٨-٢٠٩).
- (٣) راجع «الشرح الممتع» للشيخ ابن عثيمين رحمه الله (٥/٢١٠).
- وقد ورد في ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه أحمد (١/٢٣٠)، وأبوداود (١١٦٥)، والنسائي (٣/١٦٣)، والترمذي (٥٥٨، ٥٥٩)، وابن ماجه (١٢٦٦)، وفي سنده هشام بن إسحاق المدني روى عنه جمع ولم يوثقه سوى ابن حبان.
- وعبارة الحافظ في «التقريب»: مقبول، يعني عند المتابعة وإلا فلين، ولم يتابع، وأبوه إسحاق بن عبدالله، قال أبوحاتم: لم يسمع من ابن عباس، فهو مرسل.

يدي ربكم القدير، وما تكون معكم الضعفاء من الشيوخ والصبيان^(١) والبهائم^(٢) إلا لطهارتهم من الذنوب^(٣).

وإن الله يرحم الصغير ويستحي من الشيخ الكبير^(٤).

(١) إخراج الشيوخ في صلاة الاستسقاء قال به بعض أهل العلم والمراد بهم الكبار الذين مضت أعمارهم في الدين والصلاح.

وأما الصبيان فقيده بعض أهل العلم بالميزين ليخرج الصغار الذين لم يميزوا فإنهم لا يخرجون لأنه ربما يحصل منهم الأذية والسيح والبكاء أكثر مما يحصل من المنفعة، راجع «الشرح الممتع» (٥/٢١٢).

(٢) سبق المؤلف رحمه الله إلى هذا القول وهو إخراج البهائم في صلاة الاستسقاء الصنعاني رحمه الله في «سبل السلام» (٣/٢٨٣) ط. دار ابن الجوزي، تحت شرح حديث أبي هريرة: (خرج سليمان يستسقي...)، فأخرجها غير مشروع وتحري ذلك يعتبر من البدع.

(٣) قد قال بهذا القول بعض أهل العلم في حق الصبيان، كما في «الشرح الممتع» (٥/٢١٢).

وأما إخراج الشيوخ، أي كبار السن لطهارتهم من الذنوب، فهذا غير صحيح، لكن علل أهل العلم أن خروج الشيوخ الكبار في السن من أجل أنهم أمضوا أعمارهم في الدين والصلاح؛ لأنهم أقرب للإجابة، وبهذا قال العلامة الفقيه محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، راجع «الشرح الممتع» (٥/٢١٢).

(٤) هذا الكلام مبناه على حديث أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، ولفظه مرفوعاً: «إن الله تعالى يستحي من ذي الشيبة لزوماً للسنة أن يسأله شيئاً فلا يعطه». وإسناده ضعيف فيه صالح بن راشد الخياط البصري ترجمه البخاري في «تاريخه» (٤/٢٧٩)، وابن أبي حاتم في «الجرح» (٤/٤٠١)، وذكر عنه عدداً من الرواة، ولم يذكر فيه جرْحاً ولا تعديلاً، ولم يوثقه سوى ابن حبان (٦/٤٥٧).

قال العلماء: ويستحب الاستسقاء بالصالحين وأهل الفضل^(١)، ولا سيما الموصوف بذلك من آل النبي البشير النذير^(٢)، وقد استسقى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك محمد ﷺ فتسقيننا، وإنا نتوسل إليك اليوم بعم نبيك العباس بن عبدالمطلب، قم يا عباس فادع^(٣).

فما زال يدعو الله والناس يؤمنون حتى جادت السماء بالمطر الغزير، فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالكم وبدعاء من تعتقدون فيه الخير من نسائكم ورجالكم، فعسى الله أن يستجيب لكم وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن كثير.

وإذا نزل المطر فتعرضوا له بأجسامكم^(٤)، واشكروا الله على نعمته واستعينوا بها على طاعته، واعلموا أن الله لا يغير نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، ونعوذ به

=

وبه أعل الحديث الشيخ الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٢٥٧٩).

(١) هذا الكلام من المؤلف رحمه الله فيه إجمال، فإن كان يقصد الاستسقاء بدعاء الصالحين فهذا مشروع، وإن كان يقصد بالاستسقاء التوسل بذات الصالح أو جاهه، فهذا ليس بمشروع، وإذا كان ليس مشروعاً فهو من البدع، ومراد المؤلف رحمه الله هو الأول بدليل ما سيأتي بعد من قوله: (فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالكم وبدعاء من تعتقدون فيه الخير من نسائكم ورجالكم)، والحمد لله. وللفائدة راجع «الشرح الممتع» (٢١٣/٥).

(٢) لا دليل على هذا التخصيص، بل يستسقى بدعاء الرجل الصالح أي كان، والحمد لله.

(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى ما أخرجه البخاري (١٠١٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) هذا الفعل غير مشروع؛ لأن الحديث الوارد بذلك عن النبي ق منتقد كما سيأتي تخريجه عن أنس.

تعالى من التغير: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦-٢٧].

قال رسول الله ﷺ: «خرج سليمان عليه السلام يستسقي فرأى نملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء تقول: اللهم إنا خلق من خلقك ليس بنا غنى عن سقياك فقال: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم»^(١)، وشكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر

(١) (ضعيف).

أخرجه الدارقطني (٢/٦٦)، والحاكم (١/٣٢٥-٣٢٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي سنده محمد بن عون مولى أم يحيى بنت الحكم، ترجمه البخاري في «تاريخه» (١/١٩٧)، ولم يذكر عنه سوى راويًا واحدًا، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، ولم يوثقه سوى ابن حبان في «الثقات» (٧/٤١١). وفيه والده عون بن الحكم ترجمه البخاري في «تاريخه» (٧/١٦)، وابن أبي حاتم في «الجرح» (٦/٣٨٦)، وذكر ابن أبي حاتم عنه ثلاثة من الرواة، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، فهو مجهول حال، وروايته عن الزهري مرسله قاله البخاري، وهو هنا كذلك.

وللحديث طريق أخرى أخرجه الطحاوي في «المشكل» (٨٧٥)، والخطيب (١٢/٦٥)، وفي سنده محمد بن عزيز فيه ضعف، وقد تكلموا في صحة سماعه من ابن عمه سلامة وهو هنا يروي عنه وابن عمه سلامة بن روح ضعيف كما في ترجمته من «التهذيب».

وله طريق أخرى أخرجه أحمد في «الزهد» (١١٠) من طريق زيد العمي عن أبي الصديق الناجي قال: خرج سليمان يستسقي... إلخ وفيه زيد بن الحواري العمي ضعيف كما في «التقريب»، ثم هو معضل بين أبي الصديق الناجي وسليمان عليه السلام بينهما مفاوز تنقطع دونها أعناق المطي، فما يدري أبا الصديق بهذا.

وقد روى هذا الحديث عبد الرزاق في «مصنفه» (٣/٩٥-٩٦) عن الزهري من قوله، فالخلاصة: أنه =

فأمر بمنبر فوضع له بالمصلى ووعد الناس يومًا يخرجون فيه فخرج حين بدا حاجب الشمس، فقع على المنبر فكبر وحمد الله ثم قال: «إنكم شكوتم جذب دياركم، وقد أمركم الله أن تدعوه، ووعدكم أن يستجيب لكم»^(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: أصابنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مطر فحسر ثوبه حتى أصابه من المطر، وقال: «إنه حديث عهد بربه»^(٢).

❖ **اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَإِنْ كَانُوا مِنْ**

=

ضعيف لا يثبت، وقد ضعفه العلامة الألباني رحمه الله في «الإرواء» (٣/ رقم ٦٧٠).

(١) (حسن).

أخرجه أبوداود رقم (١١٧٣) من حديث عائشة رضي الله عنها، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في «الإرواء» (٣/ رقم ٦٦٨).

(٢) (معل).

أخرجه مسلم رقم (٨٩٨)، والحديث أنكر على جعفر بن سليمان الضبعي، فقد أنكره عليه الذهبي في «الميزان» (١/ ٤١٠)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٥٧٢)، والله أعلم.

قال النووي في «شرحه لمسلم»: معنى «حسر» أي كشف بعض بدنه.

ومعنى: «حديث عهد بربه» أي بتكوينه إياه، وفي هذا الحديث دليل لمن قال إنه يستحب عند أول المطر أن يكشف غير عورته ليناله المطر، استدلووا بهذا. اهـ قلت: قد رأيت أن هذا الحديث مُعل، فهذا الفعل لا يستحب، والله أعلم.

قَبْلَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لِبُلْسَيْنِ * فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخْجِي الْأَرْضَ بَعْدَ
 مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لُمُخْجِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ [الروم: ٥٠].

الخطبة الثانية^(١)

أستغفر الله العظيم (سبعاً)^(٢) ومع الأخيرة الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه.

الحمد لله مستحق الحمد وأهله، ومصدر الخير وأصله، شمل العالمين فضله، وعمهم نواله وبذله، بيده عقد كل شيء وحله، وإليه يصير الأمر كله، نحمده تعالى يقبل العبد إذا تاب فتغفر له خطايا.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله القائل: «لم ينقص قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا»^(١).

(١) الصحيح أن خطبة الاستسقاء خطبة واحدة؛ لأن النبي ق خطب خطبة واحدة كما في حديث عائشة رضي الله عنه عند أبي داود، وقد تقدم تخريجه.

وهذا مذهب أحمد وعليه أكثر أصحابه، وهو قول عبدالرحمن بن مهدي وأبي يوسف، ورجحه الزيلعي، راجع «المغني» (٣/ ٣٣٩، ٣٤٢)، و«نصب الراية» (٢/ ٢٤٢).

(٢) افتتاح خطبة الاستسقاء بالاستغفار ليس من السنة، وإنما هو استحسان من بعض الفقهاء، كما تقدم التنبيه على ذلك.

ونعوذ بالله من المهلكات، وأزكى صلاتك اللهم وسلامك وأطيب التحيات المباركات، على سيدنا محمد الداعي إليك والمقبول لديك في المهمات، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه السادات وعلى التابعين لهم بإحسان إلى منتهى الأوقات وعلينا ومعهم وفيهم برحمتك يا الله.

عباد الله: ما ضاق أمر إلا وجعل الله منه مخرجاً، ولا عظم خطب إلا وجعل الله معه فرجاً، فمنه يكون الخوف وفيه يكون الرجاء، ومن يكشف الكرب إذا سجي^(٢).

ويرحم العبد إذا غسق^(٣) به ليل الذنوب ودجى، ألا إنما هو الله الذي إليه المآب والالتجاء، وإلى كرمه وجوده العظيم يتوجه أرباب الحجى^(٤)، فطوبى لمن دعاه، وهنيئاً لمن ناداه، فهو القريب المجيب الذي وسعت رحمته كل شيء، وهي لمن آمن بالله وبما جاء عن الله.

=

(١) صحيح تقدم تخريجه تحت الخطبة (٣٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، صححه العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١٠٦)، وشيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند من دلائل النبوة» (٥٣٥-٥٣٦).

(٢) سجي: أي سكن ودام، كما في «لسان العرب» مادة: سجا.

(٣) غسق: أي أظلم، كما في «لسان العرب» مادة: غسق.

(٤) الحجى: هو العقل والفطنة، كما في «لسان العرب» مادة: حجا.

وفي هذه الساعة وعلى ما أنتم عليه الآن ترفع الأيدي إلى السماء، ويذكر الله بالقلب واللسان، ويستحب لكم الإكثار من الاستغفار وإظهار السكينة والوقار بين يدي صاحب العظمة والسلطان، الذي يسأله من في السموات والأرض، وكل يوم هو في شأن. ورزقكم في السماء وما توعدون، فاطلبوه من الله يا أهل الإيمان، ولا تنقطوا من رحمة الله، فإنه تعالى يقول: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وتصدقوا^(١) بما تيسر من أموالكم ولا تبخلوا بما قدرتم عليه من التوسع على الأهل والعيال والجيران، فإنكم حين تجودون بالقليل يجود الله عليكم بالكثير وهو المتفضل المنان، ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠].

جاء رجل أعرابي يوم الجمعة ورسول ﷺ يخطب فقال: يا رسول الله، هلك المواشي وهلك العيال وهلك الناس، فرفع رسول الله ﷺ يديه يدعو ورفع الناس أيديهم معه يدعون، فما خرجوا من المسجد حتى مطروا^(٢)، ونحن الآن نتوجه إلى الله سائلينه تعالى كما كان يسأله عبده ورسوله ومصطفاه، نعرض حاجتنا عليه ونحط ذنوبنا بين يديه وننتظر

(١) المراد بالصدقة هنا المستحبة، أما الصدقة الواجبة فإن منعها سبب لمنع القطر من السماء، كما تقدم في حديث ابن عمر رضي الله عنه، وراجع «الشرح الممتع» (٥/ ٢٠٩).

(٢) أخرجه البخاري في مواضع من «صحيحه» منها برقم (١٠٢٩) ومسلم (٨٩٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

الخير من لديه، وسبحان الله ما أكرم الله، وحولوا أرواحكم^(١) وأقلبوها ظهرًا لبطن،
واجعلوا ظهور الأكمف إلى السماء^(٢)، عسى أن يحول الله الحال، إلى أحسن منها ويرفع
عنكم البلاء.

اللهم اجعلها سقيا رحمة ولا تجعلها سقيا عذاب ولا محق ولا بلاء ولا هدم ولا غرق،
اللهم على الظراب^(٣)، ومنابت الشجر وبطون الأودية، اللهم حوالينا ولا علينا^(٤)، اللهم
اسقنا غيثا مغيثا هنيئًا مريئًا مريعًا سحًا عامًا غدقًا طبقًا مجللًا دائمًا إلى يوم الدين.
اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم إن بالعباد والبلاد من الجهد
والضنك^(٥) ما لا نشكو إلا إليك.

(١) يشير رحمه الله إلى حديث عبدالله بن زيد، رواه البخاري (١٠٢٤) ومسلم (٨٩٤).

(٢) يشير رحمه الله إلى حديث أنس رضي الله عنه، أخرجه البخاري (١٠٣٠ و ١٠٣١)، وفي رواية لمسلم
(٨٩٦): أن النبي ق استسقى فجعل ظهر كفيه إلى السماء. وانظر «الشرح الممتع» (٥/ ٢١٨).

(٣) الظراب: كل ما نتأ من الحجارة وحد طرفه، وقيل: هو الجبل المنبسط، وقيل: هو الجبل الصغير،
وقيل: الروابي الصغار. «لسان العرب» مادة: ظرب.

(٤) هذا الدعاء لا يقال إلا إذا زادت مياه السماء، وخشي منها كما في حديث أنس رضي الله عنه، أما إذا
كان في حالة الاستسقاء فلا يقوله، والإتيان به هنا لعله سبق لسان من المؤلف رحمه الله.

(٥) الظنك: الضيق من كل شيء، والذكر والأنثى فيه سواء، ومعيشة ظنك ضيقة. اهـ «لسان العرب»
مادة: ظنك.

اللهم أنبت لنا الزرع وادر لنا الضرع، وأنزل علينا من بركات السماء، وأنبت لنا من بركات الأرض واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك، اللهم إِنَّا نستغفرك إنك كنت غفارًا فأرسل السماء علينا مدرارًا.

وصل رب وسلم على سيد الناس أجمعين، والمبعوث رحمة للعالمين، خاتم النبيين والمرسلين، الذي قلت فيه ولم تزل قائلاً عليًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].^(١)

صلى الله عليه وعلى آله الكرماء وصحابته العظماء، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، واخصص اللهم بمزيد الرحمة والرضوان سادتنا الحنفاء ووزراء نبيك المصطفى والأربعة الخلفاء، أولي القدر الجلي والمقام العلي أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا، ورضي الله عن صحابة رسول الله أجمعين وعن أزواجه وذريته الطيبين الطاهرين^(٢)، اللهم أعز الإسلام والمسلمين.

(١) لا دليل صحيح عن النبي ق في تحري ختم الخطبة بالصلاة على النبي ق، وهكذا تحري ختمها بآية أو حديث نبوي، راجع «أحكام الجمعة وبدعها» لشيخنا أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله (٣١٩، ٣٢٦).

(٢) قال شيخنا المحدث أبو عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله: جعل الخطبة الأخير مقتصرة بالترضي على آل البيت كما يفعل أغمار الشيعة هذا محدث. اهـ «أحكام الجمعة وبدعها» (٣٢٢).

وانصر الإسلام والمسلمين، واغفر اللهم للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات
الأحياء منهم والأموات إنك قريب سميع مجيب الدعوات رب العالمين^(١).

(١) تعين الدعاء بهذا في آخر كل خطبة ليس عليه دليل، راجع «أحكام الجمعة وبدعها» (٣٢٢).

دائرات تستعمل خطباً ثانية^(١) للجمعة حسب المناسبات

الدائرة الأولى: ولكل مقام مقال.

الحمد لله القائم بأمره، والحاكم بقهره، والعالم بمكنون سره، والآمر بحمده وشكره، وحسن عبادته وذكره.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إيماناً بوعده ووعيده، وتصديقاً بقدرته على نفع من سواه وضره.

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، فجر ينابيع الحكمة من صدره، وشفن^(٢) الآذان والأسماع بذكره، وغفر له ما تقدم، وما تأخر من وزره، وأنقذ به المؤمن المتابع من ضلاله وكفره.

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وكل مؤمن به في سره وجهره.

(١) قال شيخنا المفضل أبو عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله: جعل الخطبة الأخيرة من دائرة متكررة كما في «الفتوحات الربانية» للبيحاني أو خطب ابن نباتة أو نحوها من البدع. اهـ «أحكام الجمعة وبدعها» (٣٢٢).

(٢) أي: طيب الأسماع بذكره، هذا مراد المؤلف، والشفن من معانيه أن يرفع الإنسان طرفه ناظراً إلى الشيء كالمتعجب منه أو كالكاره له ومثله شفن، كما في «لسان العرب» مادة: شفن.

عباد الله: كل شيء دون الله باطل^(١)، وكل نعيم دون نعيم الجنة زائل، فتحبوا إلى الله بإقامة الفرائض وتقربوا إليه بالنوافل، فإنه من أحبه كان سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإذا سألته أعطاه ما هو سائل، وإذا استعاذ به أعاده من مكروه العاجل والآجل^(٢).

فاعمل الله يا عبد الله، واعلم أنك إليه واصل، ومن هذه الدنيا راحل، كما رحل الأوائل، ولا يخدعك الشيطان بزخارف الدنيا وما فيها، ولا يصرفك عن الآخرة فإنك آتيها، واتق الله وأصلح الأعمال فإنك ملاقيها، وعند الحكم العدل ستوافيها.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَينْقَلَبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحْجُوزَ * بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾.

فاتقوا الله عباد الله، وصلوا وسلموا^(٣) على سيد رسله وخاتم أنبيائه، والشافع المشفع عند الله يوم نلقاه، المنزل عليه إرشادًا وتعليمًا وتشريعًا له وتعظيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٦١٤٧).

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري رقم (٦٥٠٢).

(٣) تقدم التنبيه على ذلك، وأن قول الخطيب للمستمعين: (وصلوا وسلموا) من المحدثات، وهكذا تحري ختم الخطبة بهذه الآية، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ =

الدائرة الثانية:

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد^(١) الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد،
نحمده حمداً لا يحد، ونشكره شكراً لا يعد.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد، ونشهد أن سيدنا
محمدًا عبده ورسوله إلى الأبيض والأحمر والأسود.

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد الداعي إلى سبيل الرشd، وعلى آله وصحبه ومن
جد في متابعته واجتهد.

عباد الله: أوصيكم وإياي بتقوى الله، فاتقوا الله وأطيعوه يجعل لكم من كل هم فرجاً،
ومن كل ضيق مخرجاً، ومن يتق الله يرزقه سعادة الأبد، ويبارك له في الأهل والمال والولد.
فطوبى لمن وحد ربه وعبد، وصام وقام وصلى وزكى، وأنفق وتصدق، وبر وأحسن
وجاد بما لديه، وعلى جود ربه اعتمد، ويا سعادة من حفظه الله من العجب والكبر والفخر
والأنانية والحسد.

ويا ندامة من في الباطل خاض وجرد من لسانه مقرضاً لمتزيق الأعراض، ووقف لعباد
الله بالمرصاد، يتتبع عوراتهم ويعد سيئاتهم، ونعوذ بالله من شر حاسد إذا حسد.

=

وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، لم يفعله النبي ق، وخير الهدى هديه ق.

(١) لا أعلم دليلاً صحيحاً على تسمية الله بالفرد، وقد تقدم التنبيه على ذلك، وراجع «معجم المناهي
اللفظية» (١٢٤-١٢٥).

هذا وإن نبيكم الأعظم ﷺ ليقول: «لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تناجشوا، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا - ويشير صلى الله عليه وسلم إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»^(١).

فاتقوا الله عباد الله حق تقواه، وصلوا وسلموا على من أمرتم بالصلاة والسلام عليه عموماً بقوله تعالى ولم يزل قائلاً علياً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]^(٢).

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تقدم التنبيه على قول الخطيب (وصلوا وسلموا) وأنه لم يفعله النبي ق، وخير الهدى هديه ق.

الدائرة الثالثة:

الحمد لله الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون، وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في شأن من الشئون، بديع السموات والأرض كل له قانتون، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الأمين المأمون والجوهر المكنون وصاحب السر المصون.

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين هم فيما عند الله راغبون ومما لديه راهبون.

عباد الله: ما لكم عن الله معرضون، وعن الموت غافلون، وبأوامر الدين متساهلون، فلا الصلاة تقيمون، ولا الزكاة تؤدّون، ولا بمعروف تأمرون، ولا عن منكر تنهون.

أفبهذه الدنيا تفرحون وفيها تفرحون تسرحون على الذنوب وتروحون، وكأنكم بها واثقون، ومن حوداثها آمنون، وعماً قريب عنها تزولون، ومنها ترحلون، ثم إلى الله تصيرون، يوم يقول تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾

[المؤمنون: ١١٥].

فاتقوا الله حق تقواه ولا تموتون إلا وأنتم مسلمون، وأصلحوا ذات بينكم واعتصموا بحبل الله جميعاً أيها المؤمنون، ولا تكونوا من الذين فرقوا دينهم فكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون.

ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون، وصلوا وسلموا على
 نبيكم المأمون، والشافع المشفع يوم تبعثون، كما أمرتم بذلك إرشاداً وتعليماً بقول الله تبارك
 وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾
 [الأحزاب: ٥٦] ^(١).

(١) تقدم التنبيه على قول الخطيب (وصلوا وسلموا) وأنه لم يفعله النبي ق، وخير الهدى هديه ق.

الدائرة الرابعة:

الحمد لله والله المستعان على ما نسمع ونرى ونشاهد، ولا حول ولا قوة إلا بالله عظم المطلوب وقل المساعد، وإنا لله وإنا إليه راجعون، خير هذه الحياة ناقص وشرها زائد. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ضد ولا ند ولا ولد ولا والد، ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وسيد كل عابد وزاهد، وأكرم كل معلم وأصبر كل مجاهد. اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد الراكع الساجد، ومنقذ كل معاند وجاحد، من درن الذنوب وخبث العقائد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأماجد، وعلى التابعين لهم بإحسان في الوسائل والمقاصد.

عباد الله: كيف نوجه أنفسنا إلى الله، ومتى نعود إلى الدين الذي جاءت به رسل الله، ونترك ما جاءت به الفساق، من مساوئ الأخلاق وسيئات العوائد، فتمسك بكتاب الله ونقتدي بهدي رسول الله ونحتكم إليهما فيما اختلفنا فيه من الأعمال والعقائد. وما أعظم حاجتنا إلى الألفة والاتحاد في المصادر والموارد، وقد فرقنا معشر المسلمين نزعات المذاهب، وكثرة الفروع واختلاف القواعد، وجعلتنا خصوصًا في البيوت والأسواق والأندية^(١) والمساجد، وبلينا ببغض الأقربين وحب الأبعد، واتهم المتعصب لدينه

(١) قال شيخنا محيي حفظه الله في التعليق على كلام المصنف في «إصلاح المجتمع» وإكثاره من مدح الأندية: أكثر المصنف من مدح الأندية، وهي عندنا من أوكار الحزبية. اهـ «اللمع على إصلاح المجتمع» (٤٥٨).

وقوميته بأنه رجعي وجامد، ونبذنا الصحيح من تقاليدنا وأخذنا من الأجانب كل فاسد، وسلطنا سبلهم واقتفينا آثارهم، ولكن في السفور وشرب الخمر ونظام الملابس والموائد. وأين نحن وما وصلوا إليه من الفوائد، وما سبقونا إليه من الفضائل والمحامد، فجاهلنا جري وعالمنا محايد، وفقيرنا متسول، وغنينا عن الخير متقاعد، وشيوخنا لا يفكرون ولا يساهمون في الخير، وشبابنا لا يعلمون ولا يفسحون المجال للغير.

والوالد لا يحسن التربية والولد لا يعرف حق الوالد، والنساء خارجات عن الدين^(١)، منتشرات في الأسواق، والرجال بين يدي شهواتهم يذبحون الفضيلة، ومكارم الأخلاق. وبئست التقاليد هذه وقبح الله تلکم العوائد، والجهال يجادلون في الدين بغير هدى ولا كتاب منير، والعلماء لا يأمرن بمعروف ولا ينهون عن منكر، فلا تجد إلا قليلاً منهم الناصح الأمين والمرشد الحكيم والصابر المجاهد.

ولو بعث فينا رسول الله ﷺ اليوم لقال: أين ما تركتم عليه من الصلاح؟، وأين ما كنتم فيه من الفوز والفلاح والنجاح؟، لقد تغيرت منكم الأشياء، وضلت بكم الأهواء. والله لا يغير نعمة أنعمها الله على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، والظالم من عرف الحق وتركه، وهو ذاكر مختار عامد، فتوبوا إلى الله أيها المؤمنون، وصلوا وسلموا على نبيكم الأمين المأمون، الذي أمرتم بالصلاة والسلام عليه قديماً في قوله جل ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ

(١) الصواب أن يقول المؤلف رحمه الله: والنساء متساهلات بتعاليم الدين إلا من رحم الله.

وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿١﴾

(١) [الأحزاب: ٥٦] .

(١) تقدم التنبيه على قول الخطيب (وصلوا وسلموا) وأنه لم يفعله النبي ق، وخير الهدى هديه ق.

الدائرة الخامسة:

الحمد لله الملك الجليل^(١)، الهادي إلى سواء السبيل، باعث الرسول ومنزل الكتاب هدى للناس وبينات من الرسول والتنزيل.

نحمده تعالى أمرنا بمكارم الأخلاق، ونهانا عن الكفر والنفاق والخصام والشقاق، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا شبيه ولا نظير ولا مثيل.

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الموصوف بالعصمة والمبعوث بالهدى والحكمة، أشرف الناس نفساً وأعلامهم همّة، يصل الرحم ويحمل الكل ويكسب المعدوم ويعين على نوائب الحق، بما لديه من كثير أو قليل^(٢).

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد القائل: «أدناكم مني منزلة يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً»^(٣)، صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه القاصدين وجه الله إمساكاً وإنفاقاً، والقائمين بالواجبات إيساراً وإملاقاً وعلى التابعين لهم بإحسان من كل أمة وجيل.

(١) لا أعلم دليلاً صحيحاً على إثبات اسم الجليل لله عز وجل، وقد تقدم التنبيه على ذلك.

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري (٣) ومسلم (١٦٠).

(٣) (حسن).

أخرجه الترمذي (٢٠١٨)، والخطيب في «تاريخه» (٦٣/٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ولفظه: «إن من أحبكم إليّ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً». الحديث.

وقد حسنه العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» رقم (٧٩١)، وفي الباب عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أخرجه أحمد (١٨٥/٢) بإسناد حسن، وقد صحح الحديث العلامة الألباني =

عباد الله: لا دين لمن لا عهد له^(١)، ولا إيمان لمن لا حياء له^(٢)، وشر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه^(١)، ومدمن الخمر والديوث وعاق والديه لا يدخلون الجنة^(٢)، ولا يدخلها كذلك خب ولا بخيل^(٣).

=

رحمه الله في «صحيح الترغيب» (١٠/٣).

تنبيه: الحديث لم أقف عليه باللفظ الذي ذكره المصنف رحمه الله بعد البحث والتحري، فلعله نقله بالمعنى، والله أعلم.

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه أحمد (٣/١٣٥)، وابن أبي شيبة (١١/١١)، وفي سنده أبو هلال محمد بن سليم الراسبي ضعيف يعتبر به. وله طريق أخرى أخرجه أحمد (٣/٢٥١)، وفيها المغيرة بن زياد الثقفي لا يعرف. وأخرجه أبو يعلى (٣٤٤٥) من طريق أخرى وفيها مؤمل بن إسماعيل ضعيف يعتبر به. وللحديث شواهد أخرى بمجموعها يكون حسناً لغيره، وقد صحح الحديث العلامة الألباني رحمه الله تعالى في «صحيح الترغيب» (٣/١٥٦)، وراجع تحقيق «مسند أحمد» (٢١/٢٣٢-٢٣٣).

قال السندي رحمه الله: معنى لا دين لمن لا يفي بالعهد، مستحلاً لذلك... وقال بعضهم: من جرى بينه وبين أحد عهد وميثاق ثم غدر، من غير عذر شرعي فدينه ناقص، أما مع العذر كتقص الإمام المعاهدة مع الحربي إذا رأى المصلحة فإنه جائز والله تعالى أعلم.

(٢) هذا الكلام مبناه على حديث ضعيف، أخرجه أبو الشيخ ابن حيان في «الثواب» كما في «الترغيب والترهيب» للمنزدي (٣/٣٨٣)، والأصبهاني في «الترغيب» (١٠٩٨) من طريق مجمع بن حارثة بن زيد بن حارثة عن عمه يزيد بن جارية، به.

قال المنذري عقبه: وفي إسنادة بشر بن غالب الأسدي مجهول، قلت: ترجمته في «اللسان» (٢/٣٦) و«الجرح والتعديل» (٢/٣٦٣)، وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف =

والربا اثنان وسبعون باباً أَدْنَاهَا مِثْلُ إِيَّانِ الرَّجُلِ أُمِّهِ^(٤)، وَإِنْ أَرَبَى الرَّبَا اسْتَطَالَةَ الرَّجُلِ فِي عَرَضِ أَخِيهِ^(٥)، وَالْحَقْدُ وَالنَّمِيمَةُ فِي النَّارِ، وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ مُسْلِمٍ^(٦)، وَمَنْ

=

الترغيب» (١٨٤/٢).

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه البخاري رقم (٦٠٣٢) ومسلم رقم (٢٥٩١).

(٢) هذا الكلام مبناه على أحاديث صحيحة، تقدم تخريجها.

(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أخرجه الترمذي رقم (١٩٦٣)، ولفظه: «لا يدخل الجنة خب ولا منان ولا بخيل»، وفي سنده صدقة بن موسى الدقيقي ضعيف، وفرقد بن يعقوب السبخي ضعيف أيضاً.

وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف سنن الترمذي» (٢٢٢).

فائدة: الخب: هو الرجل الخداع.

(٤) هذا الكلام مبناه على حديث ضعيف، وقد تقدم تخريجه تحت الخطبة (٢٥).

(٥) هذا الكلام مبناه على حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه، أخرجه أحمد (١٩٠/١)، وأبوداود (٤٨٧٦) ولفظه: «إن من أَرَبَى الرَّبَا اسْتَطَالَةَ فِي عَرَضِ الْمُسْلِمِ بَغِيرِ حَقٍّ»، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح أبي داود» (١٩٧/٣)، وانظر «الصحيحة» تحت رقم (١٨٧١)، وصححه شيخنا الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٣٦١/١).

(٦) هذا الكلام مبناه على حديث ضعيف، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥/رقم ٤٦٥٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ولفظه: «إن النميمة والحقْد في النار لا يجتمعان في قلب مسلم»، وفي سنده غير بن معدان الحمصي ضعيف كما في «التقريب»، وبه أعل الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠٢/١)، وقد ضعف الحديث جداً العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب» (٢٢٤/٢).

وفي رواية أخرى أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٣٦١٥) عن ابن عمر: «النميمة والشتيمة والحمية في =

أخاف مؤمناً كان حقاً على الله أن لا يؤمنه من أفزاع يوم القيامة^(١)، ومن حلف على يمين بملة غير الإسلام كاذباً متعمداً فهو كما قال، ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة. وليس على رجل نذر فيما لا يملك، ولعن المؤمن كقتله^(٢)، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، وليكرم ضيفه وليكرم جاره، وليصل رحمه^(٣).

=

النار ولا يجتمعن في صدر مؤمن» وهي ضعيفة، في سندها محمد بن يزيد بن سنان الجزري ليس بالقوي كما في «التقريب»، وأبوه يزيد بن سنان ضعيف.

وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٤٧٠٣).

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى ما أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٢٣٥٠) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، وفي سنده محمد بن حفص الوصافي ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح» (٢٣٧/٧) وقال: أدركته وأردت قصده والسماع منه، فقال لي بعض أهل حمص: ليس بصديق، فتركته. اهـ

وبه أعل الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/٢٥٤)، وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٤٥٣٩)، وانظر رقم (٢٢٧٩).

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى ما أخرجه البخاري رقم (٦٠٤٧ و ٦١٠٥) والسياق له، ومسلم (١١٠)(١٧٦) من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه.

(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى ما أخرجه البخاري (٦٠١٨ و ٦١٣٦ و ٦١٣٨) ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأما رواية: «فليصل رحمه» فأخرجها البخاري (٦١٣٨).

وأما رواية: «فليكرم جاره» فأخرجها البخاري (٦٠١٩) واللفظ له، ومسلم (٤٨) من حديث أبي شريح العدوي رضي الله عنه.

والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه^(١)، ولا إيمان لمن لا يأمن الناس بوائقه^(٢)، ولا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه^(٣).
ومن تعاليم نبيكم الكريم المبعوث بأفضل التعاليم: ((عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم وبروا آباءكم تبرؤكم أبناؤكم ومن آتاه أخوه متصلاً فليقبل ذلك محقاً كان أو مبطلاً فإن لم يفعل لم يرد علي الخوض))^(٤).

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى ما أخرجه البخاري رقم (١٠) ومسلم رقم (٤٠) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) يشير رحمه الله إلى حديث أبي شريح رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٦٠١٦) بنحو ما ذكر.

(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى ما أخرجه البخاري رقم (١٣) ومسلم رقم (٤٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) (ضعيف).

أخرجه الحاكم (١٥٤/٤)، وأبونعيم في «أخبار أصبهان» (٤٨/٢)، والسياق للحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الحاكم: صحيح الإسناد، فتعقبه الذهبي بقوله: قلت: بل سويد ضعيف، وقال المنذري في «الترغيب» (٢٩٣/٣): سويد هو ابن عبدالعزيز وإه.

قلت: سويد هذا هو ابن إبراهيم وليس كما قال المنذري رحمه الله، ترجمه الذهبي في «الميزان» (٢٤٧/٢) وقال: قال النسائي: ضعيف، وقال أبوزرعة: ليس بالقوي ... وقال ابن عدي: هو إلى الضعف أقرب، وقال ابن حبان: فأسرف: يروي الموضوعات عن الأثبات. اهـ بتصرف.

وقد ضعف الحديث الشيخ الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٢٠٤٣).

وفي الباب عن عائشة رضي الله عنها، أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٦٢٩٥)، وفي سنده خالد بن =

فهذه شريعته وآدابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ

وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] ^(١).

=

يزيد العمري كذاب كما في ترجمته من «الميزان» (١/٦٤٦)، وقد حكم بوضعه المحدث الألباني رحمه الله في «الضعيفة» تحت رقم (٢٠٤٣).

وفي الباب عن جابر رضي الله عنه، أخرجه العقيلي (٣/٢٤٩)، والحاكم (٤/١٥٤)، وأبونعيم (٦/٣٣٥)، والخطيب (٦/٣١١)، وفي سنده علي بن قتيبة الرفاعي، ترجمه الذهبي في «الميزان» (٣/١٥١) وقال: قال ابن عدي: له أحاديث باطلة عن مالك، وذكر منها هذا الحديث، وفيه أبو الزبير مدلس وقد عنعن. وقد ذكر الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم (٢٠٣٩).
(١) تقدم التنبيه على قول الخطيب (وصلوا وسلموا) وأنه لم يفعله النبي ق، وخير الهدى هديه ق.

الدائرة السادسة:

الحمد لله الذي جعل العلم ضياءً والقرآن نوراً، ورفع الذين أوتوا العلم درجات عليّة، وكان ذلك في الكتاب مسطوراً، وجعل العلماء ورثة الأنبياء^(١)، وكفى بربك هادياً ونصيراً.

نحمده تعالى حمداً كثيراً ونشكره عز وجل وهو القائل: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكَرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كما شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المرشد الحكيم، والمعلم العظيم، بشر به المسيح والكلیم، واستجيب به دعوة إبراهيم، ربنا وأبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم.

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد المبعوث رحمة ومنة، بخير كتاب وأفضل سنة، والقائل: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»^(٢).

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وهو حديث حسن بمجموع طرقه وشواهده، وقد خرجته بتوسع في تحقيقي لرسالة «الواسطة بين الحق والخلق» لشيخ الإسلام (٣٤-٣٧) ط: الآثار/ صنعاء.

(٢) أخرجه مسلم رقم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه القائمين بالحق والدعاة إليه بالألسنة والأسنة^(١)، وعلى التابعين لهم بإحسان في التعلم والتعليم.

عباد الله: سئل رسول الله ﷺ أي الجلساء خير؟ فقال: «من ذكركم الله رؤيته، وزاد في علمكم منطقته، وذكركم بالآخرة عمله».^(٢)

وقال لقمان: يا بني عليك بمجالسة العلماء واسمع كلام الحكماء، فإن الله ليحيي القلب الميت بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة، بوابل المطر^(٣).

(١) الأسنة: جمع سنان، والمراد بها الرماح، كما في «لسان العرب» مادة: سنان.

(٢) (ضعيف).

أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (٦٣١)، وأبو يعلى رقم (٢٤٣٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفي سنده مبارك بن حسان السلمي لين الحديث، كما في «التقريب»، وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب» (٥٧/١). وفي الباب عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها، أخرجه أحمد (٤٥٩/٦)، وفي سنده شهر بن حوشب مختلف فيه، والراجح ضعفه، وراجع تحقيق «مسند أحمد» (٥٧٥-٥٧٦).

(٣) (ضعيف).

أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/رقم ٧٨١٠) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، وفي سنده عبيد الله بن زحر الإفريقي ضعيف، وعلي بن يزيد الألهاني ضعيف، وبها أعل الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/١٢٥).

وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب» (٥٧/١).

وفي الحديث الشريف: «تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والوقار، وتواضعوا لمن

تعلمون منه»^(١)، والله يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: من الآية ٢٨].

ونعوذ بالله من زمان لا يتبع فيه العليم ولا يستحيا فيه من الحليم، قلوبهم قلوب
الأعاجم وألستهم ألسنة العرب.

وإن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره وولداً صالحاً تركه،
أو مصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها
من ماله، في صحته وحياته، تلحقه من بعد موته^(٢).

(١) (موضوع).

أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٦١٨٤)، وابن عدي في «الكامل» (٥٤٢/٥) من حديث أبي هريرة
رضي الله عنه، وفي سنده عباد بن كثير الثقفي متروك، قال أحمد: روى أحاديث كذب كما في
«التقريب»، وبه أعل الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٣٤/١). وقد ضعفه جداً العلامة
الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب» (٥٨/١)، وانظر «الضعيفة» رقم (١٦١٠).

(٢) يشير المؤلف رحمه الله بهذا الكلام إلى ما أخرجه ابن ماجه (٢٤٢)، وابن خزيمة في «صحيحه» رقم
(٢٤٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي سنده مرزوق بن أبي الهذيل الثقفي لين الحديث كما في
«التقريب».

وله شاهد من حديث أبي قتادة بنحوه، أخرجه ابن ماجه (٢٤١)، وفي سنده فليح بن سليمان المدني
ضعيف يعتبر به.

وشاهد آخر في «صحيح مسلم» رقم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «إذا مات
الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث» الحديث.

وليس العلم إلا ما صحبه العمل، وليس الفقه إلا ما عرف به الحلال والحرام، وحمل صاحبه على الالتزام والأحكام، وحاجتنا إلى كل علم عظيمة، وعماد الحياة مال يستعان به على مرضاة الله، وتقهر به الأعداء ويصلح به الإنسان دينه ودنياه.

وكذلك العلم الذي يعرف به الحق والباطل وكيف يوحد الله ويعبد، وكيف تسلم الحقوق إلى ذويها، ويستخرج به من الأرض خير ما فيها، وهل تربح التجار وتكثر الزراعة وتقوى الصناعة، ويعز الملك، وينتشر العمران وتعمر الطرق، ويسهل النقل والمواصلات إلا بالعلم.

وفي الإسلام ما يحث أهله على طلب العلم وتحصيله، ولكنه لا يريد العلم للدنيا فقط، ولا للآخرة فقط، بل العالم الحقيقي الذي يعرف أمر عاجله وآجله، وويل للذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون.

فمتى تعمرون المدارس، ومتى يعلم فيها الدين الصحيح، ومتى تبدون للعلماء من التجلة والاحترام، ما يرغبهم في طلب العلم ونشره ويشجعهم على التأليف والتدريس. وقد أوشكت العلوم الإسلامية من التفسير والحديث وأصول الفقه وفروعه واللغة العربية أن ترفع من هذه البلاد وتذهب، والله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه، ولكن يقبض العلم بموت العلماء والإعراض عنهم، فربما اتخذ الناس رؤوساً جهالاً وأفتوهم بغير

=

وقد حسن الحديث الإمام الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» رقم (٢٢٣١)، وانظر «أحكام الجنائز» (٢٢٤)، و«الإرواء» (٦/٢٨-٢٩).

علم، فصلوا وأصلوا^(١)، ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

وصلوا وسلموا على من أمرتم بالصلاة والسلام عليه عموماً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾
(٢) [الأحزاب: ٥٦].

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أخرجه البخاري رقم (١٠٠ و ٧٣٠٧)، ومسلم رقم (٢٦٧٣).

(٢) قول الخطيب للمستمعين: وصلوا وسلموا، لم يفعله النبي ق، وخير الهدي هديه ق.

الدائرة السابعة:

الحمد لله الذي جعل المساجد للمسلمين بمثابة المعاهد والأندية والمعسكرات والميادين، وجعل الجمع والجماعات من أعظم شعائر الدين، نحمده تعالى وهو رب العالمين، ومالك يوم الدين.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عليه نعتمد وإليه نستند وإياه نعبد وبه تعالى نستعين.

ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وقائد الغر المحجلين، إلى جنات النعيم.

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد الهادي إلى الصراط مستقيم، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان في جميع التعاليم، صلى الله وسلم عليهم أجمعين، أفضل صلاة وتسليم.

عباد الله: تسوية الصفوف من إقامة الصلاة^(١)، وقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى الصف الأعوج»^(٢).

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث أنس رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٧٢٣) والسياق له، ومسلم (٤٣٣) ولفظه: «سوروا صفوفكم فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة».

(٢) (لا أصل له عن النبي ق).

قال شيخنا العلامة محدث الديار اليمنية مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله: حديث «استوروا فإن الله لا =

وقال صلى الله عليه وسلم: «لتسرون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم»^(١).
 وكان عليه الصلاة والسلام إذا أقيمت الصلاة يمر بين يدي الصفوف يمسح بيده
 الكريمة صدور المصلين ليسويهم في صفوفهم^(٢).

=

ينظر إلى الصف الأعوج» لا يثبت عن النبي ق، ويكفي أن تقول: استووا ...
 وقال في موضع آخر: حديث ليس له أصل. اهـ «المقترح في أجوبة بعض أسئلة المصطلح» (١٦، ١٨٤).
 وقال العلامة الفقيه محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: وما يذكره بعض الأئمة: إن الله لا ينظر إلى الصف
 الأعوج، فهذا ليس بحديث، ولا يجوز أن يتلى على الناس، لأنه لم يرد عن النبي ق، ولا أصل له،
 وهو من صفات الله؛ لأن الله لا ينظر فلا يجوز إثباته إلا بدليل ...
 فهذا وإن قاله بعض الأئمة لا أصله له، ولا يجوز أن يذكر فيعتقده الناس حديثاً عن رسول الله ق، وليس
 عن رسول الله ق. اهـ من «المناهي اللفظية» (١٣٣-١٣٤) جمع: أبي أنس أشرف بن يوسف، وراجع
 «الشرح الممتع» (٣/ ١٤).

وقال العلامة الألباني رحمه الله: لا أصل له، فيما استفدناه من دروس شيخنا الوادعي رحمه الله.
 (١) أخرجه البخاري رقم (٧١٧) ومسلم رقم (٤٣٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.
 (٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٥، ٢٩٧)
 وفيه: أن رسول الله ق كان يتخلل الصف من ناحية إلى ناحية يمسح صدورنا ومناكبنا، ويقول: «لا
 تختلفوا فتختلف قلوبكم»، وإسناده صحيح وصححه شيخنا مقبل رحمه الله في «الصحيح المسند»
 (١١٦-١١٧).

وروى مسلم في «صحيحه» (٤٣٦) عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله ق يمسح مناكبنا في
 الصلاة.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمر بדרته بين الصفوف، ويقرع بها أقدام الذين يتقدمون أو يتأخرون^(١).

ومن عظيم أوصاف هذه الأمة أنهم يصفون في صلاتهم كصفوفهم للقتال كأنهم بنيان مرصوص، ولو يعلم الناس ما في الأذان والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليهما لاستهموا^(٢)، ولا جماعة للصف الثاني حتى يتم الأول^(٣)، وتخطي الرقاب والمروور بين يدي المصلين، من أعظم الذنوب وأكبر الآثام.

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى ما أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٤٠-٣٤١) من طريق عمرو بن ميمون قال: شهدت عمر يوم طعن، فما منعني أن أكون في الصف المقدم إلا هيبتة، وكان رجلاً مهيباً، فكنيت في الصف الذي يليه، وكان عمر لا يكبر حتى يستقبل الصف المقدم بوجهه، فإن رأى رجلاً متقدماً من الصف أو متأخر ضربه بالدرة، فذلك الذي منعني منه، وإسناده صحيح.

وفي «صحيح البخاري» (٣٧٠٠) أن عمر رضي الله عنه كان إذا مر بين الصفيين قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهم خللاً تقدم فكبر.

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى ما أخرجه البخاري (٦١٥) ومسلم (٤٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) الواجب هو إتمام الصف الأول فالأول، لما أخرجه أبوداود (٦٧١)، والنسائي في «المجتبى» رقم (٨١٨) عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ق: «أتموا الصف الأول ثم المقدم، ثم الذي يليه..» الحديث. صححه شيخنا مقبل الوداعي رحمه الله في «الجامع الصحيح» (٩٨/٢)، وقد بوب البخاري في «صحيحه» في كتاب الأذان باب (٧٥): باب إثم من لم يتم الصفوف.

فيحمل كلام المؤلف رحمه الله: لا جماعة للصف الثاني، أي لا جماعة كاملة تامة، وصلاتهم صحيحة لكن مع الإثم.

وفي الحديث عنه ﷺ قال: «لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيراً له»^(١).

وقال أيضاً: «إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفعه ما استطاع فإن أبي فليقاتله فإنها هو شيطان»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٥١٠) ومسلم (٥٠٧) من حديث أبي جهيم رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٥٠٩ و ٣٢٧٤)، ومسلم رقم (٥٠٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وقال أيضاً: «ليليني منكم أولوا الأحلام والنهي»^(١)، «ومن سبق إلى مباح فهو أحق به»^(٢)، ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].

واتقوا الله عباد الله وسووا صفوفكم يرحمكم الله، وصلوا وسلموا على من زاده الله شرفاً وتعظيماً وأولاه منه تحية وتسليماً^(٣)، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم فصل وسلم على سيدنا^(١) محمد نور شمس العرفان، ومهبط أسرار القرآن، المنقذ العظيم والمرشد الحكيم، وخير داع إلى صراط مستقيم.

(١) أخرجه مسلم رقم (٤٣٢) من حديث أبي مسعود رضي الله عنه، وفي الباب عن ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه مسلم رقم (٤٣٢) (١٢٣).
(٢) (ضعيف).

أخرجه أبوداود (٣٧٠١)، ومن طريقه البيهقي (١٤٢/٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٨٠/١) رقم (٨١٤) عن أسمر بن مضر رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «من سبق إلى ما لم يسبقه إليه مسلم فهو له». وفي سنده عبد الحميد بن عبد الواحد الغنوي مجهول عين، وفيه أم جنوب بنت نميلة وسويدة بنت جابر وأمها لا يعرف حالهن كما في «التقريب»، وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «الإرواء» (٦/رقم ١٥٥٣).

تنبيه: الحديث لم أقف عليه باللفظ الذي ذكره المصنف، وانظر «المقاصد الحسنة» رقم (١١٢٩)، و«موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة» (٩/٤٧٥).

(٣) تقدم التنبيه على قول الخطيب للمستمعين ... وصلوا وسلموا ... إلخ وأنه ليس من الهدى النبوي الذي سلكه النبي ق ومشى عليه هو وصحابته الكرام رضوان الله عليهم، فينبغي اجتناب ذلك.

وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار، خصوصاً على أجلهم قدراً، وأرفعهم ذكراً، ذوي المقام العلي والقدر الجلي، سادتنا وأئمتنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعلى الحسين الأحسين، أبي محمد الحسن وأبي عبدالله الحسين وأمهما الزهراء^(٢) وخديجة الكبرى وعائشة الرضى وبقية أزواج نبيك المصطفى.

وعلى الستة الباقيين من العشرة المبشرين بالجنة دار السلام، وعلى جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا ذا الجلال والإكرام^(٣).
اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر الإسلام والمسلمين، واجعل كلمتك هي العليا إلى يوم الدين، واخذل الكفرة والمشركين والملحدين والمبتدعين، وأصلح من في صلاحه صلاح للإسلام والمسلمين، وأهلك من في هلاكه صلاح للإسلام والمسلمين.

=

(١) لاشك أن النبي ق سيدنا وسيد البشر أجمعين، لكن ذكر السيادة في الصلاة عليه ليس مشروعاً؛ لأنه لم يرد ذلك حديث عن النبي ق، وقد تقدم التنبيه على ذلك تحت الخطبة الأولى، فراجع إن شئت والحمد لله.

(٢) قول القائل عن فاطمة رضي الله عنها وأرضاها: (فاطمة الزهراء) مما ينبغي اجتنابه أثناء الكلام.
قال الشيخ الفضال بكر بن عبدالله أبوزيد رحمه الله: فاطمة الزهراء، الزهراء المرأة المشرقة الوجه البيضاء المستنيرة... ولم أقف على تاريخ لهذا اللقب لدى أهل السنة، والله أعلم. اهـ «معجم المناهي اللفظية» (٤١٤).

(٣) جعل الخطبة الأخير مقتصرة بالترضي على آل البيت محدث لم يفعله النبي ق، وقد تقدم التنبيه على ذلك في آخر خطبة الاستسقاء.

وامدد بنصرك وتوفيقك وحسن تأييدك ملوك ورؤساء المسلمين وجنود المؤمنين، ولم
شعثنا واجمع شملنا ووحّد كلمتنا وانصرنا على من خالفنا، واحفظ بلادنا وأصلح أولادنا.
واشف مرضنا وعاف مبتلانا، وارحم موتنا، وخذ بأيدينا إلى كل خير واعصمنا من كل
شر، واحفظنا من كل ضير، واغفر اللهم للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات
الأحياء منهم والأموات، إنك قريب مجيب الدعوات.
اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك
ولا يرحمنا، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، واجعل هذا البلد وسائر بلاد المسلمين آمناً
مطمئناً، ولا تسلب نعمتك عنا، وكن معنا حيث كنا، آمين^(١) يا رب العالمين^(٢).

(١) لا أعلم دليلاً صحيحاً على مشروعية تأمين الداعي عقب دعائه، إلا ما كان عقب سورة الفاتحة،
فهذا الفعل يجنب.

(٢) ينبغي لخطباء المسلمين تحري ما كان النبي ق يفعله في خطبته ودعوته، ومن ذلك الدعاء في آخر
خطبة الجمعة، فدعاء الخطيب للمسلمين في الخطبة الثانية من خطبتي الجمعة استحبه كثير من
الفقهاء، بل جعله بعض الشافعية ركناً كما في «المجموع» (٤/ ٥٢١)، وبعضهم ذهب إلى أنه سنة.
والصحيح في ذلك أن ملازمة الدعاء في آخر الخطبة ليس عليه دليل، وإنما دعا النبي ق حين قال له
الأعرابي: يا رسول الله، هلكت الأموال، فادع الله لنا، فرفع يديه وقال: «اللهم اسقنا، اللهم اسقنا»
ولم يكن يدعو ويستسقي في كل جمعة، ولم يعين شيئاً من الدعاء في آخر الخطبة.

وأيضاً لم يذكر من من السلف ثبت عنه ذلك، ولو فعلوه بل لو فعله النبي ق لنقل ذلك إلينا، فالواجب
هو تحري الحق والعمل به، قال الله: ﴿الْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾ [يونس: ٣٥]، وقال الله: ﴿فَمَازَا بَعْدَ الْحَقِّ
إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢]، وقال الله: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ =

الخاتمة

قال أبو عبد الرحمن سلمه الله: هذا آخر ما قصدته من تحقيقي لهذا الكتاب، وقد منّ الله عليّ بما هو أهله من التحقيقات النفيسة والدقائق اللطيفة، والله المحمود على ذلك وغيره من نعمه التي لا تحصى، وله المنّة أن هداي لذلّك ووفّقني لتحقيقه ويسره عليّ وأعانني عليه، ومنّ عليّ بإتمامه، فله الحمد والامتنان، والفضل والطول والشكران.

وأسأله سبحانه لنا أجمعين سلوك سبيل الرشاد والعصمة من أحوال أهل الزيغ والعناد والدوام على ذلك وغيره من الخير في ازدياد، وأتضرّع إليه سبحانه أن يوفّقنا في الأقوال والأفعال للصواب والجري على آثار ذوي البصائر والألباب، إنه الكريم الواسع الوهاب. وما توفّق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وحسبي الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وصلواته وسلامه

=

دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿[الأعراف: ٣]﴾، وقال الله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وللمزيد راجع «خطبة الجمعة وأحكامها الفقهية» للدكتور عبدالعزيز الحجيلان (٢٧٣-٢٧٦)، و«أحكام الجمعة وبدعها» لشيخنا الفاضل المحدث أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله (٣٢٢).

الأطيبان الأتمان الأكملان على محمد خير خلقه، وعلى آله وصحبه أجمعين، كلما ذكره
الذاكرونه، وغفل عن ذكره الغافلون، وعلى سائر النبيين وآل كلِّ وسائر الصالحين.^(١)
هذا وأسأل الله عزوجل أن يجعل عملي هذا وسائر أعمالي خالصة لوجهه الكريم، وأن
يثقل به ميزاني يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن لا
يجعل فيه حظاً لأحد من المخلوقين، إن ربي لسميع قريب مجيب، وأسأل سبحانه أن يثبتني
على طلب العلم النافع، وعلى الكتاب والسنة حتى ألقاه.

(١) هذا الكلام مقتبس من كلام النووي رحمه الله من آخر كتابه «الأذكار» والحمد لله.

كان الفراغ من تحقيقه في / ١ / جماد ثاني / ١٤٢٩ هـ
في دار الحديث العامة بالخير وتعليم الكتاب السنة، اليمن
صعدة، دماج، ص ب (٩٠٠٧٠) هاتف (٧٧١٨٤٦٩٠٩).

وكتبه

أبو عبدالرحمن

ردمان بن أحمد بن علي الإبي الحبشي وفقه الله

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

فهرس أطراف الأحاديث والآثار

- ٢٠٥ اتئتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر حتى إذا رأيت
- ١٢٦ اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم
- ١٨٧ اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة
- ٣٤٧ اتق المحارم تكن أعبد الناس
- ٢٩٣ اتقوا الله واعدلوا في أولادكم
- ٤٢٧ أحرق علي بن أبي طالب وعبد الله بن الزبير من يعمل عمل قوم لوط
- ٣٥٨ أحي والدك
- ٢٤٥ أخوه خير منه
- ٦٣٨ أذناكم مني منزلة يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً
- ٣٣٨ إذا أحب قومًا ابتلاهم فمن صبر فله الصبر
- ٤١٢ إذا أراد الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم
- ٥٣٤ إذا أعطيتكم الزكاة فلا تنسوا ثوابها
- ٦٤٨ إذا أقيمت الصلاة يمر بين يدي الصفوف يمسح
- ١٥٦ إذا بال أحدكم فلا يمس ذكره بيمينه
- ٥١٨ إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة
- ٥٥٦ إذا خرج الحاج من بيته وأدركه الموت
- ٥٤٠ إذا دخل شهر رمضان، فتحت أبواب الجنة
- ٢٠٤ إذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم وخفت
- ١٥٥ إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه
- ٦٤٩ إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره فأراد
- ٤٣٠ إذا ظلم أهل الذمة كانت الدولة دولة العدو
- ٢٠٠ إذا عظمت أمتي الدنيا نزع منها هبة الإسلام
- ٢٠٠ إذا كانت أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم
- ٣٤٨ إذا لم تستح فاصنع ما شئت
- ٣٨٤ إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث
- ١٢٠ إذا وجدتم قولي يخالف الحديث فاضربوا
- ٣٦٨ أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا

- أربع لا يجوز في الأضاحي: العوراء ٥٨٤
- أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع ٣٤٥
- أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ٣٦٤
- أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها ٤٣٧
- أربعة من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب ٦٠٤
- أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله ٤٣٠
- ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند ٢٣٠
- استوصوا بالنساء خيرًا ٣٩١
- أصاب امرأة وأخطأ أمير المؤمنين ١٢١
- اعلم أن من أحيا سنة من سنتي أميتت ١٣٨
- أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين ٥٩٦
- اغتسل يوم الجمعة ولو صاعًا بدينار ٤٨١
- اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك ٤٤٦
- ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثًا ٤٤٢
- ألا لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة ٣٤٣
- الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها لا إله إلا الله وأدناها إماطة ٢١٥
- البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا ٣٦٣
- الثلث كثير، إنك إن تذر أهلك ٢٤٥
- الجنة تحت أقدام الأمهات ٣٥٠
- الحاج في ضمان الله من حين يخرج من بيته ٥٥٦
- الحجاج والعمار وفد الله، يعطيهم ما سألوا ٥٥١
- الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل ٣٢٥
- الحقد والنميمة في النار ٦٤٠
- الحياء شعبة من الإيمان ٢٠٧
- الحياء من الإيمان والإيمان من الجنة، والبذاء من ٢١٥
- الدنيا حلوة خضرة فمن أخذها بحقه بورك له ٢١٧
- الربا اثنان وسبعون بابًا أدناها مثل ٦٤٠
- الربا اثنان وسبعون بابًا، أدناها مثل إتيان ٣١٣
- الرحم تقول: اللهم إني بك فلا أقطع ٣٧٠
- السبع الموبقات ٣١١

- السلطان ظل الله في الأرض، يأوي..... ٢٧٧
- الشیطان يلتقم قلب ابن آدم..... ٣٩٣
- الصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء..... ٣٣٢
- الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة..... ٥١٨
- الصوم جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث..... ٥١٥
- الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة..... ٥١١
- الصوم معلق بين السماء والأرض لا يقبله الله..... ٥٣٢
- الطهور شطر الإيمان..... ١٤١
- الظلم ظلمات يوم القيامة..... ٤٣٩
- العالم والمتعلم شريكان في الخير..... ٣٨٤
- العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما..... ٥٦٣
- العيافة، والطيرة، والطرق، من الجبت..... ٤٦٢
- الكبائر: الإشرak بالله وعقوق الوالدين وقتل..... ٣٥٧
- اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابًا..... ٦١٥
- اللهم أعط منفقا خلفًا، وأعط ممسكا تلفًا..... ٢٥٧
- اللهم إني أعوذ بك من الجوع..... ٣٦٦
- اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر..... ٢٤٦
- اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة..... ٣٤٧
- اللهم فصل على آل فلان..... ٥٣٤
- المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم..... ٣٤١
- المسلم من سلم المسلمون من لسانه..... ٦٤١
- المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده..... ٤٤٨
- المعدة بيت الداء..... ١٥٣
- النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، من تركها من..... ٣٠٣
- النميمة والشتيمة والحمية في النار..... ٣١٤
- الولد من كسب الوالد..... ٢٨٥
- أليس تشهدون أن لا إله إلا الله..... ١٣٩
- أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله..... ٥٢٦
- أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله..... ٦٦
- أمرنا بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ومن لم يرك..... ٥٣٤

- ٢٦٦ أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد.
- ١٣٧ إن إبليس قال: أهلكتهم بالذنوب.
- ٤٢٠ إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط.
- ٩٥ إن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات.
- ٢٢٥ إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها.
- ٣٩٣ إن الشيطان ليحري من ابن آدم مجرى الدم.
- ١٣٦ إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة.
- ٣٥٥ إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات.
- ٢٩٧ إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات.
- ١٩٢ إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب.
- ٤٣٨ إن الله قد حرم عليكم دماءكم، وأموالكم.
- ٣٤٩ إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم.
- ٦٤٧ إن الله لا ينظر إلى الصف الأعوج.
- ٢٦١ إن الله ليربي لأحدكم التمرة واللقمة كما يربي أحدكم.
- ٢٤٢ إن الله يحب المؤمن المحترف.
- ٢٤٩ إن الله يكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة.
- ٦١٤ أن النبي صلى الله عليه وسلم جهر في صلاة الكسوف.
- ٣٦٧ إن أول ما يرفع من هذه الأمة الأمانة.
- ٤١٨ أن تجعل لله ندًا وهو خلقك.
- ٣٣٨ إن عظم الجزاء مع عظم البلاء.
- ١٤٣ إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد.
- ١٥٦ إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم.
- ١٨١ إن لربك عليك حقًا، وإن لنفسك عليك حقًا.
- ١١٢ إن لله أهلين من الناس.
- ٣٨٤ إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم يهتدى بها.
- ١١٦ إن مما أدرك الناس من كلام النبوة.
- ٢١٤ إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع.
- ٢٦٥ إن مما يلحق المرء من عمله وحسناته بعد موته علمًا علمه.
- ٣٢٢ إن من عبادي لفقر، ولو أغنيته لكفر.
- ١٣٩ إن هذا القرآن طرفه بيد الله.

- ٤٧٣ إن يوم الجمعة أفضل الأيام
- ٥٩٨ أنا أعرّفكم بالله، وأتقاكم له
- ٤٦٨ أنا سيد ولد آدم يوم القيامة
- ٦٩ أنا عند ظن عبدي بي فليظن
- ٢٨٣ إنا لا نستعين على أمرنا هذا بمشرك
- ٦٢٣ إنكم شكوتم جذب دياركم، وقد أمركم الله أن تدعوه
- ١٥٥ إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين
- ٢٢٨ إنما يكفي أحدكم من الدنيا كزاد الراكب
- ٦٢٤ إنه حديث عهد بربه
- ١٦٩ إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه
- ٤١٦ إنه من زنى زني بأهله
- ١٦٩ إنها ستكون بعدي أثرة
- ٣١٤ إنها ليعذبان، وما يعذبان في كبير
- ٦٥ إني أنا والجن والإنس في نبي عظيم
- ٤٠٧ أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بخصالٍ من الخير
- ٢٨١ أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن
- ٣٩٨ إياك والخلوة بالنساء
- ٢٣١ إياك والطمع فإنه فقر حاضر، وإياك وما يعتذر
- ٣١٧ إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات
- ٥٧٣ أيام التشريق أيام أكل وشرب
- ٢٩٦ أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم
- ٣٩٧ أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها
- ٣٩٧ أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها
- ٢٦١ أيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله يوم القيامة من
- ٦٠٨ بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها
- ٢٧١ بخ بخ، ذلك مال رابح
- ٣٥١ بروا آباءكم تبركم أبناؤكم
- ٥٦٣ تابعوا بين الحج والعمرة فإنها ينفيان الفقر
- ٣٦٢ تحروا الصدق وإن رأيتم أن الهلكة فيه
- ٥٢٥ تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان

- ٦٤٧ تسوية الصفوف من إقامة الصلاة.
- ٦٤٤ تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والوقار.
- ٨٢ تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق.
- ٣٥٣ ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، والعاق لوالديه.
- ٤١٩ ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم.
- ٤٣١ ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه.
- ٦٢٧ جاء رجل أعرابي يوم الجمعة ورسول صلى الله عليه وسلم يخطب.
- ٥٩٣ جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله.
- ٥١٧ جمع الناس على أبي بن كعب ليصلي بهم التراويح.
- ٢٦٧ جنبوا صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم.
- ٢٢٩ حب الدنيا رأس كل خطيئة.
- ٦٢٣ خرج سليمان عليه السلام يستسقي.
- ١٤١ خمس من الفطرة فعدها: قص.
- ٣٤٣ خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه.
- ٣٧٢ خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.
- ٣٢٣ دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء.
- ٤٣٩ دعوة المظلوم ترفع علي الغمام.
- ٥١٨ ذاكر الله في رمضان مغفور له، وسائل الله فيه.
- ١٧٠ رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه.
- ٥٠٣ رأيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد.
- ٥٠٣ رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوبًا.
- ٢٢٧ رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر.
- ٣١٢ رحم الله امرءًا قال خيرًا فغنم، أو سكت.
- ٣٥٧ رغم أنفه ثم رغم أنفه.
- ٥٨٦ زينوا أعيادكم بالتكبير.
- ٥٨٥ سنة أبيكم إبراهيم.
- ٣٢٤ سيصيب أمتي داء الأمم: الأشر، والبطر.
- ٦٣٩ شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه.
- ٤٨٤ صعود الخطيب على المنبر يقطع الصلاة.
- ٢٢٥ صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين وهلاك آخرها بالبخل.

- صلوا كما رأيتموني أصلي ١٣١
- صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر ٣٠٦
- عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبًا قلت لا يا رب ٢٣٨
- عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم ٦٤٢
- على المرء المسلم السمع والطاعة فيما ١٦٩
- عليكم بستتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها ٢٨١
- عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله ٥٩٩
- فبعث منادياً ينادي الصلاة جامعة ٦١٥
- فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة ٥٤٦
- فضل العالم على العابد كفضلي على أذنكم ٣٧٧
- فعليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ٣٦٥
- ففيهما فجاهد ٣٥٨
- قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم ٥٠٩
- قد والله علمنا يوم نزولها ٥٦٨
- قل آمنت بالله ثم استقم ٨٤
- كاد الفقر أن يكون كفراً، وكاد الحسد ٣٢٤
- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت وأهله الليالي المتتابعة ٢٣٧
- كان رسول الله لا يغدوا يوم الفطر ٥٤٥
- كان صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى العيد يرجع في غير ٥٤٥
- كان صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى المصلى ٥٤٥
- كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمر بدرته بين الصفوف ٦٤٨
- كداخل من باب، وخارج من آخر ٥٩١
- كفى بالموت واعظاً ٦٠٣
- كل الذنوب يؤخر الله منها ما يشاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين ٣٥٦
- كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله ٤٣٩
- كل واشرب والبس وتصدق في غير ٢٥١
- كلامه يقطع الكلام ٤٨٤
- كلكم راع ومسئول عن رعيته، الإمام ٢٨٤
- كما تدين تدان ٣٥٤
- كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ٥٩١

- ٥٦٧ كنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نعدله
- ٤٠١ كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة
- ٢٠٥ لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب
- ٦٣٩ لا إيمان لمن لا حياء له
- ٦٤١ لا إيمان لمن لا يأمن الناس بواقعه
- ٤٠٣ لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها
- ٦٣٢ لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تناجشوا
- ٦٠٥ لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع
- ١٩٦ لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر
- ٣٢٥ لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله هذا الكتاب
- ٢٤٥ لا خير في من لا يحب المال ليصل به رحمه، ويؤدي به أمانته
- ٦٣٩ لا دين لمن لا عهد له
- ١٤٨ لا عدوى ولا طيره
- ٤٥٥ لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة
- ١٥٧ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه
- ٦٤١ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما
- ٣٠٧ لا يدخل الجنة نمام
- ٦٣٩ لا يدخلها كذلك خب ولا بخيل
- ٢٤٦ لأن يجمع المرء مالاً لأعدائه بعد موته خير له
- ٣٠٦ لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير
- ٦٤٨ لتسبون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم
- ٣٠٥ لتغضن أبصاركم ولتحفظن فروجكم أو ليكسفن
- ١٨٤ لتنتقضن عرى الإسلام عروة عروة، فلكما
- ٤٠٣ لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور
- ٤٠٠ لعن الله زوارات القبور
- ٦٢٥ لم ينقص قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين
- ٢٣٨ لو كان لابن آدم واد من مال لا بتغى إليه ثانيًا ولو كان له واديان لا بتغى ثالثًا
- ٢٢٠ لو كان لابن آدم واد من مال لا بتغى إليه ثانيًا، ولو كان له
- ٢٢٤ لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح
- ٥١٩ لو يعلم العباد ما رمضان، لتمنت أمتي أن تكون السنة

- لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان ٢٤٩
- لولا أن الله ذكر اللوطية في كتابه ما صدقت ٤٢٦
- ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما ٢٢٥
- ليأتين على الناس زمان يكذب فيه الصادق ٢٠٣
- ليس المؤمن الذي يشيع وجاره جوعان ٢٥٩
- ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان ٢٥٩
- ليس على رجل نذر فيما لا يملك ٦٤١
- ليس منا من تطير أو تطير له ٤٦١
- ليس منا من لم يرحم صغيرنا ٤٠٧
- ليليني منكم أولوا الأحلام والنهي ٦٥٠
- لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات ٤٨٦
- ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل ٢٣٩
- ما أنزل الله داءً إلا وأنزل له دواء ١٥٠
- ما تلف مال في بر ولا بحر إلا بحبس الزكاة ٥٢٧
- ما رُزقت فلا تحبى، وما سُئلت فلا تمنع ٢٥٦
- ما شيع آل محمد صلى الله عليه وسلم من طعام ثلاثة ٢٣٧
- ما ضر عثمان ما صنع بعد اليوم ٢٧١
- ما عبد الله بشيء أفضل من فقهه في دين، ولفقيه ٣٨٢
- ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله ٥٧١
- ما من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله فيها ٥٩٦
- ما من صباح إلا وملكان يناديان ويل للرجال من النساء ٣٩٨
- ما من صباح إلا وملكان يناديان: ويل للرجال ٣٠٥
- ما من عام إلا والذي بعده شر منه ٥٩٥
- ما من عام إلا وينقص الخير فيه ويزيد الشر ٥٩٥
- ما من عبد يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ٥٣٣
- ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة، ثم يغض بصره ٣٠٤
- ما من نبي إلا وقد رعى الغنم ٢٤٤
- ما نحل والد ولده وأفضل من أدب ٢٩٢
- ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا ٣٣٨
- مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار ١٧٦

- ٤٣٢ مدمن الخمر كعابد الأوثان.
- ٦٣٩ مدمن الخمر والديوث وعاق والديه.
- ٢٩٣ مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم على تركها.
- ٤٦١ من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد برئ مما أنزل.
- ٤٦١ من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل.
- ١٢٩ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس
- ٣٥٨ من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله.
- ٦٤٠ من أخاف مؤمنًا كان حقا على الله أن
- ٣٥٧ من أدرك والديه عند الكبر، أو أحدهما، ثم لم يدخل الجنة
- ٣٧٩ من ازداد علمًا ولم يزد هدى لم يزد من الله
- ٢٣٢ من أصبح آمنًا في سربه، معافًا في بدنه
- ٣٣٩ من أصيب بمصيبة بهاله أو في نفسه
- ٣٣٩ من أعطي فشكر، وابتلي فصبر، وظلم فاستغفر
- ٥٣٣ من أقام الصلاة، وآتى الزكاة، وحج البيت
- ٤٦١ من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس شعبة من السحر
- ٥١٩ من الصديقين والشهداء
- ٣٥٨ من الكبائر شتم الرجل والديه
- ٢٤١ من أمسى كالأ من كسب يده أمسى
- ٢٦٣ من بنى لله مسجدًا صغيرًا كان أو كبيرًا بنى الله
- ٤٨٦ من ترك ثلاث جمع تهاونًا بها، طبع الله
- ١٤٩ من تطلب من غير أن يعلم منه طب
- ٣٨٥ من تعلم بابًا من العلم ليعلم الناس
- ٤٨٥ من تكلم فقد لغا
- ١٢٥ من تمسك بستتي عند فساد أمتي
- ٥٦٣ من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه
- ٢٤٦ من حفظ ديناه فقد حفظ الأكرمين دينه وعرضه
- ٦٤٠ من حلف على يمين بملة غير الإسلام
- ٦٤٤ من ذكركم الله رؤيته، وزاد في علمكم منطقه
- ٤٠٧ من رأى منكم منكراً فليغيره بيده
- ٢٩٢ من ربي صغيراً حتى يقول لا إله إلا الله

- من رذته الطيرة عن شيء فقد أشرك ٤٦٢
- من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان ٤٣٧، ٢١٥
- من زنى خرج منه الإيمان، فإن تاب ٢١٦
- من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله ٦٤٣
- من سمع النداء يوم الجمعة فلم يأتها ٤٨٦
- من صام رمضان وقامه إيماناً واحتساباً ٥٢٠
- من صام يوم عرفة غفر له ذنب ٥٦٧
- من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ٤٠٤
- من عال ثلاث بنات فأذهبن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة ٢٩١
- من علم علماً فله أجر من عمل به لا ٢٩١
- من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم ٣٧٩
- من عمل عملاً ليس عليه ١٢٩
- من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً ٣٧٩
- من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ٥٢٥
- من قام ليلتي العيدين محتسباً لم يمت قلبه ٥٨٥
- من قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة ٦٤٠
- من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً ٦٤١، ٣١٢
- من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ٣٤١
- من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا ٤٢٩
- من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ٣٧٥
- من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه ٣٠٨
- نحن أولى بموسى منكم ٥٠٠
- نعم أو نعمة الأضحية الجذع من الضأن ٥٨٥
- نعم، وإخراج القمامة منها مهوور الحور العين ٢٦٦
- هكذا صلاة الآيات ٦١٥
- هي في الجنة ٣٤٥
- هي في النار ٣٤٥
- وابنوا المساجد وأخرجوا القمامة منها، فمن بنى ٢٦٦
- والذي نفسي بيده إنها توعدون لآت ١٧٨
- والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف ٤٠٧

- والله لا يؤمن والله لا يؤمن ٣٤٠
- والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن ٢٣٥
- وأمر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة ٤٠٧
- وإن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ٦٤٥
- وأول من جمع الناس لهذا اليوم كعب بن لؤي ٤٧٥
- وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل ١٢٦
- وآية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب ٣٦٨
- وثلاثة لا ينظر الله إليهم غدا: شيخ زان ٣٦٤
- وستل الإمام مالك عن أربعين مسألة ١١٩
- وفرض صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من ٥٣٤
- وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين ٥٤٥
- وكان يمر بالصبيان فيسلم عليهم ٢٩٣
- ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ٦٢٠
- ولو يعلم الناس ما في الأذان والصف الأول ٦٤٩
- وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ٣٧٨
- ومن أتاه غير مصدق له لم تقبل له صلاة أربعين ليلة ٤٦١
- ومن سبق إلى مباح فهو أحق به ٦٥٠
- ومن لا إيمان له لا حياء له ٢٠٧
- وهل يكب الناس في النار على وجوههم ٣١٣
- يا أبا ذر إذا طبخت مرقة ٣٤٣
- يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني ٦٥
- يا إخواني لمثل هذا فأعدوا ٦٠٤
- يا أمة محمد والله ما من أحد أغير من الله ٦١٠
- يا أمة محمد، والله ما من أحد أغير من الله ٦٠٦
- يا أيها الناس من علم فليقل ١١٩
- يا أيها الناس، توبوا إلى الله قبل أن تموتوا ٤٨٧
- يا بني إياك وآراء الرجال فإنهم يصيبون ويخطئون ١٢١
- يا بني عليك بمجالسة العلماء واسمع كلام ٦٤٤
- يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته ٦٥
- يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة ٤٤٥

- يا معشر قريش: إن الله تعالى قد أذهب عنكم نخوة ٢٧٨
- يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة..... ٤٤٩
- يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على..... ١٩٥
- يبيت قوم من هذه الأمة على طعم وشرب وهو..... ٤٣٥
- يغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج..... ٥٦٤
- يوشك أن تداعى عليكم الأمم، كما تداعى ٤٥٣

فهرس الموضوعات

مقدمة فضيلة شيخنا العلامة الفقيه المحدث الناصح الأمين أبي عبدالرحمن يحيى بن علي	
الحجوري حفظه الله	٣
مقدمة التحقيق	٥
أهمية خطبة الجمعة	١٠
ما ينبغي للخطيب الواعظ	١٢
تحذير الخطيب	١٥
نبذة مختصرة عن الفتوحات الربانية	١٧
من أخطاء المؤلف رحمه الله في هذا الكتاب	٢١
نبذة من ترجمة المصنف رحمه الله	٢٥
اسمه ولقبه:	٢٥
مولده:	٢٥
نشأته:	٢٦
رحلته في طلب العلم:	٢٦
حفظه للقرآن:	٢٨
مشايخه:	٢٩
تلامذته:	٣٠
مذهبه:	٣١
شيء من صفاته:	٣١
جهاده:	٣٢
مؤلفاته:	٣٢
ومن مؤلفاته المخطوطة:	٣٤
معاناة البيحاني:	٣٥
عقيدته:	٣٨
فكره ومنهجه:	٣٩
خروجه من عدن:	٤٣
وفاته:	٤٣
عملي في الكتاب	٤٤
كلمة شكر وثناء	٤٨

(مقدمة لشاعر اليمن وأديبها محمد محمود الزبيري) ٥١

الخطبة الأولى ٦٧

توحيد الله عز وجل ٦٧

الخطبة الثانية ٧٥

في التوحيد والإخلاص ٧٥

الخطبة الثالثة ٨٥

في توحيد الله عز وجل والرد على الطبيعيين ٨٥

الخطبة الرابعة ١٠٥

في الدين الصحيح ١٠٥

الخطبة الخامسة ١١٩

من وصايا القرآن ١١٩

ملاحظة ١٢٦

الخطبة السادسة ١٢٨

في الانقياد للدين ١٢٨

الخطبة السابعة ١٤٠

في السنة والبدعة ١٤٠

الخطبة الثامنة ١٥٨

في الصحة والنظافة ١٥٨

الخطبة التاسعة ١٧٧

في الألفة والاتحاد ١٧٧

الخطبة العاشرة ١٩٢

في الحث على الصلاة ١٩٢

الخطبة الحادية عشرة ١٩٩

في الاشتغال عن الواجبات والمندوبات بالمحرمات والمكروهات ١٩٩

الخطبة الثانية عشرة ٢٠٩

من أوامر الدين وكيف يكون المسلم ٢٠٩

الخطبة الثالثة عشرة ٢١٤

بعض ما نحن عليه اليوم ٢١٤

الخطبة الرابعة عشرة ٢٢٠

في فساد الزمان ٢٢٠

٢٣٥	الخطبة الخامسة عشرة
٢٣٥	في ظهور الفساد
٢٤٦	الخطبة السادسة عشرة
٢٤٦	إيثار الدنيا على الآخرة
٢٥٧	الخطبة السابعة عشرة
٢٥٧	في الزهد والورع
٢٧٠	الخطبة الثامنة عشرة
٢٧٠	في الحث على العمل والاكتساب
٢٨١	الخطبة التاسعة عشرة
٢٨١	في الاقتصاد وذم البخل والإسراف
٢٨٩	الخطبة العشرون
٢٨٩	في الصدقة والإنفاق في سبيل الله
٢٩٦	الخطبة الحادية والعشرون
٢٩٦	في بناء المساجد وعمارتها
٣٠٩	الخطبة الثانية والعشرون
٣٠٩	في الراعي والرعية
٣٢٠	الخطبة الثالثة والعشرون
٣٢٠	في التربية والتعليم
٣٣١	الخطبة الرابعة والعشرون
٣٣١	في السفور والحجاب
٣٤٥	الخطبة الخامسة والعشرون
٣٤٥	في آفات اللسان
٣٥٤	الخطبة السادسة والعشرون
٣٥٤	في التحذير من الحسد
٣٦٥	الخطبة السابعة والعشرون
٣٦٥	في الكبر والتواضع
٣٧١	الخطبة الثامنة والعشرون
٣٧١	في الصبر والشجاعة
٣٨١	الخطبة التاسعة والعشرون
٣٨١	في حسن الجوار وحقوق الجار

- الخطبة الثلاثون ٣٩٣
- ٣٩٣ في طاعة الوالدين وبرهما
- الخطبة الحادية والثلاثون ٤٠٣
- ٤٠٣ في مدح الصدق وذم الكذب
- الخطبة الثانية والثلاثون ٤١١
- ٤١١ في مدح الأمانة وذم الخيانة
- الخطبة الثالثة والثلاثون ٤١٩
- ٤١٩ فضل العلم والحث على تحصيله
- الخطبة الرابعة والثلاثون ٤٣٣
- ٤٣٣ في تعليم المرأة والعناية بها
- الخطبة الخامسة والثلاثون ٤٣٨
- ٤٣٨ في الزَّار
- الخطبة السادسة والثلاثون ٤٤٧
- ٤٤٧ في زيارة القبور وتطهير ساحاتها من الآثام
- الخطبة السابعة والثلاثون ٤٥٧
- ٤٥٧ في الإرشاد والتذكير
- الخطبة الثامنة والثلاثون ٤٦٢
- ٤٦٢ في التحذير من الزنا
- الخطبة التاسعة والثلاثون ٤٦٨
- ٤٦٨ في التحذير من اللواط
- الخطبة الأربعون ٤٨٠
- ٤٨٠ في التحذير من الخمر
- الخطبة الحادية والأربعون ٤٨٨
- ٤٨٨ ظلم العباد وشهادة الزور
- الخطبة الثانية والأربعون ٤٩٤
- ٤٩٤ نداء الشباب
- الخطبة الثالثة والأربعون ٤٩٩
- ٤٩٩ الهجرة واستقبال العام
- الخطبة الرابعة والأربعون ٥٠٦
- ٥٠٦ في التشاؤم والطيرة من صفر وغيره

الخطبة الخامسة والأربعون ٥١٧	
٥١٧ في المولد الشريف	
الخطبة السادسة والأربعون ٥٢٤	
٥٢٤ في الجمعة والأحد	
الخطبة السابعة والأربعون ٥٤٦	
٥٤٦ في الإسراء والمعراج	
الخطبة الثامنة والأربعون ٥٦٦	
٥٦٦ في استقبال رمضان والاستعداد له	
الخطبة التاسعة والأربعون ٥٧٢	
٥٧٢ في صيام رمضان وقيامه	
الخطبة الخمسون ٥٨٣	
٥٨٣ في العشر الأواخر من رمضان	
الخطبة الحادية والخمسون ٥٩٠	
٥٩٠ في الحث على الزكاة وإخراجها	
الخطبة الثانية والخمسون ٦٠١	
٦٠١ خطبة عيد الفطر	
الخطبة الثانية ٦١٤	
٦١٥ الله أكبر (سبعًا)	
الخطبة الثالثة والخمسون ٦٢٠	
٦٢٠ في الحث على الحج والترغيب فيه	
الخطبة الرابعة والخمسون ٦٣٧	
٦٣٧ لعشر ذي الحجة	
الخطبة الخامسة والخمسون ٦٤٥	
٦٤٥ عيد الأضحى	
الخطبة الثانية ٦٦٢	
٦٦٢ الله أكبر (سبعًا)	
الخطبة السادسة والخمسون ٦٦٦	
٦٦٦ لتوديع العام	
الخطبة السابعة والخمسون ٦٧٤	
٦٧٤ في الاستعداد للموت وما بعده	

الخطبة الثامنة والخمسون ٦٨٤	
٦٨٤ لكسوف الشمس وخسوف القمر	
الخطبة التاسعة والخمسون ٦٩٦	
٦٩٦ في خطبة الاستسقاء	
الخطبة الثانية ٧٠٧	
٧٠٧ أستغفر الله العظيم (سبعًا) ومع الأخيرة الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه....	
دائرات تستعمل خطبًا ثانية للجمعة حسب المناسبات ٧١٣	
٧١٣..... الدائرة الأولى: ولكل مقام مقال.	
٧١٥..... الدائرة الثانية:	
٧١٧..... الدائرة الثالثة:	
٧١٩..... الدائرة الرابعة:	
٧٢٢..... الدائرة الخامسة:	
٧٢٨..... الدائرة السادسة:	
٧٣٣..... الدائرة السابعة:	
٧٤٠..... الخاتمة	
٧٤٣..... فهرس أطراف الأحاديث	
٧٥٦..... فهرس الموضوعات	